غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 250 ـ ربيع الآخر 1418 هـ ـ أغسطس/ سبتمبر 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 250 - AUG./SEP. 1997

جدلية الممكن والمستحيل

كيف يروي الراوي روايته؟

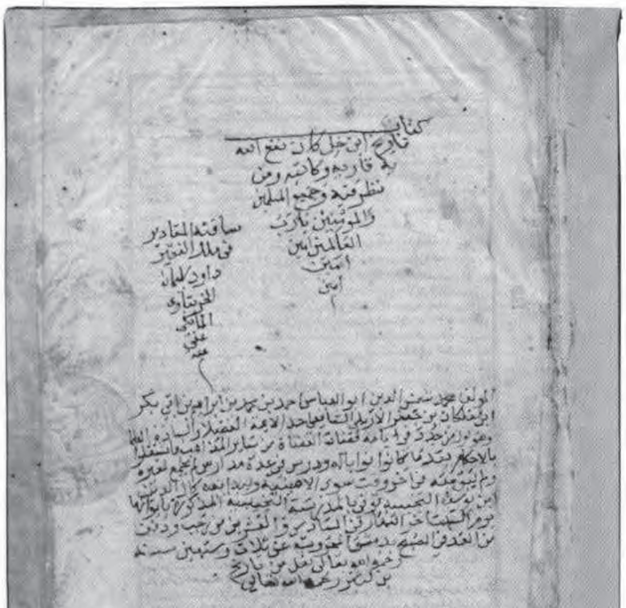
الوجه الآخر لابن خلدون

العائلة والمرأة في اليابان



اللغة الثانية:
طرائق تعليمها للناطقين بغيرها





وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلِّكان المتوفَّى سنة (681 هـ - 1282م)

يعد هذا الكتاب من أشهر كتب التراجم، حيث ترجم فيه القاضي ابن خلِّكان لمئات من أعيان العلم والأدب في الإسلام، وقد طبع في ثمانية مجلدات بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس.

كتبت هذه النسخة بخط نسخي جميل سنة 1146هـ في مجلد واحد فقط، وصفحاتها كلها مجدولة بالحبر الأحمر، أما الصفحتان الأوليان، فَجُدْوِلتا بماء الذهب والحبر الأحمر معًا، وكتبت رؤوس الفقرات والفصول والأبواب بخط كبير وبحبر أحمر وأحيانًا بالحبر الأسود، كما وضعت الفواصل بين الأبيات الشعرية بالحبر الأحمر.

أما الجلد، فهو بنِّي اللون مجدول بماء الذهب، وفي وسطه ميدالية بيضاوية الشكل، مجدولة بماء الذهب، وبداخلها رسوم نباتية ووردية بارزة.

يقع المخطوط في 520 ورقة في كل منها 23 سطرًا، ومقاسه 32 × 20,5 سم.

إعداد: **إبراهيم باجس عبدالمجيد**

في العدد القادم:

- الإبداع: مصادفة أم ذكاء أم ماذا؟
- حكاية النيل في هذا الزمان
- التعريب وقضايا المصطلح العلمي

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

لـمّا غدونا «للفيصل» نسعى للدوحة الغنّاء لنقطف منها، وقد أظلّها الغمام:

ناولتنا أيدي الغصون ثمارًا

أخرجتها لنا من الأكمام

مجلة الفيصل جمعت فأوعت، وتنوعت فأوفت. أطل علينا، في عددها الأخير، د. زيد الحسين، رئيس تحريرها بحديث عن حق البراعم والشيوخ على المجتمع، وحدثنا عن مركز الأمير سلمان بن عبدالعزيز الاجتماعي أو «نادي المسنين»، وزين مقاله برأي العلم والدين. وحظي شيوخنا في موقع آخر من المجلة «بكلمات مضيئة» تدعو لإنشاء دور للمسنين، وفي مقال ثالث يستنجد الشيوخ بالعلم لإصلاح ما أفسده الدهر، وما استبسلوا استسلام شاعرنا وقد هزمه المشيب:

قد كنتُ أخشى من البيضاء في حلك

فصرتُ أفرقُ للسوداء في يقق

شيء يميز «الفيصل» من غيرها.. تكتب عن الفن والأدب كمجلة لا هم لها سوى الأدب، وتتناول العلم والاختراعات حتى ليظن القارئ نفسه في جوف مكتبة الجامعة، وتتبنى القضايا الاجتماعية حتى لتخالها لسان حال الرعاية التي لا قصور لها عن الغاية، وتقيم منتداها فكأنك تسمع المتجاورين وأنت قبالة «التلفاز»، وتقدم الدراسات في مختلف المجالات وتتبع الأخبار الثقافية.. ثم تصل للاستراحة وأنت أكثر راحة ممن بدأ لتوه في قراءة المجلة.

وفي العدد 249 واصل الدكتور المعلم حسن ظاظا حديثه عن اليهود، متسائلاً هذه المرة عن لغة التوراة: هل هي العبرية؟ وفي منتدى الفيصل أجاب الشيخ عثمان الصالح عن أسئلة المجلة والقراء، واضعًا مسيرة التربية والتعليم في إطارها السليم. وطرح الأستاذ حسن المهنا سؤالاً محيرًا: كيف نوفق بين اليقين المستقى من الدين والاكتشافات العلمية؟ وهناك دعوة من الدكتور النحوي «لسدنة» حقوق الإنسان في هذا الزمان لحماية فطرة الله التي فطر الناس عليها، من التدليس والنسيان. وازدان العدد بقصائد منتقاة، وحديث يشدك شدًا للدكتور إبراهيم القرشي يعود فيه بالعامية لأصولها الفصيحة العربية.

أما الزوايا والأبواب الثابتة فإن التجديد فيها يلبسها كل شهر حلّة في ألوان وزهور «فان جوخ».

لن أستطيع أن أتتبع مقالات الترجمة والأدب والفكر والتربية والتراث والتاريخ وبقية حبات عقد الجمان على نحر مجلة الفيصل، فليس في هذا الحيز متسع.. إذ إن موعدكم مع جواهر أخر.

كنتُ أتمنى أن أرى في ذاك العدد وفي كل عدد: بابًا ثابتًا عن نصائح علمية (الغذاء، التغذية، الصحة الخ)، ورواية طويلة (مختارات من عيون الأدب الروائي العالمي).

د. صلاح علي محجوب

كلية الزراعة، جامعة الخرطوم.

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150 ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا 100 أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

تحية من الجزائر

أتقدم بتحية عطرة إلى كل عامل في «مجلة الفيصل»، تحية أزفها إليكم من صميم القلب. فأنا طالبة جزائرية في الثانوية العامة، أراسلكم بقصد أن أكون صديقة للمجلة التي حصلت على عنوانها من إحدى الصديقات، وبعد أن تعرفت إلى محتوياتها، أمسكت قلمي لأتقدم لكم بجزيل الشكر لما تبذلونه من جهد لخدمة الفكر العربي، وأدعو الله أن يوفقكم لمزيد من التقدم في هذا المجال الرائد الذي يبين للقارئ كيف يبني ملكاته الأدبية، ويُقَوِّم لسانه ويروض أسلوبه حتى يستقيم، ومتى حدث ذلك، أصبح عضواً مفيداً وحافظاً لوطنه، بارك الله في عملكم، ووفقكم إلى ما فيه خير الأجيال الناشئة.

ليندة حفاني
حي برج الساعة، بو سعادة -
ولاية المسيلة، الجزائر.

ملف الترجمة مكنز ثقافي

تحياتي الخالصة للساهرين على تحرير الفيصل وإخراجها، حتى غدت مجلة ثقافية رائدة في العالم الإسلامي، ومن أهم المؤشرات على ذلك تنوع كتابها المنتمين إلى أقطار إسلامية عديدة، وصفحات البريد التي تحوي رسائل من أنحاء مختلفة من العالم. واسمحوا لي أن أشكر لكم الجهد الذي بذلتموه في إعداد ملف الترجمة، والكتيب «الهدية» المرفق مع العدد 239، حقيقة إنه ملف غني بأفكار ومعلومات ثمينة، فهو مكنز ثقافي وعلمي لا غنى عنه.

مولود رابح بازدي
ص ب 43110، سيدي خليفة
ولاية ميلة، الجزائر.

باب للكتب المزورة

وسط الفوضى التي تعاني منها ساحتنا الفكرية بشكل عام والتأريخية بشكل خاص تبرز القيمة الحقيقية لمن أخلص وجهه لله وجعل الحقيقة هدفه ومبتغاه.

وسط هذه الفوضى يبحث الحريصون على الحقيقة عن منارة للثقافة ومنهل صاف للعلم والأدب والفنون الراقية. وانطلاقاً من يقيني بأنَّ المثقفين العرب لن يجدوا خيراً من مجلتكم الغراء مناراً ومنهلاً ونوراً ساطعاً؛ فإنني أضم صوتي لصوت الأخ الدكتور حسن محمد بكري بطلب تخصيص باب لفضح الكتب المزوَّرة وتفنيد ادّعاءاتها، خدمة للعرب والإسلام والتاريخ.. وهم أغلى ما نملك.

جلال الدين محمد البوز
ص.ب 221، بانياس
الساحل، سورية.

موضوعات تستحق التناول

لا أريد توجيه كلمات الثناء والمديح لمجلتنا «الفيصل»، لأن الكلمات لا تفيها حقها من التكريم والتقدير والاحترام، فهي أكبر من كل الكلمات. فالمسؤولية وحدها وحسن النوايا والعمل الجاد الدؤوب، يوصل إلى النتائج الجيدة والأكيدة والمدهشة أيضاً. وبما أن «الفيصل» تهتم باستقطاب العلماء والمفكرين العرب، ليعملوا على تحقيق هذه النهضة العلمية والتقنية المنشودة، أرجو منها قيادة مسيرة الحركة الثقافية بين الناطقين بالضاد في كل الأقطار العربية، بمزيد من الجهد والعرق والعمل، وهو ما ننتظره منكم بحماسة لخدمة لغتنا.

وأتمنى أن أقرأ في المستقبل القريب موضوعات ضمن محاور أو ملفات مثل: ثقافة الطفل العربي عام 2020، تاريخنا العربي: كيف يجب علينا أن نكتبه؟ مرض السكري، حرية الكاتب والصحافي والأديب، اللدائن وكيف نستفيد منها؟ حركة الاستشراق، وغيرها الكثير. وأنا أنتظر، وإلى اللقاء.

زياد عارف شما
ص.ب 7210، دمشق، سورية.

الإطلالة.. نبهت على القصور الفاضح في تكويننا الثقافي

أعجبني كثيراً ما كتبه رئيس التحرير في إطلالته عن الاستنساخ، وشدني جمال طرحه، وتناوله للموضوع من جميع الزوايا حيث استحضر رأي المختصين في الناحية الوراثية، بالإضافة إلى النظرة الأخلاقية والاجتماعية. فالموضوع قد اتسم بالواقعية، ويتبين ذلك جلياً في تناوله لـ«حالة الاسترخاء العلمي التي يعيشها عالمنا الإسلامي»، والتي أثرت سلباً في رد فعل المواطن العربي تجاه قضية الاستنساخ، حيث اتسمت بالانبهار والاستغراب، بينما تكون استجابة العامة في الغرب لما يعلن من فتح في أي باب علمي استجابة متوازنة وموضوعية، وذلك لاستناد الجمهور غير المتخصص هناك إلى قاعدة واسعة من الثقافة العلمية الحديثة.

بهذا التكثيف الفكري والمعلوماتي نبهت إطلالة رئيس التحرير على القصور الفاضح في تكويننا الثقافي، وأنه لابد من تدارك هذا القصور والنقص. ومن هذا المنطلق أحببت أن أقترح عليكم زيادة المادة العلمية والطبية في موضوعات «الفيصل»، لتنمية الحصيلة العلمية للمثقف وللعامة في عالمنا العربي والإسلامي، ولإكسابهم، من خلال التراكم المعرفي، القدرة على التفاعل الإيجابي والموضوعي تجاه القضايا العلمية.

عبدالعزيز عبدالله العديل
كلية الطب، جامعة الجزيرة
مدني، السودان.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

الاستنساخ وتبيان الحق

قرأت المقالات التي كتبها د. زيد بن عبدالمحسن الحسين في إطلالته حول قضية الاستنساخ، وما قد تحمله هذه القضية من مستقبل مجهول لهذا العالم الذي نعيشه، ولكن، على خطورة هذه القضية وسلبياتها إلا أن فيها جانبًا إيجابيًا يؤخذ على الذين تبنوا أبحاث الاستنساخ وشجعوها.

استطاع الإنسان أن يجعل الكائن الحي يتكون من غير تزاوج، بل من غير ازدواجية للمكونات الذكرية والمكونات الأنثوية التي عادة ما تكون الخلية الأولية للكائن الحي.

كل ما تحتاجه العملية هي الشيفرة الوراثية المكونة للكائن الجديد، ووعاء مناسب (البويضة الأنثوية حتى الآن) يحتوي هذه الشيفرة، وبيئة مناسبة (رحم الأنثى حتى الآن) لتكوين الخلية الأولية وقيامها بالانقسام والتكاثر لتكوين الكائن.

هذا ما استطاع الإنسان أن يفعله. أفلا يستطيع خالق هذا الإنسان (حيث إن بعض هؤلاء العلماء يؤمنون بوجود خالق للإنسان) أن يفعل ذلك أيضًا، إن لم نقل أكثر من ذلك؟

أبى كثير من النصارى واليهود أن يؤمنوا أن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قد خُلق من غير أب وأن الله قادر على ذلك، وذهبوا في ذلك بعيدًا إلى أن قالوا إنه عليه السلام ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ها هي تجاربهم المتواضعة تدل على إمكانية ذلك، فهل سيؤدي هذا إلى إعادة النظر فيما كانوا يؤمنون به. نرجو من الله ذلك.

وَقُلِ الحمدُ للَّه الذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وَليٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرًا. **الإسراء**:111.

عبداللطيف نمنكاني

ص ب 13952، جدة 21414

ضاعفوا التحقيقات الأدبية

حبذا لو زدتم جرعة التحقيقات الأدبية حول الشعراء والشاعرات في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي، حيث كانت لغة الشعر في أوج مجدها، بتلقائية ابن الصحراء الذي لم يتلوث لسانه. وثمة التماس آخر خاص بطريقة الإخراج وتوزيع الموضوعات له مغزى عند كثير من القراء المهتمين بحفظ الموضوعات التي تنشر، وهو: أن تحرصوا على أن تبدأ التحقيقات الأدبية واللغوية والعلمية، والملفات الكبيرة، من الصفحات ذات العدد الفردي مثل 7، 9، 11، وتنتهي بصفحات من العدد الزوجي مثل 10، 12، 14، وتفسير ذلك أنه ييسر نزع الموضوع لمن يريد الاحتفاظ به للفائدة العلمية، ومن يتعذر عليه الاحتفاظ بأعداد كثيرة تشغل حيزًا كبيرًا.

حسني سلام الرومي

ص.ب 29235، أبو ظبي،

الإمارات العربية المتحدة.

عقدة جائزة نوبل

تناقلت الأنباء ما قام به نائب برلماني بريطاني عن حزب العمال من ترشيح النائبة البرلمانية الهندية «فولان ديفي» المعروفة باسم نائبة الإجرام، للحصول على جائزة نوبل للسلام، وكانت هذه النائبة زعيمة لأخطر العصابات في الغابات الهندية ـ على حد تعبير الخبر.

هذا الخبر عن أهم جائزة عالمية هي جائزة نوبل، يجعل المرء يعيد النظر في مجملها، ويجعل من اللاهثين وراءها أن يعيدوا حساباتهم وأن يخفّفوا من غلوائهم. ولكن المشكلة أن جائزة نوبل عند هؤلاء وغيرهم هي جزء من مسألة الانبهار بمنجزات الآخر، هي جزء من تبعية ثقافية تجاوزت ما يسمى بالمثاقفة، وبالتلاقح الحضاري، وإلا فما معنى هذا الوضع غير الطبيعي الذي ما نفتأ نشهده بين أوساط المبدعين العرب فنقع على قصص أشبه بالخرافة، أبطالها من المبدعين العرب تشير إلى عقدة نوبل عندهم، في الوقت الذي يضربون صفحًا عن جوائز عربية في الإبداع والفكر والثقافة، بدأت تظهر هنا وهناك، ومن أهمها على الإطلاق: جائزة الملك فيصل العالمية. ويحق لنا أن نتساءل باستنكار: جائزة نوبل أم جائزة الفيصل؟ الأولى جائزة أجنبية والثانية جائزة عربية، الأولى أُعطيت لبعض المشبوهين والثانية أُعطيت لأهم الشخصيات العربية والإسلامية والعالمية. صحيح أن جائزة نوبل ذات قيمة مالية ولكن جائزة الفيصل أيضًا ذات قيمة مادية كبرى لما لهذا الأمر من أهمية وتأثير في الرأي العام. وجائزة الملك فيصل العالمية، على الرغم من مرور عشرين عامًا على الشروع بها منذ عام 1397هـ/1977م، وعلى الرغم من توزيعها على 111 شخصية عالمية من 31 دولة، وعلى الرغم من قيمتها المالية وهي 750,000 ريال سعودي، وفروعها التي بدأت بثلاث جوائز مهمة هي: خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي، واتسعت إلى فرعين آخرين هما: الطب والعلوم، ويُحتفل بها كل عام، وأُعطيت إلى عرب ومسلمين وأجانب، وانطلقت إلى رحاب العالمية؛ فإن كثيرًا من المبدعين العرب تشرئبّ أعناقهم إلى الحسناء «النوبولية»، وتتمسّح أحلامهم بحفيف ثوبها الذهبي المزركش، فلا يتورّع الواحد منهم عن السير عكس تطلّعات أمته، وتقديم التنازلات المبدئية لكي يحظى بنظرة من نظرات هذه الحسناء الأجنبية، وإن كثيرًا من المثقفين والإعلاميين يتواثبون لالتقاط أخبارها ولا يكلف أحدهم نفسه عناء الإشادة بجائزة عالمية مثل جائزة الفيصل، أم إنه يحكم عليها بأفكار جاهزة تنبع من عقدة الانبهار بكل ما هو غريب مهما كان البديل العربي والإسلامي، والتهوين من شأن أعمال أبناء البيت العربي والإسلامي، في زمن كثرت فيه التحديات الحضارية وأصبح من اللازم التمسك بهُويتنا الحضارية قولاً وفعلاً.. فهل نفعل؟!

مصطفى أحمد النجار

ص ب 5219، حلب، سورية.

ـ بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

اللغة العربية



تتنافس الدول المتقدمة فيما بينها تنافسًا كبيرًا في سبيل نشر لغتها في أكبر مساحة من هذا العالم، بعد أن أوضحت لها تجارب التاريخ أن اللغة أهم وسيلة لنشر ثقافتها وقيمها وأساليب حياتها، والأداة الفاعلة لمد نفوذها المادي. ومما يستحق ذكره في هذا المقام تلك العبارة التي تنسب إلي الجنرال ديجول القائلة: «إن من يتحدث اللغة الفرنسية سوف يشتري البضاعة الفرنسية، ويتعصب لكل ما هو فرنسي»؛ فمن دلالات هذه العبارة ما تنطوي عليه اللغة من بعد نفسي من منطلق تعاطف الإنسان مع ما يعلم، وعدائه لما يجهل. ولقد كان إدراك الاستعمار أهمية هذا البعد سببًا في اهتمامه بإنشاء المؤسسات التعليمية التي تطبق منهجه وتنشر لغته في البلاد المحتلة، ومن بينها كثير من الدول العربية، ضمانًا لاستمرار نفوذه في حال استقلال تلك الدول، من خلال ولاء أبنائها للغته وثقافته، ولا تزال آثار هذه السياسة الاستعمارية تلقي بظلالها على واقع بعض الدول، على الرغم من مرور سنوات طويلة على استقلالها.

وحين تصدر دولة مثل فرنسا - لها لغتها التي يتسع انتشارها في مناطق شاسعة من العالم - قرارات تنص على ضرورة استخدام اللغة الفرنسية في كل الوثائق والمستندات، وفي مجالات الإعلام والإعلان المختلفة، مع فرض عقوبات صارمة لمن لا يلتزم نصوصها، فإن هذا دليل على ما تلاقيه هذه اللغة من تنافس شديد مع غيرها من اللغات، وبخاصة الإنجليزية، كما أنه يشير إلى أن التوجه المعتمد لمواجهة هذا التنافس يقوم على أساس إضفاء الاحترام اللازم على اللغة في موطنها الأصلي، لأن اللغة التي لا يهتم بها أهلها، ولا يحترمونها، لا تكون أبدًا جديرة باحترام الآخرين لها؛ فينتفي بذلك الدافع لتعلّمها.

واللغة ليست كلمات وألفاظًا لها دلالاتها فحسب، وإنما هي تمثل روح الأمة وضميرها، وأداة ثقافتها وحضارتها، ووسيلتها لتحقيق التفاهم والتواصل والتفاعل بين الأجيال، بل أكد كثير من العلماء والباحثين في مجال علم النفس اللغوي وجود ارتباط وثيق بين اللغة والفكر، إذ للغة أثر كبير في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع، وينبع إدراكهم العالم من حولهم من خلال اللغة التي يتحدثون بها، لأن اللغة تفرض عليهم طرازًا معينًا من التحليل والإدراك؛ فكلما كانت اللغة بدائية كانت أقل في عدد ألفاظ قاموسها اللغوي ومفرداته؛ لأن اللفظة الواحدة قد تستخدم للدلالة على معنيين أو شيئين متباينين أو أكثر، فوجد - مثلاً - أن الهنود الزوني Zuni Indians لا تفرق بين اللونين الأصفر والبرتقالي، وينتقل هذا الأسلوب في تعريف الأشياء وتصنيفها من جيل إلى آخر، أما حين ترتقي اللغة فإنها تتميز بسعة الدلالة عما في الفكر، والقدرة على إيصال المعنى والتعبير عن المضمون بصورة واضحة وجلية.

وفي مقام الحديث عن العلاقة بين اللغة والفكر وتميز العربية في شحذ الفكر والتحفيز إليه، يبدو مناسبا أن استشهد بما وقع لي مع عالم النفس السويسري الشهير جان بياجيه الذي استطاع بنظريته «النمو الإدراكي» Cognitive Development أن يكتسح كثيرًا من معطيات نظريات علم النفس السابقة، فقد أتيحت لي خلال رحلة علمية فرصة لقاء هذا العالم وبعض مساعديه في جامعة جنيف، وعندما تناول الحديث نظريته في أثر اللغة في تنمية الإدراك، وتطرق إلى خصائص اللغة، علمت أنهم قد أجروا دراسة أولية Pilot Study - أي قام بها مساعدوه بتوجيه وإشراف منه - على ثماني لغات - فيما أذكر - كانت اللغة العربية إحداها، فاتضح لهم من هذه الدراسة أن التعليم باللغة العربية يمثل المرتبة الأولى في تنمية الإدراك أو القدرة الذهنية، وكان استنتاجهم من هذه الدراسة أن مستويات التعلم والتحصيل وبناء العقل تختلف باختلاف طبيعة اللغة.

ويبدو أن تميز اللغة العربية في القدرة على دفع المتحدثين بها إلى التفكير، وحفزهم إلى الابتكار حقيقة لا يمكن إنكارها، ولا أدل على ذلك من احتوائها للتنزيل الإلهي بكل ما فيه من معان عميقة، وأساليب تعبيرية مبتكرة، ومصطلحات شرعية جديدة لم يكن للعرب عهد بها، مع أنها ألفاظ عربية كانت متداولة، ولكنها حملت دلالات أخرى غير تلك التي كانت تحملها. وقد شغل الإعجاز البياني للقرآن الكريم العلماء على امتداد القرون، فكما تقول د. عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»: «ولعل من إعجاز القرآن أن تظل الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل، وهو رحب سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا، امتد الأفق بعيدًا وراء كل مطمح، وفوق كل طاقة». ولما كان التنزيل الإلهي يحث على التفكير وإعمال العقل لفهم حقائق هذه الحياة والكون، باستخدام أساليب بيانية عربية في لغتها وجديدة في صورها ودلالاتها، وحفاظًا على الألفاظ والدلالات القرآنية وضبطها بما يتفق وقواعد لغة العرب، كان وضع علم النحو والصرف، وتقعيد القواعد، وانطلق العرب في تلمس الوسائل لحمل الرسالة المنوطة بهم، فخرجوا إلى بقاع الأرض يؤدون مسؤوليات هذه الرسالة، فواجهوا أممًا أكثر علما وأرقى حضارة، فلم تبهرهم لغاتها وعلومها وآدابها وحضارتها؛ بل استطاعوا من خلال ما توافر للغتهم من خصب ومرونة أن يستوعبوا علوم الأمم الأخرى وآدابها ونقلها إلى لغتهم، فوجدوا في ساحتها المقابل المناسب لمصطلحات هذه العلوم والآداب، وعربوا بعضها حتى صار جزءًا أصيلاً من نسيج العربية.

وبعد أن نقل المسلمون علوم الأمم الأخرى إلى العربية، أصبحت لغتهم هي لغة العصر التي بات ضروريا أن يتعلمها كل من أراد طرق باب من أبواب العلم، فهال القساوسة في الأندلس أن يهجر طلبة العلم من بني جلدتهم لغتهم، لإقبالهم على تعلم العربية، ولكن ما لبث أن اهتم الغربيون بنقل علوم العرب إلى لغاتهم، وكان هذا بداية الانطلاقة التي بوأت حضارتهم المكانة التي هي عليها الآن.

ولم يجد العرب صعوبة في تعلم اللغات الأجنبية، لأن اللغة العربية استطاعت استيعاب كل المعاني الموجودة في تلك اللغات، كما أن سعة سلمها الصوتي تتيح للمتحدثين بها القدرة على النطق بأي حرف في أي لغة بسهولة ويسر.

وقضية تعليم العربية للناطقين بغيرها ضرورة حضارية ملحة تقتضيها أهمية أن تعود العربية إلى سابق إشراقها، لكي تستطيع التعبير بصدق عن جوهر الحضارة الإسلامية بكل عطاءاتها الثرة للحضارة الإنسانية، وتقديم الإسلام بمبادئه وقيمه الحقيقية للآخرين.

ومما يجدر الانتباه إليه أن هناك دولاً إسلامية عديدة يتوق أبناؤها إلى تعلّم العربية لفهم أمور دينهم فهماً صحيحاً، ليستطيعوا الإحاطة بأبعاد النص القرآني، بما فيها من عمق قد يتعذر إدراكه إلا باللغة العربية، إلى جانب أن تلاوة القرآن الكريم لا تتم إلا باللغة العربية، ومن ثم فإن هذه الدوافع الدينية توفر ظروفاً مواتية لنشر اللغة العربية في هذه الدول الإسلامية، فشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». ومما يعين على سهولة نشر العربية في هذه البلاد أن أكثر من 40٪ مما تحويه لغات كثير منها هي كلمات ومفردات عربية الأصل؛ ومن جانب آخر، يوجد عدد كبير من المسلمين ينتشرون في القارة الأفريقية لهم لغاتهم التي لا تعرف التدوين، مما يجعل من الصعب عليهم فهم تعاليم دينهم، وإذا حاول بعضهم ذلك، فإنه لا يتهيأ لهم تحقيق هذا الهدف إلا من خلال لغة أخرى تشتمل على ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وكتب في العلوم والقضايا الإسلامية المختلفة، واستعمال مثل هذه اللغة الوسيطة يزيد من احتمالات سوء الفهم لحقيقة التعاليم الإسلامية، فيترتب على ذلك انتشار البدع والخرافات بينهم، وبعدهم من قيم الإسلام ومبادئه.

وقد ذكر الداعية الإسلامي الطبيب د. عبدالرحمن السميط الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام أن المسلمين في بعض أنحاء القارة الأفريقية يقيمون كعبة يطوفون حولها، بل منهم من يشارك النصارى والوثنيين في عباداتهم وطقوسهم، من دون أن يروا غضاضة في فعلهم هذا، ومثل هؤلاء يقعون فريسة سهلة للاستقطاب والاستمالة من أعداء الإسلام الذين يتولون نفرًا منهم بالرعاية والعناية، ليكونوا أدوات يحققون من خلالها غاياتهم ومقاصدهم في تشويه الدين الإسلامي والنيل من ثقافته وحضارته. وهؤلاء المسلمون في أشد الحاجة إلى من يعلمهم أمور دينهم، ويعلمهم في البدء العربية لسان هذا الدين، ومستودع تعاليمه وقيمه. فتعلم اللغة سيجعلهم قادرين على استقاء العلم الديني من مصادره الرئيسة وبلغته الأصلية في كل وقت، ولكل جيل، وهذه القدرة على استعمال اللغة هي مد للصلات الوثيقة مع مصادر الدين وعلومه لتكون المرجع الذي يحفظ عقيدتهم من هذه البدع والخرافات والتحريف لدين الله القويم، مما يصون هويتهم الإسلامية، ويحفظ لهم ذاتهم المستقلة حتى لا تذوب في ذوات الآخرين.

ويستحق أبناء الجاليات الإسلامية في العالم الغربي وفي مختلف أنحاء العالم الاهتمام بتعليمهم اللغة العربية، قبل أن يتخطوا المرحلة الابتدائية، لأن الدراسات العلمية بينت أن الطالب في هذه المرحلة يكون أكثر استعداداً لاكتساب اللغة، ولا أدل على ذلك من أن أبناء المبتعثين العرب في دول الغرب يكتسبون اللغة الأجنبية بسرعة أكبر من آبائهم وأمهاتهم، كما أن درجة إجادتهم لها تكون بمستوى إجادة أصحابها، ولذلك ينبغي أن يتركز الاهتمام على تعليم أبناء الجاليات الإسلامية اللغة العربية في هذه السن المبكرة، ولا بد للأسرة من أن تتنبه إلى هذه الحقيقة العلمية، فلا يرجئون تعليم أبنائهم العربية إلى ما بعد المرحلة الابتدائية، لأنهم يهدرون الملكات الطبيعية التي منحها الله إياهم، عندما يعطلونها، حين يمكث الأبناء هذه المرحلة الطويلة في المدارس من دون أن يتعلموا اللغة كما ينبغي في الفترة المحددة التي هيأ الله لها تلك القدرات لتمو وتتطور.

والأسلوب الخاطئ في تعليم العربية في مدارسنا في هذه المرحلة المهمة سبب رئيس لما نلحظه من تدني مستويات الطلاب في اللغة العربية، لأن إهدار هذه الاستعدادات والقابليات في هذه المرحلة بتطبيق أساليب عقيمة لتعليم اللغة يجعل من الصعب تدارك سلبياتها في المراحل التالية التي يكون الطالب فيها أقل استعداداً لاكتساب اللغة.

وقد فطن العرب قديماً إلى هذه الحقيقة، فكان كثير من الناس يرسلون أبناءهم إلى البادية في سن مبكرة، ليكتسبوا العربية وفق أصولها بالسليقة والممارسة الصحيحة من غير أن يداخلها لحن أو تشوبها عجمة.

وإذا كان من الضروري تعليم المسلمين لغة دينهم من أجل تمكينهم من فهم أصوله وقيمه وتعاليمه، وتعريفهم تراثهم وحضارتهم، وتحقيق الاتصال الفاعل بينهم لما فيه صالح قضاياهم، وصيانة هويتهم، فإنه يبدو ضروريا السعي إلى تعليم الأجانب اللغة العربية ليقفوا على جوهر الإسلام وليتعرفوا التراث الفكري والحضاري للأمة الإسلامية، الأمر

وإرادة أمّتها

الذي يؤدي إلى كسب تعاطف كثيرين منهم مع قضايا المسلمين إذ يتخلون عن انحيازهم وأحكامهم المسبقة المستقاة من تصورات غير حقيقية، وتكون مواقفهم منطلقة من فهم واضح لهذه القضايا، من دون الوقوع تحت تأثير المغرضين من أعداء الإسلام؛ فضلاً عن أن تعليم العربية للأجانب سبيل لإقامة الصلات الفكرية والإنسانية مع شعوب العالم.

ويقتضي تعليم العربية لهذه الفئات من المسلمين والأجانب وضع سياسات وبرامج مختلفة، واتخاذ أساليب متعددة، تتناسب مع دوافع كل منها لتعلم العربية وتتفق مع طبيعة اللغة التي يتحدث بها أفرادها، ومدى معرفتهم بالعربية، مع تقويم التجارب السابقة في هذا المجال - إن وجدت - على أن يعتمد ذلك كله على بحوث ودراسات دقيقة، تضمن سلامة الخطا وتحقيق الغايات بنسبة كبيرة من النجاح.

وعلى الرغم مما بذل من جهود في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها من بعض المنظمات والمؤسسات التعليمية والثقافية وبعض الجامعات العربية التي تضم معاهد ومراكز متخصصة لهذا الغرض، وعلى الرغم من الجهود الرائعة - من خلال معرفتي بها عن كتب - في برامج معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جامعات المملكة العربية السعودية المتعددة، وفي بعض المدارس - وبخاصة الأهلية منها -؛ إلا أنها لم تبلور بعد أسلوبًا مميزًا في تعليم العربية للناطقين بغيرها على غرار اللغات الأخرى - الإنجليزية والفرنسية مثلاً -، ويظهر القصور واضحاً في مجال نشر اللغة العربية في الدول الأجنبية، بينما كان من المفترض الاستفادة من محاولات الدول الغربية نشر لغاتها في دول العالم، ومن بينها بعض الدول العربية، إذ أنشأت مدارس نموذجية تعنى بتدريس لغتها، مع إيجاد مراكز ثقافية لتحقيق هذا الهدف، ونشر ثقافتها والتعريف بأصولها الحضارية وجذورها الفكرية، فضلاً عن إنشاء جامعات تتبع منهجها، وتتخذ لغتها أساساً للتعليم.

وما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهود لنشر العربية وخدمة الإسلام تتمثل في إقامة المدارس والمراكز الإسلامية والمساجد في شتى أنحاء العالم، ودعمها بما تحتاج إليه من كتب ومصاحف هي جهود مشكورة، وهذه الجهود مستمرة متصلة. ومن هذه المبادرات الخيرة إنشاء جامع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في جبل طارق بتكلفة تتجاوز 30 مليون ريال، تكفل بها خادم الحرمين الشريفين الذي يحرص دائما على المبادرة الشخصية لنشر مراكز العلم والحضارة التي تخدم المسلمين، وتثبّت عقيدة التوحيد في نفوسهم، بوصلهم بالمصادر الأصيلة التي يستقون منها تعاليم دينهم.

ولا أدل على الاهتمام الواضح بأحوال الجاليات الإسلامية من أن افتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز هذا المسجد بحضور صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز رئيس اللجنة العليا المشرفة عليه سوف يتواكب معه ملتقى خادم الحرمين الشريفين الأول للجاليات الإسلامية الذي تقرر أن يكون سنويا في إحدى الدول الأوربية برعاية خادم الحرمين الشريفين، والذي يقام تحت عنوان «الحضارة الإسلامية: إسهامها في الحضارة الإنسانية»، وسينتهي هذا الملتقى - بأمر الله - إلى قرارات وتوصيات تعين على وضع السياسات والبرامج التي ترمي إلى خدمة الجاليات الإسلامية بالوقوف على قضاياها ومشكلاتها من كثب، وبحث سبل حلها بتحليل عميق للواقع الذي تعيشه.

وتواصل هذه الجهود الخيرة التي يقوم بها خادم الحرمين الشريفين يعكسه وضع حجر أساس مسجد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في مالقا، خلال هذا الشهر - ويتكون من مسجد كبير ومدرسة إسلامية -، والانتهاء من إنشاء مسجد خادم الحرمين الشريفين في لوس أنجليس في الأشهر القادمة.

ومثل هذه الجهود المستمرة التي تأخذ أشكالاً متعددة، والتي يدفعها الحرص على خدمة المسلمين والامتثال لأمر الله تعالى بنشر كلمة التوحيد وتبديد ظلمات الجهل تأتي لتؤكد المبادئ والأسس التي قام عليها هذا الكيان، والتي أرجو أن يوفق الله القائمين على أمره إلي مزيد من التمسك بها ودعمها بمزيد من العطاء، ليجزل الله لهم الأجر والمثوبة جزاء ماقدموا من عمل لخدمة الإسلام والمسلمين.

ويقودنا الحديث عن التخطيط لتعليم العربية للناطقين بغيرها إلى ضرورة التنبه إلى أنه ينبغي ألا تغيب عنا بعض الحقائق المتعلقة بواقع اللغة العربية في مجتمعاتنا ومدارسنا، ومن تلك الحقائق ازدواجية اللغة التي يعاني منها العالم العربي من جراء التنازع بين الفصحى والعاميات، فتقع الأجيال في حيرة شديدة بين لغة يتعاملون بها في حياتهم اليومية، وأخرى يكتبون بها، ويتعلمونها في دور العلم.

وتأتي وسائل الإعلام، ولا سيما المرئية منها، لتعمق هذا الإحساس بالحيرة والتمزق، حين تعمد إلى الانحياز للعاميات بدلاً من أن توظف إمكاناتها لنشر اللغة الفصيحة التي لا تقعر فيها، من أجل تعميق الإحساس بالانتماء إلى أمة واحدة بين جميع أقطار العالم الإسلامي، بوصف اللغة من مقومات صياغة الأمة، إن لم تكن أهمها، ويتخذ الاعتداء على قداسة اللغة العربية أشكالاً شتى في وسائل الإعلام والإعلان المختلفة، ومنها تلك اللافتات العديدة التي ترتفع في مداخل المحلات والحوانيت، ممتلئة بما يؤذي الذوق العام ويفسده من أخطاء لغوية فادحة وأسماء أعجمية، كأن يكتب أحدهم «إشتري واحدة واحصل على إلنتين»، أو «سوبر ماركت الأمانا».

ولعل ما يستحق الإشارة والإشادة وجود عدد من المراسم الملكية والقرارات المنظمة في المملكة العربية السعودية تمنع استخدام المسميات الأجنبية المكتوبة بأحرف عربية أو أجنبية في اللافتات التعريفية للمتاجر والمحلات والمجمعات التجارية، وتنص على ضرورة استخدام العربية في جميع المراسلات والمطبوعات والأختام واللوحات، مع تحديد عقوبات في حالة المخالفة، وهذا اتجاه محمود في الحفاظ على ثقافة المجتمع وهويته. ويستدعي تنفيذ هذه الضوابط تكاتف الجهات المسؤولة، وتوفير الوعي الكافي لدى المواطنين بخطورة استخدام اللغة الأجنبية في هذه المجالات، أو عدم مراعاة الدقة في استخدام العربية.

ويلقي هذا الواقع بظلاله على أولئك الذين يتوقون إلى تعلم العربية من أبناء المسلمين من غير العرب، فيشعرون بأن تعلم الفصحى لا يكفي لتحقيق التواصل مع إخوانهم من العرب المسلمين.

وتشهد بعض الدول العربية تنازعاً آخر، ألا وهو ذلك التنازع القائم بين اللغة العربية وإحدى اللغات الأجنبية، الذي يؤدي إلى انقسام أبناء القطر الواحد إلى فئتين فتنحاز كل فئة إلى إحدى اللغتين، والأعجب أن يتملك الإحساس بالتعالي أولئك الذين ينزعون إلى استخدام اللغة الأجنبية، وينكرون لغتهم.

ويتعمق هذا الإحساس بالتمزق اللغوي من خلال التقنيات التي ينتجها الآخرون والتي تغزو بيوتنا في كل لحظة، بل تلازمنا كظلنا في صورة الأدوات التي أصبحت من ضرورات العصر، التي نحملها في سياراتنا وجيوبنا، وهي تحمل في طياتها مضامين لغوية وثقافية، تترك آثارها في المتعاملين معها بأسلوب غير مباشر. ولايمكن أن نتلافى ماتفرضه هذه التقنيات من أثر ثقافي ولغوي ونفسي إلا إذا اجتهدنا في إعطائها مدلولاتها العربية، وأظهرنا قدرة على تكييفها والتكيف معها حتى لايظل هناك فراغ ثقافي سببه تساهلنا أو قل تكاسلنا أو اتكاليتنا، ولعل هناك من ينادي وبصوت عال مجامع اللغة العربية للمتابعة الدقيقة بأسلوب منظم لرصد كل جديد في مجالات التقانة المختلفة، بأن تكون هناك علاقات وثيقة بينها وبين المصادر التي ترد منها هذه التقانة إلى مجتمعاتنا، من مثل المصانع المنتجة وجهات التصدير. ومن المأمول أن تجد مثل هذه المبادرة تجاوبًا من هذه الجهات التي تنتج التقانة الحديثة، لأن ذلك يساعد على قبول منتجاتها وانتشارها في المجتمعات العربية حين تكتسب مدلولات عربية.

ولإيجاد المصطلحات العربية الملائمة للنتاج العلمي والتقني المتراكم باستمرار ينبغي توظيف تقنيات العصر لخدمة العربية وإغناء قاموسها وتجديد حيويتها، إذ يمكن أن يستفاد من معطيات الحاسب الآلي وبرامجه في القرآن الكريم والسنة الشريفة بحصر مفرداتهما وأوجه استعمالاتها في الحياة العلمية والأكاديمية أو حتى الحياة العامة، مما يتيح لنا أن نكتشف وجود مفردات كثيرة لا يشيع استخدامها، وهي - بلا شك - تمثل رصيداً كبيراً يمكّن من استعمال اللغة ووضع المصطلحات المناسبة، كما أن تطبيق الأمر نفسه على نطاق أوسع، سيساعد على تداول مفردات يظن أنها عامية أو غير عربية، مع أنها عربية أصلاً، وعلى أي حال فهذا مثال يمكن أن يساعد على بناء منهجي لمحتوى تعلم اللغة العربية من أجل:

أ- إغناء مفردات اللغة. ب - إحياء مفردات توارت عن الحياة على الرغم من أهميتها. جـ - اكتشاف وجود مصطلحات تم تعريبها من لغات أجنبية، مع أنها عربية الأصل. د - اكتشاف وجود مصطلحات استخدمها العرب قديمًا، وهي تتداول اليوم بصورة مغايرة لاستخدامها القديم. هـ - الاهتمام باللغة الصحيحة وتسهيل الوصول إلى مصادرها وتيسير استعمالها. و- التركيز على تعليم اللغة من خلال دراسة الكتب التي حوت متون العلوم العربية المختلفة، حتى تكتسب بالسليقة بدلاً من أن تكون قواعد جامدة لا يستسيغها الطلاب أو من يقبلون على تعلمها من المسلمين وغيرهم.

وليس هناك مجال لإنكار ماأدته هذه المجامع من دور واضح في إغناء المعجم العربي بالمصطلحات الجديدة التي استوعبت كثيراً من مستحدثات العصر.

وهذا الواقع المتردي الذي يحيط بلغتنا يفرض علينا ألا نتخاذل في اتباع الوسائل والسبل التي تضعها في المكانة اللائقة بها؛ بوصفها اللغة التي اختارها الله لتكون مستودعًا لصور إعجازه البياني الذي سيظل يشغل بال العلماء والباحثين لاكتناه حقيقته، ويوجب أن تكون الجهود المبذولة لتحقيق رفعة اللغة العربية على مستوى هذا التشريف لتبقى أبداً لغة حية تتسع لجديد العصر من علوم وآداب ومعارف، ولكل ما يتصل بها من مفردات ومصطلحات ومعانٍ وأفكار.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

تعليم العربية للناطقين بغيرها ضرورة حضارية ملحة تقتضيها أهمية أن تعود العربية إلى سابق إشراقها، لكي تستطيع التعبير بصدق عن جوهر الحضارة الإسلامية، وتقديم الإسلام بمبادئه وقيمه الحقيقية للآخرين

الفيصل
العدد 250 ـ السنة 21 ـ ربيع الآخر 1418هـ ـ أغسطس/سبتمبر 1997م



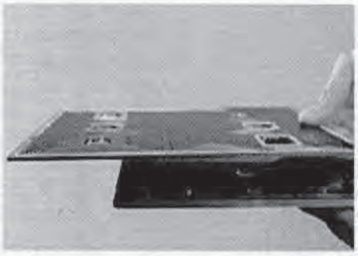
تعليم اللغات.. المعرفة النظرية أم الملكة اللغوية؟

مما يؤخذ على أساليب تدريس اللغة العربية في بعض من المدارس والمعاهد والكليات، اهتمام المعلمين بتلقين المتعلمين المعرفة النظرية للغة وإهمالهم الجانب الأساس من تعليمها وهو: إكسابهم الملكة اللغوية. وقد أدى قصور أساليب التدريس إلى نشوء أجيال فاقدة الصلة بروح اللغة، فشاع اللحن وسادت العجمة، ومن نتائج هذه الظاهرة بروز تيارات: دعاة استبدال العامية بالفصحى، واتهام العربية بالصعوبة والجفاف، وعدم مواكبة العصر.

شريف بو شحدان يعرض تحليلاً نقديًا لطرائق تعليم اللغة الثانية لغير الناطقين بها.

طالع ص29

خلية الوقود ترجح كفة البيئة



المحافظة على مستويات التقدم والتطور بما يحقق طموحات الإنسان وتطلعاته، وتوفير متطلبات حماية البيئة من التلوث بأنواعه المختلفة.. موازنة صعبة ودقيقة، فعلى الرغم من كثرة القوانين والأنظمة والقيود والاشتراطات التي تسعى لصون البيئة وعناصرها الفطرية، إلا أن الراكضين وراء أطماعهم لا يعبؤون بذلك. ولكن الصور المفزعة بالخطر المحدق بالأرض أصبحت تجبر الإنسان على العمل من أجل «بيئة نظيفة».

عدنان عضيمة سلط الضوء على تقانة «خلية الوقود»، التي تبشر بأنواع جديدة من السيارات غير الملوثة للبيئة.

طالع ص 84

الغابات: فوائدها والأخطار التي تتهددها



تشير الإحصاءات إلى أن الغابات الاستوائية تفقد من أشجارها كل عام مساحة تعادل مساحة النمسا، وذلك لما تتعرض له من تدهور نتيجة للقطع والاقتلاع والتحطيب والحرق والإزالة.

وقد تعددت وسائل حماية الغابات بدءًا بتعميق الوعي بأهميتها وقيمتها الاقتصادية والجمالية، وانتهاءً بإصدار التشريعات الوطنية وإبرام المعاهدات الدولية اللازمة لحمايتها، ومع ذلك كله، لايزال التقلص في مساحات الغابات مستمرًا.

مجدي محمد عيسى ناقش حجم المأساة التي تتعرض لها الغابات، ملقيًا الضوء على فوائدها وسبل حمايتها.

طالع ص15

أدب وفكر

لغة

إعلام

اجتماع

تراث وتاريخ

شخصيات

من كتاب العدد



د. محمد خير الشيخ موسى

- من مواليد تدمر، سورية 1943م.
- حاصل على دكتوراه في النقد والبلاغة، جامعة دمشق، دبلوم في التربية وعلم النفس، وإجازة في الحقوق، جامعة محمد الخامس بالرباط.
- عمل مدرسًا للغة العربية في ثانويات ودور المعلمين بسورية والمغرب، فأستاذًا مساعدًا بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، ومدرسًا بجامعة دمشق، ويعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا بقسم اللغة العربية في كلية التربية الأساسية بالكويت.
- شارك في مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب منذ عام 1984م، والمؤتمر السادس عشر للاتحاد العام للأدباءالعرب بطرابلس، ليبيا، ومؤتمرات نقدية وأدبية مختلفة في سورية والمغرب والكويت.
- من مؤلفاته: فصول في النقد العربي وقضاياه، فن القصة، نظرية الأنواع الأدبية في النقد العربي. وله بحوث ودراسات في الأدب والنقد منشورة في الدوريات العربية المتخصصة والمجلات العامة.



شريف بو شحدان

- من مواليد قالمه، الجزائر 1961م.
- حاصل على الماجستير في اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات، جامعة ستندال في مدينة جرينوبل، فرنسا، وهو يحضر للدكتوراه حاليًا.
- عمل رئيسًا لدائرة اللغة العربية بمعهد تعليم اللغة العربية والتعليم المكثف للغات، جامعة عنابة (1988- 1991م)، ثم نائب مدير مكلف بالبيداغوجيا بالمعهد نفسه من 1991م حتى الآن، وعضوًا بمجلسه العلمي.
- له عدة دراسات ألقيت بالجامعات الجزائرية: تقنية إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، الحوار التعليمي والتبليغ، في منهجية تحليل تعليم اللغات، النص العلمي: بنيته وطريقة تدريسه.



عبدالرزاق عبدالله البابطين

- من مواليد الزبير، السعودية 1390م.
- حاصل على بكالوريوس آداب، قسم علوم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك سعود.
- عمل مدرسًا لمادة المكتبة والبحث في المرحلة الثانوية، فمشرفًا تربويًا. ويعمل حاليًا مشرف علم المكتبات التربوي، ومقررًا للجنة المكتبات العامة بالمنطقة الشرقية.
- له مقالات منشورة في الصحافة المحلية.



مجدي محمد عيسى

- من مواليد مصر 1960م.
- حاصل على بكالوريوس العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، وعلى دبلوم السياسة الدولية من الكلية نفسها.
- يعمل باحثًا بمجلس الشعب المصري، وهو حاليًا يعمل خبير دراسات استراتيجية بمكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية.
- شارك في عدة مشروعات بحثية بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي منها: مشروع «العلاقات الدولية في الإسلام»، وله مقالات منشورة في المجلات العربية.

تجنيد الذباب للقضاء على مستوطنات نمل النار في أمريكا

يسعى الباحثون إلى إيقاف زحف نمل النار عبر الولايات المتحدة، وقد أضافوا سلاحين جديدين إلى (ترسانة) أسلحتهم لتحقيق هذا الغرض.

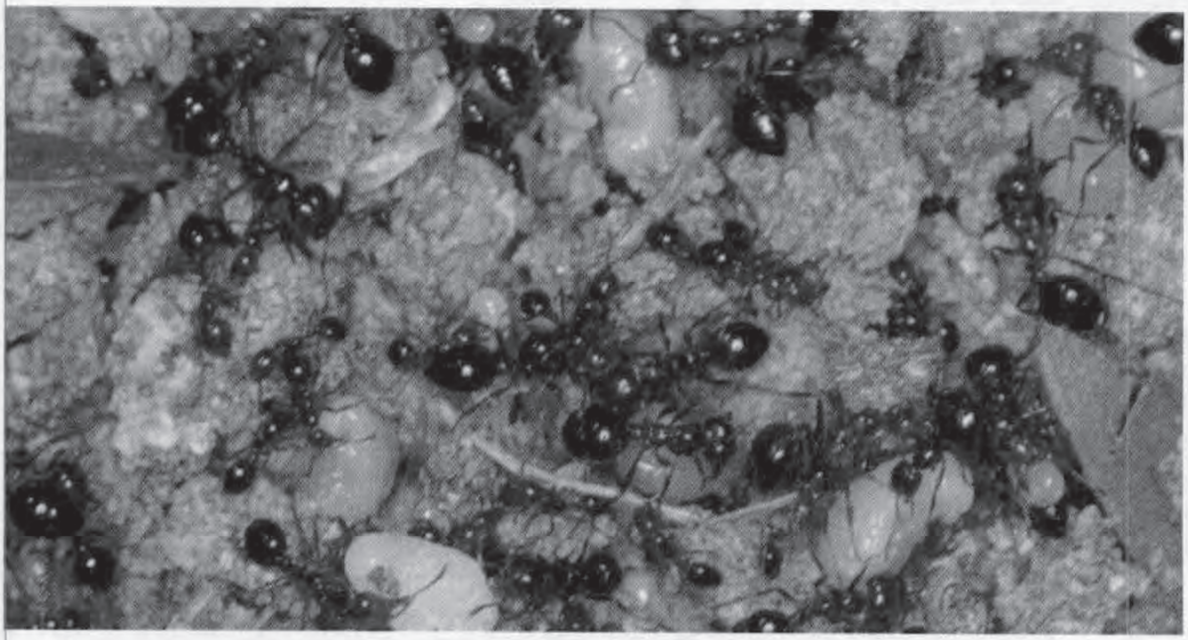
أحد هذه الأسلحة هو ذبابة طفيلية تتغذى على نمل النار، ولكنها لا تتعرض للنمل الأصلي المستوطن في البلاد. أما السلاح الثاني فهو جهاز لتنظيم نمو النمل يعمل على منع يرقاتها من تشكيل هيكل خارجي تحتاج إليه لنموها حتى تكبر.

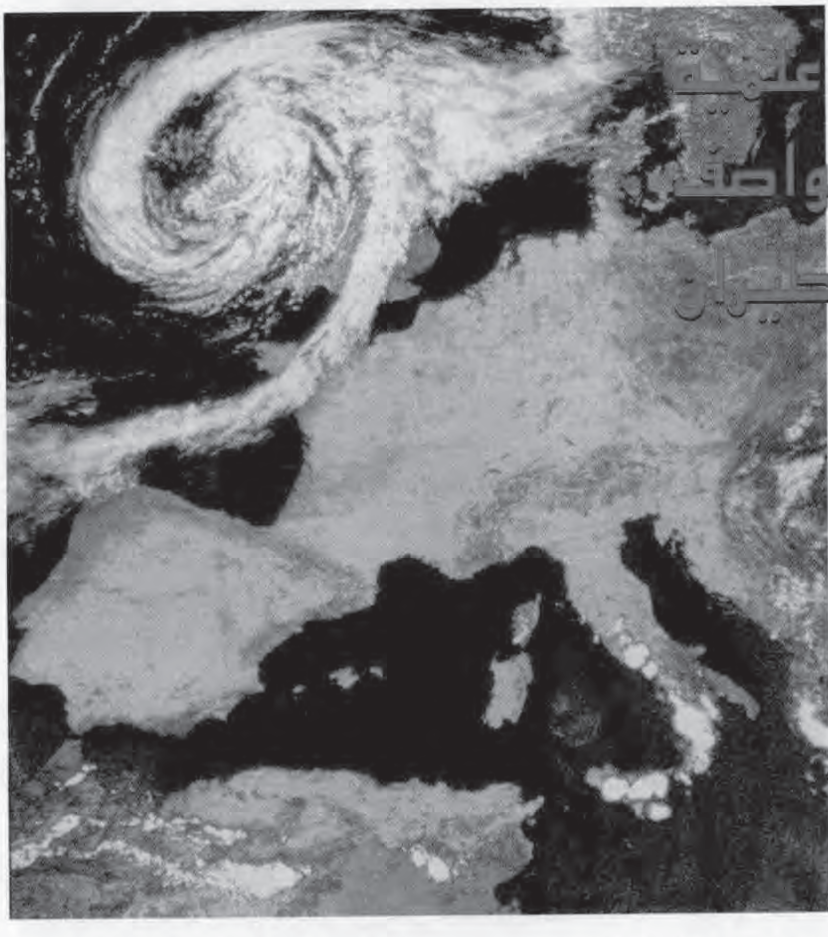
يقول ديفيد ويليامز الباحث في وزارة الزراعة الأمريكية في فلوريدا: إنهم لا يعملون على استئصال نمل النار؛ بل إعادة الأمور إلى مجراها السابق بحيث يُمَكِّنُون النمل الأصلي المستوطن من منافسة نمل النار.

يستوطن نمل النار ـ سولينوبسز إنفكتا SOLENOPSIS IN-VICTA ـ أمريكا الجنوبية، وقد تم استيراده إلى الولايات المتحدة مصادفة قبل أربعين سنة. وبتحرره من القيود الطبيعية التي كانت تواجهه في موطنه الأصلي؛ انتشر بسرعة عبر الأجزاء الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة، ولايزال يزحف إلى أراض جديدة شمالاً وغربًا. ولا يقتصر حصر خطر نمل النار على اكتساح النمل الأصلي؛ بل قد تكون لسعته مهلكة لمن يعانون من الحساسية، وبخاصة صغار السن جدًا وكباره.

ويأمل سانفورد بورتر العالم الاختصاصي بالحشرات في وزارة الزراعة الأمريكية في السيطرة على نمل النار باستخدام ذباب فوريديه سوداكتيون تريكوسبس PHORIDAE PSEU-DACTEON TRICUSPIS. يحلق ذباب فوريديه فوق نمل النار منتظرًا الفرصة للهبوط سريعًا ووضع بيضه خلال رأس نملة النار، وحالما تفقس اليرقات تقتل نملة النار وتستخدم رأسها شرنقة لها.

يقول بورتر: إن فائدة هذا الذباب لا تقتصر على قتل نمل النار فحسب؛ بل تضطره لأن يقف موقف المدافع. فإذا ما عرفت أن هذا الذباب قريب منها فإنها تجري لتختفي تحت الأرض. ويعتقد بورتر أن ذلك يمكن أن يمزق تكاثر مستوطنات نمل النار بشكل يكفي لإتاحة الفرصة أمام النمل الأصلي للمنافسة.





على مشارف قوانين علمية لتفادي خطر العواصف الجوية على الطيران

تتسم الجبال بسمعة سيئة في التسبب بأحداث الاضطرابات الجوية، ومعروفة بتشكيل تهديد لحركة الطيران فوقها. وفي دراسة أجريت لحساب إدارة الطيران الفدرالي الأمريكي لمناطق الجبال تبين أن قرابة 2 - 5 حوادث طيران تحدث في المناطق الجبلية أكثر مما تحدث في المناطق المستوية.

ومن بين الأخطار الرئيسة فوق الجبال أمواج الهواء المتكسرة التي تتحرك فوق سلاسل الجبال ومن ثم تعود وتلتف على نفسها.

ويشتبه علماء الظواهر (الأنواء) الجوية الآن أن هذه العصفات (الاضطراب) قد تكون شائعة إلى حد ما ويحاولون معرفة إن كان بإمكانهم التنبؤ بها.

إن نماذجَ من الظواهر الجوية تتنبأ بالظروف التي تسبب هذه الموجات، كما يتم تدريب الطيارين على استكشاف وتحديد أماكن تشكل السحب، وعلى الظروف الجوية التي تشير إلى وجود الموجات المتكسرة بشكل مباشر. يقول مارتن رالف من إدارة البحار والأنواء الجوية القومية في بولدر، كولورادو بأن هبوب تلك الرياح لا يُرى (يُدرك) من قبل أجهزة الرصد.

وكانت إحدى الموجات المتكسرة محل ارتياب واضح عندما تمزق محرك طائرة شحن نفاثة من طراز دي سي 8- DCفي يوم عاصف هو اليوم التاسع من شهر كانون أول/ديسمبر من عام 1992م عندما كانت تعبر تلك الطائرة منطقة جبال روكي على ارتفاع عشرة أكيال تقريبًا. وعلى أية حال فإن دوامة الريح فوق جبال روكي كانت قد رصدت من قبل رالف وزملائه عندما صادف وجودهم في تلك المنطقة وهم يرصدون (يتتبعون) التيارات الهوائية بإرسال أشعة ليزر إلى الهباء الجوي (الدخان) المنطلق إلى الأجواء العليا أثناء ثوران بركان جبل بيناتوبو PINATUBO عام 1991م في الفلبين.

وكان الباحثون يطلقون في كل دقيقة ولعدة ساعات موجات ليزر نابضة لتبديد الغبار البركاني لتكشف سرعة المسارات المنحنية للرياح المحيطة بالغبار.

ويعد ما قام به هؤلاء الباحثون بنشره في مجلة البحوث الجيوفيزيائية (مجلد 24، ص663) أولَ تحليلات مفصلة لموجات تكسر ضخمة، تتحرك بفعل سرعة الموجه المعتادة، على بعد ثلاثين كيلاً شمال الحادث.

يقول تيري كلارك من المعهد القومي للبحوث الجوية، وهو من بولدر أيضًا، الذي درس المعطيات التي قدمها رالف، يقول: إن هذه القياسات هي من طراز واحد. إلا أن حساباته غير المنشورة، التي تمت بوساطة نماذج رياضية متقدمة للحوامات (الاضطرابات) الهوائية، تكشف عن أنه كان ينبغي أن لايوجد أي موجات تكسُّر في أي مكان بالقرب من طائرة ال DC-8، وبدلاً من ذلك فإن النماذج الرياضية التي استخدمها تنبئ عن نمط جديد من الحوامات الهوائية حصل في مكان وقوع الحادث وهو عبارة عن حيز كانت به الرياح متقلبة السرعة بشكل كبير على شكل فطيرة مطولة بسمك نصف كيل وبعرض أربعة أكيال تمتد من الشرق إلى الغرب وبطول ثلاثين كيلاً تمتد من الشمال إلى الجنوب.

ويعتزم الآن رالف وزملاؤه أن يراجعوا المعلومات التي يحتفظون بها عن حادث عام 1992م ليبحثوا عن اضطرابات فطيرية ربما قد تكون وقعت أثناء ذلك الحادث وكذلك عن معطيات أخرى في أيام عاصفة. ويرى كلارك أنهم إذا توصلوا إلى تحليل عدة نماذج من الحوامات الفطيرية فسيصبح من الممكن تحديد الظروف التي تحدث فيها والخطوات التي يستطيع الطيارون استخدامها لتفادي تلك الأخطار، ويضيف إنهم بحاجة لشيء ما جديد لمعرفة التنبؤ بذلك ومراقبته.



استخدام الهيدروجين كوقود للطائرات

من المتوقع أن تشهد بداية القرن القادم استخدام الطائرات التي تُشغل بوقود الهيدروجين. وهذه الطائرات التي تم تطويرها بوساطة مهندسي «ديملر بنز» لفرع صناعة طائرات «الإيرباص» سوف تقلل من انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون مما يقلل نسبة التلوث في الجو.

وتعود تجربة استخدام الهيدروجين إلي عام 1956م، حين قامت القوات العسكرية الأمريكية بتسيير القاذفة «كانبيرا» بالهيدروجين، ومع ذلك احتاجت هذه الطائرة إلى الوقود التقليدي من أجل الإقلاع. وفي عام 1980م قام الباحثون الروس بتحويل طائرة «توبوليف 55» لتعمل بالغاز الطبيعي والهيدروجين، ولكن يعد البرنامج الألماني هو الأول الذي أعاد تصنيع غرفة الاحتراق الخاصة بالمحرك لتقليل انبعاث أكسيد النيتروجين، كما قام أيضًا المهندسون في جامعة «إخن» الألمانية بابتكار جهاز صغير لخلط الوقود بالهواء ليحل محل الجهاز القديم.

يقول البروفسور فريدمان ساتروب مدرس علم الطيران في جامعة «إخن» إن الهيدروجين يدخل حجرة الاحتراق من خلال مسام صغيرة، وهذا النظام يحقق مزجًا كاملاً للهواء والوقود مسببًا احتراقًا على درجة حرارة منخفضة وانبعاثًا بسيطًا لـ «أكسيد النيتروجين».

وقد قام ساتروب وزملاؤه بتركيب حجرات الاحتراق الجديدة في محرك «توربيني» صغير يدخل كوحدة قدرة مساعدة لطائرات «الإيرباص 320»، وقد حملت الاختبارات التي استغرقت عدة أشهر نتائج جيدة، حيث قللت نسبة انبعاث أكسيد النيتروجين بنسبة 70٪ موازنة بالوقود التقليدي.

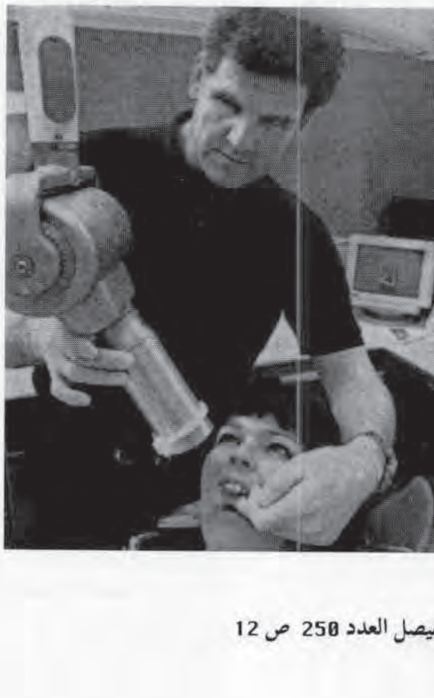
ويضيف ساتروب بأن الخطوة التالية تتمثل في تغيير محركات طائرات «دويز 328»، وتعد مشروعًا مشتركًا مع «توبوليف» و«برات» و«هيتني» ومن المفترض أن تحلق هذه الطائرة في الجو مع بداية عام 2000.

كما قامت مجموعة مهندسي «ديملر بنز» بإنشاء قناة هوائية بغرض الاختبار، ولكن المشروع مازال بانتظار التمويل من الحكومة الألمانية.

يقول «ايان بول» عميد كلية عام الطيران في جامعة «جرانفيلد» البريطانية إن المشروع الألماني لن يقوم بحل المشكلتين الرئيسيتين المتعلقتين باستخدام الهيدروجين، وأولاها حجم الهيدروجين الكبير نسبيًا، وثانيتهما تتعلق بسلامة الطائرات، فحجم وقود الهيدروجين يصل إلى أربعة أضعاف حجم الوقود التقليدي، لأنه إذا تم تحويل «دورنر 328» إلى استخدام الهيدروجين عندها لابد من إضافة خزانات تعلق على أجنحتها، وهذه الخزانات سوف تركب مع حجرات تفريغية تعمل على إبقاء الوقود باردًا.

لكن مهندسي «ديملر بنز» يقولون إن وزن وقود الهيدروجين أقل من وزن الوقود التقليدي، مما يمكن الطائرات المحوَّلة إلى الهيدروجين من أن تحمل 25٪ وزنًا إضافيًا.

تقنية رقمية تتيح تشخيصًا دقيقًا لأطباء الأسنان



عما قريب قد يصبح بالإمكان أن يحل نظام يتعلق بطب الأسنان يستخدم التقنية الرقمية لالتقاط صور بالغة الوضوح بدلاً من أجهزة (نظام) أشعة اكس التقليدية.

وهذا النظام الذي ينتج صورًا خلال أقل من ثلاث ثوان سيقلل بشكل مثير من مدة تعرض المريض للأشعة. وحيث إن حجم الصور أكبر من حجم صور أشعة إكس التقليدية وأكثر تفصيلاً، ويمكن تحويلها إلى صور بالألوان، فإنها ستمكن أطباء الأسنان من القيام بعملهم بدقة أكبر. وستعمل هذه التقنية على تطمين المرضى والآباء والأمهات الذين يشعرون بالقلق من جراء تعرض أطفالهم للأشعة.

بالنسبة لأجهزة أشعة إكس التقليدية فإن فلمًا صغيرًا يوضع بفم المريض لالتقاط صورة واحدة يعرض المرضى لأشعة إكس لمدة نصف ثانية تقريبًا ويحتاج تحميض الفلم إلى خمس دقائق. أما استخدام أسلوب التصوير المشعاعي (التصوير بالأشعة) فإن الأجهزة الجديدة لا تحتاج إلى مواد كيماوية للتحميض، كما أن المريض لا يتعرض للإشعاع إلا إلى 2.,. من الثانية (جزأين من مئة جزء من الثانية) مما يقلل من مدة التعرض للأشعة بمقدار 90 ٪.

كما أن أشعة إكس تطرح قضية الأخطار التي

طريقة اقتصادية لتدوير نفايات المدن

الفطر الذي عادة ما يصنع منه حامض الستريك (الليمونيك) لأغراض الصناعة الغذائية قد يستخدم لمهمة جديدة، وهي تنظيف الرماد المفعم بالمعادن المتبقي من حرق نفايات البلدية. إن الرماد الذي تتم تنقيته من التلوث من طريق فطر الأسبيرجيلوس الأسود يمكن أن يحوّل إلى مواد بناء، والمعادن المفروزة يمكن إعادة تدويرها.

يدفن الرماد الطيار الناجم عن المحارق عادة في مواقع مخصصة للدفن بسبب التلوث بالمعادن مثل الرصاص والنيكل والكاديوم. ويمزج الرماد أولاً بمواد مثل الأسمنت المسلح لوقف تسربه في الأنهار والجداول. ولكن تكاليف عملية الدفن في ارتفاع متنام؛ والبحث عن وسائل بديلة أمر ملح جداً.

إن السائل الذي يحتوي على الملوثات المنحلة به يتم سحبه ومعالجته من أجل استخلاص المعادن. وخامات السليكات والألمونيوم المتبقية في الرماد يمكن تحويلها إلى مواد بناء مثل تبليط الأرصفة. ومن ثم تتم معالجة الرماد معمليًا بحيث يصبح من الأسهل فصل الرماد الطيار عن الفطر.

وهناك في سويسرا أربعة عشر مشروعًا من أجل تطوير أساليب لمعالجة الرماد الطيار، وسيصبح الحظر على تصدير الرماد الطيار من سويسرا ساري المفعول مع بداية عام 2000م، وفقا لـ «نيوسينتست».



يقول طوني دين أحد مديري معالجة المخلفات في شركة كلينوي CLEANWAY في ميناء اليسمير ب تشيشير بأن هذا الأسلوب يثير الاهتمام، ويضيف أنه لا يكاد يصدق أن بالوسع تصفية نصف المعادن في يوم واحد، إلا أنه يحذر من أن هذا الأسلوب سيبقى غير عملي في بلدان مثل بريطانيا حيث لايزال أسلوب التخلص من النفايات من طريق دفنها أسلوبا رخيص التكاليف.

تلحق بالصحة لأنها تثبت أشعة مؤيّنة، وهذا الإشعاع يمكن أن يلحق الأذى بالحمض النووي إذا ما أخذ بجرعات كبيرة، ومن ثم إمكان الإصابة بالسرطان.

ومع أن أشعة إكس التقليدية الخاصة بالأسنان لا تطلق إلا مقادير ضئيلة من الإشعاعات فإن أي أسلوب يستخدم لتقليلها سيكون سبقًا.

يتم التصوير في الأسلوب الجديد بتوجيه جرعة (حزمة) أشعة إلى جهاز الإحساس فيلتقط صورة بأشعة إكس من خلال الأسنان، ومن ثم تبث تلك الصورة إلى الحاسوب، ومع أن الصورة الأصلية هي باللون الأسود والأبيض إلا أن برامج الحاسوب تحولها إلى صورة ملونة، وبذلك تعزز المعلومات لتوفير صورة واضحة المعالم (مفصّلة) على الشاشة.

وحيث لا تستخدم معدات ضخمة (ثقيلة)، فيمكن الحصول على الصور من أجهزة تثبت بكرسي المريض. يستلقي المريض وجهاز الإحساس بفمه، وبعد ثوان قليلة (بضع ثوان) يصبح بالإمكان مشاهدة صور واضحة المعالم، تصف ما في داخل الأسنان، من على شاشة الحاسوب المثبتة بالقرب من كرسي المريض.

تقول تينا إحدى المريضات اللواتي استفدن من هذه التقنية الجديدة بأن جميع الآباء والأمهات يشعرون بالقلق إزاء صحة أطفالهم، وتضيف: إنهم يشعرون بارتياح كبير لأن هذه الأجهزة الحديثة لن تعرضهم إلا لأقل قدر ممكن من الأشعة.

وقد وجد المستر سانيور، بأن هذا الجهاز يتيح للأطباء تشخيصًا متناهي الدقة ويضيف أن هذا الجهاز الرقمي على خلاف أجهزة أشعة إكس يوفر صورًا واضحة جدًا، إن الصورة توضح بُنية السن ومدى تسوّس السن مما لا تستطيع أجهزة أشعة إكس توضيحه.

كانت تينا تعاني من انكسار تاج ضرسها والعظام تحته وقبل أن يقوم المستر سانيور بإدخال حشوة له انتظر حتى ينمو العظم. تقول تينا إنها شاهدت مكان التلف بكل دقة، فقد عمل الحاسوب على قياس المنطقة بدقة وأعطى معلومات عن كثافة العظام، كما التقط مواضع دقيقة للإصابة حول الضرس وتضيف تينا أنها بعد أسبوعين عادت للطبيب فشاهدت أن عظم ضرسها قد نما بحجم 1,9ملم كما رأت أيضًا أن الإصابة (التسوس) قد تلاشى.

الوجبات الغذائية العالية البروتين

تعزّز حالة التزاوج ببين فئران الحقل

عندما يحين الوقت لجذب فأر الحقل لأنثاه، فإن أفضل عطر يجذبها هو الذكر الذي يتناول وجبة بروتين غنية فيحرك في الأنثى هورموناتها.

يعتقد الباحثون في الولايات المتحدة بأن رائحة الذكر الذي يتناول وجبة دسمة إشارة للأنثى بلياقة رفيقها المنتظر.

لقد خلص مايك فيركين وزملاؤه من جامعة ممفيس في تينسيسي إلى هذه النتيجة بعد دراسة آثار الأغذية المختلفة في فأر الحقل. يعيش كل من جنسي فأر الحقل معظم أيام السنة منعزلَين الواحد عن الآخر؛ وعندما تصبح الأنثى جاهزة للتناسل فإن رائحتها تجذب العديد من الذكور ومن ثم تختار قرينًا لها.



قام الفريق بتغذية بعض الذكور بأطعمة تحتوي على 9٪ و 15٪ بروتين. أخذت عينات من غدد الفوْل الشرجية وقدمت تلك العينات إلى إناث بشكل منفصل تقرر مدى الرغبة في كل منها لطول المدة التي تقضيها في استنشاق ولعق الشيء المغلق الذي يطلق رائحة في قفصها.

وقد تناسب اهتمام الأنثى طرديًا مع كمية البروتين في غذاء الذكر الذي أخذت منه العينة.

ولا يعرف الباحثون كيف يغير الغذاء الغني بالبروتين رائحة الذكور، ولكن قد يكون ذلك من خلال المركبات الغنية بالكبريت التي يحتويها البروتين. هذا ما يقوله أحد أعضاء الفريق روبرت جونسون من جامعة كورنيل في نيويورك. ونشر الفريق نتائج البحث في عدد من أعداد مجلة السلوك الحيواني JOURNAL OF ANIMAL BEHAVIOUR.

ولكن لماذا تفضل الإناث رائحة الذكر الذي يتناول وجبة غنية بالبروتين؟ يقول جونسون إن المرء قد يعتقد أن الأنثى تختار الذكر القوي لأنه يستطيع أن يدافع عن أراضٍ واسعة؛ وبذلك يصل إلى مقادير كبيرة من الطعام المغذي.

يقول جو ستون: على أية حال فإن الذكور تدافع عن المنطقة المجاورة مباشرة لمكان رقادها. وهذه المنطقة تتراوح مساحتها بين 150- 200م2، وكما هو واضح فإن هذه المساحة تعد واسعة أكثر مما ينبغي بالنسبة لحيوان لا يزيد طوله على 8 سم.

على أية حال رائحة الذكر قد تكون دليلاً على جودة النوعية لأن النباتات الغنية بالبروتين موزعة على رقعات من الأرض.

ويعلق فيركن بأنه حتى لو أن الأنثى لا تقول شيئًا كثيرًا عن مقدرة الذكر القتالية فإن رائحة البروتين المأكول تنبئك الكثير عن مدى قدرة الذكر.

ويضيف ساخرًا أنه في المقابل قد يكون الذكر محظوظًا فيعثر على قدر كبير من العلف في بضعة أيام. إنه نظام بعيد كل البعد عن الكمال، ولكن قد يكون هذا هو أفضل معيار متاح لمدى لياقة الذكر.

يقول لي دريكهامر LEE DRICKHAMMER أستاذ علم الحيوان في جامعة ساوثيرن إيلنوي في كاربونديل: إن اكتشاف حقيقة استخدام إناث الفوْل الرائحة لتقويم مدى جودة نوعية الذكر خطوة مهمة إلى الأمام في معرفة سلوك التزاوج الحيواني.

بيئة

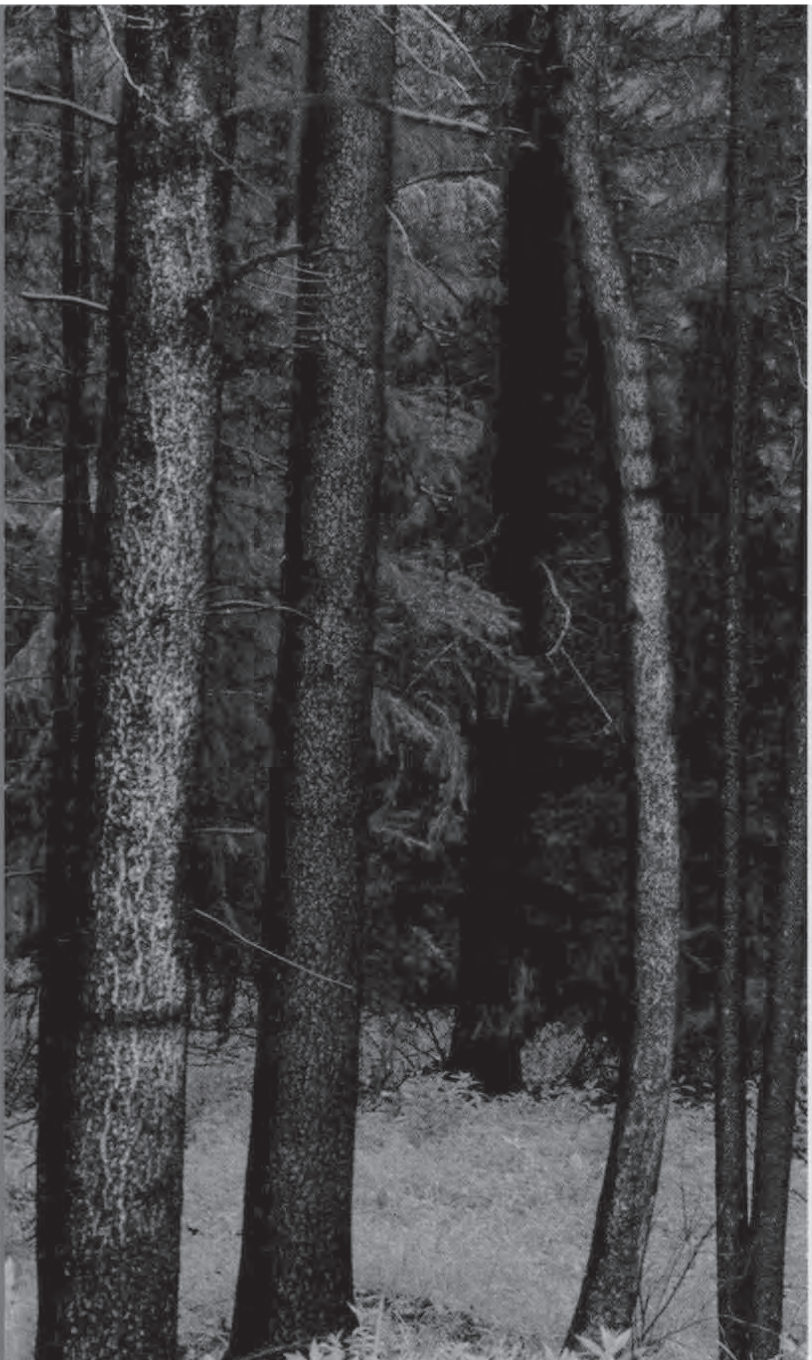


مأساة تدهور الغابات

التشخيص والعلاج

مجدي محمد عيسى

من أبرز معالم الأزمة البيئية التي يعيشها عالمنا اليوم، ظاهرة تدهور الغابات. فقد امتدت يد الإنسان إلى الغابات تزيل أشجارها، أو تحرقها لغرض الزراعة، أو الحصول على الوقود أو الأخشاب. كما اتخذت الغابات مراعي للماشية والأغنام، وقد أدى ذلك إلى تقلص مساحة الغابات في العالم، وبخاصة الغابات الاستوائية وشبه الاستوائية، حيث انخفض نصيب الفرد من الغابات من 1,37 هكتار إلى 0,87 هكتاراً، وتدهور الغطاء النباتي لكثيرٍ من الغابات.



الآفات والأمراض خطر تتعرض له الغابات

إنَّ معظم الأراضي الزراعية في أمريكا الشمالية اليوم ـ على سبيل المثال ـ كانت قبل بضع مئات من السنين مغطاة بالغابات. ويشهد الوقت الراهن زوال مساحات شاسعة من الغابات في سيبيريا وكندا ومناطق الغابات الاستوائية الرطبة. ووفقًا لما ورد في برنامج الأمم المتحدة للبيئة 1985م، فإن الغابات الاستوائية تفقد من أشجارها كل عام مساحة تعادل مساحة النمسا. وقد كشفت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة ـ خلال انعقاد مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو ـ كشفت عن حقيقة مفادها أن العالم يفقد غاباته بمعدل 18 مليون هكتار سنويًا(1). وفي وطننا العربي بوجه خاص، كانت مساحات كبيرة من الأراضي غاباتٍ طبيعية، إلا



عمليات قطع الأشجار تهدد بزوال الغابات

أن الغابات فيها لا تشكل حاليًا سوى 830875 كلم2، أي ما نسبته 5,81٪ من المساحة الإجمالية. وهي في حال متدهورة نسبيًا نتيجة لما تتعرض له من قطع واقتلاع وتحطيب وحرق وإزالة(2).

فوائد الغابات

من أهم منافع الغابات واستخداماتها:

- وقاية البيئة من الملوثات الفيزيائية والكيماوية. كما تقوم الأشجار بامتصاص الموجات الصوتية والإشعاعات، لذا يتم التوسع في التشجير حول التجمعات السكانية للحد من التلوث الضجيجي(3).

- تؤدي الغابات وظائف إيكولوجية حيوية، (الإيكولوجيا: فرع من علم الأحياء - البيولوجيا - يدرس العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها)، إذ إنها تمتص ثاني أكسيد الكربون الذي تحتاج إليه في عملية التخليص الضوئي وتنفح الأكسجين. وتزداد كميات الأكسجين التي تنفثها الغابات في الربيع والصيف في نصف الكرة الشمالي، وفي الخريف والشتاء في نصف الكرة الجنوبي، الأمر الذي يجعل من الأرض وحدة حيوية متكاملة.

- حماية التربة من الانجراف، حيث تعمل الأشجار وعناصر الغطاء النباتي كافة على حماية سطح التربة من عوامل التعرية كالرياح والأعاصير والسيول.

- زيادة قدرة المياه الجوفية على الاستفادة من مياه الأمطار والثلوج، من خلال تسريب المياه وتقليل ما يتبخر منها، وبذا تستطيع الأمطار والثلوج التغلغل داخل التربة بمعدلات أكثر من التربة الخالية من الغطاء النباتي، ونظرًا لتحسين الخواص الفيزيائية للتربة بوساطة جذور النباتات والمواد العضوية التي تضاف إليها، ارتفعت قدرة التربة على تسريب المياه والاحتفاظ بها، ولذلك تلاحظ كثرة الينابيع وانتظامها في مناطق الغابات(4).

- تشكل الأحطاب والأخشاب التي تؤخذ من الغابات مصدرًا مهمًا للطاقة لأكثر من ثلاثة أرباع السكان في البلدان النامية، وبخاصة شبه القارة الهندية وأفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية.

- توفر الغابات الأعلاف والمراعي لما يتراوح بين 30 - 40 مليون من الرعاة في جميع أنحاء العالم، والذين يملكون ما يقرب من 4000 مليون رأس من الأبقار والماعز والأغنام.

- تمثل الغابات بيئة صالحة لنمو الحياة الفطرية وازدهارها.

- تعدّ الغابات المورد الطبيعي الوحيد لمادة الخشب الذي يدخل بدوره في صناعات كثيرة مثل الأثاث، الورق، الحرير الصناعي، عوارض السكك الحديدية، السفن، أعمدة الإنارة، هذا بالإضافة إلى إنتاج الفحم. وتدخل الأخشاب في إنتاج مواد ثانوية تشمل الأصباغ، الصمغ، المواد الدباغية، المواد الراتنجية، الزيوت، الفلّين، علف الحيوان.

- تمثل الغابات مصدرًا لإمداد قطاعات كبيرة من سكان البلدان النامية بالمواد الغذائية والتي تشمل أوراقًا وبذورًا وجذورًا وثمارًا كالجوز، والمانجو، والحبة الخضراء، والدوم، وجوز الهند، كما تشمل أحماضًا وفطرًا وحيوانات. وتتزايد في أحيان كثيرة أهمية الأغذية الحراجية، خاصة أثناء موسم القحط الذي يبلغ ذروته قبل الحصاد أو عند فشل المحاصيل.

- تدخل بعض نباتات الغابات في صناعة الأدوية، فمثلاً إن قلف الصفصاف (أي قشره) كان يستخدم قديمًا (من خلال مضغه) في إزالة الأوجاع لدى الإغريق، وهو الآن يعد مصدرًا مهمًا لصناعة الأسبرين.

- تمثل الغابات بيئة ملائمة لمعيشة نحل العسل وتكاثره بشكل فطري، ويقرر العلماء أن عسل نحل الغابات يعد من أجود أنواع العسل في قيمته الغذائية، ويأتي في المرتبة الثانية بعد نحل الجبال وذلك كما ورد في قوله تعالى في سورة النحل: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. النحل:68.

- تؤدي الغابات دورًا مهمًا في تحقيق الأمن الغذائي بوصفها مخازن للتنوع الوراثي (كالجينات وغيرها)، ويستفيد علماء الهندسة الوراثية من هذه الجينات في تحسين الأنواع التي يستخدمها الآدميون. فالأنواع التجارية تُهجَّن باستمرار بأقاربها البرية لتحسين الغلة، أو نوعية التغذية، أو الاستجابة لمختلف أنواع التربة والمناخ، أو لمقاومة الأمراض والآفات.

- تتزايد الأهمية المعلقة على الغابات والأراضي الحرجية والمناطق البرية الأخرى بوصفها مواقع التراث الطبيعي والثقافي، ومن مواقع التثقيف والترفيه. فالسياحة البيئية تشكل في



رواندا مثلاً ثالث مصدر للدخل القومي. ويعزى ذلك بالأساس إلى كونها موطن الغوريلا الجبلية.

ـ تعد الغابات مصدراً مهمًا لدخل العديد من سكان الأرياف في البلدان النامية. وهذا الدخل لا يأتي من استغلال الأخشاب فقط، فالموارد غير الخشبية من الغابة تدر في أغلب الأحيان دخلاً أكبر وأكثر استدامة من مساحة الأرض نفسها لو استغلت في الزراعة أو قطع الأخشاب. وتجارة الروطان العالمية ـ على سبيل المثال ـ تصل قيمتها إلى مليارى دولار سنويًا. وفي الهند وحدها يعيش 30 مليون نسمة على الصناعات القائمة على الغابات.

الأخطار التي تهدد الغابات

تتعرض الغابات الطبيعية لتهديدات عدة، وأهم المخاطر الطبيعية والبشرية التي تهدد الغابات تتمثل بالآتي:



كثير من الغابات تحولت إلى مرعى

ـ عمليات قطع وإزالة وحرق الأشجار وذلك لأغراض البناء، أو شق الطرق السريعة، أو تشييد المطارات، أو من أجل الحصول على الفحم والأخشاب، أو زراعة الأراضي التي بها الأشجار.

ويوضح مسح حديث أجرته منظمة الأغذية والزراعة أن الغابات الاستوائية ظلت تدمر بمعدل سنوي قدره 15,4 مليون هكتار خلال الفترة من 1980ـ1990م. ومن حيث المساحة، حدثت أكبر الخسائر في أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي بمتوسط قدره 7,4 مليون هكتار سنويًا، تليها أفريقيا بمعدل 4,1 هكتار سنويًا، ثم آسيا والمحيط الهادي 3,9 مليون هكتار(5).

ـ الحرائق وهي من ألد أعداء الحراج، لأنها تقضي على الغطاء الأخضر للغابة فتحرق الأشجار والشجيرات والأعشاب، وتزيد من درجة حامضية التربة مما يقلل من خصوبتها.

ـ الإفراط في الرعي، حيث تدخل قطعان الأغنام والماشية في مناطق الغابات لتوافر الأعشاب. وقد تتم إزالة الغابات وتحويلها إلى مرعى. ففي فصل من فصول عام 1988م، أحرقت البرازيل مساحة من الغابات المطيرة في حجم اسكتلندة لتوفير الأرض لرعي الماشية. وهذه الماشية توفر اللحم لهامبورجر شمال أمريكا.

ـ الآفات والأمراض، والتي تنجم عن وجود الفطريات أو البكتريا أو النباتات المزهرة المتطفلة.

ـ الحروب التي تندلع بين القبائل، أو بين الحكومات وحركات المعارضة



تدهور الغابات
التشخيص والعلاج

المسلحة، والثورات التي تنشب في الأقاليم. فالأتراك قطعوا غابات لبنان في الحرب العالمية الأولى، وتبعهم الإنجليز في الحرب العالمية الثانية. والقوات المسلحة الأمريكية أحرقت وأتلفت الغابات الاستوائية في فيتنام وحولتها إلى أرض قاحلة.

وخلال حرب الاستقلال في الجزائر تم القضاء على حوالي أربعة ملايين هكتار من الغابات(6).

- تلوث الهواء من الأمراض النباتية في المناطق القريبة من المدن والضعيفة في نباتاتها.

ما السبيل لحماية الغابات وتنميتها؟

إن درء الأخطار التي تهدد الغابات يبدأ بتعميق التوعية بأهمية الغابات وقيمتها الاقتصادية والجمالية، ويصل إلى حد إصدار التشريعات الوطنية وإبرام المعاهدات الدولية اللازمة لحماية الغابات. ولابد من وضع خطط لتنمية الغابات توازن بين الحاجة لاستغلال الغابات والحفاظ عليها.

والحقيقة أن تدهور الثروة الغابية في العالم لا يعود إلى الأفراد فقط، وإنما يعود أيضًا إلى الحكومات التي يرفض الكثير منها التزام توصيات المؤتمرات الدولية بالحفاظ على أشجار الغابات. وقد كان الأمل معقودًا على مؤتمر قمة الأرض الذي عقد في ريودي جانيرو بالبرازيل في شهر حزيران/يونيه 1992م في التوصل إلى معاهدة دولية لحماية الغابات، بيد أن البيان الختامي للمؤتمر لم يشر إلى ذلك، حيث اعترضت كل من الهند وماليزيا على فكرة المعاهدة من أصلها معتبرتين ذلك تدخلاً في شؤونهما الداخلية ومساسًا بحقهما الوطني في استغلال غاباتهما.

كما أن المنظمات الدولية المعنية لا توفر حتى الآن حماية دولية للغابات، فمما يلفت النظر في هذا الشأن أن وثيقة السياسة الخاصة بمكافحة ارتفاع درجة حرارة الأرض التي وضعها البنك الدولي في عام 1989م، لم تتضمن أيّ التزام دوليّ بالحفاظ على الغابات، على الرغم من أن إزالة الغابات تعد أحد الأسباب الرئيسية لهذه الظاهرة.

ولذلك - وفي ضوء قصور الجهود الدولية - فإنه يجب تنشيط دور الأفراد والجمعيات الأهلية. فمثلاً توجد في القاهرة جمعية تسمى «جمعية أصدقاء الشجرة» تتصدى بحزم لأي محاولات لتقطيع الأشجار، وتقوم بتشجير المناطق الشعبية والصحراوية. وفي الولايات المتحدة، أعلنت الجمعية الأمريكية لرعاية الغابات عن برنامج في أواخر عام 1988م أطلقت عليه اسم «إعادة التوريق العالمية»-Global Re-leaf يسعى إلى حث المجتمعات المحلية الأمريكية على زرع 100 مليون شجرة في النصف الأول من عقد التسعينيات، وفي كوستاريكا، قامت مجموعة من أصدقاء البيئة بالعمل على إحياء الغابات الاستوائية، وذلك تحت إشراف عالم الأحياء «دانيال جينز». وقد ازدهرت الغابة بشكل لافت للنظر، وبلغت مساحتها 110 آلاف هكتار.



الحرائق تقضي على الغطاء الأخضر للغابات

وفيما يلي بعض التدابير التي نرى أنه من الضروري اتّخاذها للحفاظ على ما تبقى من الغابات وتنميتها لتساهم في تحقيق بيئة متوازنة للبشرية ولتظل موردًا طبيعيًا مهمًا يساهم في حل مشكلاتنا الاقتصادية.

- قيام الحكومات ووكالات المعونة بتقديم مساعدات إنمائية لسكان الغابات الاستوائية تؤدي إلى رفع مستوى معيشتهم وذلك لصرفهم عن تقطيع أشجار هذه الغابات.

- تصميم برنامج متطور لمكافحة حرائق الغابات، بحيث يبدأ بالاكتشاف المبكر لهذه الحرائق. - مكافحة آفات وأمراض الغابة بالوسائل الكيماوية و(البيولوجية).

- سن التشريعات التي تحظر إزالة أشجار الغابات الأخرى لأي كان من دون إذن مسبق من السلطات المختصة، كما يجب تطوير نظام الحراسة ومراقبة الغابات بشريًا وإلكترونيًا وذلك لمنع التعديات على الغابات وسرعة مكافحة الحرائق عند وقوعها.

- إعادة تشجير الغابات التي تزال أشجارها، وتحريج مساحات جديدة في المناطق الجبلية، وفوق المنحدرات، وحول الأراضي الزراعية وعلى طول قنوات الري، وفي أطراف الصحاري، وحول الواحات، ولا بأس في زراعة المساحات الواقعة بين الأشجار.

- ضرورة ترك مساحات خضراء في المدن، والعمل على إيجاد حزام من الحدائق والأشجار الباسقة حول التجمعات السكنية الكثيفة، وحول المناطق الصناعية، وعلى امتداد طرق المواصلات.

المراجع:

1- Geographical Magazine, September 1992.

2- كتاب «وقف التصحر في دول شمال أفريقيا»، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس سنة 1987م.

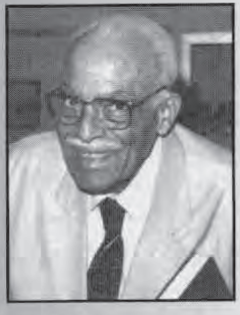
3- د. سامح غرايبة ود. يحيى الفرحان، المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الثالثة سنة 1991م.

4- د. سامح غرايبة، مصدر سابق.

5- محمود أحمد حميد، أهم المشكلات البيئية في العالم المعاصر، (التلوث والتصحر)، دار المعرفة والنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، طبعة أولى 1995م.

6- د. حسن عبدالقادر، الأساس الجغرافي لمشكلة التصحر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1989م.

الفكر الإسرائيلي.. والتطرف!



د. حسن ظاظا

في كل أمة من بني الإنسان حقبة أسطورية عمل فيها خيال تلك الأمة، فأتت غاصّة بالمناقب الخيالية العجائبية.. الموهومة، تكوّن منها التاريخ «البطولي» للأمة! فرجالها كانوا عمالقة، تمتد أيديهم إلى قاع البحر، وهم وقوف على الشاطئ، فتأخذ منه سمكا بالحجم المناسب لهم، ثم يرفعون أيديهم فيشوون هذا السمك في عين الشمس! ومسامرات لا حصر لها من النوع نفسه، تزري بخيالات «والت ديزني» في إبداعاته بالرسوم المتحركة في السينما! وكل الشعوب في طفولتها تحلم بلا حدود ولا قيود. وقد ظل المصريون أجيالا طوالا من ماضيهم ـ القريب نسبيا ـ يتخيلون «فرعون» ماردًا تهتز الأرض تحت قدميه فيكاد يخرقها، وبلغ الجبال طولا! ثم كشفت الحفائر الأثرية في زماننا هذا الأقرب، أن الفراعنة ـ رجالاً ونساءً ـ كانوا أشخاصا مثلنا في الأجسام، فيهم الطويل والقصير، والقوي والضعيف، وفيهم البطين والأحدب، وفيهم الكبير الطاعن في السن، ومن أدركه الموت في عنفوان الشباب، تنطق بهذا كل (مومياء) محنطة تراها العيون في المتاحف الآن، إلى جانب ما عثر الآثاريون عليه من الأسرّة التي كانوا ينامون عليها والنعوش التي رقدوا فيها بعد الموت، فضلا عن الصحون والملاعق والسكاكين والأكواب التي تماثل ماعندنا حجما واتساعا. وبنو إسرائيل لا يشذون عن تلك القاعدة الإنسانية العامة، إلا بمزيد من الاضطهاد والتشريد، ومخزون هائل من الحقد على إخوانهم في الإنسانية من سائر الأجناس والألوان والأقاليم، استطاع أكثر اليهود ـ بحمد الله ـ أن يتخلصوا منه، ويعيشوا حياة طبيعية؛ فنسوا تماما أن لهم ثأرًا عند كل أمم الأرض، وأن الله تعالى ما خلق كل تلك الأمم إلا ليكونوا عبيدًا لليهود، ولم يتخلف عن هذا الركب إلا مؤسسو الصهيونية، ودعاتها، وسماسرتها. بل إن عامة أبناء الدولة الصهيونية في فلسطين ليسوا (صهاينة حَرْفيين)، وإنما وجدوا أنفسهم كذلك بحكم الضرورة. فالصهاينة العلمانيون، والصهاينة اليساريون، والمطالبون بالموافقة على (السلام الآن)، وكل من يريدون أن تتحقق المعجزة، فتنطفئ نار الحقد الدفين، وتكون في فلسطين دولتان إحداهما (يهودية) والأخرى (عربية) تتجاوران بلا خوف ولا وجل، وتعيشان في سلام ووئام، هم الأغلبية الساحقة في الجموع التي تعيش قدرها في ظل الصهيونية كما عاش العرب قرونا طوالا في ظل العسف التركي والانجليزي.. ثم الصهيوني. وكما عاش الألمان في ظل الهتلرية ـ وهم الآن يتبرؤون منها عن إيمان ويقين ـ، وكما تحررت كل أمة مستعبدة من ظالميها؛ لكن ـ كل تلك الأمم التي كانت مستعبدة ـ تلقت درس الحرية والسيادة والعدالة، وآمنت به، لها ولغيرها، ما عدا تلك الأقلية الصهيونية، ولا أقول اليهودية، فهي ما تزال تعيش بالعقلية الخرافية الأسطورية، على عتبات القرن الحادي والعشرين. ومنذ أكثر من عشرين سنه نشر السياسي الإسرائيلي يوري أفنيري صاحب مجلة «هذا العالم» رسما كاريكاتوريا عن القائد الصهيوني «موسى ديان» الذي اشتهر ببعض الحفائر الأثرية في أرض فلسطين يقضي بها أوقات فراغه، إذا لم تكن له مع الجيران العرب مشكلات. وكان هذا الرسم الماثل على غلاف عدد المجلة بالألوان يمثل صخرة مستديرة صلبة ملساء تشبه رأس موسى ديان ومكتوب تحت الرسم: حفريات قديمة جداً: رأس أحد أبناء العصر الحجري القديم في فلسطين! ولا أدري إذا كان يوري أفنيري ما يزال حيا، وإن كان فهل ما زال على سخريته المُرّة القديمة؟

وصفته يوما بأنه «صهيوني» فغضب وصاح: أنا يهودي، وجواز سفري ـ فقط ـ إسرائيلي وليس كل إسرائيلي صهيونيًا! وأذهلني هذا الجواب، ورحت أسأل نفسي: إذن من يهود إسرائيل المقيمين فيها مغلوبون على أمرهم، تحت نير الصهيونية، كالعرب الفلسطينيين سواء بسواء؟!

الصهيونية فكرة سياسية تضمر حقدًا على الإسلام!

ومن وقتها وأنا لا أستعمل (صهيوني) إلا لكل ضالع في مؤامرة احتلال فلسطين، واغتصاب أرضها من أهلها، يوافقني على ذلك كثير من المفكرين العرب واليهود، وسمعت بعض المسؤولين العرب البارزين يقولون إن الصهيوني يمكن أن يكون من غير اليهود. ياللحيرة!

والذي حارَتْ البريَّةُ فيه
حيوانٌ مُستحدثٌ من جمادِ!

وهكذا تكون الصهيونية فكرة سياسية استعمارية إرهابية يتخفى فيها اليهود وراء ستار من دينهم، وغير اليهود وراء ستار استعماري أو وراء ستار من الحقد على الإسلام، أو وراء ستار من الحقد على العرب عموما، حقدا تاريخيا واستعماريا. وهكذا تتحول الصهيونية إلى بيدق في لعبه الشطرنج السياسي في منطقة الشرق الأوسط، ربما تنتهي بزوال هذا البيدق من الرقعة كلها، لكن بعد مقامرة اللاعبين بكل ما يملكون، وضياع كل هذا من أيديهم! ولكن لماذا نستعجل كل هذا وعجلة التاريخ تدور؟ ولا يتحكم في سرعة دورانها إنسان، إلا قليلا، والغلو والتطرف أمران معروفان في كل السياسات والمجتمعات؟

وقفز إلى ذاكرتي ماكان يرويه القصاصون اليهود إثر كل حادثة خطيرة جلبها أولئك الناس على أنفسهم منذ القدم، وأشرنا إلى أهمها في مقالاتنا في هذه المجلة الغراء. ويهمني الآن أن أسأل: أكان العنف وفرض الثأر ممن يعارضون اليهود من الأمم الأخرى (الجوييم) فرضا دينيا عليهم يتقربون به إلى الله؟ وأعود مندهشا فأقول: كيف يستقيم لهم هذا القياس، وهم في خصومة مع الله منذ أن دمر بختنصّر البابلي هيكل سليمان، فحرَّم أحبارهم مناداته باسمه «القومي» عندهم، وهو (يَهْوِهْ). فحيثما ورد اسمه هكذا في تلاوتهم للتوراة يبدلونه بلفظة «هشّيم» أي (الاسم) أو بلفظة «أدُوناي» أي (سيدي، أو أسيادي)، ويعللون ذلك ـ نفاقا ـ بأنه هو الذي غضب عليهم، فلم يقاتل الأعداء معهم دفاعا عن الهيكل! وهم يعرفون من نصوص كتب أنبيائهم أن هذا الهيكل كان ـ هو والمدينة المقدسة ـ مكانا مقصودًا من الفاسقين للزنا، واللواط، وسؤال الدجالين من إخوان الشياطين، والذين يزعمون تكليم الموتى، وراصدي النجوم

والطوالع، وغيـر ذلك من ألوان الآثام والكبـائر التي غصّت بها أسفار الملوك والأنبياء الكبار والصغار الذين ظهروا في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام. ويطول بنا الحديث لو أردنا تقديم الحكايات والأمثلة والنصوص المتضمنة لذلك، وهي نصوص لا تخلو من (أبطال) قدماء أباحوا الضحايا البشرية، أو نصبوا الأصنام في داخل هيكل سليمـان نفسـه، أو هيّؤوا مخادع للمومسات في داخل مقاصير المعبد. فاعتبار الله جل وعلا مسؤولاً عن هزيمتهم أمر مضحك مبك في آن واحد، هذا إلى جانب جرائم القتل التي كان بعض أنبيائهم ضحيتها، مثل «إرميا» النبي، ثم ما كان من محاكمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والحكم بصلبه لولا أن «شُبِّه لهم» كما أخبر بذلك القرآن الكريم، وهناك عشرات بل مئات لقي كل منهم حتفه مصلوبا في غضون القرنين السابقين لميلاد المسيح، في أيام الأمراء المكابيين والحشمونيين اليهود. كل هذا والسكارى والزناة والمومسات والقتلة واللصوص يعملون في منتهى الطمأنينة والأمان، والأدلة علي هذا طافحة بها نصوص كتبهم، وكل هذا لا يُحَرِّك في الصهيوني المناضل ساكنا الآن مع أن إيمانه بحساب الآخرة هش جدا، لم تنطق به توراتهم، وظهر بينهم بعد موسى بقرون بتأثير عقائد وثنية كانت في المنطقة كالديانات الفرعونية والإيرانية والهندية واليونانية، أو سماوية كالنصرانية والإسلام، ولذلك جاء إيمان اليهودي بالحساب والثواب والعقاب والبعث ودار النعيم ودار العذاب باهتًا جدا، ومتأخرا عن زمن موسى بقرون، وقد أشرت من قبل إلى أن طائفة اليهود «الصدُّوقيين» المعاصرة للمسيح عليه السلام بقيت على كفرها بالآخرة، وأن المسيح حذّر أتباعه من الاختلاط بهم أو التعامل معهم.

أثر الفقه الإسلامي في الفقه اليهودي

وإذا كانت التوراة تعني في ضمائرهم (الشريعة)، فإن الشريعة عندهم قد انتهت إلى أن تكون ثوبا فضفاضا يغطي ما شاء أحبارهم من الإضافات. ومن أشهر المشرعين عندهم الطبيب الأندلسي موسى بن ميمون، وكتابه في الفقه اليهودي يُعد من أوفى الكتب في الموضوع، ويرجع إليه قضاتهم في أدق المسائل، ولو رجعنا إليه لوجدناه مكتظًا بالأحكام الفقهية الإسلامية؛ لأن المؤلف كان يعيش في الأندلس، ثم في المغرب، ثم في فلسطين، وأخيرا في مصر في دولة السلطان صلاح الدين الأيوبي، واقتفى أثره الفقيه اليهودي الإيطالي «يوسف كارو» الذي عاش في مدينة صفد بفلسطين، ومدوّنته في الفقه اليهودي (شُلْحان عاروخ) أي المائدة المرتبة، لا تخلو منها أية محكمة ملِّية يهودية في أي ركن من أركان العالم، مترجمة إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية ومايعلمه الله من البلاد التي سكنها اليهود، وبصمات الفقه الإسلامي فيها لا تحتاج إلى شرح أو بيان. وبالمناسبة لم أجد لهذا العمل، ولا لكتاب (يادْ حَزاقَّة) أي اليد القوية (التي تساعد على نجاة المؤمن من العذاب) إلا مقتطفات بالعربية، ولا أدري إذا كانت لهما ترجمة عربية كاملة.

لكن، في كل هذا، كيف كان القضاء يُمارس في المجتمعات اليهودية القديمة؟

كان يمارسه أعضاء مجلس القضاء، الذي كان يدعى باسم يوناني هو « السَّنْهَدْرِين» وهي تسمية حديثة جدا بالنسبة لعهد موسى، لم تُستعمل - حتى في اللغة اليونانية - إلا بعد موسى بسبعمئة سنة على الأقل، وقبلها كانت هناك وظيفة في بني إسرائيل تسمى (شوفيط) أي الحاكم، أو الشيخ، أو القاضي، وهو رجل قوي بشقة الناس به، وبشدة بأس أتباعه، لا يُشترط فيه العلم بالشريعة، أو القانون (الناموس) أو الفتوى، ولا أن يكون مُنَصَّبًا من ملك أو سلطان، بل لم يكن مطالبا بمعرفة التوراة، وكان أحيانا يجهل القراءة والكتابة، ولا يعرف شيئا من أركان الدين اليهودي غير ما يعرفه العوام من الأدعية والصلوات وأحكام السبت والذبائح، وحتى هذه لم تكن شروطا إجبارية! وكان الكثيرون من أولئك (القضاة) - الذين جاؤوا بعد موسى ويوشع بن نون - إنما وصلوا إلى هذه المرتبة بالسيف. كان بعضهم من أشداء المحاربين لأهل فلسطين الأصليين مثل «شمشون»، أو الكنعانيين مثل «براق بن أبِينَوعَم»، أو لصًا من قطاع الطريق مثل «يفتاح»، أو ذا ثقافة دينية تلقاها سماعا من بعض الكهنة وخدم بضع سنين في أحد المعابد مثل «صموئيل» الذي يوصف بأنه (آخر القضاة، وأول الأنبياء)؛ ذلك أن موسى عندهم أكبر من أن يكون نبيا، فأخوه هارون نبي، وأخته مريم (وهي غير السيدة العذراء) نبيَّة، أما هو فيسمى «رجل الله» أي رسول الله، ويوشع بن نون هو خليفته.

مم تكون أسفار التوراة؟

وأشعر الآن بسؤال يجول بفكر القارئ الكريم: وتوراة موسى؟ ألم تكن هي هيكل الشريعة التي نسميها الشريعة الموسوية؟ وقد سبق لنا أن ذكرنا آراء الباحثين - قديما وحديثا - عن «مصادر» مايسمى الشريعة الموسوية، المسطورة في الأسفار الخمسة التي نسميها (التوراة)، وهي:

1- التكوين: الذي يحكي تاريخ العالم من أول الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، والماء واليابسة، وما يعيش فيهما وعليهما من الكائنات الحية والنباتات، وخَلْق آدم وحواء، ومعصيتهما الأولى، وطردهما من الجنة، ثم تكاثرهما وتوزع نسلهما - شعوبا وقبائل - في أنحاء الأرض حسب قواعد قبلية أو عنصرية أو سياسية، إلى أن ينتهي بصفوة الصفوة وهم بنو إسرائيل، مرورا بطوفان نوح، ثم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ثم يعقوب بن إسحق الذي سماه ربه إسرائيل - أي قوة الله - لأنه صارع الرب عند (مخاضة اليبوق) وهي منطقة مستنقعات على نهر الأردن، وغَلَبَه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -، وكان يعقوب قادما من شمال العراق، ومعه أولاده - الأحد عشر كوكبًا - وأختهم الجميلة «دينه». وينتهي سفر التكوين بنزوح بني إسرائيل من منطقة نابلس للحاق بيوسف في مصر.

2- الخروج: ويبدأ بولادة موسى، ثم دخوله في طور المراهقة في أوج اضطهاد فرعون مصر لبني إسرائيل، وقتله أحد المصريين في مشاجرة، ثم هروبه إلى شمال الحجاز (أرض مدين) وتبني النبي العربي شعيب له، وتزويجه إحدى بناته، وعمله راعيا عند شعيب بمهر ابنته، ثم استمراره في عمله راعيا عنده إلى أن كلَّمه الله تكليما عند جبل الطور.

وقد شرحت في العدد الماضي من «الفيصل» الغراء أن هذا التفاهم لا بد أن يكون قد تم بالعربية - لا العبرية - لأن موسى نشأ في قصر فرعون، ولم يكن يجرؤ على الاختلاط ببني إسرائيل، وهم منبوذون تضطهدهم الدولة الفرعونية، وجاءه الأمر بالتوجه إلى مصر، ودعوة فرعون وحكومته إلى الإيمان، وإخراج بني إسرائيل من مصر، ومطاردة فرعون وجنوده لهم، وانشقاق البحر ونجاة بني إسرائيل، وغرق فرعون وجنوده. وأشرت إلى أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يرسل معه أخاه «هارون». وهكذا، نرى لأول مرة رسولا يُبعث ومعه (مترجم) يبلغ عنه الوحي الإلهي إلى الناس. ويعبر بنو إسرائيل البحر آمنين، ويهلك الله القوة الفرعونية التي تطاردهم، ثم يهيمون في بوادي سيناء وأرض الأدوميين والعمالقة، والمديانيين والمؤابيين أربعين سنة، ولنذكر هنا أن موسى عندما بُعث إلى فرعون كان ابن ثمانين سنه، أما هارون فكان أكبر من موسى بثلاث سنين، وكانت معهما أختهما مريم - التي حملت اسمها بعد ذلك السيدة مريم أم سيدنا عيسى المسيح عليه السلام -، وفي أثناء هذه الرحلة التي استغرقت وقتا طويلا جدا وامتلأت بالمخاطر والأهوال، من قلة الماء والغذاء، ورداءة طعم هذا الماء، ومن المنازعات والحروب مع القبائل التي مر بها موسى وأتباعه، ومن الأذى الذي واجهوه من انتشار الحيات السامة في طريقهم، ومن تمرُّد قوم موسى عليه حتى ارتدوا عن دينه وهو معتكف فوق الجبل أربعين ليلة، ومن تفشي ارتكاب الكبائر فيهم - مثل الزنا والزواج بالأجنبيات الذي كان قد حرمه عليهم -؛ مما أدى إلى أن يواجه موسى سلسلة من حركات التمرد والثورة عليه من قومه، الأمر الذي حدا ببعض المؤرخين المحدثين إلى أن يظنوا أن قوم موسى قتلوه

الصهيونية فكرة سياسية استعمارية إرهابية يتخفَّى فيها اليهود وراء ستار من دينهم، وغير اليهود وراء ستار استعماري، أو وراء ستار من الحقد على الإسلام

في آخر الأمر. وإلا فكيف نعرف من التوراة أخبار موت إبراهيم وسارة وابنهما إسحق وحفيدهما يعقوب وبقية الأسباط وزوجاتهم، ونعرف أين دُفنوا، ولا نعرف كيف مات موسى، ولا أين وكيف دُفن (الخبر عن قبر موسى عليه السلام في الأرض المقدسة ورد عندنا - نحن المسلمين - في حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد، في إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام، قال - واللفظ للبخاري -: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنتُ ثَمّ - أي هناك - لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» انظر: البخاري، باب في الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة). وفي أثناء هذه الفترة، فُرضت عليهم فرائض معينة أكثرها خاص بالحلال والحرام في الطعام والشراب، حرصا على إبعاد الأمراض الوبائية والسموم الغذائية وغيرها من هذا المجتمع غير المنظم، وغير المستقر والآمن، أو حتى المؤمن بتعاليم نبيه. وتخليدا لذكرى الخروج من مصر، والنجاة المعجزة من اضطهاد فرعون فُرضت شرائع خاصة بهذه الذكرى - عيد الفصح - وهي شرائع تُصوِّر أن بني إسرائيل كانوا في عجلة من أمرهم، فالخبز يجب ألا يحتوي على (خميرة) لأنها تتطلب مدة من الزمن لتعمل عملها في العجين، وأي إبطاء سيكون فرصة للأعداء حتى يدركوهم ويفتكوا بهم. واللحم لا يكون إلا من أضحية من صغار الغنم تُشوى مباشرة على النار، ويُقدَّم معها (المُرار) وهو نبات ورقي أخضر مر الطعم كاسمه، وعلى هذه المائدة يحكي رب الأسرة بطولة «شعب الله المختار» ولهم فيها ثلاثة أنماط: الأول مطول ومفصَّل للقادرين على الفهم والمتابعة، والثاني للأحداث من الولدان والبنات، والثالث مختصر. ويرتكز القص على جانب المعجزات التي أتى بها موسى في تحدي فرعون وسحرته وكهنته، وما أنزله على مصر من الضربات الأليمة، من الضفادع والقمل والدم وطاعون الماشية وطاعون البشر، والظلام وتدمير الثمار والمحاصيل الزراعية بسقوط البَرَد من السماء، وموت الأبناء البكر، واجتياح الجراد للبلاد. ولا ننسى أن عيد الفصح يبدأ مع بداية فصل الربيع، وهو فصل كثير المباهج والأمطار في العالم القديم، وله طقوس قديمة جدا في جميع أمم العالم: شم النسيم عند المصريين، النيروز عند الفرس، عيد أدونيس عند الفينيقيين، عيد عشتروت في بابل وآشور، عيد القيامة (أوالفصح) عند جميع فرق النصرانية شرقا وغربا، وهو عند اليهود من أهم أعيادهم.

والتوراة المنسوبة إلى موسى لا نعلم بالضبط متى تسلمها موسى من الله، ولا كيف كان طول نصها، ولا بأية لغة كانت (إلا أن تكون بالعربية، والله أعلم). والنص الذي يتعبَّد به اليهود الآن لغته عبرية، ويجمع

كتاب موسى بن ميمون في الفقه اليهودي يُعدّ من أوفى الكتب عندهم، ويرجع إليه قضاتهم في أدق المسائل، وهو مكتظ بالأحكام الفقهية الإسلامية لأن مؤلفه عاش آمنًا في ظل الدولة الإسلامية

نصوصا مختلفة المصادر، ويشترطون أن توضع في محراب كل معبد من معابدهم نسخة من التوراة (أسفار موسى الخمسة، يضاف إليها قصة إستير النبية التي ظهرت في إيران بعد موسى بما يقرب من ألف سنة)! ويُشترط في هذين النصين أن يكونا مكتوبين بخط اليد - لا بالمطبعة! - من كاتب محترف على ورق أو جلد حيوان طاهر؛ فجلد الكلب والخنزير والوحوش المختلفة حرام، وعلى الكاتب أن يكون طاهرًا بنفس شروط الطهارة للصلاة. وجرت العادة أن تقوم أسرة أحد الموتى الأثرياء بتمويل تكاليف هذه النسخة، وبعض الكتاب يكون مزودا بقلم خاص يكتب به اسم الله، ويقرأ الكهنة في هذه النسخة عددا من الفصول يوميا، ولا تنتهي هذه القراءة وتكتمل إلا في فصل الخريف (يوم 23 تشري من التقويم اليهودي) وهو في التقويم الإفرنجي الحالي يوافق يوم 6 أكتوبر عام 1996م، وهو يوم الأحد 23 تشري من عام 5757 بالتقويم اليهودي، (وحسابهم هذا منذ اليوم الأول لخلق العالم!!)، ويُسمى هذا العيد عندهم «فرحة التوراة»، وفيه يقوم الكهنة بزفاف التوراة، كزفاف العرائس، مجددين عهدهم مع ربهم؛ وفي اعتقادهم أنهم بذلك قد جدّدوا موسى وتوراته من الربيع إلى الخريف.

3- سفر اللاويين، أو الأحبار: كان لاوي (ينطقه اليهود ليفي) أحد أبناء يعقوب الاثني عشر، فهو بذلك سبط من أسباط بني إسرائيل (يعقوب) ومن سلالة عمران (عمرام) أبي موسى وهارون، وحسب تقليد قبلي قديم كانت الكهانة - أي الرئاسة الدينية - محصورة في اللاويين، وما تزال كذلك إلى الآن. وقد يسأل القارئ إذا كان هذا النسب «موثقا» على مدى ما يناهز ثلاثة آلاف سنة، منذ لاوي بن يعقوب حتى الآن؟ والجواب أنه لا يكاد أي منقول من تلك الأزمان يكون موثقا إلا ما جاء منقوشا على الحجر، أو مرويا رواية مستفيضة من طرق شتى لا يرقى إليها الشك، وكل هذا لم يكشفه الآثاريون ولا المؤرخون حول بدايات بني إسرائيل. فلا شيء موثق في هذا التاريخ بحسب مفهومنا للوثيقة التاريخية. حتى سيدنا موسى عليه السلام: في عهد مَنْ منَ الفراعنة المصريين وُلد؟ وفي عهد مَنْ بُعث؟ وأي الفراعنة توالى على عرش مصر منذ أن هاجر منها وهو ابن خمس عشرة سنة تقريبا إلى أن عاد إليها وهو ابن ثمانين سنة؟ وهل كان يتابع تقلبات السياسة المصرية مدة غيابه؟ وهل كان اسمه الكامل «موسى» الذي أرجعه الكهنة المتأخرون إلى فعل عبري (مشى) بمعنى «أنقذ» أو أنه اسم مصري أصيل معناه «الابن» أو «الطفل» مثل (تحوتموسى) أي ابن الإله الوثني المصري «تحوت»، وعندما اهتدى إلى التوحيد حذف من اسمه اسم الصنم؟ ومن كان فرعون الذي طارده عندما جاهر بدعوته؟ قال القصاصون إن اسم هذا الفرعون هو الوليد بن الريّان! فهل ترجم راوية منهم الاسم المصري إلى العربية؟ فالوليد هو الابن كما ذكرنا، والريان ربما كان «النيل»؟ كل تلك التساؤلات لا تجد للإجابة عنها إلا تفصيلا وعظيا سريعا، أو تخريجات وتفاسير للمحدثين من اليهود مثل «سيجموند فرويد» أو النصارى مثل «أدولف لودز».

وسفر الأحبار يحدد ما لكاهن في الأمة من حقوق - وهي كثيرة جدا، ومغرية - وما يقع على عاتقه من واجبات تصل إلى حد مواجهة الموت دفاعا عن الأمة في بعض الأحيان. ولذلك اتفق هؤلاء الناس على أن يكون الكهان في سلالة هارون، لأن أولاد موسى ولدوا من امرأة أجنبية، هي بنت نبي الله شعيب، العربي الأصيل. ويجد اليهود ضالتهم المنشودة في اختيار رجل الدين إذ كان اسم عائلته «كوهين» أي الكاهن، أو «ليفي» أي اللاوي، أو «رابين» أي الشيخ، أو «أمورا» أي مفسر التلمود، أو ما تركب من تلك الأصول مع الزمن: ليفيناس، هاكوهين، أمورافسكي، رابينوفيش ..إلخ. والصهيونية لها قدرة غريبة على تزويق ما تشاء من الأسماء، والعالم يبتلع كل هذه المغلطات دون تمحيص.

وفي سفر الأحبار طقوس دقيقة في بعض العبادات والقرابين والزكاة والمواسم، أما العقوبات والحدود والديات والتعويضات فمشار إليها من غير تفصيل ولا إيضاح دقيق، والله يعلم أن موسى وهارون كانا على علم تام بشرائع القرابين والزكاة والحج ودفن الموتى ووظائف الكهنة في المعابد المصرية، لكنهما خرجا على رأس مجموعة من الهمج ليس فيهم من بني إسرائيل سوى السبعين رجلا الذين عينهم موسى أعوانا لأخيه هارون. وليتهم كانوا إداريين مدربين، أو علماء بروح الدعوة الموسوية، أو سياسيين محنكين، أو حتى مؤمنين واعين بواجبهم أمام الله. بل على العكس، أغمضوا عيونهم عن إنجاز أبشع المحظورات، فصنع الناس صنما لعجل من الذهب، والأدهى من ذلك أنهم عملوه بحلي النساء المصريات بعد أن خدعوهم عنها، وأخذوها سرقة واحتيالا واغتصابا من غير وجه حق.

4- سفر العدد: رابع أسفار التوراة، واشتهر بهذا الاسم لأنه يتضمن إحصاء عدد الخارجين مع موسى، وعدد الأشخاص المجندين للخدمة، وما حملوه معهم من المنقولات والمتاع والدواب، يتخلل ذلك من حين لآخر حكم شرعي، أو توجيه ديني، لكن السمة

> **أكثر اليهود يلتزمون بعض المذاهب الفقهية؛ لا إيمانًا ولا يقينًا، ولا حتى إيثارًا للمصلحة؛ بل لمجرد التبرّك، وأن يقول أحدهم: «أنا يهودي»، وهو في حقيقته: صهيوني فقط!**

الغالبة عليه هي الإحصاء والحصر والعد.

5- سفر التثنية: ويعلل شيوخ الدين اليهودي ذلك بأن موسى أخذه الغضب عندما هبط من أعلى جبل الطور ووجد القوم قد كفروا وارتدوا عن الوحدانية إلى الوثنية، ولما سكت عن موسى الغضب أعاد على هارون (الشريعة) للمرة الثانية، فاشتهر باسم سفر التثنية! ويرى «درايفر» في كتابه النفيس «مقدمة لدراسة العهد القديم» - بالإنجليزية - أن سفر التثنية لم ينزل على موسى، وإنما كُتب في عهد متأخر عن موسى بعدة قرون، وأن مؤلفه في الأصل أراد أن يجرد الأربعة الأولى مما يشوبها من الحكايات والقصص، واقتصر على جمع النصوص الداخلة مباشرة في الأحكام حتى يرجع إليها القضاة بسهولة، مما يترتب عليه أنه أُلّف في عهد المملكة التي أسسها شاؤول ثم داود وسليمان بعد موت موسى بنحو خمسة قرون! بدليل أن سفر التثنية كتب نصيحة لبني إسرائيل بأن يختاروا لهم ملكا، فتوّجوا شاؤول، الذي انتحر عند هزيمته أمام الفلسطينيين، وقام داود - وهو عندهم ملك لا نبي -، وكان يعاصره نبي من بني إسرائيل اسمه «ناتان» كان ينصحه ويطلب منه المشورة فيطيعه، بل كان أحيانا يغلظ له القول ويزجره، كما حدث عندما اشتهى داود - وهو ملك - زوجة «أوريا» وكان قائدًا في جيش داود، فأرسله إلى موضع قبالة جبهة الفلسطينيين حتى يخلو له الجو مع بتشبع زوجة أوريا، فحملت من داود (سفاحًا كما تنص القصة في سفر الملوك)، فدخل عليه ناتان ووبخه وأنّبه - وكان أوريا قد قُتل في المعركة - وتنبأ لداود بأن المرأة ستلد ولدا لداود سيملأ قلبه حبا، ولكنه سيمرض ويموت عقابا لداود! والذي يهمنا هو هذا القانون الثاني - التثنية -، لأن المؤلف ختمه بقوله: «إن موسى مات على جبل «نبو» في شرق الأردن، وكان يرى أرض الميعاد (فلسطين) من بعيد ولم تطأها قدمه، وأنزل من الجبل إلى السهل حيث دفن، ولا يعرف أحد مكان قبره إلى يومنا هذا». مما لا يترك مجالا للشك في أن سفر التثنية قد أعده مؤلفه بعد ملك داود في أورشليم/ القدس! هذا إلى استعمالات لغوية وتشريعية لم تكن على عهد موسى، أو أخذت من مجموعات تشريعية أخرى للشبه الشديد بين نصوص التثنية، وقوانين أمحوتب المصري، أو لبيت إشتار السومري، أو حمورابي البابلي، أو مجموعة الشرائع الآشورية.

وقد أضاع اليهود سفر التثنية إلى أن عُثر عليه في عهد ملك من أحفاد سليمان اسمه «يوشياهو» الذي أمر بفرض رقابة دقيقة على النذور التي يتبرع بها الحجاج للهيكل فيستولي عليها الكهنة لأنفسهم مما أدى إلى تصدع الهيكل بسبب الإهمال. وقد أشرنا مرارا إلى الزيارة المفاجئة التي قام بها يوشياهو إلى الهيكل، وفوجئ بمقاصير يمارس فيها الزنا مع وجد مقاصير للغلمان للواط، كما أن بعض الكفرة وضعوا أصنامهم في هيكل سليمان ليزورها أولئك الكفار لقاء رشوة يدفعونها للكهنة والحرس! هذه صورة - باعتراف سفر الملوك المقدس - لماضي هذا الهيكل، الذي دمره بختنصر الكلداني وسوّاه بالأرض، وبُني بعده هيكل بديل في أيام قورش ملك الفرس، ثم دمره خلفاء الاسكندر الزاحفون من سورية، وأعيد بناؤه في أيام هيردوس الأدومي ملك اليهود التابع للامبراطورية الرومانية فدمره الامبراطور الروماني فسبازيان وابنه تيتوس عام 70م.

في كل هذا نجد اليهود يتصرفون في فلسطين وفي القدس فيصلون إلى أقصى حضيض من الإجرام، ويتصرفون كأنهم الوحيدون الذين يملكون القدس، في حين أن الرومان كانوا المهيمنين عليها، ولم يكن اليهود يمثلون إلا أقلية من السكان، إذ كانت تغص باليونان والمصريين، وكان العرب يسيطرون فيها على سوق دواب الحمل والركوب، كما كان يأتيها تجار من سورية ولبنان واليمن والحبشة وإيران والهند، وظلوا يرتكبون فيها أشنع المزعجات، ويحكمون على من يخالفهم بالقتل إن كان يهوديا، أو يغتالونه إن كان غير يهودي، إلى أن طفح الكيل بالامبراطور الروماني «إيلايوس هدريانوس» فدمر يهود فلسطين جميعا وشردهم في ما يسميه المؤرخون (الشتات الروماني) عام 125م، بل إنه أمر بمحو أسماء المدن والبلدان والقرى والمواضع المختلفة وتسميتها بأسماء رومانية. وبقيت المدينة تسمى (إيليا) على اسم الامبراطور إيلايوس هدريانوس، الذي نقل من روما صنما من أصنام جوبيتر، ونصبه على أنقاض الهيكل المنهار للمرة الرابعة. وبقي اليهود في الشتات منذ حملة فسبازيان وتيتوس عام 70م، وهدريان عام 125م، إلى أن دخل المسلمون القدس في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفكر عند اليهود لم يزدهر إلا في ظل الدولة الإسلامية

أما اليهود فقد بقوا في الشتات في جميع بقاع الأرض، مكروهين مرفوضين من جميع الأمم إلا في فترات قصيرة تأخذهم فيها الرحمة من الحكام أو يستعملونهم في جباية الضرائب، أو في تجارة الذهب والفضة، أو في إنتاج الخمور أو إدارة بيوت المومسات، وما يتعلق بها من تجارة الفساد، باستثناء الدولة الإسلامية، التي اعتبرتهم في ذمة المسلمين يدفعون الجزية للدولة التي تكفل لهم الأمن والحماية وتعفيهم من واجب الجهاد المفروض على المسلمين في سبيل الله؛ فكان أزهى عصور الشتات لليهود تلك العصور التي أظلتهم فيها الدولة الإسلامية في المشرق أو الأندلس والمغرب.

لذلك توقفت المؤامرات التي كان اليهود يحوكونها ضد حكومات العالم - والعالم النصراني خصوصا في أوربا وأمريكا -، وحل محلها في العالم الإسلامي الثقة، والتعاون، حتى إن الفقه اليهودي، والشريعة، والقضاء، والفتوى، والعناية باللغة العبرية، ولغة التلمود الآرامية لم تعش عصر نهضة شامخة راسخة إلا في ظل الدول الإسلامية، لا يستطيع أي صهيوني أن يماري في ذلك، حتى بالمقابلة بالإنجازات الصهيونية المعاصرة التي ظل النظام الصهيوني في فلسطين يقوم من أجلها بالتسول من الدول ذات المصالح في إسرائيل مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والحكومة العنصرية البائدة في جنوب أفريقيا قبل فوزها بالحرية والديمقراطية، حتى بعض الدول الصغيرة مثل رومانيا التي شذت سنة 1956م عن كتلة دول شرق أوربا الشيوعية فلم تقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية بالدولة الصهيونية. وشاءت الأقدار أن ألتقي أحد رجال الإعلام في راديو وتلفاز رومانيا، ورحت ألومه على هذا الانحياز إلى النظام الصهيوني الذي يحارب العرب، فأجابني همسا بأن يهود رومانيا أصابهم الفزع من قرار الكتلة الشيوعية مقاطعة إسرائيل، فسارعوا بالرحيل من رومانيا - بأي ثمن - وكثيرون منهم، خصوصا أصحاب الثروات الضخمة رحلوا إلى بلدان أوربية وأمريكية، فأفادوا واستفادوا.

وقلت، وأنا أتأمل هذا الصديق الذي كان قد درس معي في عنفوان الشباب وباريس: يعني التوراة والتلمود لا دخل لهما في ذلك! فضحك عاليا وقال: ولا الدولة الصهيونية في فلسطين، أما تشعر بأن المتبحرين في دراسات التوراة والتلمود في إسرائيل ينظر إليهم الإسرائيليون على أنهم متخلفون حضاريا، لذلك ترى أولئك المتخلفين دائما في صفوف المعارضة!

«أمن إسرائيل» مرض مزمن من قديم!

وسألني صديق صحفي: ماذا ترى لتنشيط مسيرة السلام المتوقفة من شهور؟ قلت: الأمر هيّن جدا، إن فكرة «أمن إسرائيل» هي المرض المزمن، منذ فرعون، وبختنصر، وتيتوس، وفسبازيان، وهدريان،، وقياصرة الروس، ومحاكم التفتيش، وهتلر.. أربعة آلاف سنة وبنو إسرائيل يبحثون عن الأمن ولا يجدونه، ويحاربون كل شعوب العالم من أجله، ولا يجدونه، حتى صار مع الأجيال المتعاقبة عقدة نفسية عندهم لا يشفيهم منها إلا أن يثأروا. لكنهم يبدؤون الثأر بعمل منحط، مثل التصدي للعزل، والضعفاء، أو يأخذون الخصم على غرة، أو يضربونه في المال الضروري للحياة، أو يشنون عليه حربا أخلاقية أخطر من الحرب

الذرية والجرثومية، فهنا يرى السفاح ضحيته ويلمسها، وهي ما عادت تملك من أمرها شيئا. أما الحل «المناسب» فهو زعزعة الأمن دائما، الإزعاج المستمر، الضوضاء التي لا يرى أحد نهايتها. وهكذا نظل في حالة «اللا حرب واللا سلم»، والخاسر هو من يمل هذا الوضع قبل صاحبه. ونحن في منطقة الشرق الأوسط محصنون ضد الملل. إذا أكلتنا الحروب، عوّضتنا المواليد، ومهما يكن من شيء فإن جميع وسائل الكفاح السلبي هي الأقوى، أقوى من الحرب، وأقوى من الشرائع والقوانين، وإن احتاجت إلى صبر طويل. والقوانين تتغير، وفيها اللين، الإنساني، وفيها الحاسم القاطع، لكن الخارج عن القوانين والشرائع: لا يملك شيئا في موقف الرفض المزعج الذي لا حل له إلا الوصول إلى اتفاق أو افتراق.

وإذا كانت الامبراطوريات القديمة والحديثة قد ملت مشكلات السهر على مصير الشعوب المختلفة التي تتكون منها كل امبراطورية مثل الامبراطورية الإسلامية في العصور الوسطى عندما عاصرت الامبراطورية النصرانية في أوربا، ثم الامبراطورية البريطانية والفرنسية والروسية بعد ذلك.. انتهت كلها بالتفكك والانحلال. وتعريف الامبراطورية هو أنها وحدة سياسية كبيرة تضم عددا من الشعوب المختلفة، لكن يشترط فيها اتساع الرقعة، وكفاية مصادر الثروة، ومستوى متقدم من الحضارة، فأين من هذا جيراننا الصهاينة، الذين ما زال أكثرهم يتذكر حياة الضياع والذل في حارة اليهود (الجيتو)؟ إنها امبراطورية ميكروسكوبية مصغرة، من أبنائها العرب واليهود الذين كانوا أي شيء قبل أن يصيروا إسرائيليين، وفيها الأرمن، والأتراك، والفلاشة الأحباش، وبنو إسرائيل اليهود، وفيها القراؤون والربانيون والأشكناز والسفرد، وفيها يهود من الصين، ولو أطلق عليها نتن - ياهو اسم «امبراطورية صهيون» لما كان في ذلك مجال للعجب.

المجتمع اليهودي مرفوض ومضطهد لأسباب كثيرة

وقد كان في تخطيطي لهذا المقال أن أتناول فيه التيارات المتشددة والمتسامحة في الفكر الديني اليهودي، لكنني استغرقت المساحة المتاحة في فحص اعتبارات أكثر أهمية في وقتنا هذا من التفصيل في المذاهب الفقهية اليهودية، لأن أكثر اليهود يلتزمون بعضها لا إيمانا، ولا يقينا، ولا حتى إيثارًا للمصلحة، بل لمجرد التبرك، وأن يقول بصوت مسموع «أنا يهودي»، وحقيقته أنه صهيوني فقط.

ومع ذلك فإنه من الإهمال الخاطئ أن يهمل الباحث جانب التيارات التشريعية في الدين اليهودي، فقد سبقت إسرائيل خروجا عليها، وتشويها لها، وتحريفا لمعانيها وأهدافها، حتى أصبحت أشبه بحفائر العصر الحجري القديم، لما أصابها من تحريف وخلط، وحذف وزيادة.

ويبدو هذا طبيعيًا ومنطقيًا إذا تذكرنا أن المجتمع اليهودي منذ ظهوره على مسرح التاريخ بدا مرفوضًا ومضطهدًا لأسباب كثيرة أهمها:

1- غرابة دينه بالمقابلة بالأديان المجاورة المعاصرة له، فهو دين توحيد، والله وحده هو «ملك العالم» كما يصفه اليهود في صلواتهم اليومية.

2- أنه دين قصري مقصور على القبائل - أو الأسباط - الاثني عشر من أبناء يعقوب (إسرائيل) فقط.

3- أنه عاش بداوته في وسط إمبراطوريات ضخمة في قوتها وثروتها وحضارتها: فراعنة مصر، أباطرة بابل وأشور وإيران، إمبراطورية الحثيين في آسيا الصغرى.

4- كان اليهود يرفضون دائمًا أي أثر للحضارة، فكان تطورهم بطيئًا، وكان العالم القديم - المنظم - ينظر إليهم باستخفاف، على أنهم شراذم فوضوية لها قانونها العُرفي الذي لا تؤمن بغيره.

5- أي اتصال لهم بأمم العالم الأخرى كان يشوبه الحذر دائمًا، مع أنانية عدوانية أساسها أن اليهودي يتعامل دائمًا مع أعداء، وأنهم مُقدّرون آخر الأمر للهزيمة أمام اليهود، بالقوة أو بالحيلة.

6- هم يعرفون أن شيوخهم القدامى قد حرّفوا الشريعة، مما ترتب عليه أنهم يستحلون نقض العهود مع غيرهم من البشر، ما داموا قد نقضوها مع الله تعالى دون أن تنزل عليهم الصواعق أو يدركهم الطوفان أو تتزلزل بهم الأرض.

ومع ذلك بدا لهم من الضروري أن تكون لهم شريعة خاصة بهم. وكان الحكم في هذه الشريعة بالسيف عند القدرة، وبالنار أو السمّ إذا أحسوا بالضعف، ولست أدعو إلى كراهية اليهود، وأتمنى فقط أن يكون التعامل معهم أكثر حذرًا واحتياطًا، لأنني لا أعتقد أن الإنسان اليهودي مطبوع بغريزته على الخبث، وإنما تأصل ذلك في نفسه مع الزمن لكثرة ما قاسى من المحن مع الناس، بعد أن انفصل عنهم بمناقب غيبية موهومة منذ أزمان الفراعنة وجبابرة الأرض من كل لون.

ولكن لما كانت دعوة موسى عليه السلام دينية على الخصوص، وسياسية من ناحية أخرى، فإنه بلا شك وضع فيها العبادات الفردية والجماعية المناسبة، ومع ذلك فقد وصلت التوراة وفيها الكثير من هذا دون إشارة إلى حسابِ الآخرة! أكان ذلك لثورته على كُفر المصريين، مع إيمانهم العميق بالآخرة! مانظن ذلك؛ فإن أي إيمان بالآخرة مهما كان بدائيًا، لا بد أن يقوم على بعض الغيبيات المكنونة في (ماوراء الطبيعة) ولا أثر من ذلك في الشرائع التي يقولون إن موسى تلقاها من ربه. في حين أن موسى عندما تلقى نداءً من الله وسمعه يقول له «أنا الله!» ستر وجهه، وهي رواية تؤكد - سواء أكانت من رواية موسى أو غيره - أن الحضور الإلهي كان معروفًا. ولا يمكن تصور ذلك من دون الإيمان بالغيب. وإذا كانت الأسطورة البابلية الوثنية التي ترجع إلى ما قبل موسى بأكثر من ألف سنة تقول في وقائع بطلها «جلجامش» إنه كان يبحث في أرض بابل كلها عن النبات الذي تتخذه الآلهة غذاء يعطيها المناعة ضد الشيخوخة، ومن ثم ضد الموت أيضًا، (النبتة التي يأكلها الشيخ فيعود شابًا)، ويستمر البطل جلجامش في رحلته بحثًا عن دواء الشيخوخة والموت، فتنزعج الآلهة، وترسل إليه الإلهة «عشتروت» إلهة الحب والجمال والشهوة الحسيّة، فيسألها إن كانت تعرف هذه الشجرة - أو النبتة - فتقول نعم، فيتبعها حتى إذا كان على شفير (جهنم) ألقت به فيها، وفرّت. فإذا كان خلود الآلهة، والجنة والنار والحب والجمال والشهوة أمورًا معروفة - في المنطقة نفسها في وادي الرافدين ووادي النيل قبل موسى بقرون طويلة -. فكيف «نسي» الراوية الإشارة إليها، ولو بإيجاز، في التوراة المكتوبة «بأصبع الله» حسب ما صرح به كتابهم؟!

البدائية تتحكم في المجتمع اليهودي!

على أية حال لا يُعرف لليهود مدوّنة في الشريعة والقضاء قبل سفر التثنية الذي لا يرتفع إلى أقدم من القرن السابع قبل الميلاد، وكان في مملكة داود وسليمان قضاة - لا من نوع القضاة الذين خلفوا موسى ويوشع بن نون -، إذ كان يندر فيهم القاضي بمفهوم العالم بالأحكام، الأمين على تطبيقها، وربما ظلت البدائية تتحكم في هذا المجتمع حتى اضطرّ في القرن الخامس قبل الميلاد إلى ترك فلسطين إلى العراق (السّبي البابلي)، وإلى الانتشار في آسيا بعد ذلك خصوصًا في إيران، وهذه كلها بلاد زراعية وصناعية نشطة، شديدة التدقيق في حدود الملكية الفردية ومختلف أساليب التحقيق والتثبت من الشهود وجمع القرائن وإصدار الأحكام ومراقبة تنفيذها، كما يشهد بذلك قانون حمورابي الذي تمّ إعداده قبل التوراة بأربعة قرون. وعاد اليهود من السبي البابلي إلى فلسطين، وأعيدت كتابة «التوراة» وتبين أحبار اليهود أن معظم اليهود قد نسوا اللغة العبرية!

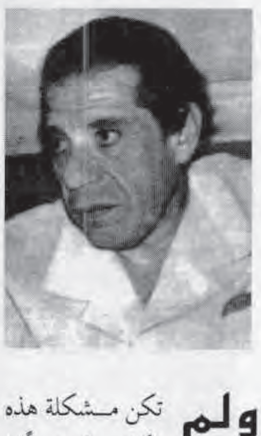
وعندما افتتح عزرا الهيكل الذي أشرف على تشييده هو والنبي نحميا ووقف ينصت إلى قراءة الكهنة، أمرهم أن يفسروا للناس ما يصعب فهمه من النص. وتقول سيرة النبي عزرا (العزير) في العهد القديم إن هذه القراءة استغرقت من مطلع الشمس إلى الزوال، وهي مدة قصيرة جدًا لا تكفي لقراءة سفر واحد من الأسفار الخمسة، فضلاً عن تفسيرها. ولذلك بدأت الترجمات تظهر بعد هذه الحقبة، الترجمات الآرامية التي أنجزها أونكلوس ويوناثان، والترجمة اليونانية السبعينية في عهد البطالسة في الإسكندرية، والترجمة السريانية (البسيطة) في أنطاكية أو الرها أو جنديسابور.

ولم يظهر في الفقه والإفتاء وقواعد الأحكام كتاب يُعتدّ به، أو مذهب يلقى إقبالاً من المتبعين اليهود قبل الفقيهين «هليل» ومعاصره «شماي»، وقد عاشا في الفترة نفسها التي ولد فيها المسيح عليه السلام، وكانت فترة حافلة بالعنف والقتل والحوادث الجسام.

كيف يروي الـ

(فن رواية الرواية)

د. نعيم عطية



في كتابهما بعنوان «عالم الرواية» أثار الناقدان الكنديان بورنيف وأوليه - وهما من أساتذة جامعة لافال بكويبيك - أثارا قضية «رواية الرواية» أو بعبارة أخرى «كيف يروي الروائي روايته». وقد أوضحا أنه تتمثَّل في العلاقة الصريحة أو الضمنية التي يقيمها المؤلف بين الرواية والقارئ نقطة البدء في العمل الروائي، ويتوقف على طبيعة هذه العلاقة المسار الذي سيمضي فيه العمل الروائي كله.

ولم تكن مشكلة هذه العلاقة تؤرِّق بال الكاتب كثيرًا في أغلب الأعمال الروائية التي عرفها القرن التاسع عشر. فقد كان المؤلف يحكي، وكان الجمهوريتلقَّى بكل بساطة ما يكتبه. وبذلك أقصيت عن أساليب الرواية تلك الطقوس التي كانت تحيط بالحكاية الأسطورية. وفي بعض بلاد الشرق يبدأ العمل الروائي بالراوي يقول لمستمعه: سوف أحكي لك قصة ليست صحيحة على إطلاقها، فيقول له المستمع: هات ماعندك. فيستدرك الراوي قائلاً ولكن حكايتي ليست كلها ملفّقة. وبعد أن يهيّيء الراوي ذهن مستمعه بهذا التمهيد الطقسي يعرض حكايته. ومعًا يمضيان، الراوي ومستمعه إلى اكتشاف حقيقة دفينة وراء الأكذوبة المروية.

وفي بعض الأحيان، لا يقتصر الحوار بين الراوي وجمهوره على أن يكون إجراءً طقسيًا للدخول إلى محراب الحكاية، بل يكون بحق نوعًا من الجدل يوافق فيه الجمهور على بعض ما ينقلّه إليه الراوي من أخبار، ويعارضه في بعض آخر. وعندئذ يتبيّن أن الراوي ليس المطّلع الأوحد على الحقيقة المروية. ولهذا فهو يرتضي النقاش، ويخضع له.

وقد فهم ديدرو - وهو أحد الروائيين والموسوعيين في القرن الثامن عشر - هذه الخصيصة الأصولية لفن الرواية، فكتب في صدر أحد أعماله يقول: «عندما نحكي حكاية، فمفاد ذلك أن هناك مَنْ نحكيها لهم. ومن النادر ألاَّ يقاطع هؤلاء الراوي في حكايته. ولهذا قد أدخلت في الحكاية التي ستقرؤونها، والتي هي ليست بحكاية، أو هي - إن شئتم - حكاية سيئة، أدخلت شخصية تؤدِّي دور الجمهور المُقاطِع. وهأنذا أبدأ..».

وإذا كان الراوي في الأعمال الروائية للقرنين السابع عشر والثامن عشر يخفي عادة وجوده، أو على الأقل لا يشغل بإقامة روابط واضحة بينه وبين شخصياته، بل وكثيرًا أيضًا ما كان المؤلف ينكر صلته بحكايته، فيضيف إلى روايته شخصية تتمثل مهمتها مثلاً في أن تذيع على الجمهور محتويات مخطوطة وقعت في يده، أو كانت بين يديه ولكنه كان مكلّفًا الإبقاءَ عليها في طيّ الكتمان، وهاهو ذا يعلنها. وقد يُدْخِلُ هو بهذا الصدد تصويبات على المخطوطة، أو يعيد ترتيب شذراتها، أو قد يعلق عليها. وتتخذ هذه الشخصية أهمية كبرى في «رواية الرسائل» حيث لا يقتصر الأمر على تعليل نشر هذه الرسائل، أو إيضاح بعض ما غمض منها، بل قد يمتد الأمر إلى إسقاط بعضها، أو إعادة ترتيبها على نسق معين. ولترتيب الرسائل عند النشر أهميته ودلالته، إذ إن كل تبديل في ترتيب الرسائل أثناء الصياغة، أو تبعًا لتتابع الطبعات، يمكن أن يغيِّر إلى حد بعيد من مفهوم العمل وبنيته.

ويصبح الحوارُ بين الراوي والقارئ أكثر انفتاحًا عند مالا يقتصر الراوي على إطلاق تفسيراته متحذلقًا أمام القارئ للتدليل على فراسته، بل يعمد إلى طرح سؤال أو يدعو إلى إجابة. ومصداقًا على ذلك نرى ديدرو يقول في روايته «جاك القدري»: أيها القارئ، يساورني وسواس أن تكون أنت قد مَنَحْتَ جاك أو سيده بعضًا من خواطرك التي هي ملك لك، فإذا كان الأمر كذلك فإنك تستطيع أن تستردها دون أن يكون في الأمر حرج.. إن ديدرو يريد أن يحملنا بذلك على التخلي عن مقاعدنا كمتفرجين، والنزول مع شخصياته إلى الحلبة كي نشترك مع المؤلف في ابتداع عمل جديد، أبلغ دلالة من العمل المطروح ذاته. وليس في تدخل الراوي ما يعطل الخيال الروائي، لأن الخيال اكتشاف حقيقة جوهرية، أكثر خفاء وعمقًا من الحقيقة اليومية. أما كيفية الوصول إلى هذه الحقيقة الجوهرية فهذا ما يتصدى له فن «رواية الرواية».

إن التراث الشفوي والتراث الديني يفترضان وجود رواية لا يتطرق الشك إلى حيثياتها. ففي التراث الشفوي تعتمد الرواية على حيثية المأثور الشعبي الذي يرويه، وفي الأدب الديني نجد الراوي شخصًا ملهمًا يزوّده الله بالمعرفة والحكمة. فهذا الراوي يسبر أغوار القلوب، ويهتك حجب الغيب والماضي؛ ومن ثم بإمكانه أن يدلي بأحكام قاطعة. ولكونه عليمًا بسر الحياة والموت فإن كلمته هي

...راوي روايته

الكلمة الأخيرة فيما يتصدى له. ثم جاء الاستنجاد بربة الشعر والأدب. مما يعد دليلاً على أن الراوية ما عاد يرتكن لغير العبقرية الفردية، التي منحتها الطبيعة لمن كانوا ذوي بصيرة خاصة. على أنه مع تطور التاريخ القديم ما عاد صاحب الكلمة يستمد نفوذه من قوى علوية، بل من ذكائه فحسب. وإذا عدنا إلى أرسطو وجدناه يفضّل من الحكايات الهوميرية ما قلّ تدخل الشاعر فيها تاركًا المسرح لأبطاله يتحركون عليه مباشرة وتلقائيًا. ومن ثم نجد منذ القدم مفهومين للرواية. ولا زال هذان المفهومان يتنازعان القرن العشرين كله. في المفهوم الأول تظهر بصمات الراوي بجلاء على العمل الروائي، فهو يعرف عن شخصياته كل شيء، ولا يتردد في أن يغزو حكايته كلها جالبًا أحكامه وتعليقاته، عارضًا جزءًا من التاريخ، شارحًا العادات والتقاليد. وفي المفهوم الثاني تخف قبضة الراوي عن موضوعه، وتطفو الشخصيات على السطح متفتحةً مفصحةً عن مكنونات صدورها، وترسم مساراتها بنفسها، أو على الأقل فإنها هكذا تبدو.

ولنقرأ في هذا المقام بعض أقوال الثقات؛ ففي رسالة لفلوبير في الثامن عشر من عام 1857م يقول: إن الفنان في العمل الروائي صاحب القدرة على كل شيء، بالرغم من أنه لا يكشف عن ذاته. وفي عام 1920م أصدر الناقد الأمريكي بيرسي لوبوك كتابه «حرفة الرواية» وفيه يقول: لا يبدأ فن الرواية إلا عند ما يفكر الروائي في حكايته كموضوع قادر على أن يحكي نفسه. ولهذا يُفضّلُ ضميرُ الغائب على ضمير المتكلّم في سرد العمل الروائي. ويضيف الناقد الأمريكي واين بوث في هذا المقام فكرة «الشقّة الفاصلة» بين المؤلف وشخصياته. ويرى أن كل عملٍ روائيٍ ينطوي على افتراض وجود شخصية تَروي أحداثها، وهي تختلف عن شخصية المؤلف التي نعرفها في الحياة اليومية، أو التي عرفناها في أعمال سابقة له. وهكذا نجد العملَ الروائي يتدرَّج من المؤلف إلى الراوي إلى الأبطال المروي عنهم إلى القارىء. فالعمل الروائي بذلك يقوم على علاقة رباعية الأطراف. وتقيم هذه العلاقة شقةً فاصلة بين المؤلف وشخصياته؛ فكل من المؤلف وشخصياته تتوسطهما شخصية الراوي. وهذه الشقة الفاصلة يمكن أن تكون زمنية عند ما تَحْكِي الرواية أحداثًا وقعت في زمن غير الزمن الواقعي الذي يحياه المؤلف. كما يمكن أن تكون مكانية عند ما تحيا الشخصيات في أماكن مُنبتّة الصلة بالأماكن التي يحيا فيها المؤلف. وقد تكون الشقة الفاصلة متمثلة في التباين الجذري بين المؤلف والبيئة الأخلاقية والنفسية والفكرية التي تتحرك فيها الشخصيات.

وفي عام 1946م نشرت دارجاليمار الفرنسية مؤلَّف جان بويون بعنوان «الزمن والرواية» وقد خصّص المؤلف كتابه للمشكلات التي يثيرها فن «رواية الرواية» ويرى بويون أن أمام الروائي ثلاث طرائق لعرض مشروعه الروائي: في الطريقة الأولى يختار المؤلف شخصية يجعلها مركزًا للرواية، ومن خلال عيني هذه الشخصية نرى الآخرين، ومن خلال وجدانها نحيا الأحداث المروية. أما في الطريقة الثانية، فإنه بدلاً من أن يتمركز داخل الشخصية ينصّب الروائي نفسه ناقدًا موضوعيًا لنزوات الشخصية وشططها. ويتمثّل الفارق بين هذه الطريقة والطريقة الأولى في أن الراوي يقتصر في الطريقة الأولى على أن يستشعر وجدان الشخصية ويسجل خلجاتها، ماضيًا معها خطوة بخطوة. أما في الطريقة الثانية، فالراوي يقيم من معارفه وعلومه معيارًا لتقييم مسالك الشخصية التي يتصدّى لها، ويرفض أن يتّحد معها. ففي الحالة الأولى نجد المؤلف يرافق البطل، بينما في الحالة الثانية يعترض طريقه ويستوقفه. أما في الطريقة الثالثة فلا يعتدّ الروائي إلاّ بالوسط الذي تتحرك فيه الشخصيات وبمظهرها العضوي (الفيزيقي)، وبسلوكها بوصفه شيئًا تقع عليه الحواس.

وإذا أردنا أن نتخلّص من الخلط الذي يمكن أن يجلبه هذا التقسيم الثلاثي لطرائق توصيل ما يريد أن يقوله الروائي إلى القارئ، فإننا نفرّق بين حالتين: حالة أن تكون «بؤرة الحكي - وفي لغة الحكو - الروائي» داخل الرواية، وحالة أن تكونَ خارجها، أو بعبارة أخرى: الروائي قد يكون داخل العمل الروائي، أو قد يكون خارجه.

لنقف الآن أمام حالة الروائي عندما يكون داخل الحكاية المروية.

وإن أوضح نحو يكون به الروائي حاضرًا داخل الرواية، هو أن يَحكي ذكرياته، فهو بذلك يضع نفسه في موقع يمكّنه أن يبسط نظرة شاملة على مادة روايته كلها. قد تكون نظرته تلك ذاتية ضيِّقة، خاضعة للتحفظات، ولكنها ممتازة من حيث إنها تسمح - نظريًا على الأقل - بالتغلُّب على التضاد التقليدي بين الشخص والموضوع. إذ يصبح الشخص ذاته هو موضوع الرواية. وفي الأعمال التي تبنَّت شكل الذكريات المروية، تسعى الشخصية إلى أن تستجمع شملها، وتعطي معنىً لتجربة من حياتها بمحاولة استخلاص نواحي القوة والضعف فيها. إن البطل الراوي يعرف ابتداءً نقطة البداية ونقطة النهاية فيما يرويه. وإذ يسيطر على مداخل القصة ومخارجها، فإن باستطاعته أن يلجأ بعد ذلك إلى التصميم، واستخلاص العبر وإطلاق

إن أوضح نحو يكون به الروائي حاضراً داخل الرواية، هو أن يحكي ذكرياته، حتى يمكن أن يبسط نظرة شاملة على مادة روايته كلها

الأحكام. فإذا كان الراوي، وقد تقدمت به السنون، ينكبّ على ماضيه يرويه لقارئه، فمن الممكن أن يفكر في إفادة الآخرين بحكمة شَقيَ من أجل الوصول إليها. وإذا كان يكتب من أعماق سجن زُجَّ به فيه، فمن الطبيعي أن يدعو قارئه - وهو يروي له تجربته - إلى عدم ارتكاب ما ارتكبه هو من خطأ. ومن ثم كان أسلوب رواية الذكريات يمكّن الراويَ من أن يخلط مادته الروائية بكثير من التعليقات والأحكام والتوجيهات التي يشبه فيها الراوي المحايد الذي يتخذ موقفه خارج العمل الروائي، والذي سنلتقي به فيما بعد.

ولكن «رواية الذكريات» سرعان ما تتسم بطابع الموضوع المُعَدّ مقدمًا. ولكي يلجأ الكاتب إلى تخليص عمله الروائي من هذا الطابع الرتيب، قد يحكي الرواية على لسان راوٍ لا يحمل القارئ على الثقة بصدقه تمامًا، مما يحمل القارئ على أن يكون متيقظًا لما يُروَى له، كي يضبط الروائي متلبّسًا كلما زاغ عن ذكر الحقيقة، أو بدا على روايته عدم الوضوح والصراحة.

ونجد تطبيقًا لذلك في رواية «السقوط» للكاتب الفرنسي البير كامو حيث يستثير الراوي قارئه بهذه الملاحظات: أعرف ماذا تظنون. من الصعب تبيُّن الخطأ والصواب فيما أحكي. أعترف بأنكم على حق. أنا نفسي - تصوروا - كنت أقسّم الناس إلى ثلاث طوائف، أولئك الذين يفضلون ألا يكون لديهم ما يخفونه على أن يضطروا إلى الكذب، وأولئك الذين يفضلون أن يكذبوا على ألا يكون لديهم ما يخفونه، وأخيرًا، أولئك الذين يحبون في الوقت ذاته الكذب وكتمان السر. وإني أترك لكم أن تختاروا الصفة الأكثر مناسبة. وماذا يهم بعد كل شيء؟ ألا تخطو الأكاذيب على طريق الحقيقة في النهاية؟ وحكاياتي، صادقة كانت أو غير صادقة، ألا تسير كلها إلى المصير ذاته؟

لا شك أن كامو يقصد بذلك أن يدفع القارئ إلى أن يتوحَّد بالراوي المتخيَّل، ويشاركه العمل من خلال يقظته في عمليات الاقتناع وعدم الاقتناع بما يرويه.

وفي رواية «السيد بولهام» لماركان، يحكي الرواية شخص يتّصف بالظُّرف، لكنه محدود الأفق، قليل الذكاء. وببراعة يقود المؤلف روايته، دون أن يدرك الأخير ذلك، إلى أن يروي حتى ما يجهله البطل ذاته، وهو تورُّط زوجته في علاقة غرامية بمن يُدْعى هاري. ومثل هذا الإجراء يمكن أن تصاحبه نبرة سخرية من الصعب أن تتوفر لو كان البطل نفسه هو الذي يحكي عن نفسه مباشرة.

وفي «رسائل فارسية» لمونتسكيو نجد المؤلف من خلال سذاجة الزائرين الفارسيين، يصب في كلماته نقدًا لاذعًا - ما كان بالإمكان، بغير هذا الإجراء، أن يُقْدِمَ عليه - نقدًا للعادات والتقاليد والنظم، وهو ما أتاح للقارئ الفرنسي في القرن الثامن عشر أن يُلْقي نظرةً جديدة على بلاده والحياة فيها.


فلوبير

وفي أحيان كثيرة لا يجعل الروائي الفواصلَ واضحةً بين الراوي وأبطاله. ويكتفي بأن يترك لقارئه أن يخمِّن هذه الفواصل، أو يدعِّم راويه الأصلي ببعض الرواة الثانويين، مثلما فعلت إملي برونتي في «مرتفعات ويذرنغ»: إن لوكوود في هذه الرواية كان شاهدًا لعدد ليس بالكثير من الأحداث. أما أغلب المادة المروية فإنه يستقيها من نيللي دين، التي لم تر أو تسمع كل ما ترويه، وإنما غالبًا ما سمعته من آخرين. ومن ثم يجد القارىء نفسه إزاء حكايات أو أحاديث مرت إليه عبر أربع شخصيات على الأقل: هيثكليف، وإيزابيل، ونيللي دين، ولوكوود. وعندئذ كيف لا يساور القارئ الشك في أن يكون كلٌّ من هؤلاء الرواة، لاعتبارات عاطفية، قد أضاف إلى المادة المروية أو حذف منها؟ وقد استخدمت الرواية على مدى تاريخها الطويل هذا الأسلوب التداخلي «الذي تكلّم عنه جان بول سارتر في كتابه «ما الأدب؟» مميزًا بين الراوي الأول ويسميه «الذات الأولى»، والرواة الثانويين الذين يتدخلون في مسار الرواية ليحكوا بدورهم مالاقوه من صنوف الدهر، وهؤلاء يسميهم سارتر «الذوات الثانوية» وهي تتعلّق «بالذات الأولى»، وتتدعَّم بها. وهكذا تتاح لقصص كثيرة أن تَخْرج إلى الوجود في الحيز الروائي، وتكتسي شكلاً على المستوى الثانوي.

ويجدر أن نلاحظ في هذا المقام أن «الذوات الثانوية» قد تسبِّب «تعددية» تضفي على الرواية طابعًا مُبْهمًا وغير محدَّد.

وتمضي المحاولات الروائية لتكسر رتابة القصة المسبَّقة، فنجدُ تجاربَ لبناء المصادفة في كل لحظة تجيء. ومن ثم بدلاً من أن تأخذ الأحداث والأشياء موضعها النهائي في الزمان والمكان، فإن هذه الأحداث والأشياء تكتسي بطابع من «التأقيت» و«العرضية» فتبدو الأحداث والأشياء «فجائية» مما يزلزل منظور الماضي والحاضر، كواقع مستتبٍّ، ويبعث في الحياة جريانًا جديدًا، وتبدو الحقيقة بركانًا لا يهدأ له قرار.

وتطبيقًا لذلك، فإنه لمما يزيد الطابع غير اليقيني للأحداث الروائية، وانفتاحها على غير المتوقَّع، أن يعمَدَ الراوي إلى الحديث عن شخصية بذاتها، أو شيء بذاته على ألسنة عديد من الرواة، أو على لسان راوٍ واحد لكن في أكثر من مناسبة أو أكثر من زاوية؛ فإن اختلاف وجهات النظر في الشخص الواحد أو الشيء الواحد أو الحدث الواحد من شأنه أن يزيد الأمور إبهامًا وعدم يقين، وذلك من مزاياه على أي حال إثارة ذهن القارئ ليكوِّن وجهةَ نظر خاصةً به.

وللرواية «الرسائل المتبادلة» صلاحياتٌ خاصة في هذا المقام. ذلك أن الرسائل المتبادلة تتضمَّن آراءً متباينةً، وأحيانًا شديدة التباين، عن الفعل أو الشيء أو الشخص الواحد، مما يشير نسبية الحقيقة، ويدعو إلى القول بأنه ليس هناك حقيقة وحيدة على المستوى الإنساني، بل هناك - على حد قول لويجي بيرانديللو - أكثر من حقيقة. إن

الرواية التي يكون فيها الراوي خارج أحداثها تقترب من «الكتابات التاريخية»، ذلك أن النص التاريخي «قول بياني يقصي عنه كل ما هو سيرة ذاتية»

كيف يروي الراوي روايته

كـاتب الرسـائل يمكن أن يكتب عن الحـدث الواحد في رسـائله أكثـر من مرة، وعلى أكـثر من نحو، تبعًا لظروف عديدة، منها مثلاً اختلاف من يوجه إليـهم رسائله. وقد كـان لهذه النتيـجة التي يقـود إليهـا الفن الروائي الـفضل في كـشف خصيصة جـوهرية في موقف الذات الإنسانية من الوجود. وربما خـفيت هذه الخصيصة على كثير من الفـلاسفـة أنفـسـهم، الذين تصـدر عنهم تصريحـاتٌ تُهوِّنُ من شـأن الفن الروائي، أو على الأقل تستخف بعطائه التأملي.

إن الروائيين الـذين تـخلّـوا عن روايـة المؤلـف العليم بكل شـيء، قـد واجـهـوا مشكلة صياغية تتمثَّل في التوصُّل إلى عـمـليـة جـمـع وتـنويع (أوركسترالية) للضمائر المتكلمة في العمل الروائي تتيح لهم أن يعرضوا مـا تكْتسي به الأحـداثُ من تعـدد الأبعاد، ويحتمهـا عليهم مـا أخذوهَ على عاتقهم من حذف الوسائط بين القـارئ ووجـهـات النظر الذاتيـة لشـخـصيـاتهم الروائيـة. فـقـد تعلّق الأمـرُ لدى هؤلاء الروائيين بإدخـال قارئهم إلى أعماق الضـمائر المتكلمة في العمل الروائي، كما لو كان يزج به في طاحونة دائرة، فعليه أن يتوحد مع هذه الذوات المتكلِّمة. وقـد عَلَّمَ جـيـمس جويـس على الأخص الروائيين الجُـدد البحثَ عن «نمط لـلواقعية» يـسـميه سـارتر «الواقعية الخام للذاتية» تتجلّى بعد استبعاد الوسائط من (الحكـو) الروائي، ورَدْم الشُـقَّـة التي كـانـت تفـصل من قـبل، بسـبب الوسـائط المذكـورة، بين القارئ والضمـائر المتكلِّمة في العمل الروائي. وفي هذا يقـول آلان روب جريـيه فـي كتابه «نـحو رواية جـديدة» إن الحكاية كلهـا تدور في دماغ القـارئ، وهو الذي يتخيلها. إن ما يطلبه ليس عـالمًا مكتملَ البناء، مـقْفَـلاً على نفسـه، بل على العكس فـإن ما يطلبـه هو أن يشـارك فـي بناء العـالم، وأن يبـتـدع بدوره، وبالتـالي يعلم كيف يبـدع حيـاته الخاصـة أيضًا.

ولننـتقل الآن إلى حـالة الـروائي عندمـا يكون خـارج العـمل الروائي، وسـوف نلاحظ أن الرواية التي يكون الراوي فيـها خارج أحداثها تـقترب من «الكتابات التاريخية» ذلك أن النص التاريخي «قولٌ بياني يُـقْصى عنه كل مـاهو سيرة ذاتيـة». ومن هنا تَبينُ دلالةُ الصيغة الزمنية المستخدمة. إذ إن الكتابة في هذا المقـام تكون ذات طابـع تقـريـري، تتناول بالعـرض أحـداثًا وقـعت في الماضي. ويقـوم النص إذن على صيغـة الفعل الماضي، لأن الأحداث تمت وانتـــهـت، ويأتي الـراوي ـ الذي هو من خـــارج الأحـداث ـ ليُـعلن حـدوثهـا. وعندمـا يسـتـخـدم الروائي صيغة الماضي، فـإنه يقصد بذلك أن يعطي لنصِّه الروائي الهـدفَ المبتغَى مـن النص التاريخي، وهذا الهـدف ليس متـابعـةَ تجـربة ذاتيـة، وإنما هو عـرض عـالم صـار له وجـوده، ويواجـهـه الـروائي مـواجـهـة موضوعية، أي من خارجه.



جان بول سارتر

إن اسـتخـدام صيغـة الماضي بالإضـافـة إلى ضـمـيـر الغـائب، يترجم بوضوح عالمًا يقتصر الروائي على تقرير وجوده، دون أن يتدخل فيه مُـدليًا بأحكام أو مُفْضيًا بآراء. إن الروائي بلجوئه من خارج العمل الروائي إلى سـرد الحكاية متـتابعـة الوقائع، بوضعهـا في سلسلة تفسر سابقتهـا لاحقتهـا يكون قـد قال شيـئًا. ولكن الروائي يتـجـاهل خـصـائص النص التـاريخي في بعض الأحـيان ويعمـد إلى تعليـقات ثانويـة على هذا العـالـم الذي يســجِّل وجـودَه تاريخيًــا. وعندئذ نجـد الروائي يحـاول أن يطعِّم الحقيـقة المروية بقيم هي نتـاج «مثالية» قـد تنبو عن «الواقعية» التي يفتـرضها النـص التاريخي. ويكون على النقـد كي يحـكم على الرواية التـاريخيـة أن يتسـاءل عما إذا لم تكن واقـعية هذا النص بكافية لاحتواء معناه ودلالته.

قـد يقـال: إن الشـخـصـيـات الروائيـة مـثل الشـخـصيـات الواقعيـة سجناء المكان واللحظة الآنية، ومن ثم فـهي محكوم عليـها برؤية جـزئيـة للأشـيـاء، فليس بإمكانهـا أن ترى في الآن ذاتـه جـانبي برتقـالة. وعلى ذلـك، فـإن تدخُـلات الروائي تـكون ذات جـدوى. إلاّ أن تدخـلات الروائي قـد تفصح أيضًـا عن «نرجسيـة» لا يقنع صاحبها بالبقاء وراء الكواليس، ولذلك فان الأمر بالنسبة للنقد يتـوقف في النهاية على تحديد ما إذا كان تدخل الروائي ـ الذي هو من خارج الرواية ـ قد عوَّق الحرية الممنوحة لشخصياته أم لم يعوقها، فقـد لا يدفع الروائي شخصـياته إلى تبنِّي وجـهة نظره في الأشياء، بل يتركها تتحرك وتتكلم على سجيَّتها، مكتفيًا بأن يتحدث هو أيضًا كروائي إلى جوارها، بحيث لا يكون حديثه هادمًا لها، بل مكملاً.

ولنقف عـند رواية «مـدام بوفـاري» لفلوبـير لتتبين الكثير مما قلناه فيـمـا تقدم. فـهـذه الرواية بتـأرجحـهـا بين «الصيغـة التـقـريرية» و«الصيغـة التـعليـقـيـة» تتيـح الفرصـة لتـأمـلات في «المنهج الروائي». ونجد في رواية «مدام بـوفاري» أن فلوبير يتبنى تارة الرؤية المحدودة للشـخـصيـات، وتارة يجنح إلى الرؤية العامة الشـاملة (البانورامية) لراوية يؤرِّخ لعـادات وتقـاليـد عـصـر، مع عنايـة فلوبيـر الشديدة بإخفاء تبديله للمنظور.

ويقول لنا سارتر في تحليلاته لهذه الرواية: إن فلوبير قد رسم لنفسه مـشروعًا يفلت به من انتمائه إلى «البرجـوازية الصغيـرة» واضعًا نصب عـينيه أن يكون، وأن يـكون فـحـسـب، «مـؤلف مـدام بوفاري»، واجدًا فيها متنفسًا لحياته كلها.

وهكذا، فإن الـرواية قد تكونَ مهـربًا للروائي، ولكن الأمـر لا يقـتـصـر على ذلك. والأجـدر بالاعـتبار هو دراسة الرواية على أنها تنم عن رؤية للوجود تعتمد على مطلب فلسفي يُتَرْجَم في عملٍ يحاول أن يعطي تفسيرًا للوجود الإنساني أو بعض جوانبه. وإذا كانت الرواية المعاصرة قد تخلَّت عن الروائي الذي يعـرفُ كل شـيء عن عـالمه، ويضع نفسـه خارجـه، فإنهـا قد اختطَّـت لنفسهـا مناهج جـديدة مـثل «الرواية المتـعـددة البـؤرات الذاتيـة» و«الرواية التي تتنـاقض كلمـا مضت فـقـراتهـا» أو «رواية الجزازات التي لم تلق لمًا لشـملها بعد» وكل تلك المناهج، إنما تـخفي وراءها حـقـيـقـة وحـيـدة وبسيطة ومـقدسـة، هي أن الشـخـصيـة الروائيـة ليست سـوى انعكاس لنوايا الروائي. على أن ذلك ليس مـسوِّغًـا لتنحيـة المشكلة الأسـاسيـة التي راح سارتر يناقـشها باستـفاضة في كتـابه «ما الأدب؟» ويجـيـب عنهـا قـائلاً إن كل منهج روائـي يرتبط بوجهة نظر إلى الوجـود. وتنبع وجهة النظر هذه لا من العوامل الثـقافية والاجتماعيـة المحيطة بالروائي فحـسب، بل ومن عبقريته الفرديـة التي تحقق كل إضافة إلى فن الرواية.



الدكتور
غازي بن عبدالرحمن القصيبي
ضيف المنتدى في عدد شهر جمادى الآخرة 1418 هـ

نبذة من سيرته:

- من مواليد الأحساء، المملكة العربية السعودية، 1359هـ/1940م.

- حاصل على ليسانس الحقوق، جامعة القاهرة، وماجستير العلاقات الدولية، جامعة جنوب كاليفورنيا، والدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة لندن.

- التحق بسلك التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض حتى أصبح رئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا لكلية التجارة؛ وكان خلال ذلك يعمل مستشارًا لعدد من الجهات الحكومية.

- عُيِّن مديرًا عامًا لمؤسسة الخطوط الحديدية في عام 1394هـ/1974م، وفي عام 1395هـ/1975م عُيِّن وزيرًا للصناعة والكهرباء، ثم وزيرًا للصحة عام 1402هـ/1982م، وفي عام 1404هـ/1984م عُيِّن سفيرًا للمملكة في البحرين.

- يعمل حاليًا سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وإيرلندا.

- له نشاط اجتماعي واسع من خلال جمعية رعاية الأطفال المعاقين، وجمعية البر بالرياض، وجمعية البر بالمنطقة الشرقية، وجمعية مكافحة التدخين، ولجان أصدقاء المرضى، وبيت القرآن بالبحرين.

- له عدد من الدواوين الشعرية: أشعار من جزائر اللؤلؤ، قطرات من ظمأ، معركة بلا راية، أبيات غزل، أنتِ الرياض، الحمى، العودة إلى الأماكن القديمة، ورود على ضفائر سناء، مرثية فارس سابق، عقد من الحجارة.

- من مؤلفاته: عن هذا وذاك، في رأيي المتواضع، المزيد من رأيي المتواضع، التنمية وجهًا لوجه، قصائد أعجبتني، سيرة شعرية، مئة ورقة ورد، الغزو الثقافي، أزمة الخليج محاولة للفهم، العودة سائحًا إلى كاليفورنيا، وغيرها.

ومن آرائه:

«يبدو لي أن أي مواطن بعيد عن الإلمام بأولويات التقنية محروم من الوعي التقني هو مواطن أميّ تقنيًا.. مثل هذا المواطن لا يستطيع تطويع التقنية وبالتالي تحقيق التنمية، ومجتمعاتنا العربية تغص بأمثال هذا المواطن».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

يقول موجهًا حديثه للغرب: «.. كلُّ قاضٍ مسؤولٌ أمام الله مسؤوليةً شخصية مباشرة عن كل حُكم يُصدره.. هذا شيء لا تستطيعون فهمه في الغرب!! كل ما تفهمونه هو العدالة التي تتحقق عن طريق المبارزة بين الدفاع والهجوم.. ولدينا لا توجد مبارزات».

حوار في برنامج «بانوراما» في هيئة الإذاعة والتلفاز البريطانية، نشرته مجلة المجلة في 10آب/ أغسطس 1996م.

«.. ما تفعله مخالب البيروقراطية بالتنمية ليس سرًا مكتومًا يُضيره الافتضاح بل ظاهرة معروفة مألوفة.. كثيرًا ما تكون أهداف التنمية في وادٍ وأهداف البيروقراطية أو جزءٍ منها في وادٍ آخر!!».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

«.. أقول إنَّ الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحوّل تجربته الفردية إلى موقف إنساني: حبيبةُ الشاعر تصبح حبيبة كل إنسان، وألم الشاعر يصبح ألم كل إنسان.. وهكذا يصبح القارئ جزءًا من التجربة الإنسانية التي تحدث عنها الشاعر!!».

من مقالات في الأدب تحت عنوان: هل للشعر مكان في القرن العشرين، ص13، مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

«منذ إنشاء الدولة السعودية الأولى، قبل قرابة قرنين، كان هناك تحالف بين القيادة السياسية، متمثلة في أسرة آل سعود، والقيادة الدينية التي تمثلت في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم في العلماء. وقد أثبت هذا التحالف، عبر السنين، صلابته وقوته وصموده في وجه كل الضغوط والأزمات».

أزمة الخليج: محاولة للفهم، ص122

«إن سبيلنا الإسلامي القويم لا يتطلب منا ما تطلبته الرأسمالية المتطرفة من أتباعها، ولا ما تتطلبه الشيوعية الغاشمة من الواقعين تحت نيرها الجهنمي. الإسلام يعترف بحقوق الفرد كما يعترف بحقوق المجموع، ويرفض أن يخنق حرية الفرد ويقضي على مقومات إنسانيته في سبيل بناء جنة مزعومة على الأرض لم تتحقق ولن تتحقق».

التنمية وجهًا لوجه، ط1، 1401هـ، ص47.

«.. سأطرح عليكم سؤالي التالي: هل للإسلام موقف مناهض للشعر من حيث هو شعر؟ وللشعراء من حيث هم شعراء باستثناء شعرٍ معيّن لشعراء معينين تتوافر فيهم شروط معينة؟ أم إنه لا يتصف بأي نوع من أنواع العداء إلا ما كان لشعراء هجوا الرسول صلى الله عليه وسلم؟».

من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، ط1، 1410هـ، ص5.

تتلقى المجلة أسئلة القراء البريدية على العنوان: ص.ب 3 ـ الرياض 11411، وبالفاكس: 4647851 وبالهاتف 4653027 ما بين الساعة 12ـ 1 ظهرًا، وما بين الساعة 8 - 9 مساءً.

طرائق تعليم اللغة

لغير الناطقين بها

من المادة اللغوية إلى المتعلم

شريف بوشحدان

عرف تدريس اللغات في هذا القرن تطورًا واسعًا بظهور طرائق(*) حديثة قائمة على أسس لسانية ونفسية وتربوية تعمل كلها على النهوض بمستوى مدرّسي اللغات الأجنبية، وعلى تمكين متعلميهم من الملكة اللغوية الكافية. وقد اقترن هذا التطوّر بازدياد الحاجة إلى اللغات الأجنبية؛ إذ كثر طلابها وتنوّعوا بتنوّع الأهداف وتعدّد الأغراض والاحتياجات. وكان حظ العربية ضئيلاً جداً، إذا ما قيس بما يُنْجَز في الغرب من طرائق وبرامج لتعليم اللغات وتعلُّمها. والسبب في ذلك قلّة الأبحاث المتخصّصة في مجال اللسانيات التربوية التي تعطي نتائجها التصوُّر الصحيح للمادة التعليمية وكيفية تبليغها، وتساعد المدرّسين على وضع الطرائق الناجعة.

وظهرت معظم الطرائق الحديثة في الغرب، وتعاقبت بتعاقب الأجيال وتطوّر المواقف والرؤى. وسنقوم بعرض أهم هذه الطرائق مع التحليل النقدي لمبادئها وأساليبها. وإنّ مقوّمات البحث العلمي تفرض علينا الوقوف على حسنات كل طريقة ومساوئها من دون الانقياد وراء كل ما يقوله الباحثون الغربيون.

الطرائق التقليدية عند العرب والغربيين

وهي من أقدم الطرائق التي استُخدمت في تعليم اللغات القومية والأجنبية. وعُرفت في الغرب باسم طريقة النحو والترجمة Grammaire-Traduction. وهذه الطريقة لا تفرّق بين المتعلم الذي نشأ في بيئتها وذاك الذي نشأ في بيئة أخرى كالأعاجم. فالأساليب المستخدمة في تعليم لغة المنشأ هي نفسها لا تتغير عند تعليم الأعاجم وغير الناطقين بها. ففي الغرب تكثّف هذه الطريقة من تعليم القراءة وتحليل القواعد باستخدام اللغة التي يعرفها الطالب (أسلوب الترجمة). وعلى الأستاذ في هذه الطريقة أن يعرض القاعدة بلغة يفهمها الطالب، ثم يطبقها على بعض الأمثلة من وضعه، أو يأخذها من إبداعات مشاهير الأدباء الممثلة للقاعدة النحوية. ويبقى على الطالب أن يحفظ القاعدة عن ظهر قلب، ويلتزم تطبيقها عند القراءة والكتابة. وهو الأسلوب الذي يعتمده أنصار الطريقة القياسية.

والحق أن الطريقة القياسية التي تعتمد على الاستدلال والاستنباط هي التي لجأ إليها علماؤنا القدامى الأوائل حينما وضعوا قواعد اللغة وضبطوا أحكامها، فبعد أن جمعوا النصوص الشعرية والنثرية ونظروا في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، خرجوا من بحثهم الاستقرائي بقواعد نحوية رصدوها بالملاحظة والوصف والتحليل والتركيب، ثم المقابلة قبل إثباتها في مؤلفاتهم. إنها الطريقة التي مكنت الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:175هـ) وتلاميذه من وضع نحو العربية، وليس كما يزعم المتأخرون أنها من وضع الألماني فردريك هربرت (1776-1844هـ) Frederic Herbert(1).

وقد أساء المتأخرون فهم هذه الطريقة في تعليم العربية، حيث قدموا مادتهم بنصوص جامدة وأمثلة لا وجود لها في واقع الاستعمال سوى أنها تخدم القاعدة. وهذا ما أساء إلى تعليم النحو وأدى إلى انصراف الطلبة عن تعلّم اللغة العربية.

ويعتقد أصحاب هذه الطريقة أن تعلّم اللغة بوجه عام لا يتم دون معرفة الطالب قواعدها المجرَّدة، فكان عليه أن يحفظ تعريف أجزاء الكلام من اسم وفعل وحرف، ويميّز بين المعرب منها والمبني، وأن يحفظ تصريف الأفعال في الماضي والحاضر والمستقبل والأمر، وغيرها من القواعد النظرية التي لا تمكّن من الاستعمال الفعلي للُّغة في واقع الخطاب. وقد أدرك ذلك العلامة ابن خلدون فقال: «إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ولا يحكمها عملاً»(2). ويضيف ابن خلدون واصفًا حال تعليم اللغة العربية في زمانه، وهو شبيه بحال تعليمها في زماننا، حيث اهتمَّ المدرسون بتلقين المتعلمين المعرفة النظرية للغة وأهملوا الجانب الأساسي من تعليمها وهو إكسابهم الملكة اللغوية، يقول: «.. وأمَّا فمن سواهم من أهل المغرب وأفريقيا وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثًا، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب، إلا أن أعربوا شاهدًا أو رجّحوا مذهبًا من جهة محامل اللسان وتراكيبه، فأصبحت صناعة العربية، كأنها جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، وبعدت عن مناحي اللسان وتراكيبه، وتمييز أساليبهم وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلّم»(3).



نوام تشومسكي

وقد نجحت الطرائق التقليدية عند العرب والغربيين، سواء بسواء، في تعليم مهارتي القراءة والكتابة، إذ أولت اهتمامًا كبيرًا إلى قراءة النصوص الأدبية الرفيعة ومحاكاة نماذج من أساليب الأدباء الفطاحل. وقد تخرّج بفضلها جيل يتقن القراءة والكتابة السليمة من الأخطاء. وهذه حسنة من الإنصاف أن نذكرها، غير أنَّ هذا الجيل كان يجد صعوبة في التحدّث بطلاقة في واقع الاستعمال، لأنها أهملت مهارتي السماع والتعبير الشفهي، ومن ثم أهملت اللغة بوصفها أداة تبليغ في الحياة عمومًا(4).

والطرائق التقليدية بوجه عام لا تعتمد على مقاييس للانتقاء والتخطيط؛ فقد كان معلم اللغة قديمًا يملي على الطالب مادة النحو بحدودها وتفريعاتها من دون انتقاء أو ترتيب. وليس كل ما يوجد في النَّحْو يُعلَّم. وكان يعرض القواعد حسب تشابهها في المفاهيم النحوية لا على أساس وظيفي(5). وكان بالإضافة إلى ذلك يقدّم للطالب كمية كبيرة من المفردات والتراكيب الجديدة في الدرس الواحد، حتى لتجد عدد الكلمات يكاد يشمل جميع الأبنية التي تعرفها اللغة. وهذا ما يسبب له حبسة ذاكرية على المستوى الإفرادي أو التركيبي، فيصاب بعجز عن التعبير، لأنَّ فكره يبقى مهتمًا بالبحث عن المفردة المناسبة أو التركيب السليم الذي كان قد حفظ منه مثالاً.

ومما يؤخذ على الغربيين قديمًا من دون العرب اعتمادهم في تعليم اللغة لغير أهلها على الترجمة. والترجمة، وإن كانت فنًّا قائمًا بذاته، إلا أنها ليست وسيلة نافعة في تعليم اللغة، فلكل لغة تراكيبها الخاصة، وإنَّ ما يُنقل من لغة إلى أخرى هو المعنى فقط. لذا كانت كثيرًا ما تضلل صاحبها عن معرفة المعنى الحقيقي، فالمفاهيم التي تحدّدها ألفاظ لغة ما ليست بالضرورة المفاهيم التي تحدّدها ألفاظ لغة أخرى. لهذا لا يوجد تساوٍ تام بين كلمتين أو عبارتين في لغتين مختلفتين(6). وهكذا تنعدم إمكانية تعليم اللغة لغير أهلها بطريق الترجمة والنقل، ويبقى أن تُعلَّم باللغة نفسها من دون وساطة مع الاستعانة بالوسائل التوضيحية كالصورة مثلاً.

الطريقة المباشرة Direct Method

ازدهرت هذه الطريقة في الغرب وازداد الاهتمام بها بعد أن ثبت قصور الطرائق التقليدية التي تعتمد على تعليم النحو بشكل مباشر، وتتّبع أسلوب الترجمة في عرض عناصر الدرس وشرحها.

وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد الفرنسي F. Gouin بعد أن نظَّر لها علماء كبار أمثال J. Jacotot الذي ينادي بمبدأ الإجمالية Globalisme في تعليم اللغة الأجنبية. وقد استطاع أن يقنع الفرنسيين بأنها الطريقة المثلى، لأنها تعتمد الأسلوب الطبيعي الذي يتعلّم به الأطفال لغة قومهم(7).

والطريقة المباشرة تعني التعليم المباشر للغة الأجنبية من دون وساطة من لغة المنشأ، فأصحابها يعتقدون أن تعليم اللغة الأجنبية لا يختلف عن تعلّم الأطفال للغة منشئيهم. لهذا بادر أصحابها إلى وضع المتعلم للغة الأجنبية في بيئة لا يَسمع فيها صوتًا أو كلمةً أو عبارةً إلا من اللغة التي يريد اكتسابها.

واشترطوا على المدرس عدم استعمال لغة المتعلّم وعدم اللجوء إلى الترجمة، وإذا استعصى الأمر لجأ إلى استعمال الإشارات والإيماءات أو الرسوم والصور.

يبدأ المدرّس في عرض مادته بالكلمات المحسوسة التي تُعَبِّرُ عن الحقائق المرئية. وهذه الكلمات تُقدَّم في جمل وعبارات حيّة حتى يتعوَّد الطالب منذ البداية أن يتعامل باللغة التي يتعلمها، فيعمد إلى الربط بين الموضوعات والأشياء والأفكار والحالات ربطًا مباشرًا من دون وساطة. وشيئًا فشيئًا يَسْتطيع الأستاذ أن يشرح الكلمات والعبارات الجديدة بالكلمات التي قُدِّمت من قبل، وفي هذا العمل مزيتان:

الأولى: تكمن في تثبيت العناصر القديمة بمعانيها. والثانية: في عدم استعمال الترجمة في أثناء تقديم العناصر الجديدة.

واهتمت الطريقة المباشرة بالجانب الصوتي الذي كان مهملاً في الطرائق التقليدية، فقدّمته على غيره من العناصر والمهارات. فلا ينتقل الطالب إلى مهارة القراءة قبل إعداده إعدادًا كافيًا في نطق الأصوات ضمن الكلمات والجمل.

أما الفهم فيتم باستنتاج معاني الكلمات والعبارات الجديدة من المقام اللغوي، ويستعان في ذلك بأسلوب السؤال والجواب. أما نصوص القراءة فلا تُقَدَّم للطالب قبل أن تتم مناقشتها شفاهيًا، ويكون الطلاب قد فهموا معاني الكلمات وعرفوا المعنى العام للنص(8).

ويأتي التعبير الكتابي في المرحلة الأخيرة، حيث يُكلَّف الطلبة تلخيص

طرائق تعليم اللغة لغير الناطقين بها

من المـادة اللغوية إلى المتعلم

بعض المواضيع التي قرؤوها أو سمعوها. أما القواعد النحوية فلا تُقدَّم بشكل مباشر صريح(9)، بل بكيفية ضمنية؛ لأن الطلبة لم يتعلموا من اللغة الأجنبية إلا الكلمات المحسوسة(10). وبالاستنتاج يستطيع الطلبة أن يستنبطوا بأنفسهم القاعدة. وقد يستعان على ذلك بوضع جداول تحتوي على مثل عديدة لقاعدة واحدة تمكنه من استخلاص القاعدة بنفسه. فإذا تم للطالب ذلك انتقل الأستاذ إلى إعطائه بعض المصطلحات دون التعمق في الشرح والتحليل.

وجملة الأمر أن الطريقة المباشرة كانت أول طريقة تبعد الترجمة، وتقلل من شأن القواعد الصريحة. وما يؤخذ عليها عدم تمييزها بين لغة المنشأ عند الطفل وتعلُّم لغة أجنبية عند الكبار؛ فالطفل الصغير لا يجد غير لغة المنشأ وسيلة للتعبير عن رغباته وحاجاته، فيحاول جاهدًا استعمالها، وهذا ما اصطلح عليه بالدافعية Motivation. بينما لا تتوافر هذه الدافعية لدى المتعلم الكبير. ثم إن الكبير خلافًا للصغير لا يتعلم اللغة الأجنبية بمعزل عن العادات والمهارات اللغوية القديمة، وهذه العادات هي التي تعوقه عن إتقان اللغة الجديدة، وهذا ما اصطلح على تسميته بالتداخل Interference؛ ذلك أن الكبير لا يتعلّم لغة جديدة إلا في ضوء لغة قومه، في أحوال حقيقيّة متنوّعة في أثناء اتصاله المستمر بأفراد المجتمع الذي نشأ فيه.

وإذا كان الهدف من هذه الطريقة تعليم اللغة بكيفية طبيعية وفق الاستعمال الحقيقي لها، فإنها لم تفلح، وبقي هذا الهدف بعيد المنال. ذلك أنها لم تخرج عن إطار الحجرة، وهو إطار مصطنع أبعد ما يكون من الحالات الطبيعية. لهذا نجد الأستاذ في هذه الطريقة يكثف من تدريبات مثل: «ما هذا؟»، «هذا كتاب»، «هذا قلم». وكأن اللغة قائمة من المسميات. وبهذا أبعدت المتعلمَ من أسلوب الممارسة الفعلية للغة، وجعلته يردّد الكلمات أو العبارات دون أن يكون لها سند في الواقع الحي(11).

وخلاصة القول: إنها الطريقة التي مهدت لظهور الطرائق الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية، إذ أولت اللغة المنطوقة اهتمامًا خاصًا، وتجنبت تعليم القواعد الصريحة وجعلتها تُعَلَّم بطريقة ضمنية يستنتجها الطالب بنفسه.

الطريقة السمعية الشفهية AUDIO LINGUAL METHOD(12)

ظهرت في أوربا بديلاً للطرائق التقليدية التي ثبت قصورها في إكساب المتعلم ملكة تبليغية؛ لاعتمادها أسلوب الترجمة واقتصارها على تعليم مهارتين لا تمثلان اللغة في الأصل هما القراءة والنحو.

وقد استوحت هذه الطريقة مبادئها من:

1ـ النظرية اللسانية المتمثلة في البنوية التوزيعية Distributionnalisme التي تزعمها الأمريكي بلومفيلد L.Bloomfield (ت:1949م) الذي درس اللغة من منظور سلوكي؛ فمهمة العالم اللساني في زعمه تنحصر في النظر إلى ظاهر اللغة فقط. بمعنى أن دراسته تقتصر على المبنى الخارجي دون ربطه بالمعنى(13). واللغة عند بلومفيلد لا يمكن معرفتها إلا من خلال سلوك لغوي مرئي حتى يسهل وصفها، ولا يمكن تعلّمها إلا إذا اعتبرناها كذلك سلوكًا(14).

2ـ نظرية التعلّم المتمثلة في سلوكية سكينر Skinner القائمة على التجربة، والتي تقيم علاقة مباشرة مرئية وقابلة للقياس بين المثير الخارجي وردود الأفعال العفوية والمكتسبة(15).

3ـ تجربة الجيش الأمريكي(16) في تعليم اللغات الحديثة لغير الناطقين بها.

لذلك تبنى أصحاب هذه الطريقة اتجاهًا مبنيًا على التحليل الوصفي للغات وفق المبادئ التالية:

أولاً: اللغة نظام من الأصوات تواضعت على دلالتها مجموعة من الناس قصد التبليغ. لذا ينبغي تقديم المنطوق على المكتوب ليتقدَّم بذلك الاستماع والحديث على القراءة والكتابة في الزمن والأهمية. وطبقًا لهذا المبدأ يعمل المعلم على إكساب التلاميذ آليات الحديث السليمة والتركيز على تدريب الأسماع واللسان وإعمال الحفظ(17). وليس هذا بالأمر الهيّن، إذ ينبغي للمعلم أن يعدّ دروسه إعدادًا محكمًا.



سكينر

ثانيًا: اللغة ـ في نظر أصحاب هذه الطريقة ـ عادات لفظية يكتسبها الإنسان بالتدرّب ويمارسها بسهولة كبيرة. وما دامت كذلك فإن أفضل وسيلة لاكتسابها هي الترديد والمحاكاة(18)، فالعادات تكتسب بالاستعمال وتموت بالإهمال.

ثالثًا: بحكم ارتباطها بالبيهافيورية Behaviou-risme، أي السلوكية، فإن الطريقة السمعية الشفهية ترى في الخطأ عادةً سيئة ينبغي تجنبها. وهذا الخطأ يقع بفعل التداخل بين لغة الطالب الأصلية، واللغة الأجنبية. فلكل لغة نظامها التركيبي الخاص. ولا توجد لغتان تتماثل تراكيبهما تمامًا. لهذا من الأفضل أن تُقارَنَ اللغتان لمعرفة الصعوبات التي يواجهها المتعلمون لتذليلها بالتمارين البنوية المكثفة، ولتوقُّع الأخطاء التي قد يقعون فيها حتى يمكن تجنبها.

رابعًا: تتألف كل لغة من عدد محدود من التراكيب والقوالب، ويتعيّن على الطالب أن يحفظها ويتمثلها فهمًا وأداءً ليبني على مثلها تلك العبارات والجمل التي تمكّنه من التفاعل مع الناطقين بتلك اللغة. وهذه نظرة تحويلية أكثر منها بنوية. وفي سبيل تحقيق هذه الطريقة فقد انقسم أصحاب هذه الطريقة في وضع دروس تعليم اللغة إلى فئتين:

الفئة الأولى: ترى في الحوار وسيلة لعرض العناصر اللغوية وتحقيق الانسجام والتدرّج للمادة المقدَّمة، ومحاولة الوصول بالمتعلم إلى ظروف الاتصال الحقيقي، ومن ثم جلب اهتمام المتعلمين وتحقيق الدافعية. وقد لوحظ أن التعليم القائم على الحوار يلاقي نجاحًا كبيرًا(19)، إذ إنَّ الذين يتعلمون بهذه الطريقة يزدادون تعلّقًا بهذه اللغة.

أما الفئة الثانية فتعارض استعمال الحوار؛ لأنه لا يمكّن من وضع تدرّج دقيق لبنى اللغة. لهذا فقد استبدلوا بالحوار مادة التراكيب اللغوية؛ لأنهم بذلك

يستطيعون التحكّم في ذلك التدرج، إذ إنَّ انعدام المقام يتيح حرية التصرّف في تقديم البنى والمفردات(20).

ومهما يكن فقد اعتمدت هذه الطريقة معيار التدرّج وجعلته مبدأ رئيسًا في وضع دروس اللغة. وهذا المبدأ دفع بأنصار الطريقة إلى البحث عن العناصر والبنى اللغوية المطّردة والأقل تسببًا في إحداث التداخل اللغوي. وحتى يكون التعليم سهلاً منظمًا ينبغي أن نقدّم للمتعلم البنى الأساسية الأكثر استعمالاً وأقل صعوبة حتى نتمكن من توزيع تلك العناصر على كل الدروس وفق خطة محكمة.

إضافة إلى التدرّج، تأخذ الدروس السمعية الشفهية ميزتها الأساسية من التمارين البنوية. وللتمارين البنوية فائدة مزدوجة، فهي تعلّم القواعد من دون استخدام المصطلحات النحوية، ومن دون العرض الصريح لقواعد اللغة، «ويمكن اعتبارها وسيلة رائعة لاكتساب آليات لغوية»(21).

إن التمارين البنوية نوعان:

- نوع قائم على الاستبدال؛ استبدال عناصر جديدة بالعناصر القديمة، يقدّمها المعلم داخل الصيغة الواحدة. وهكذا فالعنصر الواحد لا يناسبه إلا جواب واحد. وهذه خاصية تتصف بها التمارين البنوية جعلتها تتلاءم كثيراً مع المختبر اللغوي(22). ومعظم هذا النوع من التمارين يخصُّ الأفعال الآلية التي ربما لا تتطلب إعمالاً كبيرًا للفكر.

- ونوع قائم على التحويل، ويتطلب أن يكون الفكر واعيًا باستمرار، وهو جوهر التمارين لأنه يهتم بتغيير الصيغة لا المادة، وتفريغ الأصل إلى فروع بنوية.

فالاعتماد على قوانين التحويل والتفريغ من شأنه أن يعطي الطالب حرية في التصرّف البنوي والتعبير عن الأغراض المتنوّعة. وقد أثير جدال كبير حول مبادئ هذه الطريقة، فقد رأى بعضهم أن الاستعمال الموجَّه للعناصر اللغوية لا يساعد المتعلم على الاتصال والتبليغ، فالاستبدال في نظرهم لا يمكّن المتعلم الأجنبي من استعمال اللغة في الحالات المختلفة. والحق أنَّ هؤلاء الدارسين لم يتفهموا جيّدًا الهدف والخدمة التي تقدّمها التمارين البنوية. فالتمارين البنوية ليست إلا وسيلة - ناجعة - «للتدريب على التصرّف العفوي في بنى اللغة»(23). وهي مرحلة أساسية قبل الانتقال إلى مرحلة متقدمة من التحليل والتركيب تتنوّع فيها أحوال الخطاب، ويكون من الصعب التجاوب معها من دون المرور بمرحلة التمارين البنوية التي تُصَحَّحُ فيها الأصوات، وتُكتسب فيها المفردات وبعض التعابير الأساسية بوجه خاص، وتُصَحَّح فيها اللغة بوجه عام ولا نطلب منها أكثر من ذلك.

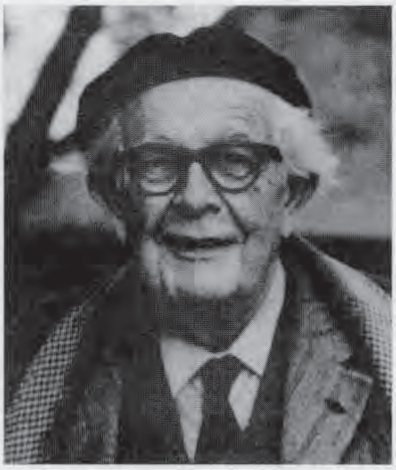
أما التحليل التفاضلي للغات - وهو مبدأ مهمّ في الطريقة السمعية الشفهية - فإن بعض الباحثين يقلّلون من شأنه، لأنه - في نظرهم - لا يُجنِّب من الخطأ، وتُعدُّ هذه النظرة إجحافًا في حق ما تقدّمه البحوث والدراسات التفاضلية Contrastive من نتائج لا تقلُّ أهمية عن نتائج الدراسات التربوية النفسية. فنتائج هذه البحوث تساعد المعلم على تنظيم العناصر اللغوية وعرضها وفق تخطيط يراعي لغة الطالب الأجنبي(24).

وقد ضعف الاهتمام بالطريقة السمعية الشفهية في الغرب بعد أن تعرَّضت النظرية البنوية وعلم النفس السلوكي - وهما اللذان حققا حضورهما - لنقد صارم شنَّه الأمريكي نوام تشومسكي N. Chomesky ضد ما جاء في كتاب سكينر: السلوك اللفظي Verbal Behaviour، وحكم تشومسكي أن النظرية قاصرة، بل عاجزة عن تفسير كل الظواهر اللغوية، وأن اهتمامها بالشكل كان على حساب المعنى.

ومهما تكن هذه الانتقادات فإن الطريقة قد خطت خطوةً عملاقة في عملية تعليم اللغات الأجنبية على أسس علمية واضحة، وأصبحت فيما بعد الأساس الذي تفرَّعت عنه بقية الطرائق.

الطريقة السمعية البصرية Audio Visual Method

حاول أصحاب هذه الطريقة أن يتخطوا نقائص الطريقة السمعية الشفهية ويتفادوا عيوبها. فركزوا على الفهم وأعادوا الاعتبار إلى القواعد النحوية الصريحة لكونها أداة تفيد الاستخدام الواعي للغة. وحاولوا أن يقرّبوا المتعلم من الحالات المشابهة لحالات التبليغ الحقيقية بإدخال عنصر الصورة وإعطائها أهمية خاصة. فالصورة نقطة انطلاق ممكّنة للفهم، وانعكاسٌ لبعض الحقائق الثقافية(25). وقد وُضعت الطريقة وفق الفرضيات التالية:


جان بياجيه

أ - إذا كانت اللغة عبارة عن وحدات لسانية (صوتية ومعجمية ونحوية)، فلا ينبغي أن تُعلَّم منفردة، بل مرتبطة ببقية العناصر الأخرى. لذا فالطريقة السمعية البصرية تعلّم البنى التركيبية فقط.

ب - ما دامت اللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرعٌ عليها، فإنّه يتعيّن على واضعي الطريقة العمل على تدريب المتعلم على التمييز السمعي والنطق السليم. وأما الفهم والتعبير الكتابي فلن يتأتى إلا بعد أن يتحقق الهدف الأول. إذ من دون استماع ونطق سليمين لا يمكن إدراك المعنى، لذلك اهتم أصحابها بالتسجيل الصوتي بوصفه حقيقةً لغوية أجنبية مكمّلة لما يقوم به الأستاذ(26).

جـ - وبحكم الأهمية التي توليها للتبليغ بوصفه الوظيفة الأساسية للغة، فقد اختارت الحوار وسيلة لتحقيق هذا الهدف. فالحوار نموذج من اللغة الشفهية، واللغة عندما أصحاب هذه الطريقة هي التي تجري على ألسنة أصحابها وليست تلك الأنماط والمثل التي يعرضها الأستاذ على المتعلمين، كما هو الحال في الطريقة السمعية الشفهية.

د - ليست اللغة سلوكًا فحسب، بل سلوكًا تحكمه القواعد. لذا عمل أصحاب هذه الطريقة على البدء بخلق الآليات اللغوية أولاً قبل الانتقال إلى المعرفة النظرية للغة التي لا يمكن الاستغناء عنها في المراحل المتأخرة.

الفرق بين الطريقتين: السمعية البصرية والسمعية الشفهية

إن المتفحص للطريقتين السمعية البصرية والسمعية الشفهية يجد بينهما تداخلاً كبيرًا، إذ يشتركان في كثير من النقاط، وهذا أمر يدفع إلى القول بأن الطريقة السمعية البصرية هي طريقة سمعية شفهية مدعّمة بالصور والرسوم. ويمكن أن نحدّد نقاط التقارب والاختلاف بين الطريقتين فيما يلي:

طرائق تعليم اللغة لغير الناطقين بها

من المـادة اللغوية إلى المتعلم

أ ـ الحوار: إذا كـان الحـوار نقطة انطلاق للـطريقـتين والقـاسم المشـترك بينهمـا، فإنّه من ناحيـة الهدف مختلف ومميّز لهمـا. فهو في الطريقـة السمعيـة البصرية نموذج من اللغة المنطوقة يمكن تقليده قصد تحقيق وظيفة تبليغية. في حين أنّه في الطريقة السمعية الشفهية وسيلة لعرض العناصر اللغوية بكيفية متدرّجة.

ب ـ التدرّج: إنّ التـدرّج القائم على أسـاس لغوي في الطريقـة السمعيـة الشفهية قد انتقده أصحاب الطريقة السمعية البصرية لأنّه لا يمكّن المتعلمين من ربط الأنماط والتراكيب المقدَّمـة بأحوال الخطاب. فـهذه الأشكال لا تُدْرَك إلاّ لحظة الاستعمال بجميع مقوّماته.

جـ ـ الفهم: أعادت الطريقة السمعيـة البصرية الاعتبار للفهم الذي لم توله الطريقة السمعية الشـفهية اهتمامًا كبيرًا. وأدخلت الصورة دعـامةً بصرية موحية لتسـهيل الفـهم، بفك الرسالـة مباشـرة دون وساطة من لغـة المنشأ أو اللغـة التي يعرفها الطالب، والاستعـانة بالعناصر غير اللغوية Paralinguistique كالإيحاء والتنغيم. واستخدمت الصورة وسيلة مساعدة على إعادة عناصر الحوار.

د ـ التمارين البنوية: رأى أصحاب هذه الطريقة أن التـمارين البنوية لا تفي بـحاجـة التبليغ، فـاستبدلوا بهـا تمارين إعادة الاستعمـال أو التمارين الحالية التي ترمي إلى اسـتثـمار العـناصر الجديدة في حـالات أخرى مـشابهـة للحالة التي وردت فيها(27). وهنا تكمن أهمية الدروس السمعيـة البصرية بإدخالها عنصر الاسـتثمار Exploita-tion لإعادة استعمال ما هو في طريق الاكتساب.

الطريقة التبليغية: Communicative Approach

ظهرت هذه الطريقة لتفادي العجز الذي اتصفت به الطريقة السمعية الشفـهية في تحقيق الهدف من تعليم اللغـة وتعلّمـهـا، وهو إكسـاب المتـعلـمين قـدرة على استخدام اللغة في أغراض التبليغ اليومية.

والجديد الذي جاءت به هذه الطريقـة يكمن فيما يلي:

أ ـ النظرة إلى اللغة.

ب ـ أساليب تعلّمها وتعليمها.

جـ ـ المادة المقدَّمـة(28).

وقد اقـترن هـذه التغيّر (الاسـتراتيـجي) بظهور نظرية النحـو التولـيدي التحويلي التي جاء بها اللساني الأمريكي تشومسكي وأتباعه، وبنظريات التعلُّم المعرفـيـة، وبالأخص أعـمـال بيـاجي PIAGET، وكـذا نظريات علم اللسـان الاجتماعي الذي يهتمّ باستخدام اللغة في المجتمع ويبحث عن الوظائف اللغوية التي يؤديها ذلك الاستخدام(29).

ففـيما يخصُّ اللغـة فقد اعـتمدت على مـعطيات نظرية النحو التـوليدي التحويلي التي توضّح بأنه انطلاقًا من قواعد أساسية محـدَّدة يمتلكها الإنسان، يستطيع أن يفهم أو يؤلّف عددًا لا يحصى من الجـمل الصحيحة التي لم يسبق له أن سمعـها أو تلفّظ بها من قبل. وهـذه القواعد الأساسيـة التي تمنح الإنسان تلك الكفـاءة وتساعـده على ذلك الأداء هي مـا يُطلق عليهـا الملكة Compe-tence. وأما الأداء Performance، فهو القدرة على الاسـتثمار الفعلي لتلك الملكة في واقع الاستعمال.

غير أن نظرية تشومـسكي بوصفها اللغة بهذا الشكـل تبقى ناقصة إذا لم تُوضَع ضـمن حالات استعمـالها في المجتمع، ولا قيمـة لها إذا لم تُستَعـمل بوصفـها أداة تعبّـر عن حاجـات الأفراد داخل المجتـمع. فاستـخدام اللغـة لهذا الغرض هو المبدأ الذي أضافه هايمز Hymes، وأطلق عليه الوظيفة اللغوية(30)، إذ ليست اللغـة أنماطًا وصيغًـا وتراكيبَ جامدة، بل وسيلة للتعبير عن وظائف تبليغـية مخـتلفة كالطلب، والتـرجي، والأمر، والنهي، والاستـفهام، والتـقرير، والنفي، والإثبات، وغيـرها من الوظـائف التبليـغيـة الأخـرى التي يصـعب حصرها. فمن عبقرية اللغة استخدامـها تركيبًا واحدًا للتعبير عن وظائف لغوية متـعدِّدة، والوظيفـة الواحدة يمكن أن يُعبَّر عـنها بتراكيب لـغوية متعـدِّدة. وأما الأمـر الذي يدفعنا لاخـتيـار تركيب لغـوي معيّن لأداء وظيفة مناسـبة هو العلاقة الاجتمـاعية(31). لذا وجب أن نراعي هذه القواعد الاجتماعية بالإضافة إلى القواعد اللغـوية التي ينبـغي تعليمـهـا حتى يسـهل على الدارس اسـتخدام اللغـة في الحياة الاجـتماعيـة. ولتـحديد تلك الوظائف لا بُدَّ من البحـث عن أهداف التَّعلم لأن ذلك يساعدنا على اختيار المادة التي يراد تدريسها.

الطريقة المباشرة لم تفلح في تعليم اللغة بكيفية طبيعية وفق الاستعمال الحقيقي لها، لأنها لم تخرج عن نطاق حجرة الدرس، وهو إطار مصطنع بعيد من الحالات الطبيعية

وتبعًـا لهذا الاهـتمـام الصريح بالوظائـف اللغوية، فقـد اقترح بـعضهم أن تقدَّم المادة بشكل دائري وليس بشكل خطـي تتـابعي ـ كـمـا كـان الحـال مع الطرائق السابقة ـ حتى يستطيع المتـعلم أن ينمّي قدراته ومعارفـه باستمرار(32).

ويرتبط تدرج التعليم بمسألة اختيـار المادة. فالمادة لا تقدّم تبـعًا لتـدرّجهـا اللغوي، بل لتـدرّجها النـفسي. ومن هنا بدأ الاهتمـام بالاحتياجـات اللغوية Besoins Langagieres لمختلف المتعلمين. وظهرت أبحاث قيمة في هذا المجال نذكر منها تلك التي قام بها كل من رشتريش Richterich(33)، وماكاي Mackay. ويمكن أن نضع تصميمًا للطريقة التبليغية على هذا الشكل:



طرائق تعليم اللغة لغير الناطقين بها

من المـادة اللغوية إلى المتعلم

إن دراسات علم اللسان الاجتماعي والنفسي هي التي تحدّد لنا المادة التي نعلّمهـا في الطريقة التبليغية. أمّا فيما يخصّ أساليب التعلّم والتعليم فإن النظريات المعرفية هي التي تزوّد بها الطريقة التبليغية؛ فالنظرية المعرفية ترتبط بالمعرفة بخلاف النظريات السلوكية التي ترتبط بردود الأفعال؛ كالإثارة والاستجابة والتعزيز والتكرار وغيرها من أنماط التعلّم التي توصّل إليها العلماء من أبحاث أجريت على الحيوانات. ومثل هذه الأبحاث لا تعتمد عليها النظرية المعرفية؛ لأنها لا تفسّر لماذا لا يستطيع الحيوان القيام ببعض أنماط السلوك كتعلّم اللغة مثلاً.

وقد أضاف «هايمز» قدرة ثالثة يمتلكها الإنسان غير الملكة والأداء هي الملكة التبليغيةCommunicative Competence، وما يمكن ملاحظته على الطريقة التبليغية أنها تتمحور حول الطالب. لذا فهي لا تفترض طريقة واحدة للتعليم، بل طرائق متنوعة تأخذ في الحسبان الفروق الفردية بين المتعلمين واختلاف رغباتهم.

ولتحقيق الأهداف التي تطمح إليها الطريقة فإن أصحابها قد استعانوا بكل ما جَدَّ من وسائل وأجهزة بصرية متنوعة. وقد وُجِّهت للطريقة التبليغية بعض الانتقادات تمسّ الجانب التربوي على الخصوص نذكر أهمها:

أ ـ أنّه إذا كانت الطريقة التبليغية تركّز كثيرًا على الوظائف الاجتماعية والحالات التبليغية، فإن ذلك يصلح لتعليم اللغة في موطنها الأصلي ولا يصلح لتعلمها خارجه، لأنّه لا يمكن نقل تلك البيئة إلى مكان تعليمها.

ب ـ تسعى الطريقة التبليغية إلى جعل المتعلم كما لو كان أحد الناطقين باللغة الأجنبية، وهذا يصعب تحقيقه، ثم إنَّ معظم الأفراد يتعلمون اللغة بغرض علميّ أو عملي(35).

وأهم ما نستنتجه أنَّ الطريقة التبليغية لم تتضح عمليًا، إذ مازال الغموض يكتنفها من الناحية التطبيقية. ولم يبيّن أصحابها الأساليب المتبعة في عرض المادة وترسيخها وتركوا للمعلّم حرية التصرّف في هذا الأمر.

وعلى تنوّع المتعلمين وتعدد احتياجاتهم، فإن أصحاب هذه الطريقة جعلوا جميع المهارات اللغوية في مستوى واحد من الاهتمام. والواقع أن أغراض المتعلمين متعدّدة، فهناك الذي يتعلّم لأغراض علمية، ومن ثم وجب أن نركّز له على القراءة والتعبير الكتابي، وهناك من يتعلّمها لأغراض تبليغية، ومن ثم وجب أن نكثف له من الاستماع والتعبير الشفهي وهكذا...

وأخيرًا فإنَّ أهم ما نستخلصه أن طرائق تعليم اللغات بعامة ولغير الناطقين بها بخاصة قد انتقل فيها الاهتمام من المادة اللغوية إلى التركيز على المتعلم بوصفه عنصرًا رئيسًا في العملية التعليمية التعلّمية. فلقد ظل المتعلم بالنظر إلى قدراته وحاجاته المتغيّرة والمستجدة مُغيّبًا، وظل الأستاذ هو المُهيمن، همّه الوحيد أن يقدّم مادةً متماسكة هي نفسها لا تتغير لجميع المتعلمين مهما كانت اختلافاتهم، إلا أنَّ هذا تغيّر مع التطور الحاصل في طرائق التدريس، ولاسيما بعد ظهور الطريقة التبليغية، فقد انصبَّ الاهتمام على ربط المادة بما يجري في الحياة العامة، وبتنظيمها وتبويبها وفق خبرات الطالب ومحيطه الاجتماعي الثقافي والعلمي. وهنا تَحَوَّلَ الحديث إلى التكوين النوعي للمعلمين وإعدادهم إعدادًا كافيًا يتناسب مع هذه المتغيرات.

الهوامش:

(*) هي مجموعة متماسكة من المبادئ اللسانية والنفسانية والتربوية التي تعمل على تحقيق أهداف معيّنة في ميدان تعليم اللغة وتعلّمها. وقد لجأ فريق إلى استخدام مصطلح اتّجاه Approche تمييزًا له من المعنى الثاني لمصطلح «طريقة» الذي يعني الجانب العملي المتمثل في التخطيط العام لانتقاء المادة وترتيبها وكيفية عرضها.

1ـ د. نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص81.

2-3ـ ابن خلدون، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر، 1984م، ص729، 730.

4ـ كانت العربية في زمان الفصاحة اللغوية العفوية لغة مشافهة تستعملها العامة والخاصة، وتحوّلت في العصور المتأخرة وحتى زماننا إلى لغة تحرير وأدب واستبدلت بها العامية في التخاطب اليومي.

5ـ فمثلاً ضمائر الرفع المنفصلة تقدَّم دفعةً واحدة في الدرس الواحد. وفي درس آخر تقدَّم ضمائر النصب. وهكذا دون أن يكون لذلك ضرورة وظيفية.

6ـ إن النظريات البنوية تعتقد أن كل لغة تشكل الكل المتفرّد وأنها تقسم التجربة البشرية بكيفية خاصة.. فالمدلولات ليست لذلك متطابقة.

7ـ انظر: Besse, H. (1985); Methodes pratiques des manuels des langues, CREDIF, Paris, ص31.

8ـ د. محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1985م)، ص80.

9ـ تعني كلمة صريح Explicite في ميدان تعليم اللغات أن اكتساب الملكة اللغوية يرتكز على عرض الأستاذ للقاعدة وشرحها، ويتبع ذلك بتطبيق المتعلمين لها تطبيقًا واعيًا. وتقابلها كلمة ضمني Implicite ومعناها تعليم القواعد بطريقة غير مباشرة.

10ـ إن تقديم القواعد بشكل صريح بوساطة التحليل يتلاءم مع المتخاطبين العارفين لأوضاع اللغة معرفة عملية ويريدون معرفتها معرفة علمية، لكن لا يفيد البتة متعلمي اللغة الأجنبية لأنهم لم يكتسبوا من هذه اللغة الملكة اللغوية الأساسية.

11ـ د. إبراهيم حمادة، الاتجاهات المعاصرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي، القاهرة (1987م)، ص53.

12ـ كانت هذه الطريقة وهي من أصل أمريكي تحمل اسم الطريقة الشفهية ـ الشفهية Aural-Oral Method قبل أن تتغير إلى الطريقة السمعية الشفهية، وعرفت إشعاعًا كبيرًا في الخمسينيات وبداية الستينيات في أمريكا وأوروبا.

13ـ انظر: Dubois, J. (1973), Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, p. 425.

14ـ «سكينر» هو صاحب كتاب السلوك اللفظي (1957م) Verbal Behaviour، وقد ردّ عليه تشومسكي بشدّة في السنة نفسها في كتابه المباني التركيبية Syntactic Structures.

15ـ انظر: Costes, D/Galisson, R: (1976), Dictionnaire de Didactique des Langues,Hachette, Paris, p. 56.

16ـ كان ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث اقتضت الظروف القيام بتعليم مكثف للغات الحديثة لعدد كبير من أفراد الجيش الأمريكي، وذلك لتمكينهم من التحدث بتلك اللغات بطلاقة في مدة وجيزة. وقد كان لهذه التجربة صدى كبير في أوساط المهتمين بتعليم اللغات من الغربيين.

17ـ فقد أولت اهتمامًا كبيرًا بالتمارين البنوية ومفهوم النموذج Modele الذي يحاكيه الطالب ويتدرب عليه في المختبر اللغوي.

18ـ د. علي القاسمي، مختبر اللغة، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1970م، ص24.

19ـ انظر: Gerard, D. 1972, Linguistique appliquee et didactique des Langues, ARMAND Colin, p. 35.

20ـ إسحاق محمد أمين، الأساس البنوي الوظيفي لإعداد الحوار التعليمي وتدريباته، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، (1986م)، ص18.

21ـ انظر: Francois, F. 1974; l"Enseignement et la diversite des grammaires, Hachette, Paris, p. 216.

22ـ المرجع نفسه، ص217.

23ـ د. عبدالرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرّسي اللغة العربية، مجلّة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد الثاني، (1972م)، ص21.

24ـ الدراسات التفاضلية تفيد نتائجها الأستاذ في عرض عناصر درسه بالمتشابه وترك المختلف، وهكذا حتى يطمئن الطالب الأجنبي منذ البداية إلى أنّه لا يوجد خلاف كبير بين اللغتين. وبعد تحقيق هذا الغرض يمكن للأستاذ عرض المختلف شيئًا فشيئًا والعمل على ترسيخه بالتمارين البنوية.

25ـ انظر: Coste, D/Galisson, R، المرجع السابق، ص57.

26ـ انظر Gerard, D، المرجع السابق، ص 38.

27ـ انظر: Besse, H. 1970; La Question fonetionnelle, dans Polemiqueen didoctique des Langues, C.L.E., Paris, p. 49.

28-30ـ د. نايف خرما ود. علي حجاج، اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلّمها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت (1988م)، ص184، 184، 185.

31ـ العلاقة الاجتماعية يمكن أن نعبّر عنها بـ: مَن يحدّثُ مَن؟ ومتى؟ وأين؟ ولماذا؟ وما الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها المتكلم والمخاطَب. انظر، المرجع السابق، ص185.

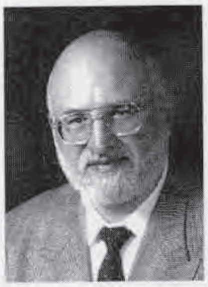
32ـ المرجع نفسه، ص188.

33ـ يميز ريشترش في كتابه Definition des besoins Langagieres et types d'adultes بين نوعين من الاحتياجات، تلك المتعلقة بالأهداف الموضوعية Objectifs التي يمكن تحليلها انطلاقًا من تحليل الحالات النموذجية للحياة، وتلك المتعلقة بالأهداف غير الموضوعية Subjectifs التي لا يمكن تعميمها؛ لأنها تتوقف على الحدث والطارئ والأشخاص.

34ـ انظر كتابه: On Communicative Competence 1971 University of pennsylvania Press.

35ـ د. نايف خرما، ود. علي حجاج، المرجع السابق، ص192.

جدليّة الممكن والمستحيل!



د. خالص جلبي

في مواجهتنا للأشياء نحن حيال ثلاث معادلات: أشياءيمكن أن ننفذها، وأشياء يستحيل أن نحققها، وبين الممكن والمستحيل هناك طيف من الإمكانات، فضمن الممكن هناك أشياء يسهل فعلها، وهناك أشياء يصعب إنجازها، ولذا يجب أن نسأل أنفسنا دومًا هذا السؤال المحوري: هل الأمر الذي يواجهنا مستحيل أم صعب؟؟ لأنه بناء على تحديد الإجابة يتولد أمر في غاية الأهمية، فـ (المستحيل) يعني أن لا فائدة من بذل الجهد، في حين أن الصعب يتطلب بذل الجهد المكافئ، فوحدات من طاقة العمل تذلل الصعوبات حسب حجم الصعوبة، وهي مرتبطة بعامل الزمن حتى يتم تحريرها، فالعملية الجراحية مهما بلغت من سهولة التداخل وصغر الحجم وقصر الوقت تعتبر مستحيلة، إذا افترض العقل إنجازها في خمس ثوان!! ونقل جبل يصبح في حيز الممكن إذا توافرت الإرادة = الجانب النفسي والقدرة = الجانب الفني، مضافًا إليهما عنصر الزمن.

المستحيل: يعني العبثية في الاتجاه، فكل حركة في هذا الاتجاه هي مضيعة للوقت والجهد وعمل في الحقل غير المفيد، وهذه الفكرة إنارة رائعة للحديث الذي ينهى عن البكاء على الماضي تحت مقولة «لو»(1)، والاختلاط يقع بين تداخل هذه الحقول الثلاثة المستحيل، والممكن، بشقية السهل، والصعب، حيث تصبح عقليتنا ترى الأشياء في (تردد = ذبذبة) بين ذُهان السهولة وذهان الاستحالة، وبذلك يختفي مفهوم الصعوبة الذي يعتبر المحرك الأساسي لتحريض آلية بذل الجهد، وهكذا رأى العقل العربي في يوم من الأيام إسرائيل دويلة للعصابات وشذاذ الآفاق، أما اليوم فهي التنين النووي وشمشون الجبار الاستراتيجي، والأمر ليس بهذا ولا ذاك، وينطبق القانون التاريخي على الجميع، ولن تشذ إسرائيل عن قانون التاريخ، فهي منخس التحدي التاريخي، ومقياس (ترمومتر) انهيارنا الحضاري، ومشعر مرضنا وعجزنا، ولذا فهي تمثل كمية من العمل الصعب الممتلئ بالتحدي والقابل للإنجاز، ومن الضروري في المستوى الفردي والاجتماعي تحديد مساحات الممكن والمستحيل والعلاقة الرياضية بينهما، فحين نزهد في الممكن ونحلم بالمستحيل نصبح عمليًا في إجازة مفتوحة، وحين نتعامل مع الممكن فنستفيد منه، فإننا عمليًا ومن خلال الجهد نربط بين طرفي معادلة (الممكن - المستحيل) لنقفز من عتبة الممكن - مع الزمن - إلى فضاء المستحيل.

أحجار على رقعة شطرنج كبيرة
هل هذا صحيح ؟؟!!

وضع الموظف البنكي الكبير ساقًا على ساق، ثم نفث في وجهي دخان لفافته (سيجارته) التي أشعلها ولم يكلف نفسه الاستئذان كثيرًا قبل الهجوم على صحة رئتي وسلامة أوعيتي الدموية، وحدّق في الحضور وتابع الحديث: ياجماعة كل ما يحدث لنا يتم وفق تخطيط خارجي ونحن لسنا أكثر من أحجار على رقعة الشطرنج؟!!

وباعتبار مهنتي المزدوجة (جراح أوعية)، فأنا أصلح الأوعية الدموية في قاعات العمليات، والمجاري الفكرية في جلسات البحث العقلية، وكنت قد فرغت لتوي منذ أيام قليلة من تصليح شرايين مدخن عمره 38 سنة كان يجرُ قدمه بسبب فقر التروية الدموية (Ischaemia) في ساقه اليسرى، ولأنني أصبت بالصداع في جو الدخان، فقمت بتداخلين لإصلاح الوسط: ضباب الدخان لإنقاذ رئتي وأوعيتي من هجوم النيكوتين، من طريق المدخنة المسلطة فوق رؤوسنا، وضباب الأفكار السلبية المعيقة للتنفس العقلي الصحيح!!

الأمثال الشعبية

من خلال خبرتي الميدانية لفت نظري موضوع الأمثال الشعبية وعلاقتها بالثقافة السائدة، ولاحظت أن هناك تيارًا من الأمثلة يشكل عقلية إنسان المنطقة، ومن الغريب تكرر المثل مع تباين اللهجات المحلية، وهكذا نسمع «موطالع بإيدنا شي»، «عين ما تقاوم مخرز»، و«ياللي أخد أمنا بنسميه عمنا»، و«الإيد اللي ما تقدر تعضها بوسها وادعي عليها بالكسر»، و«من حيط لحيط وربي سترك»، و«مادخلنا»، و«فخار يكسر بعضو»؟؟!!!... ومازلت أتذكر حادثة جرت لي في مدينة الدمام عندما كنت عند بياع «الشاورما» عندما سمعنا ضجة كبيرة، فصاح البياع «مادخلنا = أي

لادخل لنا فيما يجري؟؟!!!»، ثم أردف «فخار يكسر بعضو = أي فليكن مثل جرات الفخار التي يكسر بعضها بعضاً مادمنا نحن في الحفظ والصون؟؟!!!».

من القصة السابقة والأمثلة الشعبية التي أوردت يمكن أخذ «عينات» ثقافية للتحليل المخبري العقلي البارد، فكما أن المريض يأتي إلى المخبر فتؤخذ عينة من دمه للتحليل فيكشف من هذه العينة البسيطة أشياء لا تنتهي عن وضع بدنه وأجهزته الحيوية (البيولوجية) المعقدة، من مثل فقر الدم وارتفاع الكولسترول وقصور الكبد وفشل الكلية والتهاب المعثكلة واضطراب الشوارد المعدنية، كذلك الحال في «العينات الثقافية»، فصاحب «الشاورما» عندما صرخ مع صوت الاصطدام «مادخلنا»، كان في الواقع يعبر عن ثقافة سائدة وعقلية مسيطرة ومفاهيم لها اليد العليا في المجتمع، فكلمته هذه تمثل ثقافة الانسحاب والارتداد والانكفاء على الذات وتوقف الروح «المبادرة الفردية» هو يريد ألاّ يسمع شيئًا لا يتعلق بإطار عمله اليومي، كون العالم الخارجي لا يحمل إلا الشر والأذية والرض TRAUMA هو لا يرغب أن يكون شاهداً على واقعه، فهو قد خسر وظيفة «الشهادة» التي تكلم عنها القرآن منذ زمن بعيد، هو لا يحب من قريب أو بعيد رؤية «البوليس = الشرطة»، فيعينهم على كشف جريمة، هو غير مستعد لإسعاف إنسان مصاب مادامت القضيّة لا تخصه، إنه إشارة فاضحة إلى تفكك الشبكة الاجتماعية. فهذه الثقافة السلبية في مجتمعنا يمكن الكشف عنها بمثل هذه العينات من «الأمثال الشعبية». وبالمقابل مازلت أتذكر برنامجًا كان يبث في ألمانيا بعنوان (XY)، حيث كان يعرض للجرائم فيعرضها ويعيد تركيبها RECONSTRUCTION، ثم يتم مخاطبة الجمهور في كل من ألمانيا وسويسرا والنمسا وليشتنشتاين - المناطق الناطقة بالألمانية - للإفادة بأية معلومات مهمة حول الواقعة، وكان يتم بوساطة المبادرات الفردية الكشف عن الكثير من الجرائم المروعة، فالفرد هناك يفتح عينيه على كل ما يحدث ويشارك من دون خوف ومعه كل حس الدفاع عن المجتمع الذي ينتمي إليه.

وعندما نرجع لتحليل مقولة الرجل الآنف الذكر لفهم الآليات الخفية خلف حدوث الواقعات، يبرز أمامنا السؤال المفصلي: هل حقًا أننا لا نملك من أمرنا شيئًا، أي إننا أمام ذُهان الاستحالة، أم أن هناك هامشًا يمكن أن نتحرك فيه؟ وما مقداره؟ وأين حقله؟ إذًا من الواجب أن نتأمل قطاع الممكن الذي يمكن أن نحدث فيه شيئًا بجهدنا.

الممكن والمستحيل في الواقع الأرضي

لنطرح الأسئلة البسيطة التالية: هل هناك قوّة في الأرض تمنع الإنسان أن يحرص على أن يأتي لموعده على وجه الدقة؟ هل هو في حكم الاستحالة أن يلبس الإنسان ثوبًا نظيفًا أو أن تكون رائحته طيبة وشعره ممشّطًا؟ هل هناك من يمنع أن يحترم الإنسان زوجته ويثقّف ابنه ويبتسم في وجه جاره ويقرأ كل يوم نصف ساعة بحثًا مجديًا؟؟ هل هناك من يحول بين المرء وأن ينظف أمام بيته وأن لا يلقي زجاجات البيبسي في الطرقات؟ هل هناك صعوبة بالغة أن يوطّن الإنسان نفسه أربعًا وعشرين ساعة أن لا يذكر أحدًا إلا بخير؟؟ هل من يمنع أن يتسامح الإنسان مع الآخرين، وأن يعذرهم، وألاّ يسرع في تكفيرهم ولعنهم عندما يختلف معهم؟ هل في إمكان الإنسان أن يدرّب نفسه على ألاّ يفعل أمرًا يخالف القواعد الأخلاقية ولو أُمر بذلك؟ هل بإمكان الفرد أن يتخلص من التحول إلى شيء في صورة بوق أو مسدس؟ هذه الأسئلة البسيطة وأمثالها تعطينا الانطباع أن مساحة الممكن هي العظمى في الحياة وأن بإمكان المرء أن يفعل أشياء كثيرة جداً.

> **المشكلة ليست في المشكلة، فأي استعصاء في حل المشكلات يرجع بالدرجة الأولى إلى عجزنا أكثر من تعقيدها الذاتي**

إن أعظم إحباط يصاب به الإنسان عندما يضع لنفسه هدفًا لا يستطيع الوصول إليه!! وأفظع منه أن يعيش بقية عمره على هذا الحلم؟ وأشد تدميراً منه عندما ينتظر المصادفات أن تولّد هذا الواقع الذي يحلم به!! فكلها سلسلة من الأخطاء الرهيبة التي تلغي آلية الجهد.

يحمل الإنسان جدلاً رهيبًا، فهو لا شيء إذا قورن باللانهاية - كما هو معلوم في الرياضيات أن نسبة الرقم إلى اللانهاية تساوي الصفر - وهو كل شيء إذا قيس بالعدم، فهو يسبح في اللحظة الواحدة بين العدم واللانهاية. بين الممكن والمستحيل، فهو لا يستطيع خلق نفسه ولا خلق أولاده: *لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا*. **الفرقان**:3. ولذلك سحب الله إمكانية الخلق منا ولو كانت ذبابًا تافهًا: *إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ*. **الحج**:73.

العلاقة الرياضية بين الممكن والمستحيل

نحن نرى في اللحظة الواحدة السهل والصعب والمستحيل في الشيء الواحد في ثلاث حالات، وفي الأشياء الثلاثة في الحالة الواحدة، فمن الممكن حمل الصحن، ولكن يصعب حمل المنضدة الكبيرة، ويستحيل حمل البيت، كما نستطيع أن نحمل الصحن، ولكن يصعب تحويله إلى قدح، ولكن يستحيل قلبه إلى أرنب. نحن لا نستطيع تغيير عقول كل الناس، ولكن نستطيع عدم إضاعة الوقت في (الشدة (الكوتشينية) والطرنيب)، والالتفات إلى تثقيف أنفسنا. نحن لا نستطيع تغيير قوانين المرور، ولكن بإمكاننا ألاّ نخالف إشارة المرور، حتى لو كنا وقت صلاة الجمعة والشارع فارغًا، وإذا دخل في روعنا هذا وجب أن ندخل عنصراً آخر هو عدم الاستخفاف بأي إنجاز ممكن مهما كان زهيداً وصغيراً، فالكل يفكر بالأشياء الكبيرة وينسى الأشياء الصغيرة التي هي مكونات الأشياء الكبيرة وعناصرها الأولى ولبناتها الأساسية، فأكبر الأرقام هو تجمع رقم الواحد بعضه فوق بعض مهما بلغت ضخامة الرقم، والإنجازات العظيمة هي محطة تراكمية للإنجازات التافهة الصغيرة، والجبل تجمع هائل للحصى الصغيرة وحبات الرمل التافهة، والهرم تركيب ملايين الأحجار الصغيرة الممكنة الحمل(3)، والإنسان هو محصلة تراكمية بطيئة للجهد الواعي المتشكلة عبر وحدات الزمن، ومعركة بدر التي سماها القرآن فرقانًا كانت إظهاراً لإمكانات تشكلت فيما سبق، وليست إنجازاً برز فجأة إلى السطح، والمجتمع كم هائل من الأفراد منظمين ضمن شبكة علاقات، وتغيير الأفراد التدريجي سيقود في النهاية إلى تغيير المجتمع، ولا يتطلب ذلك تغيير كل الأفراد فليس مطلوبًا ولا ممكنًا، بل تغيير الكم الحدي أو الكتلة الحرجة، وعند الوصول إلى تغيير الكتلة الحرجة يبدأ التيار الاجتماعي في التشكل؛ وعلى العكس فإن (شذوذ) فرد منه بتصرفات وأفكار يعرضه لقانون الدجاجة المجروحة في القن، حيث روى لي صديقي الدكتور الصناديقي عن ملاحظة أمّه التي تربي الدجاج، أن الدجاجة إذا جرحت عمدت بقية الدجاجات إلى نقرها في مكان الجرح حتى الموت، ولذا تعمد أمه - على ما روى - إلى عزل الدجاجة المجروحة فوراً، وهذا يفسر لنا بعض الوقائع التاريخية البشرية، كما يفسّر لنا الانسحاب الذي يقوم به الأنبياء في مرحلة دعوتهم: *وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ*. **مريم**: 48. وهو ما أشار إليه المؤرخ البريطاني توينبي في كتابه «دراسة التاريخ» عن قانون الاعتزال والعودة.

جدلية الممكن وتطوّره

عند وضع اليد على المفتاح السحري: «أن بإمكاننا أن ننجز شيئًا» تتولد سلسلة من الأمور الإيجابية:

الأمر الأول: «النجاح يقود إلى النجاح»، فالنجاح يولد الشعور بالثقة بالنفس، عندما يحس الفرد أن بإمكانه أن يفعل شيئًا. والعكس صحيح، فالإخفاق يخلق الإحباط والخوف من المحاولة الجديدة، ما لم يزود بعزم نفسي مرافق وهو أن المشكلة ليست في المشكلة، بل في موقفنا منها، فأي استعصاء في حل المشكلات يرجع بالدرجة الأولى إلى عجزنا أكثر من تعقيدها الذاتي، والمشكلات تنبع من مواقفنا غير السليمة منها، فنحن مستعدون إلى لعن كل شيء واتّهام كل أحد، وغير مستعدين لمراجعة أنفسنا لحظة واحدة، وهذا مزلق خبيث للغاية، لأنه يقود إلى تعطيل الجهد البشري وتدخله في إصلاح الخلل، مادامت التهمة للآخر جاهزة، وعدم الالتفات إلى الذات في معادلة التصليح، ولذا تدريب أنفسنا على قانون نفسي قاس هو عدم لوم أحد في مواجهة أية مشكلة، ليس لعدم وجود طرف آخر في المشكلة، فالنزاع الإنساني في العادة مزدوج الطرفين، ولكنه التدريب على العمل في الحقل المفيد، فأفكارنا تحت سيطرتنا، أما اتهام الآخرين فهو - بشكل غير مباشر - دعوة إلى إراحة الذات من التفعيل والمراجعة وتعب إدخال التصحيح، فهو تعطيل قانون الجهد، بل إن تغيير نفوسنا هو طرف الرافعة الميكانيكية النفسية الاجتماعية، كما هو عند الأطفال عندما يجلسون في الحديقة على طرفي الرافعة، فإذا أمكن التأثير فهو من الطرف الذي يستقر عليه ثقلنا، وهكذا فالساحة النفسية عندنا هي حقل تأثيرنا، أما الآخر فنحن غير مسؤولين عما يعمل الآخرون: *وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ*. **سبأ**:25. والمسؤولية فردية: *وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*. **الأنعام**:164. *وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى*. **النجم**:39.

الأمر الثاني: «النجاح يعطي قدرة (تمكُّن) أعلى»، فبعد انتهاء العملية الناجحة، فإنه يخرج منها بغير حصيلة الخبرة قبلها، بل بزيادة الخبرة الجديدة، وكل ضربة لا تكسر الظهر تقوي أكثر كما يقول المثل.

الأمر الثالث: «ينعكس النجاح على النفس فيعطي السعادة»، في حين أن الإخفاق يدخل الإنسان في دوامة الحزن، ويجب أن يتخلص منه بالنجاح، وفي الواقع يجب أن نرى النشاطات النفسية في حقل متحرك «ديناميكي» ولا وسط جامد «استاتيكي»، كما هو في علم الميكانيك، وهذا نعرفه من يومياتنا العادية، فعندما يتعرض الإنسان لخطر ما فإنه يصاب بالخوف الذي يدفعه إلى شعور وحركة، شعور بالكراهية لمصدر الخطر، وحركة بالهرب من الخطر المحدق، أما النجاح فيعطي شعورين مترادفين، الأول: الثقة بالنفس التي قد تنتفخ إن لم تلجم فتصل إلى الغرور، فتتدخل الطبيعة لتكبح الغرور، حيث يصاب صاحبها بالخطأ، فالنكس، فالارتداد للموقع الأول، والثاني: السعادة الغامرة التي تنعكس على الطبيعة الحيوية إيجابيًا. وهذا نراه في مضاداتها أيضًا، فالغضب يقود إلى جفاف الفم وانحباس البول، والإمساك وخفقان القلب، وارتفاع التوتر، وزيادة الحركات التنفسية، والحزن يولد الوهط «الوهن» والكسل، والتوقف عن النشاط، والكآبة، والميل للعزلة، والانسحاب، ومع الكآبة يشعر الإنسان كأنّ السموم تتدفق في كل خلية من جسمه، وأنا أعرف من الأطباء الذين بقوا تحت ضغط نفسي لفترة طويلة مَن أصيب بارتفاع في التوتر وانسداد شرايين القلب في عمر مبكر، والسبب تلك العلاقة الخفية التي لم نفهمها ولم يُمط اللثام عنها حتى الآن: كيف تؤثر الحالة النفسية في الحياة «البيولوجيا»، فوالد يوسف - عليهما السلام - ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، كما ارتد إليه بصره حينما جاء البشير يخبره بالعثور على يوسف، وقد حمل قميصه و: *أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا*. **يوسف**:96.

الأمر الرابع: «قانون التراكم الكمي يقود إلى التغير النوعي»: هناك علاقة بين الكم والنوع انتبه لها ابن خلدون في المقدمة، وهو أمر ملاحظ في الطبيعة، فرفع درجة حرارة الماء، إذا زادت بشكل تراكمي قادت في النهاية إلى تغيّر نوعي في طبيعة الماء، عندما تصل درجة الحرارة إلى درجة الغليان، فهو يتبخر ويطير في الهواء، كما أن انخفاض درجة حرارته إلى الصفر تقود إلى تجمده وزيادة حجمه، خلافًا لكل العناصر التي ينكمش حجمها مع البرودة. وهذا يعني أن التركمات الممكنة ستقود في النهاية إلى شق الطريق لكسر المسلّمات والحتميات، فالكثير منها نحن الذين نصنعها ونمنحها الحتمية فتتحول هذه الأفكار مع الوقت إلى أصنام، ومشركو قريش رفضوا الإسلام تحت ضغط أمثال هذه الأفكار، وهكذا تم كسر الكثير من المسلمات عبر التاريخ، في النظام الفلكي، وتحطيم الذرة، وقلب المعادن الخسيسة إلى ذهب بوساطة إضافة البروتونات والنترونات - فالذهب يتحول إلى زئبق بإضافة بروتون واحد، وعلى العكس يتحول الزئبق ذهبًا بسحب بروتون واحد منه، ذلك أن قلب نواة الذهب تحوي 79 بروتون والزئبق 80 - وإيقاف القلب وإعادة تشغيله، وانتقال الصوت والصورة بسرعة الضوء.

الأمر الخامس: «إن أخطر مرض عقلي يهدد التقدم الإنساني هو عقدة الآبائية»، *إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ*. **الزخرف**:23. أي التقليد، فبقدر ما يجعلنا المجتمع بشرًا - من خلال العادات واللغة وسواهما - يشكّل الطوق الاجتماعي خطرًا يغتال العقل الإنساني، وهذا هو السر في بطء نمو مجتمعات وتطور أخرى، والمجتمع الياباني ما استطاع الطيران للعصر لو لم يتحرر من العادات العقلية المتحجرة، وأول قفزة له كانت باتجاه الاستفادة من إضافات المعرفة الإنسانية الجديدة «ثورة الميجي» - العهد الإمبراطوري لعام 1868م -(4)، وكان إدراك اليابان حادًا في أهمية الخلاص من الحذاء الصيني الحديدي «العقلي» - في الصين جرت العادة آنذاك وضع قدم الطفلة الصغيرة في حذاء حديدي لا يغير حتى تكبر الفتاة وهي تحافظ على أقدام صغيرة؟!! -.

تجربة نفسية محرجة

من أجل تعرية هذه الآليات النفسية قمت بتجربة قاسية، فسألت الموظف: لو أُعطيت مسدسًا، ووُضع على صدغك مسدس، ثم طُلب منك قتل هذا الذي أنت في ضيافته، وهو من أعز أصدقائك، ما كنت فاعلاً؟؟ فإذا لم تضغط الزناد قُتلتَ أنت!!. فوجيء صاحبي بالسؤال فتردد بعض الشيء، ثم اعترف بأنه سَيَقْتُل!! إلا أنه اكتشف نفسه ويداه ملوثتان بالدم، وقد تحوّل إلى مجرم، عندما تدفق من فمه سيلٌ من المسوغات ليس آخرها أن الله سيغفر له لأنه (مُكْرَه).

هنا تعرت الآليات النفسية تمامًا وأدركنا في جو الحوار الذي لا يخلو من توتر أمام كشف «آركيولوجي» نفيس كهذا، في حفريات تضاعيف النفس، أن هذا الصنف من الناس ليس بالقليل ولا النادر، إن لم يكن هذا هو تصرف معظم الناس، في مثل هذه المواقف الصعبة، يشفع لها المناطق المظلمة من النفس الإنسانية التي لم تشكلها الثقافة الجديدة بعد.

إن هذا المثل فظيع ولاشك، ولكن هل يدخل في إطار الممكن أم المستحيل؟؟؟!!!

هوامش ومراجع:

1- جاء في الحديث الصحيح النهي عن (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن ليقل أحدكم قدر الله وماشاء الله)؛ لأن التمني على تغيير الماضي يعتبر في حكم (المستحيل)، ولذا وجهنا الحديث للعمل في الحقل المفيد، أي حقل (الممكن).

2- صحح ابن خلدون في مقدمته معلومة مهمة عن بناء الأهرامات حين ضل بعض الناس، فظنوا أنها بنيت بيد بشر عملاقة، وقال إنها بيد بشر مثلنا تمامًا، ولكن الذي مكنهم من ذلك هو استخدامهم لتقنيات هندسية متطورة في عصرهم في الرفع والبناء.

3- جاء في كتاب الشرق الأقصى، فوزي درويش، ص 60 النص الكامل للعهد الإمبراطوري الذي دُشن عام 1868م، وهو مكوّن من خمس فقرات. تقول الفقرة الخامسة: (سوف يجري العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم، وعلى هذا النحو سوف تترسخ الإمبراطورية على أسس متينة).

من البلية ما يضحك



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الحرب بلاء ما بعده بلاء، يُهلك الأفراد، ويوتم الصغار، ويوئم النساء، قليلٌ السالم منه، وكثير القتيل، أو الجريح؛ وفيه الأسر وما يأتي معه من عذاب وإهانة، فقد يجاع الأسير، وقد يضرب، وقد يشوّه، وقد يصبح محط انتقام مبتكر، من أناس رعى الحقد قلوبهم، وسوّد نفوسهم.

والحرب تبعث العداء بين أمتين، وتديم البغضاء، وتقيم التربص، لا يهنأ بسببها جار بجوار جاره، ولا يطمئن في داره، هو في وجل دائم، وخوف مستمر؛ وكم من حرب أضاعت بلدانًا، وأخربت ديارًا، وأنزلت كسادًا وجلبت قحطا، وأربكت أممًا، وجاءت بعسرة بعد يسر، ومرض بعد صحة، وشقاء بعد سعادة.

والأسْرُ أحد جوانب الحرب المظلمة، ففيه فقد الحرية، وضياع المقام، والتعرض للأذى، وسقم النفس؛ الأسير في عذاب بدن، لأنه ثقل في المكان الذي يوضع فيه، وتعب على من يحرسه، وضرس طاحن على مطعمه، فهو على هذا يوضع في أسوأ مكان، ويطعم أسوأ طعام، ويحرس أشد حراسة، وربما وضع القيد في رجله، ليعاني أضعاف ما يأتي به الأسر المعتاد.

وتدفع أموال طائلة لفك الأسير، وإنهاء معاناته، وما يدفع يتوقف على نوع الأسير، وعلى أهميته، فإن كان قائدًا، أو فارسًا، أو ذا مركز، دفع فيه أموال طائلة، أو أراض شاسعة؛ أو بودل به عدد من الأسرى، كثيرو العدد، مهمون لأهلهم، ووطنهم؛ وتاريخ الحروب ممتلئ بأخبار الأسر والأسرى، وما جرى عليهم، فكًا، أو قتلاً، أو تعذيبًا، أو تشويهًا، أو إهانة؛ ومن أسوأ المحاربين في معاملة الأسرى التتار، وهذا أضاف إلى سمعة شجاعتهم وتهورهم رعبا، يملأ القلوب، ويجعل المقدمَ على حربهم يُحجم خوفا من الوقوع في الأسر، فلا يقابلهم إلا شجاَع، يحاربهم يائسًا مَن الحياة، وملقيًا نفسه في أتون المعمعة، هدفه الموت، وهو أكثر راحة، وأعلى شرفًا من الاستئسار.

وهناك أسير شريف، شجاع فارس، ملأ الدنيا أنينا في أسره، وملأ الآذان، وسطر الصفحات، عتبا على عدم المسارعة في فك قيد أسره، وهو في ضنك وشدة، يرسل الأشعار تلو الأشعار، راسما صوراً واضحة لما يعانيه الفارس الأسير من أعدائه، وحاثا على دفع الفدية أيا كانت، حتى يستريح، ويرى أمًا ثكلى، وحصانا حزينًا، وسيفًا يتيما، وميدان حرب افتقده، وقتالاً اشتاق إليه، هذا هو أبو فراس الحارث بن سعيد (ت:357هـ) ، ابن عم سيف الدولة الحمداني (ت:356هـ)، فعندما أسر الروم أبا فراس، وطالبوا بفدية باهظة، تأنّى سيف الدولة في افتكاكه، مما ظن ابن عمه أنه إهمال، وعدم مبالاة، أما سيف الدولة، فكان يعمل الحيلة، ويبحث عن الطريق الموصل، حتى قيض الله له ذلك.

ومن الأسرى الذين لمع خبر أسرهم في كتب التاريخ ملك فرنسا لويس التاسع، وقد أسره المسلمون في وقعة المنصورة عام 647هـ (1249م) في دار ابن لقمان، التي اشتهر اسمها بعد ذلك، وبعد أن أوردها شاعر من شعراء تلك الفترة، متندرًا فيها على الإفرنج وملكهم، ويصف الدار والقيد الذي قيد به الملك، حتى فُدي، وفك إساره.

والأسر سمة من سمات الحرب، لا ينفصل عنها، فهو لازمة من لوازمها، وقَلَّ أن تخلو حرب واسعة الميدان، متعددة الوقعات، من أسرى؛ وأحيانا تكون فائدة الأسرى للآسر أعظم من فائدة التخلص من الخصم بالقتل؛ وعلى هذا فخسارة مواطني المأسور تتوافق في أهميتها في الخسارة مع أهمية الآسر في الربح، ولهذا قد يعمد أحد الطرفين المتنازعين إلى وضع خطة أسر منذ بدء الحرب. والكمين، وهو ترتيب معروف في الحرب، أحد أهدافه إيقاع العدو في مأزق يستسلم فيه، أو يقتل، أو يهرب، ولكثرة ما يستعمل الكمين، أصبح متوقعًا،

ومحذوراً من قبل الجيشين، فكل منهما يعطيه أهمية في أول القتال، أو في منتصفه، أو في آخره، يتوقف هذا على الخطة المبيتة، وهي تشبه إلى حد ما شبكة صيد القطا؛ ومن يقع في الكمين لا شك أنه يدفع الثمن غاليا، وتحلو اللعبة المميتة هذه عندما يكون هناك كمينان، على كل جانب من جوانب النزاع كمين.

والأسر عموما ظلمة، قليلا ما تخللتها أنوار، أو سطع في جوانبها ضياء، وقليلا ما جاء الفرج سريعا، وأقل من ذلك أن يأتي بثمن بخس، ولكن حدث في واقعة واحدة أن ضحك الزمن مع أناس في الأسر؛ افترَّ ثغرٌ في وسط الظلمة، فأنار جوانب الأسرى.

انتهت بلية الأسر بضحكة مجلجلة، بدأت بضحكة ولعبة غش، وانتهت ببسمة علت الثغور، وأنارت الوجوه، وأوصلت الأسرى إلى ذويهم.

«قال ابن أبي بردة: غزا قوم الديلم، فأُسِروا، وأسرُ الديلم شديد، وقال:

فاشتكى ابن ملك الديلم، فقالت أمه:

اذهبوا إلى العرب، لعل عندهم دواء.

فجاءت به امرأة، فقال لها رجل:

هاتيه.

فقال له رفيقه: أنشدك الله لا تعرضنا للهلكة.

قال: هاتيه.

فجعل يعوذه بقوله:

أيا أُمَّ ذا المولودِ لا شَبَّ قرنُهُ
ولازال فيه سُقْمُهُ يتردد
ويا أمَّ ذا المولودِ جودي بكسرَة
لشيخَين من همدان قَيس ومرثد

قال: فما أتت له ثالثة حتى برئ، فَخُلِّيَ عنهم كلهم.

[البصائر والذخائر للتوحيدي: 9/24-25]

قصيدة

والليل لا تمحوه هذه الشموع

محمد محمود جادالله

كيفَ الوصول والطريقُ مُقفِره
كيف الوصول للذُّرى المُعَفَّره
وكل شيءٍ لَفَّهُ الذُّبولْ
كيفَ الوُصولْ؟
والصمتُ في القلوبِ مُزْهِر
وتلكم الرُّبوع
في صَمتِها مُعبِّــره
كأنها واحسرتاهُ مَقبره
وتُقرعُ الطبولْ
وتذهلُ العُقولْ
وكلُّنا في حُزنِـه يقولْ
كَيفَ الوُصولْ

* * *

في غمرةِ الصراخِ والعويل
بموكبِ الأقزامِ والفُحول
وفَوْرةِ الكُماةِ والخُيول
يقومُ منا مُلْهَــمٌ يقول
بلهجةٍ مُؤَثِّره
ونَبرةٍ مُسيطره
من منكُمُ يجتازُ هذي القَنطره؟
فيسكتُ الأزلامُ والذُّيول
ويورقُ الذهول

لكنْ سُؤال حائرٌ يَجول
يَبقى يجوب الحَزنَ والسهُول
يَرِنُّ في الآذانِ لا يَحول:
كيف الوصول؟
كيف الوصول؟

* * *

كيف الوصول والدُّنا صَقيع
والليلُ لا تَمحوه هذه الشُّموع
والشوق في الأحداق كالربيع
وينظرُ الجميع
من ناطق أو ساكتٍ سَميع
أو مُثْخَنٍ من جُرحه صَريع
وهذه القِبابُ والطُّلول
تُناشِدُ الفروع والأصول:
هل من كَمِيٍّ مُعْلَم
لا يَرهبُ الأشواكَ والوُحول؟
لا يعشقُ الرَّنين والطَّبول
لم يَعترفْ أن الوصولَ مُستحيل
يمضي بنا في مَوْكِبٍ أصيل
يقول باسم الله
هكذا الوُصول. هكذا الوُصول!!

قصة قصيدة

القلب المكلوم

كتب هذه الحلقة: **د. بهاء الدين سليم عايش**

قال محمد بن عبدالملك الزيات في رثاء زوجه وأم ولده:

ألا من رأى الطفل المفارقَ أُمَّه ... بُعَيْد الكرَى عيناه تبتدران(1)
رأى كلَّ أمٍ وابنَها غيرَ أمِّه ... يبيتان تحت الليلِ ينتجيان(2)
وبات وحيدًا في الفراش تحثّه ... بلابلُ قلبٍ دائم الخفقان(3)
ألا إن سَجْلاً واحدًا قد أرَقْتُه ... من الدّمع أو سَجْلَين قد شَفَياني(4)
فلا تَلحَيَاني إنْ بكيتُ فإنما ... أُداوي بهذا الدمعِ ما تَريَانِ(5)
وإنَّ مكانًا في الثرى خُطَّ لحده ... لمن كان في قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى ... فهل أنتما إنْ عُجتُ منتظرانِ(6)
فهبني عزمتُ الصبر عنها لأنني ... جليدٌ، فمن بالصبر لابن ثمانِ(7)
ضعيف القوى لا يعرف الأجرَ حِسبةً ... ولا يأتسي بالناس في الحَدَثَان(8)
ألا مَنْ أُمنّيه المنى فأُعِدّه ... لعثرة أيامي وصرف زماني
ألا من إذا ما جُبْتُ أكرم مجلسي ... وإن غبت عنهُ حاطني ورعاني(9)
فلم أرَ كالأقدار كيف تصيبني ... ولا مثلَ هذا الدهرِ كيف رماني(10)

شاعرنا قائل هذه البكائية في رثاء زوجه هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك ابن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات، ذلك لأن جده كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد متّجرًا فيه، ولد عام 173هـ، نشأ وترعرع على حبّ الأدب، قال عنه صاحب الأغاني: «كان محمد بن عبدالملك شاعرًا مجيدًا لا يقاس به أحد من الكتاب، كان بليغًا حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب»(11) وقد أقبل على علوم اللغة والنحو، وعلى ينابيع الآداب الأجنبية الشائعة في عصره يصقل بها قريحته ويشذّب مواهبه، ثم أخذ يلازم الدواوين محاولاً أن يلفت من فيها إلى مهارته الأدبية طامحًا في أن يكون وزيرًا أو كاتبًا، ويقال إنه امتدح وزير المأمون: الحسن بن سهل (ت:236) فوصله بالدراهم، فأنشده منوهًا بما يرمي إليه من مدحته، فعيّنه كاتبًا محققًا له أملاً طالما كان يراوده ويحلم به:

لم امتدحك رجاءَ المال أطلبُهُ
لكنْ لتُلبِسَنيَ التَّحجيلَ والغررا(12)
وليس ذلك إلا أنني رجل
لا أطلب الورْد حتى أعرف الصَّدَرَا(13)

ومازال محمد بن عبدالملك يعمل في الدواوين حتى وَلِيَ مقاليدَ الخلافة المعتصمُ فقرّبه ولم يلبث أن استوزره. ولّما توفي المعتصم وَلِي ابنه الواثق فظل وزيرًا له. ويحسّ بإقبال الدنيا عليه فيفتح أبوابه للشعراء، ويجزل لهم في العطاء، وكان أبو تمام من أهم هؤلاء الشعراء الذين قصدوه ومدحوه، وله فيه قصيدة وصف فيها قلمه وبلاغته ودرر لفظه ومعانيه(14)، قال فيها:

لك القلمُ الأعلى الذي بشَبَاته
تصاب من الأمرِ الكُلَى والمفاصل(15)
فصيحٌ إذا استنطقتَه وهو راكبٌ
وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجِل
إذا ما امتطى الخمسَ اللطاف وأفرغت
عليه شعابُ الفكر وهي حوافل(16)
أطاعته أطرافٌ لَها وتقوَّضَتْ
لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجَحَافلُ(17)

كما أن البحتري مدحه بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطه وبلاغته تلك التي قال في آخرها:

وأرى الخلقَ مُجْمِعين على فضْ
لكَ من بين سيّد ومَسُود
عرف العالمون فضلك بالعلـ
م وقال الجُهّال بالتقليد(18)

ومات شاعرنا في خلافة المتوكل سنة 233 هجرية بوشاية من عدوه وحاسده أحمد بن أبي دؤاد (ت:240هـ) قاضي القضاة في دولة المعتصم وابنه الواثق(19).

أما قصيدته التي بين أيدينا فإنها تروي قصة قلب كسير مكلوم، وشاعر حسير مهموم، شاء له القدر أن يفقد سَكَنَه وأمنه، ومنبع المودة والرحمة في حياته، يقول سبحانه: *وَمِنْ آياته أَنْ خَلَقَ لكم من أَنْفُسكُم أزواجًا لتسكنُوا إليها وجَعَلَ بينكُم مودَّةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون*. **الروم**:21.

فقد رحلت زوجه عن عالمنا وتركته في فراغ وشَجَن، إنه حق مقدور ولا مناص من وروده وتجرّع كأسه: *كُلُّ نفس ذائقَةُ الموت وَنَبلُوكم بالشّر والخير فتنةً وإلينا تُرْجَعُون*. **الأنبياء**: 35. ولكنها خلّفَتْ وَليدًا وراءها في الثامنة من عمره يهيم في حرمان من رعاية الأم وأمنها وتدبيرها وحنّوها، مما زاد في غُصّته وألمه. إنها منبع العطف والمحبة ومصدر الطمأنينة والحماية، ومدار البناء السويّ للطفل من ناحيتي الصحة النفسية والصحة البدنية، وهي المدرسة الأولى التي تلقنه بالحركة والعادة دروسًا من شأنها أن تضع القواعد الأساسية في حياته حاضرًا ومستقبلاً، وهي الموئل الآمن الذي يهرع إليه ويلتصق به إذا ما انتابه خوف أو فزع، أو هدده ما يضره أو يؤذيه(20) وهذا المنحى في الرثاء جديد كل الجدة على مستوى الشعور الإنساني والتعبير الفني على السواء في العصر العباسي. واستطاع ابن الزيات في مرثيته كذلك أن يوضح من بعض الوجوه ثراء الفكر في عصره بالخواطر وقدرته على تحليلها وتمثيل أحزانه وحزن طفله الذي افتقد عطف أمه وحنانها(21).

ولعله قريب من هذا ما ألفيناه عند بعض الشعراء في عصر شاعرنا من تسجيل للأحاسيس النبيلة والمشاعر الأبوية الرحيمة نحو أبنائهم، ومن هؤلاء الشعراء الذين عبروا عن هذه المشاعر والأحاسيس أصدق تعبير: محمد بن يسير (ت: نحو 210هـ) (22) إذ يخشى سُوءَ مآل ابنته بعد وفاته ويظهر عطفه وتفجعه عليها فيقول:

لولا البُنيَّةُ لم أجزَعْ من العَدَم
ولم أجُبْ في الليالي حنْدسَ الظُّلَم(23)
وزادني رَغبةً في العيش معرفتي
ذُلَّ اليتيمة يجفُوها ذَوُو الرَّحِمِ
أخشَى فظاظة عمٍّ أو جفاءَ أخ
وكنت أخشَى عليها من أذى الكَلِم
إذا تذكرتُ بنتي حين تندبني
جرتْ لعَبرة بنتي عَبْرَتي بدم
تهوَى بقائي وأهوى مَوْتَهَا شَفَقًا
والموتُ أكرمُ نزّال على الحُرَم(24)

شهد العصر العباسي - إذنْ - نشاطًا واسعًا في الرثاء، بكى الشعراء الرفقاء والأصدقاء والإخوة والأبناء والأزواج بدموع غزار، ينفسون عن أنفسهم بأبيات تصور الحزن المقيم في قلوبهم، مما جعل الشعراء يفزعون في كثير من الأحيان إلى العزاء بالأمم السالفة والقرون الخالية كي يقتنصوا منها العبرة والموعظة، وأن الموت كأس دائر يتجرع غصصه جميع الناس، فردد ذلك الشاعر العباسي في مراثيه، وأخذ يضيف إليه من فكره الخصب تأملات في حقائق الموت وسنن الوجود من مثل قول ابن مُناذر: (محمد بن مناذر، ت:198هـ)

كل حيّ لاقي الحمَام فَمُودِ
ما لحَيّ مُؤمِّل من خلود(25)
لا تهاب المنونُ شيئًا ولا تر
عى على والد ولا مولود
يقدح الدهرُ في شماريخ رضوى
ويحط الصخور من هبّود(26)
ولقد تترك الحوادث والأيْـ
امُ وَهْيًا في الصخرة الجلمود(27)
يفعل الله ما يشاء فيمضي
ما لفعل الإله من مَرْدود
فكأنا للموت ركب محثّو
ن سراعٌ لمنهلٍ مورود(28)

وبعد:

فإنني أضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يجعلنا ممن يحمدونه إذا حمّ قضاؤه وقدره، وأن يرزقنا الصبر على بلوائه فلا ينال الجزع من إيماننا ويقيننا فنظفر بدرجات الصابرين، ونُسلك في زمرة من قال فيهم:

الذينَ إذا أصابَتْهُمْ مصيبةٌ قالُوا إنَّا لله وإنّا إليه راجعون أُولئكَ عليهم صَلَوَاتٌ من رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأولئك هُمُ المهتَدُونَ. **البقرة**: 156- 157. ولا غرو - أيها القارئ - أن تكون الحياة قصة.

الهوامش:

1- متفق عليه من حديث أبي هريرة: البخاري

الهوامش

1- تبتدران: تسحان وتهملان بالدموع.
2 - ينتجيان: ناجاه مناجاة سارّه، والسر ما يكتم.
3 - تحثه: أي تحضه، وفي رواية أخرى للبيت: (تجنه) أي تلفه وتشتمل عليه. بلابل: البلبلة الهم ووسواس الصدر.
4 - سَجل: السَّجْل الدَّلوُ العظيمة مملوءة.
5 - تلحياني: تلوماني، يقال: لحاه يلحوه إذا لامه وعَذَله.
6 - عجت: عاج يَعُوج على المكان: عَطَف وألمّ به
7 - جليد: الجلد - بفتحتين - الصلابة.
8 - حسبة الأجر: احتساب الثواب عند الله بالصبر على نزول الموت. يأتسي: يقتدي. وحَدَثان الدهر: نوائبه ومصائبه.
9 - حبت: حبا الصبي حبوا مشى على استه أو مشى على يديه وبطنه.
10- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، حققه وعلق عليه محمد محيي الدين عبدالحميد (ط4، بيروت1972م) ج2/ ص156وما بعدها. انظر أيضا: وفيات الأعيان لابن خلكان بتحقيق الدكتور إحسان عباس (دار صادر بيروت؟؟) ص96.
11- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بيروت 1970م/1390هـ) ج20/ص46.
12- التحجيل: بياض في قوائم الفرس، الغرر: جمع غرة بياض في وجهه والاستعارة واضحة.
13- العصر العباسي الأول، الدكتور شوقي ضيف (ط 7- دار المعارف 1978م) ص559، الورْد: ورود الماء، الصَّدَر: الصدور والرجوع عنه.
14- المرجع السابق: ص 342 ، ص561.
15- الشباة: الحد، الكلى والمفاصل: أراد التمثيل لحقائق الأشياء ودقائقها.
16- الخمس اللطاف: البنان
17- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام. ط2دار المعارف 1970م مج 3/ ص122وما بعدها.
18 - وفيات الأعيان: ص97.
19 - المصدر السابق: ص100.
20 - أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، الأستاذ محمد علي قطب، ط1- مكتبة القرآن الكريم، القاهرة 1983م. ص24، 48، 63.
21 - العصر العباسي الأول: ص173، أيضا: في الشعر العباسي الرؤية والفن، الدكتور عز الدين إسماعيل (دار المعارف 1980م) ص374.
22 - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري الدكتور محمد مصطفى هدارة (ط2 دار المعارف 1970م) ص199.
23 - الحندس: الليل المظلم.
24 - طبقات الشعراء لابن المعتز بتحقيق عبدالستار أحمد فراج (ط دار المعارف 1956م) ص281.
25 - الحمام: الموت، مودي: ميت
26 - رضوى: جبل، شماريخ: أعالي، هبّود: اسم جبل أيضًا.
27 - وَهْيا: شقًا
28 - طبقات الشعراء: ص122، محثون: مسرعون.

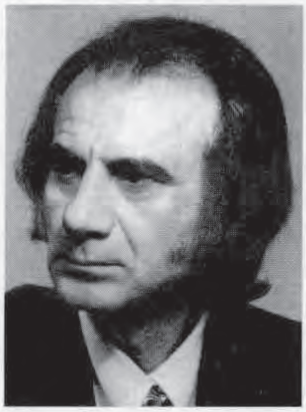
قصيدة

ياولدي

محمد صلاح عفيفي



حبيبَ العُمْرِ ياولَدي   حماكَ اللهُ من حَسَد
تطالعُني وأنتَ معي   بوجه كالربيعِ ندي
وثغر في تبسُّمه   يفوق حلاوةَ الشَهْد
وأسْعَدُ حينَ تَلْعَبُ في   جواري غير مُبْتَعد
وأسمعُ صوتَكَ الرنا   نَ مثلَ البلبلِ الغَرِد
تناديني تقولُ أبي   نداءً شَدَّ من عَضُدي
وفي عينيكَ بارِقَةٌ   تبشرني بحُلْمِ غَد
ستبلغُ كلَّ أمنية   تدور اليومِ في خَلَدي
ومن طفل تَشُبُّ فتىً   ومن لَعِبٍ إلى رَشَد
فخذ بمكارم الأخلا   قِ تَمْلكْ خيرَ مُسْتَنَد
بناءُ المجد لن يُعْصى   عليك فَجِدَّ واجْتَهِد
وشيِّدْ بالهُدى عُمُدًا   فلا يُبْنَى بلا عَمَد
ومِنْ عِلْمٍ ومن عَمَلٍ   غذاءُ العقل والجَسَد
وزادٌ لا نفاد له   تَزَوَّدْ منهُ بالمَدَد
ووَقْتُكُ لا تُضعْهُ سُدَىً   فما قد فات لم يَعُد
بنفسك والنفيس فلا   تضنَّ وعن حماكَ ذُد
وإن حُكِّمتَ في أمرٍ   تحرَّ الصدقَ واتَّئد
ولا تصحب سوى ندٍّ   أفدْهُ ومنهُ فاستفد
وأنتَ بذاتك الأقوى   فلا تلجأْ إلى أحَد
إذا ما كنتَ ذا حقٍ   فدافعْ عنه كالأَسَد
وكنْ في كل معتركٍ   جريئًا غيرَ معتمِد
ولا تَحْنِ الرقابَ سوى   لفَرْدٍ واحدٍ صَمَد
سأغرس فيكَ من مُثُلي   وحبَّ اللهِ والبلد
فإن لم يبقَ لي أجلٌ   فروحي فيك يا ولدي
ستذكُرُني وترحَمُني   وتُكمِلُ ما بَنَتْهُ يدي
وإن عُمِّرْتَ في الدنيا   فجاملْني وكُنْ سندي
ولا تضحك على هرمٍ   رعاك العمرَ في جَلَد
ولا تترك مصاحبتي   إلى أصحابك الجُدُد
فأنتَ أعزُّ تَذْكارٍ   يخلّدُني إلى الأبد
ودربٌ فوقه تخطو   أشاهد فوقَهُ كَبِدي



الشاعر نهاد رضا:

نداء المدينة المفتوحة وإرواء الظمأ الروحي

أجراه: **محمد سعيد فخرو**

كانت مجلة «الفيصل» قد انفردت بنشر أول لقاء موسع مع الشاعر والمفكر نهاد رضا حول «ملحمة العهد المعاصر»، وذلك في عددها رقم (213)، حيث سعى المؤلف إلى توضيح الأسس المعمارية لهذه الملحمة، مركّزا الضوء على عدد من مكوناتها وخصائصها العامة.

وفي وقت لاحق، وعلى رغم قصر الفترة الزمنية، أنهى الشاعر نهاد نظم جزء رابع، وأصدره بعنوان «نداء المدينة المفتوحة»، لينضم إلى عقد هذا العمل الفني والفكري الفريد من نوعه، بشهادة أعلام من الفرنسيين. فأصبحت الملحمة مكونة من أربعة أجزاء، وتضم مئة وخمسين نشيداً. ولاعجب في ذلك لأن الطبيعة المعمارية لهذه الملحمة تسمح بانضمام لؤلؤة جديدة، كما يشرح المؤلف في مستهل اللقاء.

وكما انفردتْ، أوَّلَ مرة، بلقاء تناول الملحمة في بنائها الإجمّالي، تنفرد «الفيصل» ثانية بنشر أول لقاء مسهب مع الشاعر المفكر نهاد حول كتابه الجديد «نداء المدينة المفتوحة» وفي هذه المرة، يتبع المؤلف خطة مغايرة، تسمح بتسليط الضوء على مواضيع مختارة، تناولها الجزء الرابع، مرتكزا على منهج المحاور، ليتغلب على استعصاء هذه الملحمة على التلخيص، حسبما بيّن في اللقاء الأول.

حتى عنوان الكتاب مزدوج الإيحاءات، في صيغته العربية. فالرسم الذي يتصدر الغلاف صورة تمثل الكعبة المشرفة، ومن خلفها تظهر أجزاء من مكة المكرمة، مدينة نصر الله والفتح، وهذه الصورة نفسها كانت تزين غلاف أحد الأعداد الأولى من مجلة «الفيصل» أما عنوان الكتاب فيومئ إلى النشيد رقم (28) من الجزء الثاني من الملحمة، وعنوان هذا النشيد «أوربا مدينة مفتوحة». وهاهي ذي المدينة ـ القارة، بل هاهو ذا العالم بأسره، وفق توجهات الملحمة، يصدر نداء خفيفًا. وهاهي ذي «ملحمة العهد المعاصر»، الخادم الأمين للقرآن، تسهم في تلبية النداء، إرواءً لظمأ الإنسانية الروحي.

ورغبة منا في دخول واحة «نداء المدينة المفتوحة» وتعرّف بعض مكوناتها توجهنا إلى مؤلف الملحمة الشعرية الإسلامية الكبرى بعدد محدود من الأسئلة، فاسحين المجال لأشجار الواحة الفكرية، لتطل علينا بطيف أوراقها، وعبق أزهارها، ومذاق ثمارها، من خلال توضيحات منورة واستشهادات معبرة.

ـ بعد صدور الجزء الرابع من «ملحمة العهد المعاصر»، أصبحت هذه الملحمة تضم أربعة أجزاء بدلا من ثلاثة. وقد فهمنا خلال لقاء سابق أن مضمونها مستعص إلى حد ما على التلخيص. مع ذلك، هل من وسيلة إلى تسليط أضواء كاشفة على نواح معينة، كي يتمكن قارئ العربية من أن يستشف عوالمها الخاصة، وبوجه التحديد من خلال الجزء الرابع: «نداء المدينة المفتوحة»؟

أود أن أشير في البداية إلى أن إضافة جزء رابع لايتعارض والمبدأ التكويني للملحمة. فهي من النوع المنفتح، ويتم فيها، كما ذكرت سابقًا، استعراض الأحداث البارزة، بمعزل عن التسلسل الزمني، ومن خلال رؤية فكرية شمولية. وعلى هذا الأساس، تمثل هذه الرؤية الفكرية الإطار الجامع، وعماد الوحدة

التكوينية، والعطاء الجوهري، وذلك بما تسهم به من تجديد فكري ووعي روحي.

الجزء الرابع وهو بعنوان «نداء المدينة المفتوحة» يخضع هو أيضا من الناحية المعمارية للتشكيل الهيكلي نفسه. فهو يتكون من ثلاثة فصول، يضم كل واحد منها عشرة أناشيد. وهكذا تصبح الملحمة مؤلفةً من مئة وخمسين نشيدًا.

فلنعد بعد هذا التوضيح إلى لُبِّ السؤال. لما كان تلخيص الملحمة شبه متعذر، خصوصًا على نحو متسلسل، لذلك سألجأ إلى وسيلة في العرض قوامها اختيار محاور أساسية، تتابع بشكل أو بآخر في سياق الملحمة. لأنه سيتيح للقارئ، عن طريق بعض الشرح والاستشهاد بعدد من المقاطع الشعرية، تكوين لوحة تصويرية تطل من نسيج الملحمة.

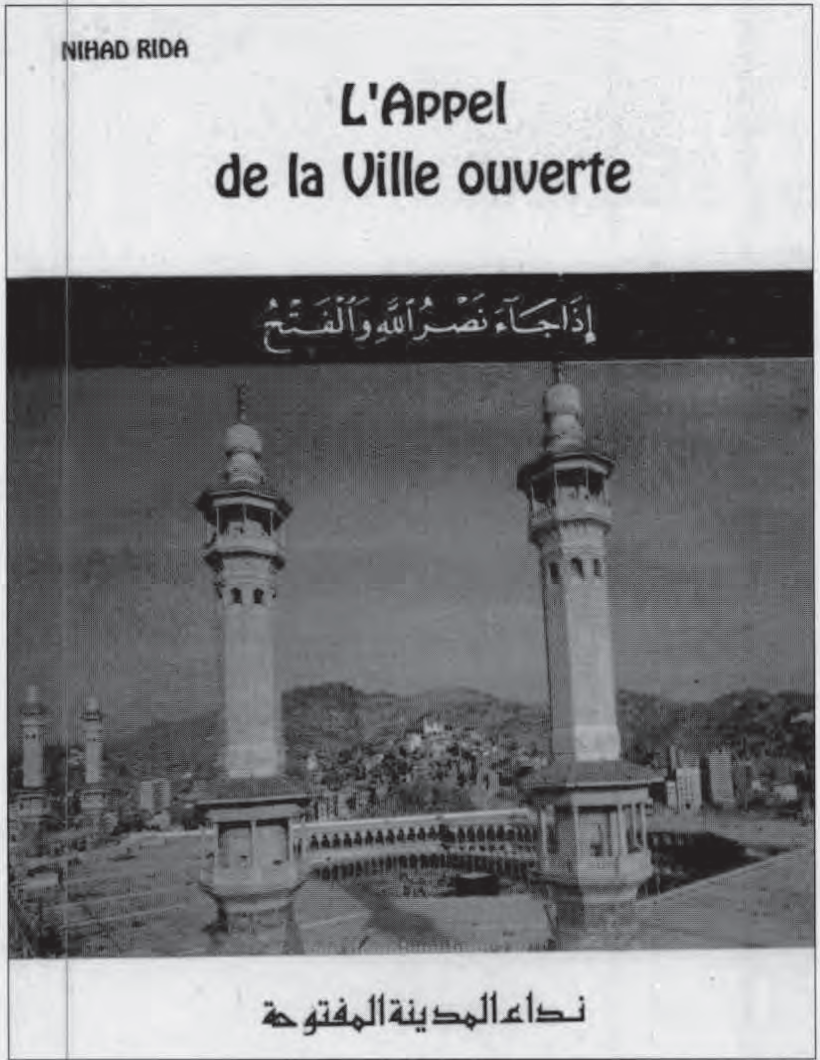
لدينا في الفصل الأول محور تندرج فيه سلسلة من التصورات للمدينة الفاضلة عبر التاريخ، نصل إليه بعد السعي إلى الولوج إلى التكوين الصميمي للإنسان.

خلف حجاب الألسنة المتنوعة، نستبين الكائن الناطق، وخلف حجاب المخططات المتعددة، نستشف الكائن المفكر. الإنسان، هذا الكائن المكرم، الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان الخليفة، بما له من ملكة فريدة، وقدرة على الانعتاق من إسار الحركة الأفقية التي تكرر ذاتها، بعيدًا عن مملكة الحيوان.

الكائن الناطق المفكر له خطة، هي مقياسه، وهو مقياسها. الخطة تستلزم وجود مشروع. وتنبثق فكرة المثل الأعلى، فكرة «المدينة الفاضلة»، على مستوى الحياة الاجتماعية المشتركة، وتطرح مسألة العلاقة بين الواقع والحلم.

تستعرض الملحمة في هذا الفصل أنموذجين، أنموذج أفلاطون، ثم أنموذج الفارابي، هذا الصدى الشرقي للتصور الإغريقي. ويتناهى إلى سمعنا هذا الصدى، بأسلوب الملحمة الخاص، الأسلوب المكثف الذي يبرز النواة الجوهرية، والمفاصل الأساسية، مع تقييم ناقد، حسب التصور الشخصي حينا، وحسب التصور العام حينا آخر، مع المآل المتوقع، بحكم التكوين البنوي لكل خطة، وفي خضم الصيرورة، بوصفها حركة أفقية متواشجة لا محالة مع العالم العلوي. يتناهى إلى مسمعنا، بل إلى قرارة ذاتنا، هذان المقطعان من نشيد «الأحلام وحقائق الواقع»:

هنالك صدى شرقي أغرم قلبه بالعقل
اتخذ من التراتب مبدأ، على نحو هابط
من أفق إلى أفق.
وضع مخططًا لمدينة فاضلة رائدة
وتَصوَّرَ لقمة الهرم فيها تاجًا يكللها
فاقترح أنموذَجا لحاكم كما لايوجد
ساعيًا إلى اجتذابنا بطُعم شديد الإغراء
ولكن ياللأسف بقي الحلم مجرد حلم
وحل محلَّ السلف من الرعاة خَلْف
أكثر فسادا



غلاف كتاب «نداء المدينة المفتوحة»

بعد تهافت هذه التطلعات، يطالعنا تهافت تصورات المفكرين الطوباويين في القرن التاسع عشر، ثم انهيار المحاولة الكبرى، حيث ارتفع مفهوم «المدينة الفاضلة» إلى مستوى «نظام اجتماعي» جديد، ونتعرف أسباب هذا الانهيار على رغم المنطلقات التي افتُرض بأنها رشيدة عقلانية. ثم نلتقي نشيد «هلاك القرى»، والتصور القرآني لأسباب هذا الهلاك.

- هل نفهم من ذلك أننا نتعرف في الفصل الأول سيرورة الفكر، ممثلا في الفلاسفة والمفكرين من الطراز الذي يتطلع إلى مجتمع أفضل، عن طريق هذه التصورات المثالية للمدينة - الأنموذج، أم أن هناك شرفة تطل على تلوينات فكرية مختلفة؟

نداء المدينة المفتوحة وإرواء الظمأ الروحي

لم يكن كلامي سوى سطعات تطلع من آفاق محور من المحاور في هذا الفصل. لن أتناول محورا مهما جدا يقع قبيل نهاية الفصل، ويتعلق بعدد من كبار الفلاسفة الإغريق، وفحص توجهاتهم وتطلعاتهم الفكرية في ضوء الإسلام، وتشبيه سعي بعضهم نحو «الخير الأسمى» بمحاولة إبراهيم عليه السلام، وإعطاء تقويم للفكر الإغريقي وخصائصه من زوايا إجمالية، وبصورة مبتكرة. أحجم الآن عن تناول هذا المحور، لأن الموضوع على جانب كبير من الأهمية، ويرتبط بطروحات أساسية جديدة، وبنظرية خاصة للمعرفة تضمها هذه الملحمة.

بعد هذا الاستنكاف المنهجي، أشير إلى محور يتناول عددًا من رجال الفكر «الفردين» بشكل أو آخر، من الغرب والشرق ومنهم الفيلسوف الفرنسي «سارتر» على سبيل المثال. هؤلاء يتم رسم شخصيتهم وعطائهم بريشة الفكر، بشكل مكثف وناقد. أكتفي هنا بالإشارة إلى هذه العينات من المفكرين الذين يشار إليهم بالاسم، في حاشية أحد أناشيد الفصل. ولكنني سأشير، ونحن في جو التحامل على تراثنا بل على تراث الإنسانية، سأشير إلى كوكبة من المتحذلقات، أغفل ذكر اسمهن عن عمد وأعني المنافحات عن المساواة المجردة، والحرية المغناج.

فلنترك، بالأحرى، نشيد «الأقلام - الأشباح» يتحدث لنا عنهن في هذين المقطعين:

فلننشر أولا إلى أصداء نسوية وغمغمات
تبقى مجرد غمغمات على رغم مايرافقها من عملية إخراج
إنهن، بدلا من تحرير «دُمى واجهات العرض الزجاجية»،
يتظاهرن بالدفاع عن المرأة وهن عدوات لها
المتشدقات بالمساواة الوهمية المجردة
ومتزعمات قضية الحرية المغناج المتطرفة
هؤلاء لامكان لهن، ولالذكرهن بالاسم، في هذه الملحمة
فالمرأة مخلوق كرّمه الله، وأسمى من أن تكون مجرد دمية لعوب

- هل سننتقل الآن إلى الفصل الثاني، أم إن طريقة التنوير بواسطة المحاور تدعو إلى توجه آخر في الإطلال على معالم «نداء المدينة المفتوحة»، وآفاق «ملحمة العهد المعاصر» بوجه العموم؟

ينطوي الفصل الثاني في الحقيقة على عنصر حركي يتمثل خاصة في نشيد «معركة البشر - الذئاب»، وهي المعركة الثالثة في هذه الملحمة، وتحمل خصائص كل معارك الملحمة بكونها تصورية، ويدور الصراع فيها بين قوى الخير والشر من خلال شخوص ورموز. وبما أن للملحمة شؤونا وشؤونًا مع إبليس، لذلك سأرجئ تناول هذه المعارك، والمواجهات مع إبليس ورهطه إلى مناسبات أخرى، مستنسبًا الانتقال مباشرة إلى الفصل الثالث، بل إلى محور معين في هذا الفصل.

بعيدا عن إبليس الذي يخسر «معركة البشر - الذئاب»، ويرثي نفسه في نشيد تال رثاءً يتميز بغنائية تقطر حزنًا، بعيدا عنه وعنّ رهطه، ينقلنا الفصل الثالث إلى واحة من النظريات وإسهامات جديدة في فلسفة التاريخ ومساره، واقتراح مفهومات هي بمثابة مدخل إلى تفسير القرآن. ألم يرد في الملحمة الإسلامية الكبرى أكثر من مرة، وفي أكثر من نشيد، أنها خادم القرآن الكريم.

ها نحن أولاء، نصغي بقلوبنا إلى مقطع من نشيد «قمة التاريخ» يتقدم بومضة فكرية حول خلو ذرية إسماعيل من سلسلة أنبياء، ومابنطوي عليه هذا الأمر من مدلول عميق وجوهري بالارتباط مع ختم النبوة.

في ذرية إسماعيل. القلب المتلقي لنزول الوحي
لامكان في هذه الذرية لسلسة متتابعة من الأنبياء
للنبي المصطفى حجزت منصة الشرف
للمصطفى محمد القرآن المنزل، الذكر المحفوظ

هذا وأحب أن تكون نهاية هذا اللقاء إشارة إلى النشيد الأخير من «نداء المدينة المفتوحة». إنه دعاء وترتيلٌ يعرِّف العديد من أسس الإسلام، لذا رأينا ترجمته بنصه الكامل، مع تصرف بسيط مراعاة لطبيعة الأدعية والأناشيد الدينية في اللغة العربية. ولن يجد القارئ نفسه غريبا عن الأجواء في هذا النشيد بوجه التحديد. إنما نعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها دعاء وترتيل ديني إسلامي من هذا النوع في اللغة الفرنسية، وفي شعر (كلاسيكي) يعتمد البحر الإسكندري الاثني عشري، وهو أطول البحور الشعرية في اللغة الفرنسية وأصعبها، آملين أن يتم تلحينه مستقبلا، بأسلوب يتجاوب ومألوف الذوق الموسيقي في الغرب ويخلق جوًا من الخشوع، بحيث يتمازج بديع اللحن مع صدق الابتهال، ورقيق النغم مع عمق المعرفة وصحيحها.

لله الحمد
ماأرحمه من مولى مولانا الخالق!
ماأكرمه من مولى مولانا الرازق!
أمام أبواب أسمائك الحسنى هانحن راكعون
في الألقاب زاهدون عن ضمائر الذات متجردون
إياك نقصد لبيك اللهم لبيك يامعين
لانجاة لنا إلا بك أنت يارب العالمين إياك نستعين
ليس فينا من هو عبد كفور كل فرد منا عبد شكور
نحن البسطاء من عبادك نحن المحسنون في مرضاتك
منتهى أملنا القرب منك يارب تقبل اللهم رغبتنا
وزلفى رجائنا من فضلك يارب تقبل اللهم توبتنا
إليك نتضرع سائلين العفو من واسع رأفتك
إليك نتوسل آملين العطف من معين رعايتك
لا إله إلا أنت إياك نعبد ياواحد ياأحد
أنت إلهنا في السماء إلهنا في الأرض ياواحد ياأحد
إن كتابك القرآن الكريم، كتابُنا
ودينك العظيم، الإسلام، دينُنا
ونبيّك المصطفى محمد نبيُّنا
وكل أنبيائك السابقين أنبياؤنا

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة - وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر - ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة تؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س **الغزو الثقافي والفكري.. هناك من يراه حقيقة وآخرون يرونه وهمًا، وتعبيرًا عن رسوخ «نظرية المؤامرة» في الأذهان.. فأين الحقيقة إذن؟ وما وسيلتنا لمجابهة تحديات الآخرين مهما كانت صورها ومصادرها ؟**

م. أحمد فهمي شعبان
بين السرايات - الدقي / القاهرة - مصر

VIA AIR MAIL
PAR AVION

يعدّ «الغزو الثقافي» من القضايا التي كثر حولها الجدل الكثير في عالمنا العربي، خاصة خلال الفترة الأخيرة، ولقد كتب فيها كاتبون، وتعمق في مفهومها باحثون، بل وعقدت بشأنها ندوات ومؤتمرات علمية وفكرية، وعلى ذلك كله فإن هناك من الكتاب والمفكرين من ينكرون وجود ذلك «الغزو» من الأساس، ولا يسلمون به، ويدّعون في هذه السبيل أن القضية ليست أكثر من مجرد تبادل ثقافي بيننا وبين الآخرين الذين يدّعى بعضنا أنهم يغزوننا، وأن كثرة أحاديثنا وكتاباتنا عن «الغزو الثقافي» تنم عن ضعف من جانبنا، وعن عدم ثقة في أنفسنا، فما القضية أصلاً؟ وما ذلك الغزو الثقافي عند من يؤمنون بوجوده، بل ويسلمون بخطورته، وينادون بمقاومته والوقوف في وجهه؟؟

إنه - وببساطة - أحد أشكال الاستعمار الجديدة، وقد جاءنا بعد أن يئس أعداؤنا من غزونا بقوة السلاح، وبالجيوش الجرارة، وذلك بعد أن أدركوا تمامًا، وبما لا يدع مجالاً للشك أن الغزو المسلح يستنفر الأمة الإسلامية، ويحفز أفرادها على الوقوف في وجه الغزاة والدفاع عن الأرض والعرض، وقد حثنا ديننا الإسلامي على ذلك، فلقد وقفت هذه الأمة أمام جحافل التتار، وردتهم على أعقابهم خاسرين، كذلك قاومت الصليبيين في فلسطين وحول بيت المقدس على مدار قرنين من الزمان، كذلك قاومت مصر الغزوة الاستعمارية التي قادها «بونابرت»، ومن بعده قاومت الإنجليز، ومثل المصريين فعل الجزائريون وبلاد شمال إفريقيا كلها، وكذلك بلاد الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وفي كل مرة انتصرت شعوبنا ضد المستعمرين من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين، وإن دفعنا من دم أبنائنا بغزارة.

وفي كثير من بلاد إفريقيا وآسيا دفع المسلمون، ومازالوا يدفعون الكثير من دمائهم وأرواحهم ومقدرات أوطانهم.. فقط.. لأنهم مسلمون، وفقط لأن أعداءهم الصليبيين الجدد لا يريدون أن ينسوا أنهم هزموا ذات يوم على أيدي المسلمين، كما أنهم يخشون - وهذا هو المهم الآن - أن تقوم للإسلام قائمة من جديد.

وإذا كان الصليبيون الجدد قد خرجوا بدرس واضح تعلموه من حروبهم مع المسلمين فهو أنه من المستحيل أن يخرجوا المسلمين عن دينهم الحنيف، ومن هنا تفتق ذهنهم وفكرهم الشيطاني عن بديل خطير للحرب المباشرة. ولقد تمثل هذا البديل في «التغريب» والغزو الثقافي. وإذا كانت الحروب العادية قد استخدمت فيها الدبابة والمدافع والطائرة والبندقية، فإن السلاح الجديد تمثل في المدرسة والكتاب المدرسي، والمنهج المنحرف والصحيفة المأجورة والمجلة وإلى ذلك يضاف السينما والمسرح وشريط الفيديو والكاسيت والبث المباشر.. الخ.

وإذا كانت الصليبية القديمة قد احتاجت إلى تجنيد الضباط والجنود من أبنائها في بلاد الشرق المسلم، فيُقتَلون ويُؤسَرُون، حتى قوادهم وملوكهم، إلا أن الصليبية الجديدة درّبت قساوستها ومعلميها وفتياتها على التعامل الهين اللين مع الشباب المسلمين فأرسلتهم يحتمون خلف أسوار سفاراتهم ومدارسهم الخاصة في بلادنا.

وهذا الغزو تارة يأتي من الخارج، وتارة من الداخل، تارة يهجم بأساليب مباشرة، وتارة يتسلل بأساليب خفية، تارة يتصدره رجال دين، وتارة يقوده سياسيون وعلماء، تارة يرتدي رداء الكهنوت، وتارة مسوح الأطباء، تارة بالهجوم على ديننا، وتارة باصطناع مذاهب ونسبتها إلى الإسلام لتدميره من الداخل، تارة بتصفية قيادات، وتارة بتصعيد أخرى، تارة بشراء الذمم، وتارة بتوزيع القمح واللبن، تارة بالتهديد، وتارة بالتهويد، تارة بالتمييع، وتارة بالتجويع، تارة بالفكر المضلل، وتارة بالمدفع المهدد، تارة بالمساعدات، وتارة بقطع العلاقات.. إلخ.

وإذا كانت الصليبية القديمة قد فشلت في مواجهة أبطال المسلمين في ساحات الوغى ومعارك الجهاد فإن الغربيين فتحوا أبواب دولهم يدعون إليها شباب جامعاتنا كي يتعلموا هناك، فيذهبون ليضيع منهم جزء في مجتمعاتهم الفاسدة، وليعود إلى قومه مسخًا نسي دينه وقومه وربه، وجاءهم بأخطر مما يجيء به الصليبي الواضح مطالبا بالانفتاح على الغرب بكل ما فيه من حرية وإباحية وانحراف.

إن الغزو الثقافي أذكى بكثير من الصليبية القديمة، لأن الأخيرة استثارت المسلمين ودعتهم إلى التوحد والمقاومة، وإلى الوقوف خلف قيادات إسلامية مؤمنة واعية، أما الصليبية الجديدة فقد التبست على الكثيرين بسبب أساليبها الجديدة، وبسبب وسائلها المتعددة وبريقها وخداعها وتنوع ميادينها.. ومن ناحية أخرى فإن المشكلة الكبرى هي أن الذين حملوا تلك الصليبية ونادوا بها كانوا - في معظم الأحيان - من أبناء الأمة الإسلامية الذين خُدعوا، إذا أحسنّا الظن بهم، أو من الذين جعلوا من أنفسهم طابورًا خامسًا لأوروبا وأمريكا وروسيا عن سوء قصد وفساد تدبير.

إن خطورة الغزو الجديد أنه لا يركز على احتلال مساحات من الأرض يندفع أهلها فورًا للدفاع عنها، وتطهيرها من الغزاة المغتصبين، إنما الغزو الجديد ميدان مبتكر من ميادين الاستعمار المتلونة بألف لون ولون، فمن خلاله تحتل مساحات في العقول والأرواح، وذلك أخطر آلاف المرات من احتلال مساحات الأرض. إن احتلال مساحات الأرض يجعل الناس متحمسين للدفاع عنها، أما إذا احتلت العقول، وبلبلت الأفكار والمفاهيم فمن سيدافع عن أصحابها؟؟!!

إن الإنسان إذا انهزم داخليا فإنه يصبح مسلوب الإرادة، عديم الفائدة، إنهم يحاولون محو الشخصية العربية الإسلامية، بحيث يصبح المسلم تابعًا لا كيان له، سواء في ذلك الكيان الوطني أو القومي أو الديني.

إن الغزو الثقافي، في معنى من معانيه، عبارة عن أن يَحُول الغازي بين الأمة الإسلامية

وتاريخها وماضيها وسيَر الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ الغزاة وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقفَ من أبناء الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية، فيذهل عن تاريخه، وعن سير الصالحين من أسلافه.

وباختصار.. فإن المجتمع المغَرَّب، أو الذي غُزي ثقافيا هو ذلك المجتمع الذي تزدحم طرقاته، كما يقول جلال كشك، رحمه الله، بأفخر وأحدث السيارات المستوردة، وتضم مدنه أفخم دور عرض الأفلام المستوردة، ويرتدي أهله أحدث المنسوجات المستوردة، وعلى أحدث (الموضات) الغربية، ويثرثر مثقفوه في قاعات مكيفة الهواء بأجهزة أمريكية وغربية في مشكلات المجتمع الغربي وآلامه، ويملؤون صفحات من ورق مستورد تطبع بحبر مستورد، وبآلات مستوردة، حول قضايا الوجودية ومسرح اللامعقول ، والجنس الجماعي، وتطور حركة الهيبز، على بعد خطوات من كهوف مواطنيهم، حيث البلهارسيا والتراخوما، وكل تراكمات التخلف، منذ القرن السابع عشر. وهناك الكثير.. الكثير.. حول هذا «الغزو»، ولكن لعل هذه العجالة تكفي، ولو كمقدمة نفهم من خلالها المعنى المقصود، ولعلنا نتوسع في ذلك شرحًا وتفصيلاً، في مقال كامل، والله الهادي إلى سواء السبيل.. سبحانه

د. محمد عبدالعليم مرسي

«الغزو الثقافي والفكري»، «الإعداد للقرن الحادي و العشرين»، «الحوار مع الآخر»، «البحث عن الذات» و«الهوية الإسلامية والعربية» موضوعات تطرح بين وقت وآخر، ونتدارسها ثم نمضي منها إلى ما يليها دون تعمق أو تدبر. وتلك الموضوعات تتجدد بين حين وآخر ولا نمل تناولها ولا نشبع من تعاطيها تمامًا كالوجبات السريعة: مطلوبة دائمًا لكنها لا تشبع، إضافة إلى غلاء ثمنها.

والغزو الثقافي والفكري ليس جديدًا. لقد بدأ هذا الغزو مع أول خيوط اتصال حضاري مع الآخر؛ الذي هو في حالتنا الغرب، وقد نتوقف مع الغزو الثقافي في العصر الحديث عند الحملة الفرنسية على مصر (1798- 1801م). وفيه نرى انبهار الشيخ المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي (1754- 1825)، في كتابه «عجائب الآثار» التي صدرت أولى طبعاته بالفرنسية في الأعوام 1886- 1888، بما لدى الفرنسيين من تقدم حضاري وتقني هو بمقاييس اليوم بداية البدايات. وسطر الجبرتي في كتابه صفحات تشهد بتضاؤل الإنسان المصري في ذلك الوقت أمام ما لدى الفرنسي من علوم ومعرفة. ومثلت تلك المواجهة إحدى أولى هزائم الإنسان العربي أمام ثقافةالأوروبي الغربي. فقد كانت حملة نابليون بونابرت، الذي ولد في 1769ومات في 1821م، إضافة إلى كونها حملة عسكرية، تسعى إلى سبر أغوار ثقافة الشرق وكانت مصر ممثلة لذلك الشرق.

وتمضي السنون ونقف على أعتاب القرن الحادي والعشرين ونسمع عمن يتحدث عن الغزو الثقافي والفكري. وأنا استخف عقل من يظن أو يقول إن هذا الغزو حديث أو جديد في أدواته أو مفهوماته.

فالغزو الثقافي قائم في أدب الغرب وفكره وموسيقاه وفنونه. وحينما احتل الإنجليز بقعة من أفريقيا كانت الثقافة الإنجليزية والأدب الإنجليزي والفن الإنجليزي هي جنود الكوماندوز التي تشق صفوف المقاومة في المناطق التي يريد الإنجليز غزوها. حتى إذا دخل الجندي الإنجليزي كان استقباله والترحيب به أمرًا أكيدًا. حتى إن الشعوب اعتبرت مقدم الإنجليزي مبعث خير ومصدر نور.

في ندوة سابقة بجريدة «عكاظ» حول موضوع مشابه، تحدثت عن الغزو الثقافي - وما زلت - من زاوية أننا شعوب لم تحصن ضد الثقافة الغربية والفكر الغربي، وشبهت أنفسنا بأننا أطفال لم يحصنوا ضد الشلل، وعندما داهمهم فيروس ذلك المرض اللعين فتك بأعضاء حركتهم فأقعدهم. هكذا، نحن نشكو من الغزو الثقافي الغربي وليس في بلادنا ثقافة، نخاف من ثقافة الآخر ونغلق كل النوافذ عليه، نخشى على أبنائنا من فكر الآخر ولا نتركهم يعرفون من هو الآخر أو كيف يفكر ولا نقدم لهم نموذجًا من ذلك التفكير، حتى إذا زار أبناؤنا دولة من دول الغرب التي هي دول الآخر - غرق إلى شعر رأسه في أفكار الآخر وآرائه، وأصبح عونًا على نشر أفكاره وثقافته أكثر من الغربيين أنفسهم. وأنظر حولك لترى كم عدد المثقفين العرب المغتربين فكرًا وثقافة الذين يملؤون صفحات الجرائد وموجات الإذاعة والفضائيات العربية.

إن المتابع لأحوال عالمنا العربي اليوم يحزن كثيرًا - فالغزو الثقافي لو كان غريبًا علينا لحددت هويته فورًا، ولعرفت لغته ولأمكن التعامل معه. لكننا اليوم نواجه تخريبًا ثقافيًا متعمدًا من الداخل. بعض الفضائيات العربية أصبحت أدوات هذا الغزو الثقافي والفكري الذي أخفق الاستعمار في أعتى عصوره وأكثرها تجبرًا أن ينجزه. كان المصري والسوري والمغربي كلاً واحدًا في وجه المستعمر، رغم تعثر وسائل الاتصال واقتصارها على ظهور الحمير والبغال والجمال. أما الآن فهناك من العرب من يتعالى بما لديه من ثقافة وفكر وما لديه من موروث على العرب الآخرين.

أخطر أشكال الغزو الثقافي التي نشهدها الآن تتركز في ترسيخ العاميات العربية وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى. كما أن تضخيم الذات من خلال أبواق الفضائيات العربية وتحويل الأقزام إلى أبطال مغاوير هو صورة أخرى من صور الغزو الثقافي التي لم يفلح فيها الاستعمار، لكن أفلح فيها أصحاب التلفازات الفضائية. لقد أصبح مفهوم العرب عن الدولة أنها علم وسلام وطني وقناة فضائية فقط. لكن مقومات الدولة كما يعرفها الجميع من بنية تحتية وبنية ثقافية وبنية حضارية فلا تهم العربي في أيامنا هذه.

وفي هذه الأجواء التعسة نسمع من ينادي بالوقوف في وجه الغزو الثقافي والفكري. وذلك بالضبط خداع النفس وعدم القدرة على تبين مصادر الخطر. إن فرنسا ترصد تسعين مليون دولار لوزارة الثقافة فقط لتحارب الثقافة الأمريكية. والسؤال: ماذا رصدنا نحن؟ والسؤال ليس بحاجة إلى إجابة، إننا نبحث عن الثقافة الأمريكية بكل وسيلة: من الأطباق الفضائية، إلى الكتب، إلى المجلات، إلى الحصول على درجات الماجستير والدكتوراه، إلى التجنس بالجنسية الأمريكية. ولم نسمع خلال ذلك كله عن منتج أمريكي أو صاحب قناة فضائية أمريكية سعى إلينا ليوصل خدمته إلينا. وعلى العكس فإن أشهر قناة فضائية أمريكية بدل أن تدفع لضيوفها مكافأة لحضورهم إلى قنواتها فإنها تتقاضى منهم، عربًا كانوا أو غير ذلك، حتى تنقل صورهم وهيئاتهم إلى مئتي مليون مشاهد في جميع أرجاء المعمورة.

لذا فإننا نخلص إلى القول إن الغزو الثقافي قائم منذ أمد طويل، وإن كنت أميل إلى تسميته صراع ثقافات. لكن الوعي هو الذي يحمينا ويحمي شعوبنا ويجعل الغزو الثقافي كأن لم يكن، وإذا كنا قد بدأنا بانبهار الجبرتي بالغازي الفرنسي، فإن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (1801- 1873م) الذي سافر واعظًا وإمامًا لبعثة عسكرية مصرية إلى فرنسا، لم ينبهر بالفرنسي، بل وقف منه موقفًا آخر. كانت ثقافة الطهطاوي الأزهرية الراقية عاملاً مهمًا في ألا ينجرف مع تيار الغرب وينبهر بثقافته، وكتب كتابه الشهير «تخليص الإبريز في زيارة باريز»(1834). وهذا الكتاب يعدّ أول قراءة نقدية انتقائية لفكر الغرب. أخذ الشيخ الطهطاوي من فرنسا زعيمة الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر، ما ينفع بلاده وترك ما يضر وما يخالف. ولذا لم تفلح كل وسائل الغزو الثقافي والفكري القائمة في باريس أن تجد طريقها إلى قلب ذلك الشيخ الذي لم يكن خاويًا كحال معظمنا اليوم.

د. بشير العيسوي

صداع العقول

الغرض من ابن فارس إلى ريتشاردز..



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

حكم ابن فارس رحمه الله تعالى بأنه لا قياس لهذه المادة لبعد ما بين معانيها.

قال أبو عبدالرحمن: ومحال أن يتحد الواضع، ثم لا يوجد للمادة قياس واحد، ومن استقرائي لمعاني المادة وجدت أن الأصل الهدف الذي تقصده فتصيبه بهشم أوحز أو تجعل فيه فجوة، وهذه صفة الهدف الذي يُرمى إليه، والعامة تسمية نيشانًا.

ثم اشتقت المعاني المجازية الكثيرة، فتوسع بالمادة لكل شيء يقصد، ولكل مراد يُتمنى ويُطلب.

وأطلق الغَرَض على الضجر، لأن طلب المقاصد الشاقة يحدث ضجرًا.

ومثل ذلك شدة النزاع إلى الشيء والشوق إليه، لأن ذلك صفة أكثر الأغراض وأهمها، وإنما يقصد العقلاء ما كان أهلاً للضجر من تأبِّيه، وشدة النزاع إليه، وعرامة الشوق نحوه.

وعُدِّي إلى الغرض، بمعنى الشوق، برابطة «إلى»؛ لأن العاشق هو المتصف بأنه غرض، أي ذو غرض وقصد إلى محبوبه فهو مضمن معنى قصد.

وأما الضجر فيأتي من قبل المقصود، ولهذا عدِّي بمن.

ووُجدَت الضدية مجازًا لا وضعًا في الإطلاق على الشوق والمحبة، وضدهما من الضجر والملال، فحيث كان المرء بسبيل غرضه المستعصي يكون الضجر والملال، وحيث ينزع إلى غرضه بشوق ومحبة يكون هو ذا غرض إليه باشتياق، فيكون معنى الشوق والمحبة.

وأطلق الغرض على المخافة؛ لأن جلالة بعض الأغراض ومخاطرها تجلب المخافة، وتوقع في المخاوف.

واللحم الطري غريض؛ إما لأنه المقصود من بين بقية اللحوم، وإما لأنه هضيم، وقد سبق أن من معاني الغرض أن يحدث هضمًا أو حزًا أو فجوة.

ثم توسع بهذا المجاز لكل طري، فأُطلق على ماء المطر، ولكل أبيض كالطلع ينشق عن كافوره.

والضدية في امتلاء الحوض ونقصانه آتية في معنيين مجازيين بملحظين مختلفين، فحيث أرادَ الحوضَ غَرَضًا للوُرّاد مَلأه، وعندما نَقَصَهُ أصبح بصفة الغرض الذي يرمي إليه، حيث ينتقص بقطع أوحز أو فجوة.

وغَرَض السِّقَاء بأن جعل خلاصته ثَمِيرة لا زُبْدًا، ووجه المجاز فيه أنه جعل السِّقاء ذا غرض إلى الزبدة.

وغَرَض السُّخْل بمعنى فطمه، أي جعله ذا غرض إلى الرَّضاع.

والغرض للرَّحْل بمعنى الغارض، ووجه المجاز فيه أن يجعل الدابة ذات غرض إلى الطلاقة، أو لأنه يجعل المحز طريًا، أو لأنه يجعله هضيمًا.وشعبة الوادي غَرْض؛ لأنها انشعبت كأن لها غرضًا خاصًا تقصده. وموضع الماء غرض باعتبار ما كان ويكون من امتلائه.

ووجه المجاز في التثني والهزال ما يحدث في الهدف إذا أصيب من هضم وفجوة.

وغرضت بمعنى كففت: وَجهُهُ أصبت غرضي.

وإعجال الشيء عن وقته غرض، لأنك اتخذته غرضًا، ولم تتركه غرضًا لما يحدث في أوانه.

وغروض الثوب مواقع التثني منه، وقد سلف وجه المجاز في ذلك.

والأنف الطويل غرض لأنه بارز كالهدف.

وغرض بمعنى جاء بفكاهة ومزاح؛ إما لأن ذلك من أغراض المجالس، وإما أنه لا يضحك إلا الطري المبتكر.

وغريض اللبن والحليب على التشبيه بغريض اللحم، وهكذا السويق.

وشرب الأنف من الماء وجهه أنه بصفة من أصاب غرضًا.

وبحر لا يغرض ـ بمعنى لا ينزح ـ مأخوذ من انتقاص الحوض.

وقـال الأستـاذ مـجـدي وهبـة وزميله: «الغـرض هو مـا يرمي إليـه المؤلف من تأليـفه للأثر الأدبي، ومن الصعب أن نميـز في الأثر الأدبي بين الأدلة الكامنة في النص والخـارجية عنه بالنسبـة لغرض المؤلف، فـهناك نقاد يـبحثون عـن ذلك الغرض بين ملابسـات التأليف في حياة المؤلف، والبعض يتقيـد بما جاء في النص فحسب كما هي الحـال بالنسبة لمدرسة النقاد المحدثين في الولايات المتحدة الأمريكية.

وهناك رأي بأن دلالة النص الأدبي كـامنة في النص ذاته، مسـتقلة عن أي غـرض من أغـراض المؤلف، فـلا داعي إذن للبـحث عن ذلك الغرض ومقارنته بما جاء في النص.

وهناك رأي آخر بأن المقصود من غـرض المؤلف هو الدلالة العـامة للأثر الأدبي، وأنه لا يمكن أن يوجـد أي فـرق بينهـمـا، إذ إن كلمـات النص ما هي إلا رموز لأفكار المؤلف.

قـال أبو عبـدالرحـمن: المرجع أولاً إلى علم الدلالة ـ وهو فن قـائم بذاته ـ، فإذا تحددت دلالة النص قورنت بالأدلة الخـارجية والاستبطانات النفسية، فتحدد بيقين غرض صاحب النص ومغزاه.

وقـال الأستـاذ ريتشـاردز في كتـابه المشهـور عن النقـد التطبيـقي (1929م): إن القصيدة لها دلالات أربع:

الأولى: مـا أسـمـاه بالمعنى، أي ترجـمـة كـلمـات المؤلف إلى مدركات ذهنية متواضع عليها.

الثانيـة: الشـعـور، ويعني بذلك الموقف الوجـداني الذي يتـخـذه المؤلف مما كتبه.

الثالثـة: أسلوب التعبيـر (أو ما أسمـاه ريتشاردز بالنبر أو اللهـجة)، ويعني بذلك موقف المؤلف من جمهور قُرائه، ومـدى وعيه بأن الجمهور طرف ثان في حوارٍ هو طرفه الأول.

الرابعة: الغـرض، أي ذلك التأثير فـي القارئ الذي ينشده الشـاعر من وراء نظمه للقصيدة.

ويضـيف الأسـتـاذ ريتشـاردز إلى ذلك أن القـارئ الفطن هو الذي يستطيع إدراك التفاعل القـائم بين هذه الدلالات الأربع التي تكوِّن مـعًا المعنى الشامل للقصيدة»(1).

هذه الدلالات الأربع التي ذكرها ريتشاردز منهـا ما هو من صميم الدلالة النصية، وهو الدلالة الأولى والثانية.

وأما الدلالة الثالثة فالكفـيل بها منهج النقد التعاوني المتكامل الذي يضيف إلى دلالة النص كل الدلالات الخارجية، وقد شرحت هذا المنهج في دراساتي عن كافكا.

وأما الـدلالة الرابعة فـتعـود إلى دراسة المتلقي ذاته، وربما صـار من تفاعل المتلقي ما لـم يكن من حسبان المرسِل.

الحواشي:

1ـ معجم المصطلحات ص 265.

العلم والانفتاح الحضاري

د. محمد بن عبدالله السلمان

يمكن القـول إن العـلم هو أسـاس أي انفـتـاح حـضـاري لأي شـعب من الشـعوب، ولـنأخذ مـثالاً على ذلك شـعب المملكة العـربيـة الـسـعـودية واخـتـلاف ذلك الانـفـتـاح بين مناطقـه المختلفة.

ولما كـان لكـل منطقـة من مناطـق المملكة، قبل قيام الـدولة السعودية، أوضاعها السـياسية الخاصـة بهـا، فقـد كان لكل منطقـة من المناطق الرئيـسيـة التي تتكون منهـا المملكة أوضـاعهـا العلمية الخاصة بها.

فـالحجـاز كـانت تفوق غـيـرها من المناطق حيث نشاط الحركة العلمية فيها، وذلك لوجود الحـرمين الشـريفين ملتـقى العلمـاء المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية وما يتبع هؤلاء العلماء من أثر علمي كبير، وقـد كفلت له فريضة الحج صلة لا تنقطع بمراكز الإشعاع العلمي. كما أن التـعليم الحـديث بمدارسـه الحديثـة قـد بدأ في الحجـاز في عهـد مبـكر بالنسبـة لمناطق المملكة الأخرى حـيث ظهر فيـه في مطلع القرن الرابع عشـر، أي في العهد العثـماني، كما أن المطـبعة دخلت الحـجـاز في تلك الفـتـرة أيضًـا عـام 1300هـ ـ 1882م، وقـد كان لـها من التـأثيـر الثقافي الشيء الكثير.

أمـا منطقـة الأحسـاء فـقد كـانت ملتـقـى مـذاهب فقـهيـة وأصوليـة متعددة، وكـان بين أصـحـاب هذه المذاهـب حـوار وردود شـجع الحركة العلمية في المنطقة، إضافة إلى أن التعليم الحـديث عرف في العـهد الـعثماني أيضًـا وإن كان بعد الحجاز، أي في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وإن لم يلق من النجاح ما لقـيـه في الحـجـاز حيث كـانت الدراسـة في مدارسه باللغة التركية.

أما منطقة عـسير فقد كـان جنوبها أحسن حالاً من شـمالها من الناحـية العلميـة والثقافـية لارتباط ذلك الجزء باليمن ومراكزه العلمية. أما التعـليم الحديث فهـي، مثل نجد، لم يدخـلها إلا في منتـصف القرن الـرابع عشـر الهجـري، أي بعد دخولها تحت الحكم السعودي. ومنطقة نجد لها من الخصـائص العلمية والظروف ما يـجعلها تختلف عن المناطق الـسـابقة الذكر؛ فهي بـعيدة عن تيـار العلم المتـفـتح على الخـارج عكس الحجـاز، ولها من الظروف الحـياتية القـاسـية ما يجـعل أكـثـر سكانهـا منصرفين عن الـتعليم لمعاناتـهم من هذه الحياة وانـشغالهم في الـتغلب عليهـا، ولم يكن الوعي الكافي مـتـوافـرًا بين السكان ليـفـهـموا أن التـعليم يشكل الأفـراد تشكيلاً سويًا ويؤهلهم لمواجهة تحديات الحـياة. ومع ذلك كله فـيلاحظ أنه برز في نجـد علمـاء منذ القـرن العاشـر الهجـري؛ وهي الفتـرة التي دخل فـيهـا المذهب الحنـبلي إلى نجد. وتركـز اهتـمام عـلماء نجد في البـحث فـيه والتـعمق بدراسته، وإن وجد علمـاء في المذهب الشافعي والحنفي. وكانت قد ظهـرت في منتصف القرن الثـاني عـشـر الهجـري في نجـد دعـوة الشـيخ محـمد بن عبـدالوهاب، فزاد إقـبال الناس على العلم أكـثـر من ذى قـبل، وخـاصـة التـوحـيـد وأصـول الدين التي اهتـمت به الدعـوة لحـاجـة المجتـمع له أكثـر من غيره. على أن فـروع العلوم الشرعية الأخرى نالت من الاهتمام ما تستحقه. وقد كان لهذه الدعـوة الأثر العلمي الكبير لأنها شـددت على ضرورة فـهم العقـيدة الإسـلاميـة فهـما صـحـيـحا، وهذا لا يتـأتى إلا بالتحـصيل العلمـي، وأن المسلم العـالم خـيـر من المسلم الجاهل، فأقبـل الناس على تعلم القراءة والكتابة ودراسـة دقائق الدين، وقـام العلمـاء، رغبـةً في تعميم النفع، بوضع المؤلفات التي شاعت شيوعا كـبيـرًا من خـلال حلقات الـوعظ في المساجـد وغيرها.

ولا ريب أن صـعـوبة المعـيـشـة فـي نجـد حينذاك، وعـدم وجود من يتولى التـعليم برعاية ماليـة كافية وقـفا في طريق الغالبـية العظمى من الـسكان إلى المعـرفــة، ومع ذلك وجــدت محـاولات لنشر العلم لا بأس بهـا على حسب الإمكانات المتـوافـرة حـينذاك، وذلك من طريق الكتاتيب من ناحية، وحلقات المساجد في بعض المدن من ناحية أخرى.

أما التعليم الحـديث في نجد فلم يبدأ إلا في منتـصف القـرن الرابع عـشـر الهـجري، وإن وجدت مدارس أهلية أكـثر حداثة من الكتاتيب التقليدية به قبيل تلك الفترة.

وهكذا يمكن القول بأن نجد أمضت حوالي ثلاثين سنة من حكم الملك عبـدالعزيز وهي على الـتعليم الـتقليدي القـديم من كـتاتيب وحلقـات مسـاجد مـتفـرقة ثم أمضت قرابة ربع قـرن من الزمان من حكـم الملك عبدالعزيز تحاول السـير حثيثا في مسيرة التعليم الحديث مع عدم إهمال التعليم القديم.

المعرفة ... هي القوة

نور الدين بليبل

في إحدى المناسبات، وقف أحد المسؤولين الأمريكيين مخاطبًا عددًا من صحفيي بني جلدته، وممّا جاء في كلمته قوله: «وعندما تساعد بصفتك صحفيًا كل إنسان على فهم ما يحدث وما يدور فإنك تكون بذلك قد ساعدت على نشر القوة في بلادك... وذلك لأن المعرفة هي القوة».

إن ربط هذا المسؤول مسألة القوة بالمعرفة نابع من حقيقة مفادها أن مرد انبعاث الحضارات والثقافات هو العلم والمعرفة وتراكم الخبرات.

وتعد وسائل الإعلام والاتصال من الأدوات المثلى لنشر أصداء الحضارات الحديثة وذيوعها، كما أنها تمتلك قدرات هائلة تمكنها من تعزيز الرغبة لدى جمهورنا في اقتناء إنتاجات هذه الحضارات واستهلاكها.

وقد جرت العادة على قياس مدى تقدم الشعوب والأمم المعاصرة من خلال ما تمتلكه من وسائط الإعلام والاتصال والنشر والطباعة، وهو ما يعني ضمنيًا، أن تلك الوسائط تشارك في تعميم العلم والدراية ونشرهما على نطاق واسع.

ولاشك في أن المجتمع الذي يُبنى على أساس أن المعرفة هي القوة وليس غيرها، يصعب أن يصعد فيه أصحاب الأفكار الضحلة، ورواد الفكرة القائلة: التملق من أجل التسلق، وكذلك يستحيل أن تتاح لهم فرصة الهيمنة والبروز، أو أن يرتقوا إلى أعلى..

وتظل المعلومات اليوم مصدر تنافس دائم بين من يملكونها ومن لا يملكونها، وفي هذا السياق تقول إحدى الوثائق: «... وهناك الكثيرون ممن هم في موقع القوة والنفوذ يحسبون أن المعلومات هي بمثابة رصيد تحت أيديهم وليست حقًا لكل من يحتاج إليها».

وتتحدث عن المعلومات المتداولة بوساطة وسائل الإعلام والاتصال قائلة: «ومن الواضح أن للصحفيين العاملين في الصحافة المكتوبة وفي الإذاعة والتلفاز وكذلك للمنتجين والمديرين، دورًا مهمًا؛ لأنهم هم الذين يحددون شكل المعلومات التي تبلغ للجمهور ومضمونها.

وتبلغ قوة المعلومات مداها من خلال التمكن من فرضها على مستهلكيها أو روادها، وبذلك تزداد قوة نفوذ الشعوب الكبرى وهيمنتهاتغلغلاً ونفوذًا محدثة تدميرًا يكاد يكون كاملاً في البنيات الثقافية والاجتماعية والسياسية للبلدان التي لاتحوز إلا معلومات قليلة وغير مجارية للزمن..».

إننا نقرأ أحيانًا في بعض الصحف الغربية شعارات دعائية لكنها في ثوب خدمة: «إننا نملك المعلومات الضرورية التي تسمح للأفراد والهيئات باتخاذ القرارات المفيدة، والتصرف الحسن تجاه شتى القضايا والمستجدات...».

هذا النداء، رغم احتوائه على فكرة دعائية إشهارية، فإنه يتضمن حقيقة لا مراء فيها، وهي أن المعلومات ضرورية قبل اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ومن الأمثلة على ذلك، أن النقص الفادح في المعلومات من العراقيل الأساسية التي تواجه الدول الناهضة أثناء المفاوضات بينها، وبين الدول المتقدمة، أو بين الشركات المستوردة والشركات المصدّرة في الأسواق العالمية، إذ يعيق الأولى غياب المعلومات الضرورية في مثل هذه المفاوضات، أو بطء الحصول عليها، أو جهل مصادرها الحقيقية..

واليوم، لم يعد يقتصر مفهوم المعلومات على تلك البيانات والإحصاءات الجافة حول نسب الزيادات في عدد السكان، والإنتاج، والمؤسسات الجديدة... بل غاص بعيدًا في أعماق النفس الإنسانية من خلال المحاولة الجارية لجمع المعلومات عن الدوافع النفسية لقبول الأفكار الجديدة أو رفضها، أو درجات الانسياق وراء المعلومات الوافدة من الداخل والخارج، أو تصرفات الشعوب في حالات الرخاء والعوز والقلاقل والأزمات... والهدف من وراء هذا النوع من المعلومات هو السعي لإحكام السيطرة على الشعوب الضعيفة.

الخلفية الاستشراقية للدّعوة إلى العامّيّة

د. رشيد بلحبيب

لقد اتّخذ الأوربيون مواقف متباينة من الإسلام ومكوناته الشرعية والعقدية، وأصدروا أحكاماً على أحكامه الفقهية وأصوله العلمية والمنهجية، كان الهدف منها العمل على تمزيق وخلخلة النسيج اللغوي والحضاري والمعرفي للأمة الإسلامية، بعد أن استنزفوا ثرواته ودمروا من معالمه باسم تمدينه وترقيته.

فمنذ استيقظ العالم الأوربي لنهضته الحديثة وهو يرى عجباً من حوله، أمم مختلفة الأجناس والألوان والألسنة من قلب روسيا إلى الصين، إلى الهند... إلى فارس، إلى تركيا، إلى بلاد العرب، إلى شمال إفريقيا وقلبها وسواحلها إلى قلب أوربا نفسها، تتلو كتاباً واحداً يجمعها، يقرؤه من لسانه العربية، ومن لسانه غير العربية، وتحفظه جمهرة منهم عن ظهر قلب، فكان عجباً أن لا يكون في الأرض كتاب له هذه القوّة الخارقة في تحويل البشر إلى اتجاه واحد متسق على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة(1).

إن هذا الكتاب هو سر السماء ونور اللّه في أفق الدنيا، وهو يمثل الدين في أسمى صوره. «والدين هو حقيقة الخلق الاجتماعي في الأمة، وهو الذي يجعل القلوب كلّها طبقة واحدة على اختلاف المظاهر الاجتماعية، فهو بذلك الضمير القانوني للشعب، وبه لا بغيره ثبات الأمة على فضائلها النفسية، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب، ولهذا كان الدين من أقوى الوسائل التي يعول عليها في إيقاظ ضمير الأمة»(2).

وقد أدرك الأوربيون هذه الحقيقة، وتمنوا زوال القرآن، فكان بيّنا أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته «ذلك أن اللغة تصبح أكثر من مشكلة، لأنها منذ كانت: قضيةٌ وطنية فكرية، وقضية دينية، وقضية عرقية، وقضية سياسية، وقضية اقتصادية، وقضية استعمارية، وحدودية، وتعددية»(3).

ومن مبادئ وعي الأمة بذاتها أن تعي لغتها، فهي الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها.

صلة اللغة بالدين

إن ارتباط كتاب سماوي منزل بلغة بعينها - كارتباط الإسلام باللغة العربية - أمر لم نعرفه لغير هذا الدين ولغير تلك اللغة، وإذا كان غير القرآن من الكتب السماوية المقدسة كالإنجيل مثلا قد ترجم إلى لغات كثيرة وبقي على ما هو عليه من كونه كتاباً تعبّديًا مقدّسًا، فإن القرآن قرآن بلفظه ونصه، لم يترجم ولا يمكن أن يترجم، وإن ترجمت أفكاره ومعانيه، فإن ذلك لا يسمى قرآنًا، ولا يصح أن يكون في الإسلام كتابًا تعبّديًا. وإذا كان لدى غير المسلمين صلوات تتلى بغير لغة الكتاب المقدس، فإن الحكم الشرعي في الإسلام أنه لا صلاة بغير اللفظ العربي للقرآن(4).

فهذا الذي أمسكه القرآن الكريم من العربية لم يتهيأ في لغة من لغات الأرض.. ولن تتلاحق أسبابه

في لغة بعد العربية(5)؛ ذلك أن كل مسلم عربيًا كان أو غير عربي، يعلم أن مجرد تلاوة هذا الكتاب بلفظه العربي عبادة يثاب المرء عليها، وحفظه عبادة أخرى، وفهمه عبادة ثالثة، والتفقه في معانيه عبادة رابعة، والنظر في كتابته عبادة خامسة(6).

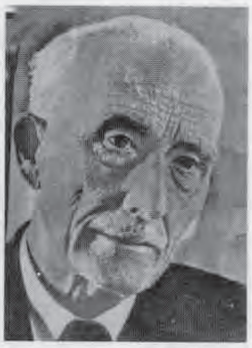
وقد أدرك الأوربيون هذه العلاقة وعبّروا عنها بإجلال ودهشة، يقول نولدكه: «إن العربية لم تصر لغة عالمية حقًّا إلا بسبب القرآن والإسلام»(7).

وكان القسيس زويمر يرى أن اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وقد عبّر عن هذا بقوله: «إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين، وبث في مئتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية(8).

وقال توينبي: «إن هناك بلادًا إسلامية عربية اللغة، وإذا كانت لغة التخاطب تختلف حسب المناطق، فإن اللغة الفصحى واحدة من شواطئ الخليج العربي، ومن حلب والموصل شمالاً، حتى الخرطوم، وعدن، ومسقط، وزنجبار جنوبًا، جميع الكتب والصحف الصادرة في القاهرة ودمشق وبيروت تقرأ في هذه المنطقة الشاسعة كلّها... لأن اللغة العربية هي اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية(9).

هذه اللغة في نضجها الكبير هي التي أوحى الله بها القرآن إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فنقلها نقلة واسعة من لغة قوم إلى لغة أقوام، من لغة محدودة بحدود أصحابها إلى لغة دعوة، جاءت إلى البشر كافة، فكانت العربية بذلك لسان تلك الدعوة ولغة تلك الرسالة(10) التي أكدت معجزة القرآن الكبرى.


حفني ناصف


المستشرق لويس ماسينيون


أرنولد توينبي


سلامة موسى

تلك سياسة هذا القرآن: جمع العرب... فرأى ألسنتهم تقود أرواحهم، فقادهم من ألسنتهم، وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين العقلي في كل أمة(11).

إن اللغة العربية مظهر رائع لامتزاج الشكل العربي بالمضمون الإسلامي، ومن هنا كان أصحاب النفوس الحاقدة والغايات الفاسدة... وراء كل دعوة إلى الفصل بين هاتين القوتين العظميين، كانوا دومًا وراء الطعن في إحداهما، لأنه طعن مزدوج لا يصيب واحدة منهما إلا أصابهما جميعًا(12).

فالشعب لن يتحول أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر، حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على لغة أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء(13).

لقد اتّخذ الأوربيون من عداوة هذه اللغة طريقة انتحلوها ومذهبًا انتسبوا إليه، كما اتخذت محاولات الطعن في العربية أشكالاً ومظاهر شتى، فهي عندهم لغة ميتة كاللاتينية، وهي لغة عاجزة عن مواكب الركب الحضاري، فقيرة من الناحية الإصلاحية، متحجرة التراكيب والكلمات، عقيمة الكتابة، مشوهة الحروف، يجب دفنها والتفكير في استبدال غيرها بها، واصطناع حروف غير حروفها!

ومن هنا كانت الدعوة إلى إثارة اللهجات المحلية وتشجيع العاميات(14) وفسح المجال أمام اللغات الاستعمارية من فرنسية وإسبانية وإنجليزية(15) قصد التضييق على اللغة العربية وإحلالها محلها.

الدعوة إلى العامية

لقد اهتم الأوربيون بدراسة اللهجات العربية والعاميات منذ وقت مبكر، فقد دعا البارون دي ويتز سنة 1664م إلى تأسيس مدرسة جامعة تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي ولغات الشرق لمن يناط بهم أمر التبشير(16).

لكن هذه الدعوة كثر أصحابها وزادت ضرواتها منذ أواخر القرن الثامن عشر مرتبطة بالتبشير دائمًا، يقول زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بلسان رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها»(17).

ويمكن إجمال مظاهر هذه العناية في النقط الآتية:

1- فتحهم المجال واسعًا أمام تدريس العاميات في المدارس والجامعات الأوربية:

لقد حَرَصَ الأوربيون على تدريس العاميات الشرقية في مدارسهم وجامعاتهم وأنشؤوا المراكز والأكاديميات الخاصة بذلك، مستعينين بالشرقيين الذين كانوا يعملون في بلادهم، وبالمستشرقين الذين كانت لهم معرفة باللهجات العربية المحلية.

وقد قامت الباحثة نفوسة زكريا في كتابها القيم «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» بإحصاء دقيق لتلك المؤسسات، منها:

- مدرسة نابولي للدروس الشرقية التي أنشئت في إيطاليا سنة 1727م وتم تجديدها سنة 1888م.
- مدرسة القناصل التي أنشئت في فيينا بالنمسا سنة 1754م وسميت كذلك، لأنها كانت تشرف على تعليم القناصل لغات الشرق وفي مقدمتها العاميات.
- كما أسست بالنمسا أيضًا مدرسة للهجات الشرقية سنة 1851م.
- مدرسة باريس للغات الشرقية الحية التي أنشئت سنة 1759م ودرست بها اللهجات العربية العامية، وكان أول من قام بتدريسها الفرنسي سلفستر دي ساسي.
- مدرسة لازارف LAZAREV الإكليريكية للغات الشرقية التي أسست في مدينة موسكو بروسيا سنة 1814م، وكانت هذه المدرسة فرعًا من الجامعة الإمبراطورية في بطرسبرج، وفي سنة

الخلفية الاستشراقية للدعوة إلى العامية

1909م خصصت فرعًا لها لتدريس العربية ولهجاتها العامية.

ـ كما استحدث في برلين بألمانيا مكتب لتدريس اللغات الشرقية ومنها العامية العربية، وكان من المدرسين بها الدكتور مارتن هارتمان الألماني الذي عمل قنصلاً لبلاده في بيروت.

ـ وقد درست العاميات العربية كذلك في المجر بالكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية وذلك سنة 1891م.

ـ وفي إنجلترا فتحت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعًا فيها لتدريس العربية والعاميات(18).

إن هذا الجرد الذي يمثل في الواقع قُلاًّ من كُثْر وعدده مرشح للارتفاع، يدل دلالة قاطعة على هذه العناية الفائقة بالعاميات العربية، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تفسر بخدمة البحث العلمي وحب الاطلاع ـ كما يزعمون ـ.

2ـ وضع المؤلفات في قواعد العاميات ومعاجمها:

لم تقف عناية الأوربيين بالعاميات العربية عند حدود تدريسها، بل تجاوزت ذلك إلى التأليف فيها والتقعيد لها، وحث أهلها على التواصل بها، وفي هذا السياق نجد قائمة طويلة من التآليف التي تؤكده هذه العناية، منها:

ـ «قواعد العامية الشرقية والمغربية»، تأليف كوسمان دو بروفونسال الذي نشر سنة 1858م.

ـ «لغة بيروت العامية»، تأليف إمانويل ماتسون والذي طبع بالفرنسية سنة 1911م.

ـ «كتاب لهجة بغداد العامية»، تأليف لويس ماسنيون، وقد طبع بمصر سنة 1912م.

ـ «لغة مراكش العامية وقواعدها»، تأليف بنسمايل BEN SMAIL والذي طبع سنة 1918م.

ـ «عامية دمشق»، تأليف برجشتراسر، وقد طبع بالألمانية سنة 1924م.

ـ «عربية مراكش» تأليف لويس ميرسييرLOUIS MERCIER، وقد طبع بباريس سنة 1925م.

ـ «المقتضب في عربية مصر»، وقد اشترك في تأليفه الإنجليزي باول A. POWELL مع زميله فيلوت D.C PHILLOT أستاذ اللغات الشرقية في جامعة كامبردج وجامعة كلكتا، وقد نشر سنة 1926م(19).

وقد أوعز الأوربيون بعد ذلك إلى نصارى العرب وغيرهم من مصريين وسوريين ولبنانيين... بالتأليف في عامياتهم وضرورة الكتابة بها، وقد استجاب عدد كبير منهم من أمثال:

محمد عياد الطنطاوي صاحب كتاب «أحسن النخب في معرفة كلام العرب».

وحفني ناصف صاحب كتاب «مميزات لغات العرب» الذي ألفه استجابة لاقتراح مرتين هرتمن.

ومحمد وفاء القوني صاحب كتاب «التحفة الوفائية في تبيين اللغة العامية المصرية».

وميخائيل الصباغ صاحب «الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أصول الكلام الدارج»، والتي قال فيها:

«لست ملزمًا أن أبيّن قواعد اللغة، إلا إذا اضطررت في ذلك لشيء منه، والسبب لأن حضرة مولانا صاحب المقام السامي والسؤدد المتسامي، صاحب الشرف الباذخ والمجد الراسخ عُمدة المدققين، أحد علماء فرنسا المكرم، وقاضي قضاتها المعظم مولانا الأستاذ العلامة دو ساسي قد أودع أجروميته من نحو العربية وصرفها ما قصّر سيبويه والفراء عن أمثالها»(20).

كما ذهب سلامة موسى أحد أبرز تلاميذهم إلى أبعد من ذلك حين صرح بقوله: «الرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا»(21).

واقترح عبدالعزيز فهمي على غرار أساتذته من الأوربيين استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية متعللاً بصعوبتها قائلاً: «وهذه المشقة تحملني على الاعتقاد بأن اللغة العربية من أسباب تأخر الشرقيين، لأن قواعدها عسيرة ورسمها مضلل»(22).

وقد اجتهد الأوربيون بعد ذلك في تدوين الآثار العامية ونشرها على أعمدة الصحف والمجلات، وفي كتب مستقلة، واستأثرت الأهازيج والأزجال والأغاني الشعبية المتداولة في الصعيد باهتماماتهم، كما سجلوا ما ينسج من أمثال وأقوال بمناسبات شتى.

والمثير للانتباه أنهم لم يستعملوا العامية في تدوين العلوم الحقّة، ولا الموضوعات الفكرية والفلسفية الجادة!

اتخذت محاولات الأوربيين للطعن في العربية أشكالاً ومظاهر شتى، فهي عندهم لغة ميتة كاللاتينية، وعاجزة عن مواكبة الحضارة، وفقيرة في الناحية الإصلاحية، ومتحجرة التراكيب، ومشوهة الحروف

خلفيات الدعوة إلى العامية ومرتكزاتها

لقد صدّر معظم الأوربيين الذين دعوا إلى العاميات كتبهم بمقدمات شرحوا فيها الأسباب التي حملتهم على تجشم مشقة التأليف في لهجات لا صلة لهم بها، متوقعين أن يسأل سائل عن سر هذا الاهتمام ـ وليس لسانهم بلساننا ـ بشأن اتّخاذ العامية للكتابة أو ترك الكتابة بها؟

ويمكن إجمال أهم الأسباب والدوافع في ما يلي:

التذكير بالماضي المسيحي للبلاد الإسلامية:

لقد وقف سبيتا في مقدمة كتابه عند فتح العرب لمصر، وأشار إلى انتشار لغتهم بين أهلها وقضائها على اللغة القبطية لغة البلاد الأصيلة، التي لم يبق من آثارها سوى بعض المفردات(23).

كما أشاد ولككس في مقدمته بقدماء المصريين الذين تدل آثارهم على ما كان لهم من قوة الاختراع، وندد بخلفهم (المسلمين) الذين فقدوا هذه القوة، فأضاعوا ما أحرزه الأوائل، والذي دفعه إلى هذا الأمر حبّه للإنسانية، يقول في سماجة مبتذلة: «وما أوقفني هذا الموقف إلا حبي لخدمة الإنسانية ورغبتي في انتشار المعارف، وما أجده في نفسي من الميل الدال على ميلكم إلي... ولعلي أجد أذنًا صاغية وقلبًا يلبي دعوتي ويؤمن على مقالتي حتى لا يذهب تعبي هباء منثورا»(24).

وزعمُ المحبة وادّعاء المعروف كثيرُ التردد في تصريحات هؤلاء، يقول سبستا: «وأخيرًا سأجازف بالتصريح على الأمل الذي راودني على الدوام طوال مدة جمع هذا الكتاب، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها، ويمس أمرًا هو بالنسبة إليها وإلى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت»(25).

التذكير بعقم العربية وربط مصيرها باللاتينية

لقد كان الاهتمام بهذا الرأي ونشره قائمًا على قدم وساق في جميع الأمم الأوربية التي غزت بلاد

العرب والمسلمين، وأقرب ذلك عهداً تقرير لندبرج الإسوجي في مجمع اللغويين في ليدن سنة 1883م. وتقرير اللورد الإنجليزي دو فرين الذي رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية في شأن اللهجة العامية المصرية.

ـ وقد حذا حذو أولئك أمين دار الكتب الألماني بمصر.

ـ وولمور القاضي الإنجليزي بالمحكمة المختلطة مترجم الإنجيل إلى العامية لأقباط مصر.

ـ ووليم ولككس المهندس المبشر الذي كان مقيماً بمصر، والذي قال عنه سلامة موسى: «والهمُّ الكبير الذي يشغل بال السير ولككس، بل يقلقه هو هذه اللغة التي نكتبها ،لا نتكلمها، فهو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف فيها، وندون بها آدابنا وعلومنا»(26).

ويدعو سبيتا إلى فسح المجال أمام الطالب العربي ليستعمل العامية «بدلاً من أن يجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة للجيل الحالي من المصريين مثل غرابة اللاتينية بالنسبة للإيطاليين، وبالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور»(27).

الفصحى من أسباب تخلف الأمة وعائق من عوائق التقدم

لقد ألقى ولككس سنة 1893م محاضرة بعنوان «لمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن» ألقَاها في نادي الأزبكية، ونشرها باللغة العربية في مجلة الأزهر في عددها الجديد بعد أن آل إليه أمرها، حيث يرى أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها»(28).

وكان يرى أن اللغة العربية الفصحى لغة مصطنعة يتعلمها أصحابها باعتبارها لغة ثانية، ثقيلة في كل شيء، إن وصلت إلى الرأس فهي لا تصل أبداً إلى القلب... دراستها نوع من السخرية العقلية... قضت على الطلبة النابهين من المصريين والذين كان يرجى منهم نفع كبير... دراستها مضيعة للوقت، وموتها محقق، كما ماتت اللاتينية(29).

ويقول في موضع آخر: «قضيت عشر سنوات حين كنت في خدمة الحكومة المصرية وأنا أشرف على مدرسة المهندسين وأمتحن طلبتها، وكنت أجد بين الطلبة من يعدّون حقّاً من الأذكياء، ولكنهم كانوا يسيرون في دروسهم ببلادة، لأنهم كانوا يقرؤون باللغة الفصحى المصطنعة بدل أن يقرؤوها بالعامية»(30).

ومن أسباب تخلف المسلمين في نظر سبيتا عقم لغتهم وطريقة كتابتها، يقول:

«وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا»(31).

وفي السياق نفسه يشير ولمور إلى الأضرار التي تنشأ عن اتّخاذ لغة للأدب ولغة للحديث، وعن الفوائد التي يمكن أن نجنيها لو اتُّخذت العامية للغرضين.

وقد حاول إيهامنا بأن معارضة العرب لإقرار العامية سيعرضهم لخطر أكبر وهو انقراض لغة الحديث ولغة الأدب معًا، وإحلال لغة أجنبية محلهما نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوربية.

محاربة الفصحى ومسالك التنصير

لقد دعا عجز العمل المسلح عن فتح صدور المسلمين للمسيحية، أن يكون عمل التنصير في ميدان غير ميدان الدعوة بالقوة إلى المسيحية، فكان إجماعًا منهم أن إرساليات التنصير تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس معتقديها ـ كما قال شاتليه ـ ولكن تستطيع أن تقضي على لَبناتها بهَدم الفكرة الدينية الإسلامية، عن طريق هدَم لغة هذا الدين، التي تمثل الوجه الآخر للوحي!

يقول وليم جيفورد بلجراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة (المسيحية) التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»(32).

وقد كانت بلاد المسلمين مجالاً للدعوة إلى المسيحية، حيث حشدت الأموال وسخرت الطاقات، يقول شاتليه: «إن إرساليات التنصير الدينية التي لديها أموال وخبرة، وتدار بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية، من حيث إنها تثبت الأفكار الأوربية».

ويقول في موضع آخر: «إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المنصرين من حيث خطتهم في الهدم، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم للجهود التي تبذل في سبيل التربية النصرانية، والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية... ولا يمضي غير زمن قصير، حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية(33).

وهذا التقسيم السياسي الذي يشير إليه شاتليه، لا يمكن أن يكون عنصراً مساعداً على هدم الفكرة الإسلامية، إلا إذا قوضت الوحدة اللغوية للأمة وصارت كيانات متناثرة وجزراً متباعدة، ولعل هذه هي الخلفية الحقيقية التي كان يتستر وراءها دعاة العاميات من الأوربيين!

ولذلك اعتمد التعليم الذي فُرض على العالم الإسلامي والذي تولاه التنصير بفتح مدارسه أول ما اعتمد على محاربة اللغة العربية، حيث كانت.

اقتراح مجالي التعليم والصحافة لدعم العاميات

كان منتظرًا أن يعقب التنظيرَ لنشر العاميات اقتراحاتٌ عملية من شأنها أن تيسر استعمالها، وكان المقترح مجالي الصحافة والتعليم، بوصفهما من أخطر الوسائل وأكثرها تأثيرًا.

يقول ولمور: «وأنجع وسيلة للقيام بحركة في سبيل تدعيم اللغة القومية هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل، ولكنها في حاجة إلى عون قوي من أصحاب النفوذ، فإن نجحت هذه الحركة، فإن وقتًا قصيرًا في التعليم الإجباري، وليكن سنتين، سيكون كافيًا لنشر القراءة والكتابة في البلاد!

ويقول مناشدًا الحكومة المصرية ـ وقد كانت موالية للإنجليز ـ أن تشرف على دعم هذا المشروع: «ويمكن للحكومة الحاضرة في مصر أن تمد يد المساعدة للعامية، وهي الآن وأخيرًا في مركز يمكنها من ذلك»(34).

أما ولككس فيقترح عشر سنوات في التعليم،

حرص الأوربيون على تدريس العاميات الشرقية في مدارسهم وجامعاتهم، وأنشؤوا المراكز والأكاديميات الخاصة بذلك، مستعينين بالشرقيين العاملين في بلادهم، وبالمستشرقين العارفين باللهجات العربية المحلية

الخلفية الاستشراقية للدعوة إلى العامية

ويراها كافية لإبعاد الفصحى من حياة الناس، يقول: «ليمض المصريون عشر سنوات في التعليم باللغة التي يتحدثون بها وعندئذ سيبزغ فجر جديد في حياتهم، وستتخلص الطبقات المثقفة من السخرية العقلية التي دامت أربعة آلاف من السنين، كما تخلص الفلاحون من السخرية البدنية التي دامت ستة آلاف من السنين».

ثم يضيف قائلاً: «فمنذ أربعمئة سنة، تخلصت إنجلترا من اللغة اللاتينية الأكاديمية نهائيًا، واستخدمت لغتها القومية، ونهضت الأمة كما ينهض رجل قوي بعد سبات»(35).

إن هذا التصور المشحون بالعداء للغة العربية، يحمل دون شك خلفية تنصيرية ظهرت معالمها بوضوح في الدعوة إلى العامية التي كانوا يطمحون أن يترجم القرآن الكريم إليها، كما حدث للإنجيل في مصر! كما يظهر في الدعوة إلى الأمازيغية في شمال إفريقيا والفرنكفونية والأنجلفونية في مستعمراتهما!

وهو صادر عن قوم معروفين بالعداء للإسلام ومعظمهم في الوطن العربي، وتقلّدوا مناصب سياسية ودينية عالية:

ـ فالدكتور ولهم سبيتا Wilhem Spita الألماني، كان مديراً لدار الكتب المصرية.

ـ والدكتور كارل فولرس Dr. K. Vollers الألماني أيضًا، كان مديراً لدار الكتب المصرية، وهو أحد كتّاب دائرة المعارف الإسلامية (مادة الأزهر).

ـ وسلدن ولمور وباول الإنجليزيان، كانا قاضيين بالمحاكم الأهلية بالقاهرة.

ـ وولييم ولكوكس Wiliam Wilcoks الإنجليزي، كان مهندسًا للري بالقاهرة وغيرهم كثير.

وقد تجرّدوا لهذه الحرب السياسية التي اتّخذت الدعوة إلى العامية سلاحًا يراد به تفتيت قوة كانت مجتمعة، أو تفتيت قوّة هي في طريقها إلى التجمع، يقول محمود شاكر: «وكل الذين يغفلون عن هذه المعارك ويعدّونها معارك أدبية، أي معارك ألفاظ كالدكتور مندور وأشباهه إنما يخاطرون بمستقبل أمم قد ائتمنوا عليها»(36).

إن هذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصحى.

كما أن فعل هؤلاء لم يكن انسياحًا حضاريًا، ولا هو رغبة في توسيع رقعة الحضارة وتعميم إشعاعها، ولكنه كان يتسم بطابع الأنانية القارية التي تضع القارات جميعها بكل ما تَحفَلُ به من طاقة بشرية في خدمة الإنسان الأوربي والقارة الأوربية...

وأنانية الفكر الأوربي هذه تجرد الفكر الحضاري من مقولته النظرية التي تستهدف إقامة حضارة واحدة ووحيدة في العالم، تلغي من حسابها خصوصيات الشعوب وطبيعة الأرض والانتماء العرقي والحضاري في الوقت نفسه(37).

وهي بذلك تسد آفاق الحوار الحضاري والتكامل الثقافي بين الأمم الذي من أهم وسائله اللغات، فهي التي تمثل الخصوصيات الحضارية للأمم، والتي تتنازع القومية، ويعدّ فرضها احتلالاً عقليًا في الشعوب التي ضعفت عصبيتها!

وهذا الصنيع يتناقض تناقضًا صارخًا مع ما أقروه في بلدانهم، فقد ظل الأوربيون يحاربون اللهجات والعاميات في أوطانهم ويدعون إلى الوحدة اللغوية للبلاد!

يقول الراهب غريغوار: «إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبرى، فيترتب على الثورة والحالة هذه، أن تعالج المشكلة معالجة جدية وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين».

كما جاء في بيان من مجلس الثورة الفرنسية: «أيها المواطنون: ليدفع كلاً منكم تسابقٌ مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهد الإقطاع والاستعباد»(38).

وهم يدركون تمام الإدراك أن الدعوة إلى إحياء العامية في العالم الإسلامي:

ـ لا تعني اجتماعيًا غير التقاطع والانزواء وقوقعة المجتمعات الضيقة.

ـ ولا تعني قوميًا وسياسيًا غير تفكيك وحدة الأمة وتمزيق شعوبها، والإكثار من كياناتها المتجزئة.

ـ ولا تعني ـ إسلاميًا ـ غير خلق جيل بلا قرآن(39).

وفي الختام، فإن من مفاخر اللسان العربي أن كان وسيظل المظهر اللغوي للمعجزة الإلهية الخالدة المتجلية في القرآن.

وقد تقدم أن من مبادئ وعي الأمة الإسلامية بذاتها، أن تعي لغتها وتحرص على رعايتها، إذ ما ذَلَّتْ لغة شعب إلا ذَلَّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ولهذا كان الأوربي يفرض لغته فرضًا على الأمة المستعمرة ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد(40):

ـ أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا.

ـ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسيانًا.

ـ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يضعها.

فأمرهم من بعدها لأمره تبع.

الهوامش:

1ـ أباطيل وأسمار، لمحمود محمد شاكر، ص 157-158، مطبعة المدني، القاهرة، ط2، 1972م.

2ـ وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي 35/3، دار المعارف، ط3، 1982م.

3ـ من اللغة إلى الفكر، لعبدالكريم غلاب ص16، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى سنة 1993م.

4ـ نحو وحي لغوي، لمازن المبارك ص 125-126، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979م.

5ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي ص 90، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

6ـ أباطيل وأسمار، محمود شاكر ص 238، وينظر: من اللغة إلى الفكر ص14.

7ـ اللغات السامية، لنولدكه ص 79.

8ـ أباطيل وأسمار ص 188.

9ـ المصدر السابق ص 231-232.

10ـ نحو وعي لغوي ص 130.

11ـ إعجاز القرآن، للرافعي ص 83.

12ـ نحو وعي لغوي ص 8-9.

13ـ وحي القلم 33/3.

14ـ وهذا مخالف تمامًا لما نجده في مصادرنا من عناية بالعامية تحت عناوين: «لحن العامة»، إلا أن هذه المؤلفات لم تكن تقصد إلى دراسة العامية لذاتها، بل كانت ترمي إلى خدمة الفصحى عن طريق تقويم ألسنة العامة وتصحيح أخطائهم، لا تشجيع لغة جديدة تختلف عن الفصحى اختلافًا جوهريًا، ولذلك كانت مؤلفات أسلافنا في هذا المجال فرعًا من دراستهم للفصحى ومحافظتهم عليها.

ينظر: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، لنفوسة زكريا سعيد ص 7، الطبعة الثانية، 1980م.

15ـ إن المقام لا يسمح بالتوسع في ذلك، ويمكن متابعة جذور هذه القضية من خلال الوثائق التي ترجمها الأستاذ عبدالعلي الودغيري تحت عنوان «الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية بالمغرب»، والأستاذ أحمد بنعمان، في أطروحته المتميزة «فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل». وما كتبه المرحوم المكي الناصري، في كتابه: «فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى».

16ـ أباطيل وأسمار ص 184.

17ـ المرجع السابق ص 193.

18ـ تاريخ الدعوة إلى العامية، نفوسة زكريا، 9-10.

19ـ المصدر السابق ص 11-30.

20ـ المصدر السابق ص 15.

21ـ أباطيل وأسمار ص 148.

22ـ تاريخ الدعوة إلى العامية.

23ـ المصدر السابق ص 20.

24ـ المصدر نفسه ص 33.

25ـ المصدر نفسه ص 21.

26ـ أباطيل وأسمار ص 147.

27ـ المصدر السابق ص 163.

28ـ تاريخ الدعوة إلى العامية ص 32.

29ـ المصدر السابق ص 39.

30ـ المصدر السابق ص 40.

31ـ أباطيل وأسمار ص 163.

32ـ المصدر السابق ص 188.

33ـ المصدر السابق ص 186.

34ـ تاريخ الدعوة إلى العامية ص 28.

35ـ المصدر السابق ص 41-42.

36ـ أباطيل وأسمار ص 143.

37ـ من اللغة إلى الفكر ص 144.

38ـ نحو وحي لغوي ص 21.

39ـ المرجع السابق ص 22.

40ـ وحي القلم ص 33/3-34.



وسائل إعادة اتصال الأصمّ بالمجتمع

عبدالفتاح عبدالعزيز الجرداوي

لقد منحنا الله نعمًا كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم نعمة السمع والبصر، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى دائمًا السمع قبل البصر للأهمية التي تتميز بها هذه الحاسة وللخطورة التي تنجم عن فقدانها. قال تعالى: *وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ*. **النحل**:78. وقال *إِنَّ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً*. **الإسراء**:36.

يكتسب الطفل اللغة بالتقليد من طريق السماع، واللغة نظام اتصال بين أفراد مجتمع معين، وتتكون من رموز طبيعية يخرج الناس تلقائيًا للتعامل بها، وهي تختلف عن الرموز الصناعية كاصطلاحات البرقيات والمرور. وتبدأ المراحل الأولى من تعليم اللغة بالمناغاة العشوائية ثم المناغاة التجريبية ثم نطق الحروف والكلمات والجمل. ومن الملاحظ أن الأسرة تكون سعيدة في كل مرحلة من هذه المراحل التي يتدرب فيها الطفل على النطق، وتبدي له من الإعجاب والتقدير مايجعله يستمر ويصحح كثيرًا من أخطائه لينال تقديرًا وإعجابًا أكثر.

وإذا قدر الله وأصيبت هذه الحاسة بالتعطل أو افتقدها كلية لم يستطع الطفل تعلم اللغة والكلام. واللغة وسيلة من وسائل الاتصال يتعرف بها المعاني والأفكار والقيم الدينية والخلقية معرفة واضحة، ويؤثر فقدان هذه اللغة في الاتصال المباشر والتكيف مع المجتمع نتيجة شعوره بالعجز عن الاتصال، ومن ثم يميل إلى العزلة والانطواء بعيدًا عن المجتمع.

الخصائص النفسية للصم

يتصف الصم بأنهم أقل اعتمادًا على أنفسهم من العاديين، كما أنهم يفتقدون الثقة بأنفسهم، وعلاقتهم بالأقارب والزملاء يسودها القلق والاضطراب وعدم التكيف، ويتصفون بالرغبة في الإشباع المباشر لرغباتهم وعدم القدرة على إرجاء هذا الإشباع أو تأخيره، كما أنهم لا يسيطرون على انفعالاتهم ولا يعرفون النفاق الاجتماعي الذي يتصف به العاديون، فإذا حكموا على شخص حكمًا كان محددًا واضحًا لا لبس فيه. أبيض أو أسود.

وفي النواحي اليدوية يتميز هؤلاء الصم بإجادة الرسم والأشغال والأعمال الفنية واليدوية ويحبونها، ويجيدون ألعاب كرة القدم وكل الألعاب التي تعتمد على البصر. وعلى هذا فهم يوجهون إلى الأعمال المهنية التي تستخدم حاستي البصر واللمس، مثل الكتابة على الآلة الكاتبة والتريكو والسمكرة.

ومشكلة الصم هي شعورهم بعدم الأمن وشعور أولياء أمورهم بأن أبناءهم عبء عليهم ويتمنون أن يروهم وقد تعلموا حرفة تدر عليهم أجرًا مجزيًا.

من هو الأصم

يُعرَّف الأصم حسب ما جاء في تعريف الهيئة الصحية العالمية للطفولة بأنه «الطفل الذي ولد فاقدًا حاسة السمع، وترتب على ذلك عدم استطاعته تعلم اللغة والكلام؛ أو هو الطفل الذي أصيب بالصمم في طفولته قبل اكتسابه اللغة والكلام، أو أصيب بالصمم بعد تعلم اللغة والكلام مباشرة لدرجة أن آثار التعلم فقدت بسرعة».

والمشكلة الحقيقية عند الأصم كما قال كثير من العلماء ليست في عدم قدرته على سماع الأصوات التي تزدحم بها الحياة، إنما تتمثل في المقام الأول في عدم قدرة الأصم على الاتصال والتفاهم مع الآخرين لعدم تعلمه اللغة وعدم قدرته على الكلام، لأن عدم السماع يؤدي إلى عدم النطق أو البكم. والسؤال الآن كيف نعمل على اتصال الأصم بالمجتمع؟ ما الوسائل التي نستخدمها لنستعيض بها عن حاسة السمع؟ ما الهدف من تعليمنا للصم؟ هل ليعيشوا ويتكيفوا مع المجتمع العادي هذا فضلاً عن تمكينهم من الاعتماد على أنفسهم وتأهيلهم لمهنة يحترفونها.

من الأهمية بمكان أن نعدهم للتكيف مع المجتمع، ولتحقيق ذلك من الضروري تدريبهم على النطق والكلام ثم تعليمهم قراءة الشفاه، ثم نعمل على الاستفادة من البقايا السمعية لديهم باستخدامهم السماعات الفردية والجماعية ولا ننكر فائدة استخدام الأبجدية اليدوية وطرق الإشارة وغيرها.

أولاً: تدريبات النطق والكلام:

إن عملية التنفس هي الأساس في عملية النطق ويتكون الجهاز التنفسي من الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين الموجودتين في التجويف الصدري الذي يفصله عن التجويف البطني حاجز عضلي يعرف بالحجاب الحاجز. ودخول الهواء إلى الرئتين يؤدي الى اتساع التجويف الصدري حيث الشهيق، وخروج الهواء وقلة حجم التجويف الصدري تسمى عملية الزفير، وقوة الزفير الخارج من الرئتين هو الذي يقابل الوترين الصوتين فيؤدي إلى تذبذبهما وتحركهما فيؤدي إلى الأصوات الجهرية أو المهموسة بعد مرور الهواء أيضاً بالحلق واللسان والأسنان والشفاه، وهي الأجهزة الخاصة بالنطق والكلام، وأيّ عيوب في الجهاز الكلامي تؤثر في النطق الصحيح مثل عيوب الأسنان، وعدم انطباق الفكين، أو وجود عيوب في الشفتين كوجود الشفة الأرنبية، أو وجود فجوات في سقف الحلق. ويحتاج الأصم إلى التدريب على التنفس الصحيح كالشهيق والزفير، وطرد الهواء للخارج لا سحبه للداخل، وتدريب اللسان على الحركة يميناً ويساراً وإلى أعلى وأسفل.

الخصائص الصوتية والكلامية للأصم

بما أن الأصم لا يسمع ما ينطق به فإنه يخرج أصواتاً تتصف بالانخفاض حيناً والارتفاع حيناً آخر، أو تكون ضخمة أو رقيقة أو متحشرجة مبحوحة وغير متناسقة بعضها مع بعض وقد تجد أصوات الحروف عائمة لا يضغط عليها ضغطاً كافياً، كما يكثر لديهم الإبدال لبعض الحروف أو الحذف أو الإضافة. من أجل هذا نرى ضرورة تعليمهم الكتابة حتى يمكن استخدامها في الاتصال بالمجتمع العادي.

ثانياً: قراءة الشفاه:

يقوم البصر بدور كبير في تعليم الطفل الأصم، فبينما يستقبل الطفل العادي الكلام بسمعه وبصره، يعتمد الطفل الأصم على بصره فقط. ويبدأ تعلم الطفل الأصم اللغة بالتدريب على إخراج الأصوات المرئية مثل آ أو إي، با أو بي حيث يجلس المعلم في مكان أعلى من التلميذ بحيث يكون وجهه مقابلاً للضوء ويكون التلميذ في موقف مضاد للضوء، ثم يفتح المدرس فمه ويطلب من التلميذ محاكاته، ويمكن استخدام المرآة لتوضيح حركات الشفاه واللسان عند النطق، وهناك بعض الحروف أو الأصوات لا يمكن رؤيتها ويمكن للمدرس أن يأخذ بيد التلميذ ويضعها على رقبة المعلم أو صدره أو أنفه.

والطريقة المتبعة في تعليم الصم النطق والكتابة تعتمد على الطريقة الكلية التي تبدأ بالكليات، من الكلمات السهلة التي تؤدي معنى الجملة إلى الجمل السهلة المألوفة، ثم يصحب ذلك تجريد الحروف الهجائية تجريداً يؤدي إلى معرفة أشكالها ومخارج أصواتها، ثم يقوم المدرس بتدريبه على الكتابة للكلمات التي تَعَرَّفها، وينبغي أن نختار من الكلمات التي تظهر على الشفاه والتي يستطيع أن يحسها الأصم. وبعد فترة من التدريب على النطق والكلام نلاحظ أن الصم يتصف تعبيرهم بالكلمة الجميلة التي تعبر فيها الكلمة عن الجملة، كما يصعب عليهم التعبير عن المعاني المجردة أو الأمور المعنوية.

ويحتاج تعليم قراءة الشفاه إلى صبر وجهد شاقين من المعلم والتلميذ، وتأخذ وقتاً طويلاً، ولكنها ضرورية لأنها تسهم في تعليمهم اللغة التي يتعاملون بها مع مجتمع الأسوياء.

ثالثاً: الأجهزة التعويضية:

أ- السماعات الفردية: يحتاج الأصم إلى عرض نفسه على طبيب الأذن لتحديد البقايا السمعية الموجودة لديه لاستغلالها في عملية التعلم واختيار السماعة المناسبة له، وهناك أنماط مختلفة من السماعات منها ما يوضع في الجيب وهو ما يناسب التلاميذ، ونوع ثان يوضع على النظارة لمن يستخدمون النظارات الطبية، والنوع الأخير يوضع خلف الأذن للبنات والنساء. والسماعة يخرج منها سلك يتصل بالسماعة الصغيرة التي تركب في الأذن الخارجية التي يعمل لها قالب أذن يجب أن يكون مناسباً لحجم وشكل فتحة الصوان في الأذن الخارجية، حتى لا تسبب للأصم ضيقاً يؤدي به إلى عدم استخدام السماعة.

ب ـ السماعات الجماعية: وهي سماعات تستخدم في فصل دراسي مجهز تجهيزاً خاصاً مبطنة جدرانه وأرضيته بعوازل الصوت، ويكون لكل تلميذ مقعده وسماعاته التي ضُبطت على درجة سمعه. وفي وسط الفصل منضدة المعلم الذي يستطيع أن يتصل بكل تلميذ على حدة ويتصل بهم جميعاً. ويتميز هذا الجهاز بقوته وسهولة استعماله لمجموعة من الأشخاص في الفصل الذي يتراوح عدد تلاميذه بين 8 ـ 12 تلميذاً. وتوجد أجهزة سمعية لاسلكية تتيح للتلاميذ حرية الحركة في الفناء وهم يحملون سماعاتهم، ويستطيع المدرس أن يتصل بهم في الفناء أو خارج الفصل.

واستخدام الأجهزة التعويضية الفردية والجماعية هدفها استغلال البقايا السمعية في تعليمهم اللغة بطريقة الشفاه وبالطريقة اللفظية المكتوبة. ومن القواعد المهمة في تربية الصّم أن اكتشافهم في وقت مبكر تجعل فرص علاجهم أسهل وأسرع، والسنوات الخمس الأولى هي الفترة التي يكون فيها الطفل مستعداً لتعلم اللغة بشكل أفضل، والتأخير عن هذا الوقت يؤدي إلى ضياع كبير في المال والجهد.

رابعاً: حصر القاموس اللفظي واستغلاله في الكتابة اللفظية (التعبير):

من الضروري العمل على حصر القاموس اللفظي للطفل وتسجيل هذا الحصر في سجل، ومن المهم أن يدرك الأصم معاني الكلمات إدراكاً صحيحاً، كما يجب تدريبه على استخدامها. هذا ومن وسائل التدريب على الكتابة عرض صورة والتعبير عنها بكلمة، ثم عرض قصة مصورة والتعبير عنها في جملة من كلمتين أو من ثلاث كلمات، وهكذا ثم تدريبهم على مدلولات حروف الجر وكيفية استخدامها، كما يجب الحرص على الكلام مع الأصم بتأن وفي جمل قصيرة وبصوت مناسب في كل وقت وكل مكان.

وختاماً يجب أن تُدرَّب العين على ما عجزت عن أدائه الأذن، هذا بالإضافة إلى استخدام جميع قنوات المعرفة الحسية كاللمس والتذوق والشم.

وأختم هذا البحث بعرض توصية من توصيات المؤتمر العالمي للصم الذي عُقد في باريس عام 1971م والذي أقره مؤتمر تربية الصم المنعقد عام 1977م في طهران حيث جاء في الفقرة 4 الموضوع (ج) ما يأتي: «فإنه يمكن استعمال جميع الطرق المستعملة في تدريس الصم بحرية على سبيل التجربة بما في ذلك الأبجدية اليدوية ولغة الإشارة والنطق وقراءة الكلام فيما يُسمى بمجموعة وسائل التفاهم. (جميع أنواع التلميحات باليدين وتعبيرات الوجه والنطق والكلام وقراءة الكلام والأبجدية اليدوية والقراءة والكتابة والاستفادة من البقايا السمعية واستعمال السماعات الفردية والجماعية).

المراجع:

1ـ سيكولوجية الطفل المعوق وتربيته، عبدالمجيد عبدالرحيم، لطفي بركات.
2ـ مجالات علم النفس، مصطفى فهمي.
3ـ دليل المعلم في تدريس اللغة العربية للتلاميذ الصم، الإدارة العامة للتربية الخاصه، مصر.
4ـ دليل التلميذ في مدارس التربية الخاصه، وزارة التربية والتعليم، مصر.
5ـ علم اللغة العام، القسم الثاني الأصوات، كمال بشر.
6ـ دراسات في علم اللغة، كمال بشر.
7ـ توصيات المؤتمر الإقليمي الأول في تربية الصم المنعقد في طهران 1977م.
8- Young Times 31 October 1989 96

الحسد والعين

د. نوره صالح الشملان

الحسد هو تمني زوال نعمة الآخرين، والعين قوّة خفية لا يملكها جميع الناس، تصيب من تقع عليه بمكروه.

وإذا بدأنا بالحديث عن الحسد فلابد أن يكون منطلق حديثنا ما قاله الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: *قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ*. **الفلق**: 1-5.

يوجه الله سبحانه وتعالى عباده للاستعاذة باسمه من كل شر وأي شر، كذلك يوجه تعالى الخلق للاستعاذة من الليل إذا توغّل في ظلامه. أمّا النفاثات في العُقَد فهنّ السّواحر اللواتي يعقدن عقداً من خيوط، وينفثن أي ينفخن فيها ليضروا عباد الله بسحرهن.

ويذكر المفسرون أن سبب نزول المعوذتين أن لبيداً بن الأعصم سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مشط ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزلت عليه المعوّذتان، فجعل كلما قرأ انحلت عقدة ووجد في نفسه خفة - صلى الله عليه وسلم - حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام فكأنما نشط من عقال، وأمره الله تعالى أن يتعوّذ من شر الحاسد الذي يتمنى أن تزول نعمته.

والحسد قديم لم ينج من أثره حتى الأنبياء. والقرآن الكريم والسنة المطهران يمتلئان بالقصص التي تؤكد تعرض الأنبياء للحسد، ولعل حسد إخوة يوسف له يُعدّ مثالاً واضحًا على ما نقول، وقد عبّر الحق عن ذلك في قوله تعالى: *إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ.. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ*. **يوسف**: 8-9.

وأهل الكتاب كانوا يحسدون المسلمين فيحاولون إخراجهم من الدين، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى: *وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*. **البقرة**:109.

ويمكن أن يقاس على ذلك ما يصادفنا في حياتنا اليومية من مواقف متعددة، فالزوجة غير الموفقة في إيجاد علاقة مستقرة سليمة، وتعمير بيت تسوده الهناءة، يقلقها أن ترى زميلة لها متمتعة بما حُرمت هي منه، فتقدم لها النصيحة المبَطّنة بالسم، المغلّفة بالحلوى، تحثها على التمرد على حياتها بدعوى المطالبة بحقوقها، وكأن الرجل والمرأة خصمان في ساحة قتال لا عنصران متكاملان في أسرة آمنة.

والكبرياء عامل مهم من عوامل الحسد، فالإنسان المتكبّر المعجَبُ بنفسه، المتمحور حول ذاته، لا يسمع إلا صدى صوته، فإذا برز صوت آخر أو صورة أخرى أفضل منه تملكه الغيظ، وظهر الحسد في أقواله وأفعاله، وحاول بكل الوسائل تحطيم المحسود، لا لأنه آذاه، بل لأنه أفضل منه.

إن ما نلاحظه في حياتنا اليومية من تحاسد بين العلماء هو دليل على أن الكبرياء عامل من عوامل الحسد.

كما أن من دوافع الحسد القرابة، فالناس يعظّمُونَ العالم الغريب أو الأديب الغريب الذي ليس من بلدهم، ولا يهتمّون بمن يفوقه إذا كان من بلدهم، وقد تنبه إلى ذلك الحارث بن أسد المحاسبي (ت: 243هـ) في كتابه «الرعاية لحقوق الله» والذي أفرد فيه فصلاً طويلاً للحديث عن الحسد.

إن حسد العالم في بلده هو الذي أوجد تلك الصيحة من الاغتراب، والشكوى التي يصرّح بها كثير من العلماء، حتى إذا غادروا بلدهم وجدوا الرعاية والاهتمام من الآخرين، وقد جاء المثل (بلبل الحي لا يطرب) تجسيداً لهذا الأمر.

ويرى الرازي (ت: 290هـ) أن الحاسد معترض على إرادة الله، لأنه يعترض على نعَم أسبغها الله على عباده، والله أبصر بهم(1).

أما الإمام الغزالي فقد عدَّ الحسد من أمراض القلوب العظيمة، وأكد أن ضرره على الحاسد لا على المحسود، كما أكدَّ أن النعم لا

تزول بالحسد، بل إن الحسد يسهم في نشر النعمة أو كما قال أبو تمام: (ت:231هـ).

وإذَا أرادَ اللّهُ نَشْرَ فضيلةٍ
طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ
ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُود
لولا التخوُّفُ للعواقبِ لم تَزَل
للحاسد النُّعمَى على المحسود

وافتخر الشعراء بكثرة حسادهم، وقالوا في ذلك شعرًا كثيرًا، كما افتخروا بكثرة حساد ممدوحيهم، بل إن بعضهم جعل الحاسد مفخرة ولازمة من لوازم المجد، فهو يدعو له بطول العمر، يقول:

لا مات أعداؤك بل خُلِّدوا
حتى يَرَوا فيكَ الذي يُكْمِدُ
لازلتَ محسودًا على فرحةٍ
فإنَّما الكامل مَنْ يُحسَدُ

من هنا يظهر لنا أن الحاسد لا قدرة له على إيذاء المحسود بالكلام، ولكنه يستطيع أن يؤذيه بالعمل كالنميمة والوشاية أو غيرها.

أما العين فهي تختلف عن الحسد ولا يملكها إلا عدد قليل من الناس، وهي من آفات النفس البشرية التي حيرت جهابذة العلماء، وأتعبت أصحاب علم النفس.

وقد دعا الرسول الكريم إلى محاربة العين بذكر الله إذ قال صلى الله عليه وسلم (هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت)(1).

وتعالجُ العين بالرُّقْيَةِ الشرعية التي دل عليها الشرع المطهر مما جاء في الكتاب والسنة، مثل قراءة الفاتحة وآية الكرسي والمعوذتين، كذلك ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك رُقْيَـة جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم (باسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك).

يقول العلامة ابن القيم بعد أن أورد عددًا من الأذكار والأوراد في الرُّقَى: من جرَّب هذه الدعوات عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوّة إيمان قائلها، وقوّة نفسه، واستعداده وقوّة توكُّله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه.

وينصح المسلم بوجوب التوكل على الله وتفويض الأمور إليه مع فعل الأسباب والحذر من الوساوس، وأن يعلم أن المحافظة على الأدعية والأوراد هي السبيل إلى دحر العين والتخلص من شرورها، وليحذر من تعليق التمائم المحرمة أو الأدعية التي لم ترد في كتب الصحاح.

الهوامش

(1) سنن أبي داود: باب العين.

قصيدة

ربيعٌ وخريف (أو) أنتِ..

محمد منذر لطفي

حـيـاتي ربيعٌ.. وحُـبي نَهَـرْ
أحبُّ الجمـال.. ودنيـا الجمـال
وأهوى من الحسن أقمـاره
وحـورية.. ودَّعَـتْـهـا الجِنانُ
مـحـاسِنُهـا.. فـوق مـا يُرتجى
تُـحبُّ الدَّوالي عناقيـدَها
جَـلاها ربيعُ الصِّبـا والجمـال
تشعُ ضـيـاءً.. كنجم الصـبـاح
كلؤلؤة.. غـادرت في الدجى
أطلَّتْ عَليَّ.. فـيـا لَربيعٍ
وراحتْ تُسلسل من طرفـهـا
بروحي أفدي العيـون اللَّواتي
هي السحـرُ، والعطرُ.. والأغنيـات
تُجـيدُ فنونَ الهـوى والغـوى
تُـحبُّ الحيـاة انطلاقَ المُنى
وتنشـرُ أضـواءَها الحـالماتْ
تَزفُّ كـرومَ الهـوى المُسكرات
أعـادتْ لقلبي ربيع الشـبـاب
هي «النجمةُ» المشتهاة اللَّعوبُ الْـ....
فـراح يُبـادلها في الصـبـاح
وراحـا يعبّان من كـرمة العشْـ.....
بنفسي التي أقبلت في الضحى
وراحتْ تُقـدِّمُ أحلى المحاسـ...
وبوحًـا.. تعطَّرَ منه الشَّـذا
ونبـعًـا من المُتع الحـاليـات
وسحـرًا.. يزفُّ عـذارى الرؤى
يُنادي ربيع الحـيـاةالمسـافـ....
على الدرب رفَّتْ ورادُكَ عطرًا
فـأنتِ الذي كنتُ أبحثُ عنه
لقـد ضـيَّـعتني الليـالي طويلاً
فـفي الحسـن أنتَ رؤى «يوسف»
أحـبُّك يا زهرةً.. كـالصـبـاح
تقـولُ لطَيْف الخـريف المُطل:
حـرامٌ عَلى مَـثله أنْ يفـوتَ
حـرامٌ على بدره أنِ يغـيب
«فَنيْـسـانُ» مـازال ثَرَّ العبـير
تُحـدِّث عن ألف ليلة عـشْقِ
تَقُصُّ على الكون سـرَّ الجَمـال
تبـوحُ لعـاشقـها المُستهـامِ
أنا لسـمـائكَ بدرٌ أطَلَّ
أنا لليـاليكَ شـمسُ الضحى
أنا لرعـودكَ مـعنى الرعـودِ
«أحُـبُّكَ حُـبَّين.. حُـبًّا لأنَـ....
فليس الذي ذاق مـثل الذي
فسُـبحان ربي بديع السمـوا .....
زَرعـتُك في خـافـقي واحـةً

سيـبقى.. وإن غيبتني الحُفَرْ
وأعـشق ألوانهـا.. والصـور
وهذا كـتـابي.. بلوح القـدر
أتتني لموعـدهـا.. المُنتظر
من الحسن.. فوق خيال البشر
ويحلم في روضتيـهـا الزَّهَرْ
فُـتونا.. وسحـرًا يروعُ النَّظر
إذا مـا تبـرَّج.. وقت السَّحـر
مـحـارًا لهـا.. حين غـاب القمـر
أطلَّ.. يُواسي خـريفَ العُمُـر
كـؤوسًا جـلاها السَّنا والخَفـر
حَملنَ اخضرار المدى.. للشجر
ودفءُ الشبـاب.. وبَوحُ الوتر
وتُبدعُ بالشعـر أحلى الصور
لأُفُقٍ.. ببـال المُنى مـا خطر
وتعشقُ سحـر ليالي الغَجَر
فيسكرُ منهـا الهوى.. والسَّكَرْ
وقـد هَمَّ طائرهُ بالسَّـفَر
... لَتي أوقعت في هواها «القمر»
وعند المسـاء هوىً.. مُبـتكر
ـقِ أحلى الجرار.. فيحلو الخَدَرْ
وقد ضـاء بُستانُهـا بالثمر
ـنِ أشهى المفـاتن.. أغلى الدُّرَر
وحُـبًّا تدفَّقَ.. مـثل النهـر
تُعيدُ الشبابَ لقلب الحجر
وكنـزًا.. هو الحُلُم المُنتظر
ـرَ أقبل.. فما زلتَ فَصْلاً نَضر
وفي القلب رفَّ سناكَ العَطِر
وما أسعدَ القلبَ حين ظفر..!
إلى أنْ طلعتَ صباحًا أغَر
وفي العشق أنت ليالي «عُمَرْ»(1)
تسـامى بأنواره.. وانتشر
ألا.. أيُهذا الخريف.. انْحَسر
ويهوي الشُهابُ إلى المُنْحَدر
وتمضي النجومُ.. ويمضي الزَّهَر
و«تموزُ» مـازال حُلْوَ السَّمَر
ستـأتي المغـاني.. وألف أُخَر
وتروي عن الحب أسمى، خَبَر
أنا لكَ حتى انقضاء العُمُر
وأنت لأفقيَ نجمٌ.. ظهر
وأنت لحقلي نشيـدُ المطر
وأنتَ لبرقي السَّنا والشَّرَر
ـلكَ.. أهلٌ».. وحُبًّا لتلك الغُرَر
تمنَّى ولم يقض يومًا وَطَرْ
ـت والأرض.. ما كنتُ إلا بَشَر
وأُقسم.. منك.. إليك.. الثَّمَر

الهوامش:

1- هو الشاعر الأموي الغزل «عمر بن أبي ربيعة»

الوجه الآخر

د. محمد خير شيخ موسى

لعلنا لا نبالغ إذ نقول: إن عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي (تونس 732 - القاهرة 808هـ)، قد حظي بما لم يحظ به أحد من اهتمام الكتّاب والدارسين، من القدماء والمعاصرين، ومن العرب والمستشرقين، فترجم له وذكره وأفاد منه جلّ من عاصره أو أتى بعده من قدماء المؤلفين، وخصه المعاصرون بأبحاث مطوّلة، ودراسات معمقة، وكتب كثيرة يصعب حصرها، ويطول تعدادها(1)، وكان للغربيين، والمستشرقين منهم خاصة، النصيب الأوفر منها، وكان جلّ اهتمامهم منصبًا على مقدمته الشهيرة لكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، وهي المقدمة التي أرسى فيها أصول فن التاريخ، وقواعد علم الاجتماع والعمران، وعوامل نشأة الدول وأسباب زوالها واندثارها، وأحوال المجتمعات، ومظاهرها الحضارية والاقتصادية والثقافية، وغير ذلك مما تناول في هذا المشروع المعرفي الطامح إلى وضع نظرية عامة في المعرفة.

ونجدر الإشارة - في بداية هذا الحديث - إلى أن الإحساس بقيمة هذه المقدمة لم يكن وليد عصرنا، إذ أبدى القدماء إعجابهم الشديد بها، وتقديرهم الفائق لمؤلفها، فقال المقريزي (ت: 845هـ): «لم يعمل أحد مثلها، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرّف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبّر عن حال الوجود، وتنبئ عن أصل كل موجود»(2). وذكر ابن عمار أنها: «حوت جميع العلوم، وجلّت عن محجتها ألسنة الفصحاء فلا تحوم ولا تروم»(3). ولخصها ابن الأزرق الأندلسي (ت: 896هـ) وزاد عليها في كتابه: «بدائع السلك في طبائع الملك»(4)، وأفاد منها عدد كبير من المؤلفين.

من هم العرب الذين تحدث عنهم؟

واستأثرت هذه المقدمة بعد ذلك باهتمام الغربيين والمستشرقين فترجموها وطبعوها مرات متوالية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وقدموا حولها دراسات كثيرة ومتنوعة لم تكن خالصة لوجه العلم وحده، بل كانت وراءها بعض الغايات المشبوهة التي ترمي أحيانًا إلى تحقيق بعض المقاصد والأهداف في تلك المرحلة الزمانية الدقيقة من مراحل الغزو الاستعماري والثقافي الغربي، إذ فهموا من بعض أقوال ابن خلدون - وهو العربي الحضرمي المحض - غضًا من العرب، ووجدوا فيها مجالاً للطعن فيهم، والانتقاص منهم، ومن ذلك قوله الشهير: «إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، فغاية الأحوال عندهم الرحلة، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران»(5)، يريد بالعرب في هذا القول وأشباهه - الأعراب من أهل البوادي والوبر ممن كان لهم في أقطار المغرب خاصة تاريخ حافل بالغزوات والحروب مع أهل الممالك والحضر، فأكثر ابن خلدون في مقدمته وتاريخه وأشعاره من ذكرهم بهذا الاسم الذي عرفوا به في عصره، كقوله في مقدمته: «العرب أبعد نجعة، وأشد بداوة، لأنهم مختصون بالإبل»(6)، وقوله في أثناء الحديث عن اختلاف نطق بعض الحروف كالقاف بين العرب من أهل البادية وأهل الأمصار من الحضر: «والخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري، أن القاف التي ينطق بها أهل الجيل العربي هو من مخرج القاف عند أولهم من أهل اللغة، فالنطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار، والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوي»(7)، وقوله في صدر الفصل الذي تحدث فيه عن «أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد، أن لجيل العرب لغة خالفت لغة سلفهم من مضر، وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر، وخالفت أيضًا لغة الجيل من العرب لهذا العهد»(8)، وواضح أنه يريد بالعرب في هذه الأقوال وأشباهها: الأعراب من أهل الوبر الذين كانوا يروعون أهل الأمصار من الحضر بغزواتهم، ويستولون على مدنهم وممالكهم، فيسرع إليها الخراب، فكانوا الشغل الشاغل لكل من حكم المغرب من السلاطين أو الملوك، فقال ابن خلدون في رسالة له إلى ابن الخطيب: «وأما أخبار هذا القطر، فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبي إسحق، وأحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته، مصانعًا لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة، محمّلاً الدولة بصرامته، إلا ما شمل البلاد من تغلب العرب»(8). وقال في إحدى قصائده في مديح سلطان المغرب الذي كسر شوكتهم، وحدّ من غزواتهم، ثم رجعت إلى وصف العرب وأحيائهم:

عجبَ الأنامُ لشأنهم: بادون قد
قذفت بحيّهم المطيّ الذللُ
كانوا يروعون الملوك بما بدَوا
وغدَتْ تَرَفُّهُ بالنعيم وتَخْضَلُ(9)

فدلالة اللفظ تتحدد في سياقه وعصره، ومن أبسط أصول البحث المنهجي والتاريخي والنقدي

لابن خلدون

والتفسير اللغوي الذي يراعي تطور اللغة، ويبحث عن دلالات الألفاظ وفقًا لمعايير العصر والمكان والسياق، وفي حدود هذه المعايير والأصول يمكن الكشف عن دلالات كثير من الألفاظ التي استعملها ابن خلدون في المقدمة خاصة، ومنها لفظ العرب الذي أكثر من استعماله للدلالة على أهل البادية من الأعراب ممن يقابلون لديه على الدوام أهل الأمصار من الحضر.

ولم تكن هذه الدلالة وليدة عصر ابن خلدون، إذ طالما وجدناها تتردد على ألسنة القدماء وفي كتبهم، ومن ذلك ما رواه القالي (ت: 356هـ) في أماليه على لسان بعض الرواة، وقد سمع بعض نساء العرب توصي ابنها فقال: «بالله يا أعرابية إلا زدْته في الوصية، فقالت: أو قد أعجبك كلامُ العَرَبِ يا عراقي»(10). وقال البكري (ت: 487هـ) في تفسير قول أحد الأعراب: «أنا العربي المحض: يريد أنه أعرابي بدوي من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار»(11)،وما تزال كلمة العرب تستعمل لدى العامة والخاصة في كثير من الأقطار العربية، وفي أقطار المغرب العربي، للدلالة على أهل القرى والبوادي، أو ما يقابل أهل الحواضر والأمصار عامة، وعسى أن يتمّ الكشف عن حقيقة هذه الدلالة بعد إنجاز المشروع الذي يضطلع بأعبائه آلان جونس وسوزان كوكي في جامعة أكسفورد قصد تحليل المقدمة بالعقل الإلكتروني، ودراسة مفرداتها ومصطلحاتها!(12).

مفاهيم مغلوطة وسموم

ومع أن بعض من ترجم المقدمة من الأعاجم أو المستعربين قد نبه على دلالة كلمة العرب عند ابن خلدون، فترجمها التركي جودت باشا إلى: قبائل العرب(13)، وأشار البارون دوسلان في ترجمتها إلى: البدو، في مقدمته، وإن كان آثر الحفاظ على كلمة العرب في المتن(14)، إلا أنهم جميعًا قد آثروا تعميم دلالة ذلك اللفظ لتشمل العرب جميعًا، فترجموا النص الذي ذكرناه في صدر هذا الحديث على هذه الصورة: «كل بلد احتله العرب ما عتّم أن دُمّر، الخراب أثناء حكمهم عمّ كل شيء، فإليكم البلدان التي احتلها العرب منذ أقدم العصور، لقد زالت حضارتها، كما زال سكانها، الأرض ذاتها تبدلت طبيعتها. العرب عاجزون عن إنشاء دولة أو إمبراطورية»(15). ومع ما بين هذا النص المترجم أو المزيف والأصل العربي الذي ورد على لسان ابن خلدون من تباين واختلاف، إلا أنه كفيل بالكشف عن حقيقة ذلك الاهتمام الشديد بالمقدمة ومؤلفها العربي صليبة.

وليس لنا أن نغفل عما واكب هذا الاهتمام الواسع من ظروف تاريخية وسياسية مازلنا نعيش آثارها المريرة حتى اليوم، ولا مجال للحديث عنها في هذا المقام، ونكتفي بالإشارة إلى بعض الدوافع الكامنة وراءها كما وردت على لسان بعض المنصفين منهم، فقال إيف لاكوست في معرض ردّه عليهم، وكشف حقيقة اهتمامهم بابن خلدون: «ولكن، أليس ابن خلدون الذي مجّدوا عظمته كي يعطوا ثقلاً أكبر للنظريات المعادية للعرب التي يزعمونَ نسبتها إليه، عربيًا لا ريب فيه؟!. يقول غوتيه: كلا، لأن الروح الشرقي هو عكس روحنا تمامًا، ومحروم من الإدراك النقدي العقلاني، إن ابن خلدون يريد أن يفهم، وذلك ما هو غريب تمامًا بالنسبة لمسلم، إن لديه مفهومًا غربيًا للتاريخ!!»(16).

وقد تلقف الشعوبيون والمستغربون هذه الأقوال، وراحوا ينفثونها سمًا في العقول وفي النفوس، وأخذ يرددها بعض المخلصين من الكُتّاب والمؤلفين، كما نجد لدى الدكتور الأهواني في قوله: «لقد نجح الشعوبيون في بث الفكرة القائلة بأن العرب أبعد الناس عن العمران والمدنية، حتى إن ابن خلدون كتب في مقدمته يقول: إن العرب أبعد الناس عن الصنائع. وإن ما فعله يعقوب الكندي (ت: 260هـ) سليل العرب جنسًا ولغة ودينًا يدحض بأبين دليل وأوضح برهان ما ذهب إليه ابن خلدون من أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، وأنهم أبعد الناس عن الصنائع والعمران»(17). ولم يذهب ابن خلدون إلى أبعد من وصف الصراع المحتدم في زمنه وبلده بين أهل المدر من الحضر، وبين الأعراب من أهل الوبر.

وقد استمرت هذه المفاهيم توجه البحث في مقدمة ابن خلدون إلى أيامنا هذه، إذ وجدنا آثارها في ندوة ابن خلدون برباط الفتح(1979م) والتي قدم فيها، الأستاذ جاك لانفاد بحثًا حول «فلسفة اللغة عند ابن خلدون» انتهى فيه إلى القول: «إن أساس تفكير ابن خلدون في اللغة هو التضاد بين الحضارة والبداوة. إن الإنسان العربي ضائع ومشتت حقًا، فإذا أراد حسن الكلام وفصاحته وجب عليه أن يرجع إلى القفر والبادية، وإن أراد أن يتقدم إلى المدينة وجد فساد اللغة، يظهر لنا من ذلك مبدأ تفسيري وهو أن اللغة العربية لغة شفاهية!!»(18).

وإذا كنا لا نقف في الفصول التي خصصها ابن خلدون في مقدمته للحديث عن لغة أهل الحواضر والبوادي في زمنه على ما يدل على ما ذهب إليه لانفاد، وإن وجد فلا ضير فيه ولا تثريب على

فهم المستشرقون من بعض أقوال ابن خلدون غضًا من العرب، ووجدوا فيها مجالاً للطعن فيهم، والانتقاص منهم، لأنهم لم يبحثوا عن دلالات الألفاظ وفقًا لمعايير العصر والمكان والسياق

صاحبه، فإننا نعجب من أمره، إذ وصل إلى هذه النتائج الخطيرة، وحكم على الإنسان العربي بالضياع والتشتت، لاختلاف مستويات اللغة بين بيئة وأخرى، كما هو الشأن في لغات سائر الأمم والشعوب، وانتهى من ذلك إلى تقرير مبدأ تفسيري هو بيت القصيد: إن اللغة العربية لغة شفاهية، منكرًا بذلك تراث أمة ليس لها من وصف أبلغ من القول: إنها أمة من المؤلفين.

ابن خلدون الكاتب الشاعر الأديب

ومهما يكن من أمر هذه الأقوال، وذلك الاهتمام الواسع بالمقدمة وما يمكن أن يكون وراءه من دوافع وغايات، فقد حجب عنا ابن خلدون، فلم نعد نرى منه سوى مقدمته، مع أنها آخر ما ظهر لنا من كتبه وآثاره، إذ شرع في تأليفها بعد اعتزاله في قلعة ابن سلامة طوال أربع سنوات ألّف في أثنائها العبَر، وأتم مقدمته سنة (779هـ)، وقال في ذلك: «أتممت هذا الجزء الأول «المقدمة» بالوضع والتأليف، قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر. وكنت طوال هذه المدة عاكفًا على تأليف هذا الكتاب «العبر»(19)، ثم أكمل منه نسخة لرفعها إلى سلطان المغرب سنة (784هـ)، وهي السنة التي غادر المغرب فيها إلى غير ما رجعة، قاصداً مصر، وكان إذ ذاك قد جاوز الخمسين من عمره، وقد طبقت شهرته آفاق المغرب والأندلس، ووصلت أصداؤها إلى المشرق، وهي قائمة أساسًا على شاعريته وترسّله وكثرة كتبه وتآليفه قبل المقدمة أو العبر.

وكان قد ألف أول كُتُبه سنة (752هـ)، ولما يكمل العشرين من عمره، إذ عمد إلى تلخيص المحصّل لفخرالدين الرازي (ت: 606هـ)، وسمّاه: «لباب المحصل»، ووضع في التصوف كتاب: «شفاء السائل»، ولخص عدداً من كتب ابن رشد (ت: 595هـ)، ووضع كتابًا في الحساب، وتقييداً في المنطق، وشرح أرجوزة صديقه لسان الدين بن الخطيب (ت: 776هـ) في أصول الفقه، «وشرح القصيدة المسماة بالبردة (للبوصيري) (ت: 696هـ) شرحًا دلَّ على انفساح ذرعه، وتفنن إدراكه، وغزارة حفظه»(20). كما يقول ابن الخطيب صاحبه، ثم ألف بعد ذلك العبر ومقدمته وذيله: التعريف بابن خلدون، وهو من الكتب التي تدخل في باب السيرة الذاتية والترجمة بحسب مفاهيمها المعاصرة، كما ذكرت له رسالة في وصف بلاد المغرب كتبها لتيمورلنك، حين اجتمع به في دمشق بعد ذلك بزمن طويل(21).

على أن شهرته الحقيقية في عصره إنما تقوم على شعره وأدبه كما تؤكد ذلك تراجمه الكثيرة وأخباره قبل أن يؤلف المقدمة بزمن غير قصير، فقال صديقه الوزير الشاعر ابن الخطيب في الإحاطة: «هذا الرجل الفاضل باهر الخصال، رفيع القدر، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية. وأما نثره وسلطانياته «رسائله الديوانية» فخلج بلاغة، ورياض فنون، وأما نظمه، فقد نهض لهذا العهد قدمًا في ميدان الشعر، وأغرى نقده باعتبار أساليبه، فانثال عليه جوّه، وهان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبة»(22)، وأورد مختارات مطولة من شعره ونثره، وأشار في آخر ترجمته إلى زمن كتابتها سنة (765هـ)، ولم يكن ابن خلدون قد جاوز الثلاثين إلا بسنوات قليلة.

وفي هذه المدة من حياته ترجم له معاصره إسماعيل بن الأحمر في نثير الجمان فقال: «وهو ممن لا ينكر حاله في ارتياض العلوم الشريفة، ما احتوت عليه ترجمة ذكره، وخبيئة فكره من أساليب النظام «النظم» الرائعة الحلاء، ومجاري أقوال النثر البارعة الإنشاء»(23)، وروى لنا قصيدته الطويلة في استعطاف أبي عنان المريني في أثناء سجنه إياه سنة (759هـ)، وهي أول ما نعرف له من الشعر ومطلعها:(24).

على أيِّ حالٍ لِلَّيالي أعاتبُ
وأيَّ صروفٍ للزمان أغالبُ
كفى حَزَنًا أني على القُرب نازحٌ
وأني على دعوى شهودي غائبُ
وأني على حكم الحوادث نازلٌ
تسالمني طورًا وطورًا تحاربُ

وهي قصيدة طويلة وبديعة ومؤثرة، تشي بطول باع صاحبها في الشعر، بما اشتملت عليه من عمق المعاني، وقوة التعبير، وبراعة التصوير، وطول النفس الشعري.

وقد بالغ تلميذه ابن عمار في وصف نثره ونظمه بالسحر فقال: «وله من المؤلفات غير الإنشاءات النثرية والشعرية التي هي كالسحر: التاريخ العظيم...»(25). وقال معاصره الباعوني الدمشقي (ت: 870هـ) أيضًا: «وكان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان، وله من النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان»(26)، وإلى ذلك ذهب معظم من ترجم له أو ذكره من معاصريه، أو من أتى بعدهم من المؤلفين، كما أشار ابن خلدون إلى اشتغاله بالشعر والأدب، إذا كان ذلك سلّمه إلى الشهرة وارتقاء المناصب، شأنه في ذلك شأن لسان الدين بن الخطيب أديب العدوة الأندلسية وشاعرها، كما كان ابن خلدون أديب العدوة المغربية، وكاتب سلاطينها وشاعرهم منذ مطلع حياته إلى حين اعتزاله وانهماكه في إنجاز مشروعه التاريخي الكبير ومقدمته، فنراه بعد ذلك يهمل الشعر، ويقول بعد عودته إلى تونس حاملاً معه «العبَر» ليقدمه إلى سلطانها مشفوعًا بقصيدة من شعره، صدّرها بقوله: «وكان مما يغرون به عليّ قعودي عن امتداحه، فإني كنت قد أهملت الشعر جملة، وتفرغت للعلم، فكانوا يقولون له: إنه إنما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه الملوك قبلك، فلما رفعت له الكتاب أنشدته هذه القصيدة امتدحه وأعتذر عن انتحال الشعر»(27)، وفيها يقول:

مولاي غاضَت فكرتي وتبلّدت
مني الطباع فكل شيء مشكلُ
فأبيت يعتلج الكلام بخاطري
والنظمُ يشرد والقوافي تجفل
منَ بعد حولِ أنتقيه ولم يكن
في الشعر حوليّ يُعاب ويرذلُ
فأصونه عن أهله متواريًا
أن لا يضمّهم وشعري محفلُ

وكان قد أنشده قصيدة أخرى أشار فيها إلى انصرافه عن الأدب والشعر فقال:(28)

عذرًا فقد طمس الشباب ونوره
وأضاء صبح الشيب بعد طموسِ

«المقدمة» آخر ما ظهر لنا من كتب ابن خلدون وآثاره، إلا أننا لم نعد نرى منه سوى هذه المقدمة، مع أنه اشتغل بالشعر والأدب، وكان ذلك سلّمه إلى الشهرة وارتقاء المناصب

الوجه الآخر لابن خلدون

أنحى الزمان عليّ في الأدب الذي
دارسته بمجامع ودروسِ

وذلك آخر ما نعرف له من الشعر في المغرب، ولم نسمع له بعد ذلك إلا بقصيدة يتيمة قالها في مصر، وطالع بها الملك الظاهر (ت: 801هـ) بعد نقمته عليه في فتنة الناصري سنة (791هـ)، فصادفت لديه الرضى والقبول، وفيها يقول:(29)

سيدي والظنون فيك جميلهْ
وأياديك بالأماني كفيلهْ
فأعينوا على الزمان غريبًا
يشتكي جدب عيشه ومحولهْ

ومن الملاحظ أن جودة الشعر عند ابن خلدون مرتبطة إلى حدّ بعيد بمدى صلته بذاته، وتعبيره عن خلجاته وأشواقه، فإذا ما تحوّل به إلى المديح نقصت عناصر جودته، وخفّت حدة انفعالاته، وشحّت موارد جماله وبراعته، ولذلك فقد وجدناه يطيل مطالع قصائده في المدح لصلة هذه المطالع بذاته، فإذا ما انتقل إلى المديح قصّر واضطربت دلاؤه، كما هو الشأن في قصيدته التي بعث بها إلى أبي عنان المَديني (ت: 759هـ) من محبسه ويقول في مطلعها الذي يعبّر فيه عن خلجات نفسه فيبدع ويطيل:(32)

وما أنس لا أنسَ الوداع وقد جرت
دموع وزمت للفراق ركائبُ
عشية بانوا والقلوب جوامد
وكان عقيق في النواظر ذائبُ
وقفنا ولا نجوى سوى بين أعين
وشَت بالهوى منها دموع سواكبُ
مضوا يُزمعون السير إلا تلفتًا
كما التفتت بين الأراك الربائبُ
وأتبعتهم طرفي وقلبي وما دروا
بأني على آثار هذين ذاهبُ

يبد أن حرارة هذا المطلع تخفّ كثيرًا، حين ينتقل إلى مديح أبي عنان مديحًا تقليديًا يعتمد فيه على المعاني المألوفة والمبالغة فيقول:

إمام هدى ضاءت شموس اهتدائه
فبانت لنا من بينهنّ المذاهب
وأشرقت الدنيا بنور جبينه
فما الشمس إلا أن بدامنه حاجبُ

إلا أنه سرعان ما يعيد إلى هذه القصيدة رونقها وصفاءها، حين يرتد بها إلى ذاته، فيصف غربته ورحلته وراحلته ويقول:

أبعد انتزاحي عن بلادي تخثي
إلى بابك الأعلى مطيّ شوازِبُ
رقمتُ بها في صفحة البيد أسطرًا
كما زان رقمًا في الصحيفة كاتبُ
وَجُبْتُ بها غورَ الفلاة ونجدها
وليس سوى من ذئبها ما أصاحبُ
فكيف أولّي شطر غيرك وجهةً
أؤمل منهُ نُجعة أو أراقبُ

وللرحلة والراحلة، والربع والأطلال، ومغاني الأحبة والديار في شعر ابن خلدون أناشيد مؤثرة، تعبر عن غربته الدائمة، وطبيعة حياته التي قضى معظمها ما بين الحل والترحال، وتشفّ عن دخيلة نفسه الصافية، وعواطفه الفياضة كقوله:(33)

أمثلّ الربعَ من شوق فألثمه
وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
وينهب الوجد مني كلّ لؤلؤة
مازال قلبي عليها غير مأمون
أحبابنا هل لعهد الوصل مدكَر
فيكم وهل نسمةٌ منكم تُحَيِّيني
أعندكم أنني ما مرّ ذكركمُ
إلا انثنيت كأنّ الراح تثنيني
وأنني ظاعنًا لم ألقَ بعدكمُ
دهرًا أشاكي ولا خصمًا يشاكيني

ومن هنا كان قالب القصيدة التقليدي المعروف في الشعر الجاهلي والإسلامي بمنهج أغراضه الذي رسم حدوده ابن قتيبة (ت: 276هـ) من أنسب القوالب الشعرية التي يمكن أن تستوعب مشاعر ابن خلدون الذي ارتبط شعره بالمدائح والمناسبات الرسمية، فوجد في هذا المنهج مجالاً رحبًا للتعبير عن عواطفه الذاتية وخلجات نفسه، ومشاعره الوجدانية.

وقد يطول بنا الحديث عن هذا الشعر ويتشعب، وليست الغاية منه دراسة شعره، وإنما تعريفه شاعرًا وأديبًا ناقدًا حجبته عنا مقدمته، فلم نعد نرى منه سواها، وعلى الرغم من كثرة الأبحاث والكتب والدراسات حولها، فإننا نعتقد أنها لم تُوَفَّ بعدُ حقَّها من البحث المعمق والدقيق، بعيدًا عن آثار التعصب والتشعب والهوى، إذ طالما وجدنا الدراسات التي تناولها تكاد تقتصر على الجوانب التاريخية أو الاجتماعية دون غيرها من الجوانب الأخرى التي يحيط بها هذا المشروع المعرفي الرائد الذي يتحرك في إطار منظومة فكرية عامة وشاملة، تستوعب جوانب النشاط البشري على اختلاف مظاهره الفكرية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وتتخذ من بيئة الكاتب وعصره خاصة مثالاً لأوجه هذا النشاط العمراني وتطوره وفق المعايير التي رسمها في ذهنه، واستمد أصولها من مطالعاته ومشاهداته وتجاربه. كما أن في آثاره الكثيرة الأخرى وخطبه ورسائله ومحاضراته ومذكراته وسيرته وأشعاره ما يستحق الدرس وتقليب النظر في جوانب أخرى من شخصيته، وبذلك نرى ابن خلدون على حقيقته: شاعرًا وأديبًا ناقدًا، ثم عالمًا ومفكرًا ومؤرخًا بعد ذلك، ونعرف الوجه الآخر أو الوجه الحقيقي لابن خلدون(34).

المراجع والهوامش:

1- ينظر في ذلك: عبدالرحمن بدوي، مؤلفات ابن خلدون، ط.2، تونس، 1979م، ص 363-390.
2- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، نشر القدس، دمشق، 1949م، ص 151، والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ط.1، القاهرة 1935م، 147/4.
3- الضوء اللامع 149/4.
4- طبع في دار الثقافة بالدار البيضاء 1984م.
5- ابن خلدون، المقدمة، ط. دار الكتاب، بيروت، ص 450.
6- ن. م 112.
7- ن. م 1077.
8- ابن خلدون، كتاب العبر، ط. دار الكتاب، بيروت (مصورة)، جـ 7 (التعريف) ص927.
9- ابن خلدون، التعريف، تحقيق بتاويت، ط.1، القاهرة 1951م، ص 237.
10- أبو علي القالي، الأمالي، ط.1، دار الكتب المصرية (مصورة)، 79/2.
11- البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، ط. دار الكتب (مصورة)، ص 124.
12- أعمال ندوة ابن خلدون، ط.1، الدار البيضاء، 1979م، ص 42.
13- ساطع الحصري، دراسات في مقدمة ابن خلدون، ط.1، بغداد، 1961م، ص 166.
14- ن. م. ص.
15- إيف لاكوست، العلاّمة ابن خلدون، ترجمة ميشيل سليمان، ط.2، بيروت 1978م، ص 81.
16- ن. م. ص 96.
17- د. محمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، أعلام العرب، القاهرة 1964م، ص 13-14.
18- أعمال ندوة ابن خلدون، ص 44-45.
19- ابن خلدون، المقدمة، ص 6.
20- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبدالله عنان، ط.2، مصر 1973م، 507/3.
21- انظر د. بدوي، مؤلفات ابن خلدون ص 287. وابن خلدون، التعريف ص 366.
22- ابن الخطيب، الإحاطة، 507/3-508.
23- ابن الأحمر إسماعيل، نثير الجمان، تحقيق د. رضوان الداية، ط.1، بيروت 1976م، ص 298.
24- ن. م. ص 299.
25- السخاوي، الضوء اللامع، 194/4.
26- المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1968م، 192/6.
27- ابن خلدون، التعريف، ص 240.
28- ن. م. ص 244.
29- ن. م. ص 331.
30- ن. م. ص 70 وانظر: الإحاطة 508/3 ونفح الطيب 181/6 والضوء اللامع 148/4.
31- ن. م. ص 85. والإحاطة 514/3 ونفح الطيب 189/6 وجذوة الاقتباس لابن القاضي، ط.1، فاس، حجر، ص 264.
32- ابن الأحمر إسماعيل، نثير الجمان، ص 299.
33- ابن خلدون، التحريف، ص 85.
34- وقد جمعنا شعره ونثره وآراءه النقدية في كتاب عنوانه: ابن خلدون ناقدًا وأديبًا، نأمل أن يرى النور قريبًا.

الطريق إلى الله

حسن سودافيا

آمن بالإسلام في إيطاليا واعتنقه في الصومال

هي ولادته وطفولته كانتا في إيطاليا، معقل النصرانية، حيث يوجد الفاتيكان، العاصمة الروحية لنصارى العالم الكاثوليك، وبحكم كونه إيطاليًا نشأ وتربى وفقًا للمذهب الكاثوليكي الذي كان أبواه - كسائر الإيطاليين - يعتنقانه، ويتعصبان له.

وعلى الرغم من أن ما نسبته 2٪ من سكان إيطاليا مهاجرون مسلمون، إلا أن الإيطاليين بحكم التربية الكاثوليكية المتزمتة لم يكونوا يعرفون الكثير عن الإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي، وأسهم في زيادة جهلهم بجوهر الإسلام وحقائقه الصورة غير الأمينة التي نقلها وينقلها الإعلام الغربي والمستشرقون عن الإسلام وأمته.

في ظل هذه الظروف وُلد جوليو سودافيا في الربع الثاني من القرن الميلادي الحالي، ليشب - كسائر أبناء بلاده - لا يعرف عن العقائد سوى مذهبه الكاثوليكي، والتعصب المقيت لهذا المذهب، وترديد ما يسمع من القسس والرهبان من تُرَّهات وطلاسم، لا تنتمي إلى الحقيقة أو الواقع بأدنى صلة، بل على العكس، تحوّر الوقائع والحقائق، وتضيف إليها ما ليس فيها بعد أن تجردها من جوهرها الأصيل فتحيلها مسخًا مشوهًا. ينفر الآخرين ويزيد الضالين ضلالة.

ولأن جوليو سودافيا قد حباه الله طبيعة نقية، وروحًا شفافة يمكنها أن تميز بين الغث والسمين، بين النور والظلمة، الحق والباطل، فقد أَحَسَّ في قرارة نفسه بعدم اقتناعه بما هو عليه من إيمان زائف بعقيدة زائفة محرفة، حافلة بالطلاسم التي لا يتقبلها العقل، ولا يقتنع بها كل ذي بصيرة، فكان شكُّه في تعاليم شريعته المحرفة بداية انعتاق روحه من ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين الساطع.

البحث عن الحقيقة

ولأن جوليو قد اكتمل عقله ببلوغ سن الرجولة، فقد بدأ يبحث عن الحقيقة، فسعى إلى تعرّف الإسلام، بعدما سمع عنه أشياء من بعض المسلمين الذين التقى بهم. ولم يكن أمامه، مع عدم توفر الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية، إلا أن يلجأ إلى مطالعة كتب المستشرقين حول العقيدة الإسلامية. وعلى الرغم من أن هذه الكتب لا يعبر معظمها عن جوهر الإسلام وحقائقه، إما عن عمد أو جهل، فإنه وجد فيها الكثير مما يتعلق بشريعة الله الخالدة.

وشده إلى الإسلام ما وجد فيه من عدالة بين البشر، وتساويهم جميعًا في الحقوق والواجبات، فالكل سواسية كأسنان المشط، ووجد في تقرير الشريعة الإسلامية للزكاة مبادئ للتكافل الاجتماعي لا تتوافر في أية شريعة أخرى، إذ إن الإسلام حين جعل الزكاة ركنًا من أركانه أرسى بذلك مبدأ خالدًا يعالج قضايا المجتمع الاجتماعية بقوانين ربانية تحقق الخير للمجتمع، من خلال جعل حق معلوم في مال الغني، يزيل عن الأول فاقته، ولا يفقر الثاني، بل على العكس، فالصدقة نماء للمال، وما من مال نقص بسبب صدقة.. بل تزيده وتنمّيه كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

محاسن الإسلام

أَحَسَّ جوليو بأن شريعة الإسلام هي شريعة الحق، خاصة وقد أدرك أن هذه الشريعة تنظم علاقة العبد بالخالق المتعالي، فتجعلها علاقة مباشرة لا تحتاج إلى وساطة مخلوق كما هو الحال في ديانة النصرانية التي تجعل القسس والرهبان واسطة إلى الله، مما جعل هؤلاء يتبوؤون مكانة عالية يستثمرونها لصالحهم، حتى لقد بلغ الأمر ببعضهم إلى بيع صكوك الغفران، بينما في الشريعة الإسلامية، لا يمكن أن يزعم العالم المسلم أنه بإمكانه أن يحقق الغفران، فالأمر متعلق بإخلاص العبد في التوبة وثقته بربه وخوفه من عقابه، وشوقه إلى رضاه.

كما أن الإسلام شريعة تنظم حياة الإنسان في دنياه الفانية من خلال قوانين إلهية لو التزمها المجتمع لعمت الطمأنينة وسادت المحبة والسلام والرخاء بين البشر.

إشهار إسلامه

وفي عام 1989م كان جوليو سودافيا في الصومال، ذلك البلد المسلم العربي الأفريقي، الذي عانى يومًا ما من احتلال أبناء جلدته الأوربيين باسم المسيح عليه

السلام، والمسيح من أفعالهم براء. وكانت نفس جوليو قد اطمأنت للإسلام، واقتنعت به بعد دراسة عميقة، فوجدها فرصة ليعلن إسلامه في بلد مسلم، ليشاركه إخوانه المسلمون الصوماليون الفرحة؛ وبالفعل تم إشهار إسلامه في مكتب وزير الشؤون الإسلامية الصومالي، وتسمى باسم «حسن» تيمنا باسم الوزير الصومالي.

وحسن سودافيا يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة بولونيا الإيطالية، وقد منَّ الله عليه بزوجة مسلمة صومالية تراعي ربها، وتساعد زوجها في الدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة والتمسك بأوامر الخالق البارئ واجتناب نواهيه.

أوروبا والدعوة الإسلامية

ويرى البروفسور - حسن سودافيا أن أوروبا عامة تحتاج إلى دعاة مؤهلين يشرحون للرأي العام الأوروبي حقيقة الإسلام، وكونه دعوة إلى السلام، لأن هناك انطباعًا خاطئًا في أذهان الأوربيين حول ارتباط الإسلام بالإرهاب، وهو انطباع أذكته وسائل الإعلام الغربية التي يسيطر اليهود والحاقدون على الإسلام على معظمها، مستغلة عمليات إرهابية يقوم بها مارقون، وينسبونها زورًا إلى الإسلام، والإسلام منها ومن أمثالها براء، ومن هنا تأتي أهمية أن يكون الداعية متفهمًا لطبيعة المجتمعات الأوروبية. ومتحدثًا جيدًا بلغاتها، كي يتمكن من إيصال المعلومات إلى الرأي العام الأوروبي المحكوم سلفًا بأفكار مشوهة عن العقيدة الإسلامية، كما ينبغي على هؤلاء الدعاة الإكثار من الندوات والمؤتمرات التي تحث على الحوار بين الأديان والتعايش بين الشعوب فمن خلالها يمكن عرض حقائق الإسلام الناصعة وكونه دين محبة وسلام.

لن أغيِّر لحنًا

محمد الأمين محمد الهادي

في صراع مرير بين النفس الأمارة بالسوء.. والقلب المتمسك بالوفاء للحب الخالد فيه.. انتصر فيه الحب والوفاء.. فكانت هذه القصيدة:

يا فؤادي لستَ الوحيد المعنَّى
أينما سرت ثَمَّ وَلْهَى ومُضنَى
فَلْتُخفف من حدَّة الحزن عني
واجعل البِشرَ في حياتي أسنَى
ولْتَدَعْني أشارِك الصَّحْبَ فيما
يستطيبون من نعيم.. فأهنا
هل عدمت الشعورَ إلا همومًا
أم رأيت الوجود يختلّ.. وزنا
أم خبرت الفنون عندك.. حتى
لم تجد ما سوى عزوفك... فنا؟
كيف ترضى بأن تظل رهينًا
في سراب الأوهام حسبُك رهنا!!
كنت في مدة من الدهر تهوى
أفلم يأن أن تغيِّرَ... لحنًا
ها هي الغيد يرتمين بذلٍّ
نحو محراب ساحك... المتَمَنَّى
والأماليد منك يرقبنَ خفقًا
ملهبات الجوى فُرادى.. ومثنى
والعذارى يرنُونَ نحوك لهفى
ناعسات الجفون.. يلمَعْنَ حسنا
كيف تذوي.. وذا النعيمُ ربيعٌ
يفرش الدربَ باسمًا يتغنّى
هل من الحقِّ أن يناديك حُسنٌ
فتصمَّ الآذان عنه... وتضنى
ويل صدر حواكَ بل ويل شخص
قد قضى العمر مغرمًا بك مُضنى
فانبرى لي الفؤادُ يبعث نبضًا
ويرد السهامَ.. يُسرى ويُمنى
ويحكَ اليوم!! هل تمرَّدْتَ عني؟
فتجرأت أن توجِّه... طعنا!!
كيف تبغي ليَ الرشاد.. وتغوى؟
كيف فكَّرت أم ترى ضقت ذهنا؟
لك مالي ولي عليك حقوق
فاحفظ العهد ندرك.. المتمنَّى
أنا قلبٌ حوى الغرامَ وأيضًا
لم يفُتْني الوفاءُ مغزًى ومعنى
فانسحابي عن المغاني اختيار
فوفاء العهود أحسنُ مَغْنَى
أيَّ نعمى تريدني مستطيبًا
بعد أن صرت في الهوى أتدنَّى؟
أنا إن خنت في هواي ذليلٌ
كيف أرضى الهوان مأوى وشأنا؟
وهناك استرحتُ من حُمْقِ نفسي
فجعلت الحجا لقلبيَ... ركنًا
وعرفت الوفاء بعد.. صراع
بين نفسي وخافقي مطمئنا
إيه يا عود جدِّد العهد واسكب
وصفها يطرب المسامع.. لحنا
ها هو اللحن فيَّ ينساب دفقًا
هاج منه الهوى الدفين وغنّى
هي ماضٍ وحاضر في فؤادي
يتسامى حبي لها ليس يفنى
غمرتني بحبها واستفاض... ال
حب منها.. فصار يبعث فنا
وسع الأرض والفضاء رُواءً
وجلا الكونَ بهجةً ذات معنى
إن سلا العاشقون بعد غياب
ورَضُوا بالبديل في الحب خِدنا
لست أسلو ولست أرضَى بديلاً
أنا في الحب لا أغيِّر لحنا!!!!

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. عبدالله الجبرين

التصاوير: حلال أم حرام؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتنب دخول البيوت التي يرى فيها تصاوير، وقال: «إن الملائكة لاتدخل بيتًا فيه الصور». فهل يحرم علينا دخول البيوت التي نرى فيها تصاوير؟

محمد مصطفى

1040نهج الورود، أريانه، تونس.

ثبت أن عائشة رضي الله عنها سترت فرجة في البيت بسترة فيها تصاوير، فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم تمعّر وجهه وغضب حتى أماطت تلك السترة وقال: «إن هؤلاء المصورين يُعَذَّبون يقال لهم أحيوا ما خلقتم»، قالت عائشة: فشققته وجعلت منه وسادتين منبوذتين توطآن. وهذا يدل على أنها شقّت تلك السترة وجعلتها وسادتين يُتّكأ عليهما، ولو بقي فيهما بعض الصورة. ولذلك رخص في الصور التي في الفُرش التي يُجلس عليها لأنها ممتهنة بخلاف المنصوبة المرفوعة؛ فهي الممنوعة والتي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه. أما التصاوير التي في الصحف والتي في الأوراق العادية وكذا في النقود وبطاقات الهوية الشخصية كجواز السفر ونحوه فلا تمنع من دخول الملائكة، ولا بأس بدخول المنازل وهي بها وذلك لكثرة وجودها وعموم البلوى بها.

الأجانب للمرأة

من هم الأشخاص الذين يحق لهم بحكم قرابتهم رؤية ما هو أدنى من الحجاب الذي ترتديه المرأة عند الخروج؟ وهل يحق للمرأة المسلمة الحديث والتعامل مع إخوان زوجها وأبيه؟، وهل يُعدّون أجانب بالنسبة لها؟

محمد عبدالغفار رفاعي

ص.ب 36292، دمشق، سورية.

قال الله تعالى: ولا ﴿يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعولَتِهِنَّ أَو آبائِهِنَّ أَو آباءِ بُعولَتِهِنَّ﴾ **الآية**. فمحارمَ المرأة غير الزوج إما بالقرابة والأقارب وهم أبوها وأبناؤها وإخوانها الأشقاء أو الإخوة من الأب أو من الأم وأبناء إخوانها جميعًا وأبناء أخواتها وأعمامها وأخوالها. وأما المحارم بغير القرابة فهم زوج المرضعة وأقاربها؛ فالزوج أبوها من الرضاع وأقاربه أقارب لها فأبناؤه إخوتها، وإخوانه أعمامها، وأعمامه أعمام أبيها وأعمام أمها محارم لها، وأبناء المرضعة إخوتها وكذا أقارب المرضعة. وأما بالنسب فهم أبو الزوج وأبناء الزوج من غيرها. فهؤلاء يجوز لها أن تكشف لهم عن الوجه والكفين والقدمين والساعدين والشعر والثديين عند الإرضاع ونحو ذلك. فأبو زوجها محرم لها أبدًا. وأما إخوان الزوج فهم أجانب، وكذا أزواج أخواتها فلا تكشف لهم شيئًا من زينتها ولا تخلو مع أحدهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل: أفرأيت الحمو؟ فقال: «الحمو الموت». رواه مسلم وغيره. والحمو هو أخو الزوج أو قريبه، فهو أخطر من غيره لأنه يدخل كثيرًا على امرأة أخيه بلا استنكار، وقد تكون خالية فيوسوس لهما الشيطان التقارب. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يخلونّ رجل بإمرأة إلا مع ذي محرم»، وقال: «ما خلا رجل بإمرأة إلا كان الشيطان ثالثهما». فإن كان بينهما حاجز وأبواب مغلقة أو عندها أولادها أو نساؤها جاز له الدخول في أدنى المنزل عند البعد من الشبهات، والله أعلم.

السهو في التشهد

جلست للتشهد الأخير في الصلاة، ثم توهمت أنني لم أجلس للتشهد الأول. ماذا يجب عليّ أن أفعل في هذه الحالة؟

خالد أحمد حامد

حي الشميسي، الرياض.

يكثر أحيانًا من بعض المصلين وجود الشك والتردد في ترك واجب أو ركن، ولكن هذا في الغالب يكون عن وسوسة وتوهمات. ومثل هذه الشكوك تكثر من المبتلين بالوسوسة في الطهارة أو الصلاة فننصح بعدم الالتفات إليها؛ وذلك لأن المصلين من المسلمين قد اعتادوا الصلاة وعرفوا أركانها وواجباتها، وحافظوا على أدائها كاملة، وأصبح ذلك عادة مستقرة في نفوسهم يندر معها منهم الترك والخطأ. فمتى وقع الشك في ترك ركن أو واجب، ولم يكن ذلك عادة له فلا يلتفت إلى هذا الشك، وعليه الاستمرار في الصلاة ولا حاجة إلى سجود سهو. لكن إن لم يكن له عادة بالوسوسة وكان الشك يغلب وقوعه؛ فإنه يسجد للسهو لجبر ذلك النقص الذي حصل منه. ففي هذه الحالة إن كان الشك قويًا ويغلب على الظن وقوعه لزم السجود، وإلاّ فلا.

السب والمزاح

اعتاد بعض الناس أن يداعب أصدقاءه بالسب من غير أن يرى الطرفان في ذلك مأخذًا، ما حكم الشرع في هذا الأمر؟

عامر حسن كاشف

الخرطوم، السودان.

هذا النوع مما يُسَمّى مزاحًا، ولكن إذا تَضَمّن سبابًا أو هجاء أو تنقصًا فلا يجوز، ولو كان ذلك مما يُتسامح فيه بين الأصدقاء. ولكن يشعر الإنسان أن كلامه السيئ يُكتب عليه ويُحاسَب عنه وذلك مما يحمله على ألاّ يقول إلاّ حقًا. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح أحيانًا ولكنه لا يقول إلا حقًا ولو فُهِمَ منه خلاف ما يريد. وقد ذكروا لذلك أمثلة ذكر بعضها صاحب «مشكاة المصابيح» وغيره. ثم إن العلماء كرّهوا الاستمرار في المزاح والإكثار منه وذلك لأنه يُسقط الهيبة ويجرئ السفهاء على القول المكروه وعلى الهجر من الكلام، وقد يكون كذبًا صريحًا. فكان من الحق على المسلم أن يصون لسانه وأن لا يتمادى في كلام يُكتب في سجل أعماله، ومن نوقشَ الحساب عُذِّبَ، والله أعلم.

روّاد الأدب في بلادنا كـثـر. ولست بمدّعٍ أنني عرفتهم جميعاً. ولكن الأقطاب منهم، كان لي مع بعضهم لقاء. كما أتاح لي عملي بالصحافة الاقتراب كثيراً من بعضهم الآخر. وعن هؤلاء وأولئك، يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم، أو تعلمته منهم.

3

مُحمّد سُرور الصّبان

ظاهِرة نادرة!



عبدالله عمر خياط

تستقبل الحياة الدنيا في كل يوم عشرات الألوف ممن يفدون من بطون أمهاتهم، كما تودع عشرات الألوف من الذين تحصدهم الحروب، أو يقتنصهم الموت الذي لا مفر منه لمخلوق، دون أن يكون لأولئك أو هؤلاء ذكر، إلا بعض نفر من الذين يعيشون الدهر بما كان لهم من أعمال خالدة، أو آثار محمودة، وإبداع يبقي ذكرهم مادام ثمة من يقرأ ويستفيد.. وشاهدي على ما أسلفت ذلك البيت الذي أطلقه المتنبي منذ أكثر من ألف عام:

وما الدهرُ إلاّ مِنْ رُوَاة قصائدي
إذ قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشداً

ولئن انتقل الشيخ محمد سرور الصبّان ـ رحمه الله ـ إلى الدار الآخرة من بضع وعشرين سنة، فإنه لازال يُذكر مع كل حدث أدبي، وسيظل اسمه يتردد ما بقي قارئ يطالع إصداراته الخالدة، وآثاره التي خلفها.

ولأن موعدنا اليوم ـ ونحن نختم الحديث عن الشيخ محمد سرور الصبّان شيخ رواد الأدب في الحجاز ـ باستعراض ما كان له من آثار أدبية من شعر ونثر، وما كان لأهل الفكر من رأي حيالها، فإنني أستفتح الحديث بفقرات من مقال له نشره في كتاب «أدب الحجاز» الصادر سنة 1344هـ، وأعاد الأستاذان محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير نشره في كتاب «وحي الصحراء» بالنص التالي:

«أيها الرفاق: نحن اليوم على مفترق الطرق، فإما سعادة دائمة أو شقاء واقع.

لقد تقلص ذلك الماضي على ما فيه من خير وشر، وأصبحنا إزاء حالة جديدة، وتطور عظيم، إذ نحن لم نسر فيه على منهج قويم وبقدم ثابتة لا تأمن العثار، ونسقط في هاوية لا مخرج لنا منها.

إن البلاد تجتاز مرحلة لم تتعود السير فيها، وقد ألقت زمامها في أيدي قادتها وها هم أولاء سائرون.

نريد الإصلاح، الإصلاح في كل شيء، ولكن لا إصلاح مع الرياء.

لقد تعود أبناء أبينا أموراً أصبحت بحكم العادة طبعاً خامساً.

هذه الأمور هي: الرياء في كل شيء، عدم الإخلاص في القول، وفي العمل، الاغترار بالمظهر دون الجوهر، السير مع المصلحة الذاتية، والتضحية بالمجموع في سبيلها، العمل على انفراد. التعصب للرأي الأفين. يضاف إلى ذلك ضعف في العزيمة ونقص في الشجاعة الأدبية؛ وقصر في الحالة الفكرية وغير ذلك.

فهل يرجى الصلاح من أناس هذه حالتهم؟ لا وربي».

وبعد أن يتحدث عن الأوضاع السائدة آنذاك يعود لرفاقه يناشدهم بقوله:

«دعونا بالله عليكم من هذه الجعجعة، وسيروا بنا في طريق العمل، العمل النافع الذي نستطيع أن نسحق به ما استحكم فينا من رذائل العادات.

فخلصونا يا قوم من الرياء وسيروا بنا نترفع عن الدنايا، وننهض إلى المعالي.

سيروا بنا نخرج العقول من مضايق الشخصيات.

سيروا بنا نُقَوِّ العزائم ونهيب بالهمم.

سيروا بنا إلى الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية.

سيروا بنا نَصن الأعمال من الخلل.

سيروا بنا نتسابق إلى الأعمال الشريفة.

سيروا بنا نتنافس في جلب المفيد للأمة.

وحينذاك نرتقي في مدارج الرفعة، متنقلين من الصالح إلى الأصلح حتى نصل إلى درجة الكمال. وذلك هو الإصلاح المنشود».

عاطفة النفسُ ويا ليل

ومن روائع شعر الشيخ محمد سرور الصبان قصيدته «عاطفة النفس» التي سبق أن أورد الأستاذ عزيز ضياء فيما نشرته بالحلقة الأولى من هذه المقالات بعض أبياتها. ومطلع القصيدة هو:

جلَّ الأسى وتتابعت زَفَراتي
ودَنَا المشيبُ فقلتُ حَانَ مماتي

ومن مقطوعاته الشعرية، تلك التي نشرها بعنوان «وطني» وفيها يقول:

أنا لا أزال شقيّ حبّكَ هائماً في كل وادْ
زعم العواذلُ أنني أسلو وأجنح للرقادْ
كذبوا وحقّكَ لست أقدر أن أعيش بلا فؤادْ
ولسوف أصبر للمصائب والكوارث والبعادْ
حتى أراك ممتعاً بالعز ما بين البلادْ

ويندر العذول بأن السماء أقرب إليه من أن ينال من حبه فيقول:

ويل أم العذول يطلب مني
ما تكون السماءُ أقربَ منهُ
كيف أسلو غذاء نفسي وقلبي
ذاب وجدًا فمن يرقُه عنهُ

أما رائعته الخالدة التي نشرها في كتاب «أدب الحجاز» دون أن تنسب إليه، ثم نشرت في «وحي الصحراء» ضمن آثاره الشعرية، فهي قصيدة «يا ليل» التي يقول فيها:

يا ليل ما للبدر يمرحُ في السما شرقًا وغربًا
يبدو فيضحك ساخرًا منا وطورًا قد تخبا
يعلو على متن السحاب يسوقها سربا فسربا
أتراه يعبث كالوليد فليس يخشى بعد عتبا

***

يا ليلُ حزنُك دائم أدعوك للسلوى فتأبى
يا ليلُ هل لك موطن مثلي قضى قتلاً ونهبا
يا ليل مالك مطرقًا أبدًا فقد أمضيت حقبا
يا ليل هل ذقت الغرام ولوعةً أو كنت صبا
سري وسرك غامض فدع الخلائق منك غضبى

***

يا ليلُ ما شأن الغزالة سيرها تيها وعجبا
سكرى ترنح عطفها دلاً فلا يسطيع خبا
تَخذت لها مهدَ السماء كمرقص فتدب دبا
طَردت إليك بناتها فضممتهن إليك ربا
تلك النجوم المشرقات وجوهها بشرًا وحبا

***

يا ليلُ لو أن الغزالة سرها قد كان غيبا
لم تغش من مكنونها أمرًا ولو لم تأت عيبا
لغدت بنا الآمال تضرب في الورى جمعا وصحبا

أديب قبل كل شيء

... ونكتفي بهذا القدر مما كان للشيخ محمد سرور الصبان من نتاج - وهو بالمناسبة - مقل في إنتاجه - لنرى ماذا كتب أهل الفكر والنقاد عنه:

من كتاب «الصبان.. صانع الرجال» لمؤلفه زهير محمد جميل كتبي أنقل عنه ما تضمنته ثلاث صفحات من أقوال أهل الفكر.

لقد وصفه الأديب الكبير الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في مقال طويل بمجلة المنهل جاء فيه: «وهو مع ذلك أديب قبل كل شيء، يأنس إلى الديوان الشعري والكتاب التاريخي، والمؤلف القديم والحديث، ولابد له بعد ذلك ومع ذلك من قرض شيء من شعره الذي تلهج به الطبيعة الشاعرة الحساسة الصموت، ولابد له مع ذلك من معالجة الكتابة الأدبية في شتى الموضوعات».

كما كتب السوادي مؤلف كتاب «عند مشرق العروبة» عن الصبان فقال: «وكان قائدًا للرعيل الذي أيقظ الجيل وهزَّ مشاعره، أول حجازي دعا إلى وحدة العرب».

وأما الأستاذ طه عبدالباقي والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي مؤلفا كتاب «أدباء الشرق» فقالا عن الصبان:

«يعد رائد النهضة الأدبية الحديثة في الحجاز وراعيها، وأول من بذر بذور الكتابة الفنية في الأدب العربي الحجازي، وحامل مشعل الأدب الحديث في البلاد المقدسة، وأحد موسسي الحركة الفكرية فيها، وهو أديب متمكن، وكاتب ممتاز».

وقال عنه الأستاذ عبدالله عريف في كتابه «رجل وعمل»:

«محمد سرور رجل كفء على استواء في الكفاءة لجميع الأعمال، حتى لكأنه صنع كفاءته بيده وبالمقدار الذي يريده ويراه، وهذه الكفاءة هي التي أتاحت له الاشتراك في كل مشروع قام في هذه البلاد، وجعلت منه العظيم الملحوظ».

الخصوم ينصفونه

وكتب الدكتور إبراهيم عبده عن الشيخ محمد سرور الصبان في مقدمة كتابه «سيرة من الحرمين» يقول: «وقد رأيت من الناس أشكالاً وألوانًا، وخبرت من طباعهم وخلائقهم الشيء الكثير، وكلما صعدت بي السنون، قلّت المعادن الطيبة فيهم، حتى إذا خيل إليَّ أنني عثرت على معدن نفيس بينهم، وتهيأت لأن أكشف عنه، هالني ما ثار حوله من ريب وشكوك!!».



أحمد شوقي

ويمضي الدكتور إبراهيم عبده في حديثه عن الشيخ، ويذكر المناسبة التي دفعته لتأليف هذا الكتاب: «ثم قدر لي أن أرى في جدة في شهر ديسمبر 1953م وجوهًا تزور مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، وكنت لها حينئذ مستشارًا، وقد سمعت يومًا أن زائرنا غدًا وزير المالية والاقتصاد، ورأيت المسؤولين في هذه المؤسسة يعتزون بهذه الزيارة اعتزازًا ملحوظًا، وعجبت لهذا!! إن زوارنا لا يقلون قدرًا ومقامًا عن الزائر الجديد، فما بال القوم يرون في هذه الزيارة شغلهم الشاغل ويحسبون لها ألف حساب؟!

وغاضت دهشتي حين ذُكر لي أن ذلك الزائر هو الشيخ محمد سرور الصبان، فإني أعلم أنه أديب وشاعر، وكان يومًا صاحب مكتبة أو صاحب دار للنشر، وكتب يومًا في الصحف، ونشر يومًا كتب الأدب والشعر والتاريخ، فهو بحق أخطر من يفد علينا من الزائرين، وإنه لفاهم لما نصنع من طبع ونشر وتحرير، فزيارته زيارة الخبير الواعي ليست بزيارة وزير استغرقته شؤون الحسبة والمال!

ورأيت الشيخ محمد سرور الصبان، وفرحت بزيارته، وأحسسته قريبًا من قلبي، ثم مضت السنون، لا أرى الشيخ إلا نادرًا، بيد أنني أسمع عنه كثيرًا من الحكايات، وأقرأ عنه كثيرًا من الكتب والمقالات.

إنني أذكر للشيخ محمد سرور الصبان حادثًا كان لإيماني في الأيام العصيبة مفترق طريق، لذلك امتلأ قلبي بالغبطة حين عرفت هذا الرجل الأديب الشاعر المفتن، وسرني أن يدبج فيه أكثر من كاتب عربي الفصول والرسائل والكتب.

وجلست أسمع للناس في مكة وجدة سنة 1959م وهم يتحدثون عن خلائق الرجل وصفاته، كما جلست أستمع للناس بعد ذلك في القاهرة، فإذا هم ينافسون أهل مكة وجدة في الإشادة بسيرته وسجاياه.



حافظ إبراهيم

وقلت لصاحبي: أليس لصديقنا الكبير خصوم؟!

قال صاحبي: وهل يُعقل ألا يكون لصاحبنا خصوم؟!

قلت: أريد أن أعلم رأي هؤلاء الخصوم فيما يقول الناس عنه من المدح والثناء.

قال: أتذكر فلانًا، وفلانًا، وفلانًا؟

قلت: نعم.

قال: هؤلاء بعض الخصوم!.. وقد استمعت إليهم في جدة وهم يروون لك من صفاته ما حببك فيه وقرب قلبك إليه.

قلت: أحمد الله أنّ في هذه الدنيا ناسًا يقولون كلمة الحق، وإن تكن في صالح خصومهم.

ثم قلت لصاحبي: وما رأيك في أن أنافس من سجلوا تاريخ صديقنا الكبير؟!

قال: لو بيدي لفعلتها أنا، فإن الوطن العربي في حاجة إلى السير».

محمد سرور الصبان..
ظاهرة نادرة!

.. ولكن مـاذا قال الدكـتور إبراهيم عـبده عن شـعر الشيخ محمد سرور الصبان؟!..

في ثنايا كتابه «سيرة من الحرمين» استعـرض الدكتور إبراهيم نماذج لشاعرنا الكبير أعقبها بقوله:

لقد كان شوقي أمير الشعراء، لأنه انصرف العمر كله للشعر وحده، لا يحترف في الحياة حرفة غير قرض الشعر، ومع ما كـان في بعض شعره من ضـعف، إلا أنه كان بحق أمير الشعراء.

وكـان حـافظ إبراهيم ينقص (حـبـة) عن شـوقي في تقـدير الناقــدين، ولو لم يكن حـافظ إبراهيـم ضـابطًا في الجيش في مـقتبل العمر، ومـوظفًا معظم العـمر، وانصرف بكلياته للـشعر وحـده، لسما وسبق أمير الشـعراء في رأي الكثيرين.

ولو مضى العـقاد يقرض الشـعر بمعشار الجـهد الذي بذله في إصـدار الروائع التي أصـدرها نثرًا لما اخـتلف في إمارته على سائر الشعراء ناقد ولا خبير.



د. محمد عبد المنعم خفاجي

إن التخـصص سمة من سمـات التفوق والتـبريز، ولم يكن الشيخ مـحمد سـرور ذلك الرجل الذي يقتـصر على ركن واحد.

وإذا توحَّدت الجهود لخيرها
سعدت ونالت أرفع الدرجات

وفي أثناء المحنة التي كـان يجتازها فـي مكة، والحرب دائرة بين الملك عـبدالعـزيز وخصـومه من الأشـراف، علم بوفاة صديقه عمر شاكـر، وكان هذا الصديق صحفيًا أراد أن يؤدي واجـبـه الصـحـفي عـلى أحـسن مـا يكون أداء الواجـبات، فـركـب إحدى الطائرات الحـربية التي كـانت تلقي المنشورات على مكة، فشـاء القدر أن تسقط الطائرة، ويستشهـد الرجل أثناء قيامه بواجبه الصحفي، فـعابها عليه كثيـرون، ولم يعفوه من النقد وهو الجـدير بالرثاء في ساحة الاسـتـشهاد. كـتب في ذلك الصبـان قصيـدة بعنوان «قد يكون الأديب قائد جيش».

لا يلامُ الفتى إذا ما تسامى
ثم أمسى على الصعيد رُكاما
هكذا الروح للسموات تعلو
مثلما الأرض تجذب الأجساما

قصيدته تنسب لشاعر مجهول

إن شـيـخنا قـد تجـاوز السـتين، وهو في مـعظم هذه السنوات لا يقول الشعر ولا يكتـب النثر، بل يعمل في جد ودأب في شتى الميـادين البعيدة عن الشـعر والأدب، وقلما تتاح له الفرص ليكتب مقالاً أو يقرض قصيدًا، فقد زحمته الحياة منذ قـديم بمسؤولياتها الكثـيرة وتبعاتهـا التي ينوء بها عشرات من الرجـال؛ وعلى ذلك كله، فإن الشيخ مـحمد قدم لنا مـن قصائد الشـعر الجـميل ما يضـعه في صـفوف شعـراء الوطن العربي المجيـدين، وإن كانت قـصائده قليلة، وهي على أي حال تصور النفس العَفَّة، والضمير المستقيم، ولا تخرج عن آداب الحياة الفاضلة في لفظ أو عبارة.

ومن هذه القصائد قصيدة نـظمها في صدر الشباب، هي عندي من أجـمـل وأحلى مـا قـرأت من شـعـر، وهي صدى للظروف التي أحاطت بصاحبنا في أيام دقيقة، ومن روائع قصيـدة، هي تلك التي نشرها بعنوان «يا ليل». ومن عجب أن تكون له هذه القـصيدة ويذكر في أدب الحـجاز أنها «لشـاعر لم يشـأ ذكر اسمه»، وهي عند كثـيرين من الذين يفـضلونني تذوقًا للشـعر والأدب، أجـمل ما كـتب الصبان من شعـر، وهي بحق فريدة من الفرائد، لو سقطت من حـسابه في الشـعر، لكانت فـجوة في سـيرة شاعـرنا، ولنقص ميزانه في القريض عند بعض الناقدين.



المرحوم عبدالله عريف

ولم أجد في قصيـدة «يا ليل» وهي من الشعر الغنائي شيئًا يـتحرج منه الشاعر أو يخشـاه على سيرته بين الناس، فهي قصيدة عفيفة - إن صح التعبير - فيها شكاة وألم وفيها حزن وأسى، بيد أن فـيها جمـالاً ملحوظًا، وعبارة مـشرقة ولفظًا منتقى، وهي شيء جـدير بالحرص عليه والانـتساب إليه.

انصت إلى الصبان وهو يشدو في تلك القصيدة:

يا ليل
يا ليل! صمتك راحة
للموجَعين أسىً وكربا
خفَّفتَ من آلامهم
ووسعتهَم رِفقًا وحبا
أو ما ترى حدث الزما
ن أمضَّهم عَسْفًا وغلبا
يا ليل! إن بسم الخَلِيْـ
ـيُ وسادر لهوا ولعبا
فبجنبه يبكي الشجيْـ
ـيُ وربما لم يأت ذنبا
هذا ينعم باله
وأخوه يصلى النار غصبا

***

يا ليل! فارو محدثًا
أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حاجة
إن تقضها فرّجت كربا
وابدأ حديثك بالألى
عانوا من الآلام وصبًا

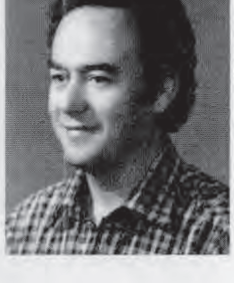
***

وهذه الأبيـات هي من قصـيدة «يا ليل» التي ذكـرت عكاظ - بالـعـدد11187 والصـادر في 1417/11/25هـ الموافق 1997/4/3م - أن الفنان الكبير محـمد عبدالوهاب قد قام بتلحـينها والتغني بها في شريط خاص وذلك برواية الأستاذ عبدالله حبابي وقد نشرتها عكاظ بالنص التالي:

«يبدو أن خزانة الموسـيقار الراحل محمـد عبدالوهاب الفنية لازالت متـخمة بالكثير من الأعمـال الجليلة والكثيرة التي تركها أمانة لدى أرملتـه السيدة نهلة القدسي، أحدث هذه الدرر التي سجلهـا الموسيقار الراحل بالعود قـصيدة «يا ليل صمتك راحـة» للشاعر السعودي الراحل محـمد سرور الصبَّـان» والموجودة في كتـاب «وحي الصحراء» و«شـعراء الحجاز». القـصيدة قال عنها عـبدالله حبابي سـفير المملكة سـابقًـا في أوغندا وإيران والبـرازيل والكاتـب الصـحـفي المعروف أنه سمعها في منزل صديقه السفير المغربي بالقاهرة خلال زيارته لمصر مؤخرًا، وأضـاف حبابي بأن هذه الأغنية تضاف إلى الأعمال الشامخة لعبد الوهاب، إذ تتبدى فيها قدرته اللحنية في التعبير عن حالات الليل ومعاناته وعذاباته أيضًا.. وهو مـا يذكر المستـمع بأغنيته الخـالدة «في الليل لما خلي...» التي كتبها أمير الشعراء أحمد شوقي».

وكفى الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله أن همه كان «تقليد أعناق الرجال بالمنن» وهو مـا تشهد له به أعماله ومعطياته التي جعلته في عداد الخالدين ذكرًا.

مرارة السخرية في رواية «الطبل»



نادر السباعي

لماذا اختار فاضل السباعي في هذه الرواية شخصية «عثمان العطار» النمط المدان اجتماعيًا ليكون بطل روايته دون منازع؟

يقودنا هذا السؤال إلى رأي أمبريتو أيكو وهو يقول في هذا الشأن: «لا يميز كاتبنا شخصياته بهذا الشكل أو غيره نتيجةً لقرار «أيديولوجي»، بل على أساس مقتضى بلاغي بحت. ونعني بالبلاغي هنا معناه الأصلي لدى أرسطو: فن الإقناع، عليه أن يستند - حتى يؤسس أسبابًا مقنعة - إلى الأشياء التي يعتقدها أغلبية الناس»(1).

يمكننا إذن أن ننظر إلى العمل الأدبي، على أنه بنية جمالية ونظام قيمي، وهو قبل كل شيء ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها وشرحها إلا في علاقاتها بالجماعة. ولا يمنع أن يكون العمل الأدبي مجموعة من البنى الدلالية، التركيبية والسردية التي تتفاعل مع القضايا الاجتماعية والاقتصادية على مستوى اللغة. وإذا حللنا هذه الرواية من خلال اللغة التي اعتبرها «بيير زيما» البنية الوسيطة الواقعة بين النص والمجتمع: فما هي سمات هذه الرواية، وبم تمتاز من روايات فاضل السباعي؟

البحث عن البنية

لا يستطيع أحد أن يدرس قصة أو رواية ما من غير أن يرجع إلى النسق الداخلي للوحدات والقواعد التي أنتجتها، وعملت على بنائها. حينما نحلل رواية «الطبل»، ربما نتساءل كما تساءل رولان بارت: أين يتم البحث عن بنية الرواية؟ والبنية السردية في هذه الرواية انطلقت من قضية «خاصة» وهي الاختلاف على وردة! إن قصة الاختلاف على وردة هي بنية الرواية، وكما يجيب بارت نفسه: إن هذه البنية إنما تكون في القصص(2)، وهذا الاختلاف بين الموظفين (نسرين وإكرام) على وردة مهداة من شاب، كان الانطلاق من قضية خاصة إلى قضية أكثر عمومًا.

فالبحث عن البنية يمكننا أن نجده في مواكب من الصور المتعددة التي نورد بعضها:

مواكب من الصور الساخرة

نقتطع من الفصل الأول الذي يحمل عنوان قضية خطيرة بعض الصور: لا يخلو الموضوع من غرابة، هذا بالنسبة لعثمان العطار الذي سيشرع في التحقيق: «موظفتان في الوزارة، شابتان، اختلفتا على وردة لأيتهما تكون، فتشاحنتا أمام جمع من الموظفات، وعلا صراخهما [...] وأما الوردة فقد ديست، في أثناء المشادة، بالأقدام».

في الفصل الحادي عشر الذي يحمل عنوان محكمة العطار: «كان عثمان العطار قد استجوب، مرات عدة، كلا من نسرين وإكرام وقصي عندلي. واستمع إلى شهود الحادثة جميعًا [...] أخذ يستدعي الموظفات فرادى وجماعات، ومعطلاً بذلك ما يَقُمن به من عمل. وأضحت الشُعب والدوائر تُرى وقد بارحها ما يربو على نصف العاملين فيها [...] وصرخ رئيس الإحصاء، يومًا، وقد رأى الخواء يعصف في قاعته الكبرى: لقد حكم العطار «بالتحقيق» على جميع موظفاتي... شكوته لواحد أحد»(3).

تعدد المستويات اللغوية

يلاحظ وجود مستويات لغوية متعددة في روايات فاضل السباعي، والغوص في بنيتها العميقة يمكّننا من الاكتشاف أن رواية «ثم أزهر الحزن» قد اتجهت نحو لغة لا تخلو من الحيادية، وبذلك صورت الواقع الاجتماعي بموضوعية تامة. بينما نجد رواية «بدر الزمان» قد اكتست لغتها من محاكاتها لغة التراث الشعبي، حيث اتجهت دلالاتها الرمزية من خلال استعارتها شكل الحكاية، وهذا النمط من التناص التراثي رسم تفرّدها ليس في تجربة الكاتب وحسب، بل بين الروايات السورية والعربية.

أما في رواية «الطبل»، فنحن بصدد لغة خاصة، تأسست بنيتها من لغة الدوائر الحكومية، وبذلك يمكننا الكشف عن الصرامة الدلالية للكلمات التي تؤدي دورًا مهمًا في بناء نسيجها العام. فالأمثلة وافرة في تلك الكثافة الدلالية التي تحيل إلى عالم الوظيفة، مثل: وزارة، الأمين العام، مدير الشؤون القانونية، محقق إداري، مدير البحوث، إضبارة، قضية، عقوبات صارمة، إذن خروج، سجل دوام، توقيع و...

فالكلمات هنا ذات مستويات دلالية متعددة. إن مفهوم «القانون» أو «النظام» عند هاني النبهاني مدير البحوث يختلف عنه عند عثمان العطار مدير الشؤون القانونية. إذن يوجد تباين في الفهم، سيساهم في ضياع المعنى الحقيقي للكلمات، ذلك الضياع الذي سيؤدي إلى موضوعية جديدة، وسيحيل في دوره إلى المشكلة الأساسية للوضع الوظيفي اللغوي لهؤلاء الموظفين.

لقد برزت في إيحاءات النص مشكلات عديدة كان محورها شخصية عثمان العطار، وهو المحقق الإداري، والمسؤول عن دوام الموظفين.

ما الذي يجعل الكاتب يتخذ الخلاف على وردة بين موظفين موضوعًا لروايته؟ وهل البراعة في السرد ودفع الأحداث أو الشكل الذي اختاره يعفيه من الحوار؟ لقد وضعنا الكاتب أمام رجل يروق له، «بل يفتنه افتتانًا، أن يرى إضبارة مشكلة أو قضية». نحن إزاء رجل نرجسي مهووس بتطبيق النظام. يحب أن «يرى الموظفين في الصف، وقد انتضى كل منهم قلمه في يمينه، متلهفًا إلى أن يودع في السجل إمضاءه ويمضي...».

ربما تبدو المشاجرة على وردة قضية بسيطة في مدلولها، ولكنها غدت عميقة في جذورها عندما مسّت عددًا هائلاً من الموظفين والموظفات إلى أن بلغت ذروتها في لمسات عثمان العطار نفسه، لحظة اكتملت الإضبارة بين يديه لتوضع في نهاية الرواية أمام الوزير الجديد.

إن اللغة التي اختارها الكاتب في هذه الرواية تفيض بالمرح والهزل.. ولكن أي مرح هذا؟ لقد اختار السباعي شخصية عثمان العطار النمط المدان ليحرك أحداث الرواية، ويعد عنصرًا فاعلاً داخل بنية سردية؛ بفضل هذه الشخصية الطريفة التي تهتم بالمشكلات الصغيرة ثم تحولها إلى مشكلة أو «قضية» كبيرة وقد سميت بـ «قضية العصر»!

تكوّن هذا الخطاب الساخر من خلال الازدواج الكامل في مكونات شخصية عثمان العطار مدير الشؤون القانونية، إذ منحه المؤلف تلك الصلاحيات والمسوّغات في تطبيق النظام في مبنى «الهلال» التابع للوزارة، هذه الشخصية غير النمطية، اكتسبت بريقًا خاصًا، وإلا فكيف اكتسبت جاذبيتها عند القارئ؟

إن نقطة الانطلاق لبناء هذه الرواية لم تتشكل من الفجوة بين (الوعي/العالم) أو بين (الذات/الموضوع)، بل وجدت سماتها الأساسية في الحدث الساخر «الكرنفالي» كما حددها «باختين» وهي: الازدواج القيمي، تعدد الأصوات، ثم الضحك.


فاضل السباعي

بين الصورة الساخرة (الكرنفالية) والبعد الدلالي

من خلال التحليل النصي، لا يمكننا الاكتفاء بتقديم الشخصية المتمثلة بـ «عثمان العطار»، ونهمل ما يوازيها من شخصية أخرى! ومن جانب آخر ستكون نتائج التحليل غير كافية إذا لم نتمكن من التعرف إلى اللهجة الجماعية التي تستوعبها الرواية.

إن اللهجة الجماعية هنا جاءت بمقتضى بلاغي بحت، ومترافقة مع الحدث الاحتجاجي لنمط من أنماط الفهم والتفكير. ومن الممكن في المجال الأدبي - كما في المجال العلمي - تمييز الخطابات الفكرية (الأيديولوجية) من الخطابات النقدية. وتنتمي رواية «الطبل» إلى الخطابات النقدية، حيث نجد اللغة الهازلة تتجه إلى السخرية من صرامة تطبيق النظام في الدوائر الرسمية. والصور الساخرة، التي اقتطعناها من سياقها، هي نوع من النقد الذي يوجهه الكاتب إلى ظاهرة حكم المكاتب «البيروقراطية»، ليرصد لهجة الموظفين الجماعية، ويصور لنا معاناتهم وفق أسلوب يعتمد التجسيم «كاريكاتوري».

في «رواية الطبل»، نحن بصدد لغة خاصة تأسست بنيتها من لغة الدوائر الحكومية، وتتجه هذه اللغة الهازلة للنص إلى السخرية من صرامة تطبيق النظام في تلك الدوائر

نحن إزاء شخصيتين رئيستين تنتمي كل منهما إلى جيل، وبالإضافة إلى الاختلاف في التكوين الفكري بين العطار = النبهاني، يمكننا أن نسعى خلف فكرة التعداد الصوتي أو (تغاير الأنا) لنقرأهما، ما دامت الثنائية تحدد وظيفتها في تقابل الشخصيات. فالشخصية لن تتمكن من تصوير نفسها تمامًا. ويعتمد الآخر وصوته على تصوير الأنا، التي تكمن هويتها، على الأقل في جزء منها، في التغاير. «أنا غير قادر على أن أرى نفسي»، وبذلك نستطيع أن نقرأ شخصية العطار من خلال شخصية النبهاني.

بهذه الحالة، يمكن أن تتراجع الشخصية لصالح الفكرة أو المفهوم، وبذلك نجد شخصية العطار تمثل مفهوم «البيروقراطية»، بكل حزمها، ومكرها، وجبروتها. وأما شخصية النبهاني، فهي الشخصية الموازية التي تمثل النباهة، والذكاء، والتحرر من القيود، وكما جاء في سرد الرواية: «إن النبهاني موظف واع، ومثقف ثقافة رفيعة، ويكتب في المجلات بحوثًا مهمة، ويجيد عددًا من اللغات الحية»(4). ونتيجة لذلك التباين بين الشخصيتين قام الصراع بينهما، وهو في الحقيقة صراع مستمد من السلطة الممنوحة لكل منهما.

يمكننا أن نلاحظ أن العطار، يستمد سلطته من الأمين العام «وكيل الوزارة» بحكم الصداقة بينهما، والأمين العام يستمد سلطته من الوزير، ولكن اللغة تشير - ضمن سياقها السردي - إلى قدوم «وزير» جديد، وتم تأكيد صفته بأنه «وزير شاب لا يتجاوز الأربعين، وما دام الوزير الجديد يتصف بالشباب، فيمكننا أن نستنتج أن الوزير السابق يتصف بالهرم، وهذا ما سيحيلنا إلى ثنائية جديدة في الصراع طرفاها الوزير السابق/الوزير الجديد.

إن الازدواج القيمي سيأتي من الاختلاف في الأسلوب بين الوزيرين بالإضافة إلى الاختلاف الذي ينتمي إليه كل منهما، وكذلك في الاختلاف بمستوى الفهم لقيم الوحدات المعجمية، مثل القانون أو النظام. وتلك الثنائية ستؤدي دورًا مهمًا في توكيد قيم جديدة من خلال التناقضات الظاهرة في اللغة وفي الثقافة.

هذا الازدواج يسمح بظهور تلك التعارضات المتقابلة بين الهرم = الشباب والقديم = الجديد ونمطي = غير نمطي والجمود = المتحرك.

منذ اللقاء الأول للوزير الجديد، سيبرز أثر كلمة «عوفيت»! كلمة «يقولها وزير شاب متحمس لمدير أمام زملائه المديرين، والمقصود به النبهاني»، تعني أشياء كثيرة في قاموس الأمين العام أو عند عثمان العطار(5).

«عوفيت» هي، بالاختصار، كلمة يمكن أن تطير في أثرها رؤوس، وتحل رؤوس غيرها، وهذه الكلمة، جعلت موازين السلطة الممنوحة تنقلب عند الوزير الجديد لصالح النبهاني وخاصة عندما تعرف سجاياه وما يتمتع به من ثقافة عالية.

إن نظام منح الجوائز يحمل معه ما يناقضه من «عقاب»! أليس العقاب كما يقول «دوركهايم»: «له في كثير من الأحيان وظيفة طقسية تقوّي من التضامن داخل الجماعة»(6).

موت «البيروقراطية»

كانت نتائج «محكمة العطار» صورة بليغة من صور النقد الساخر. والقضية التي نشأت بسبب الخلاف على وردة، وكما سميت بـ (قضية نسرين وإكرام)، قد اتسعت، وأربت صفحاتها على الأربعمئة، أرهقت العطار الذي استجوب من الموظفين والموظفات ما يفوق المئة منهم، وكلفته ثمانية وثلاثين يوم عمل، يقف صاحبنا أمام الوزير الجديد متباهيًا بهذا الإنجاز الذي توصل إليه «إن قصي عندلي يحب نسرين، ونسرين تحب قصي». ولقد طالب العطار بتطبيق حكم المادة (49) كعقوبة على جميع الموظفين والموظفات الذين تهادوا ورودًا.

كان «عثمان العطار» ينتظر الثناء على جهوده في «قضية العصر» وهو يقف أمام الوزير الجديد!! في تلك الإضبارة الهائلة كانت الطامة الكبرى، وتحول الثناء إلى عقاب - طرد -، وسرعان ما شاع الخبر في ردهات الوزارة وغرفها مما أدى عقب هذا الحادث الجلل في حياته إلى مرض طويل.. وحتى يكتمل البعد الدلالي للنص أو رؤية الكاتب، كان لا بد من نتيجة قاسية تصل بالعطار إلى «الموت»! والمقصود هنا شخصية العطار ليس موتًا جسديًا، بل هو موت إشاري، يمتزج دلاليًا مع موت حكم المكاتب «البيروقراطية» نفسه!

المراجع:

1- النقد الاجتماعي، بيير زيما، ترجمة عايدة لطفي، ص 137، منشورات دار الفكر للدراسات، ط.1، القاهرة 1991م.
2- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، ص 14 من مقدمة «بارت والقصة»، منشورات مركز الإنماء الحضاري، حلب 1993م.
3- مقاطع من رواية الطبل، دار إشبيلية، دمشق عام 1992م.
4- الرواية نفسها.
5- الرواية نفسها.
6- النقد الاجتماعي، ص 14.

دراسة في الأدب الإنجليزي

وِردزورث.. شاعرُ



محمَد وليد سابق

يُعرَّف وردزورث بأنه أحد أبرز الأسماء في ميدان الشعر الإنجليزي، وهو قد أغنى هذا الشعر بمقطوعات تتميز بإبداع متألق، يتبدّى في مواضيعها وصورها الجميلة والكلمات التي تأتي وكأن ثمة من انتقاها واحدة واحدة وضمّها بعضها إلى بعض لتبدو باقة جميلة من الورود ذات ألوان وروائح تختلف الواحدة فيها عن الأخرى، ولكنها - في مجموعها - تشكّل عبقًا جميلاً ينعش النفس ويريح الخاطر.

ولقد كان وردزورث واحدًا من مجموعة من الشعراء الإنجليز الذين أسهموا في تأسيس ما يطلق عليه في الأدب الإنجليزي اسم «الحركة الرومانسية» وأسهم في بناء هذه المدرسة مع شركائه المعروفين وهم: كوليردج، اللورد بايرون، شيللي، وكيتس.

وإذا قرأت لواحد من هؤلاء الشعراء الخمسة.. وجدت أنه يتفق مع زملائه الباقين في نواح عدّة تتعلق بالشعر والإبداع الشعري، إلا أنك تستطيع - في الوقت نفسه - أن تتميز نكهة خاصة وطعمًا مميزًا لشعر كل واحد منهم، ولكنهم يصلون جميعًا في النهاية إلى الإيحاء لك بأن أمرًا قويًا مهمًا يجمعهم، وهو التعبير عن روح المدرسة الشعرية التي قاموا بتأسيسها، وبرزت - بالتالي - خصائصها المتميزة التي منها التركيز على خلجات النفس الإنسانية وعواطفها، والإحساس بجمال الطبيعة وما فيها من عناصر مختلفة تجذب مشاعر الشاعر وتثير عواطفه، ومن ثم التخلي عن الأسلوب التقليدي في كتابة الشعر الذي كان يتبعه من سبقهم من الشعراء وأبرزهم شكسبير.

إذًا - فمن مجموعة الشعراء هذه - ومنهم وردزورث، لم يكن الواقع مهمًا إلا بقدر ما يمكن أن يوحيه إلى الشاعر من عواطف ومشاعر، وبقدر ما يحتويه من جمال يستطيع أن يجذب انتباه الشاعر إليه ويضرب على وتر إحساسه به، فخيال هؤلاء جامح، وهم يبنون لأنفسهم عوالم خاصة يسبحون إليها ويهيمون فيها، ثم يطلعون علينا بما تجود به ملكاتهم الشعرية الفذّة من إبداع، لا يكون لنا أن ننأى بنظرنا بعيدًا عنه، بل إننا لنتلوه بشوق ورغبة في استكشاف مواطن جماله، ومواقع إبداعه الأدبي الذي لامجال لإنكاره، فهو يفرض نفسه علينا أمرًا لا يمكن التغاضي عنه.

ولقد كان عدم تقيد شعراء الحركة الرومانسية بالواقعية مثار جدل بين نقاد الشعر قديمهم وحديثهم، إلا أن هؤلاء الشعراء وأنصارهم ردوا على هذا الاتهام بأنهم يكتبون شعرًا ولا يؤرخون أحداثًا، وأنهم، في غمار ما يكتبون من شعر، لا يتجاهلون الواقع تجاهلاً تامًا كما يدعي معارضوهم، وإنما يأخذون من هذا الواقع ما يمكن أن يثيره فيهم من مشاعر وعواطف يقومون بالتعبير عنها تعبيرًا إبداعيًا، يشرحون فيه تلك المشاعر، ويسهبون في إبراز العواطف، ويقولون إنهم ليسوا معنيين بالتسلسل المنطقي للأحداث الواقعية، لأن تلك هي مهمة التاريخ. وأن ما هم معنيون به فعلاً هو ما يمكن لهذه الأحداث أن تخلق في أنفسهم من ردود فعل يقومون هم بتصويرها وإخراجها لنا على تلك الصورة البديعة.

الرومانسية ونظرة جديدة للحياة

وقد بدأ الميل نحو الرومانسية في أوربا في الفترة الواقعة بين 1770-1850م، حين بدأت الحياة الفكرية هناك تتعرض لطغيان الرومانسية، التي كانت حسًا في البداية، ثم ما لبثت أن ظهرت في إبداعات فكرية مختلفة؛ وكان شاعرنا وردزورث واحدًا ممن أسهموا في تقديم تلك الإبداعات. ولقد كان الحس الرومانسي في البداية ردَّ فعل على حركة «التقليدية الجديدة». وكان العالم حينذاك مهيَّئًا لإعادة ميلاد الروح الإنسانية. فلقد غدت الرومانسية طريقة جديدة في النظر إلى الإنسان وصلاته بمحيطه، وبالتالي إلى تفاعله مع هذا المحيط وردود فعله. وكذا فقد اهتمت الرومانسية بالفردية وحرية العمل، وامتدت إلى نواحي الفنون المختلفة كلها، حيث جلبت إليها التحرر من كبح القواعد التقليدية التي عفّى عليها الزمن، والتي كانت تكبت المشاعر وتحرمها من الانطلاق فالظهور.

أما أكثر الأحداث أهمية في الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، فكان انطلاق الثورة الفرنسية التي كان لها تأثير بيّن في الحياة في كل مكان سواء في فرنسا أو في غيرها، وحتى قبل أن تنطلق فعليًا فقد كان لها أثر في التغيرات التي حصلت في أوربا، بل وفي أمريكا أيضًا. وكان لـ «وردزورث» في صباه حماسة للتغيرات الديمقراطية، وتهيأ له أن يعاصر بعض النشاطات الثورية شخصيًا، لذا كان للثورة تأثير عظيم في فلسفته وأعماله.

سيرة حياته

عاش وردزورث خلال فترة حفلت بالحوادث الكثيرة في تاريخ بريطانيا، وتميّزت تلك الفترة بأنها فترة قلق سياسي وعدم استقرار، وكذلك فترة تغيرات اقتصادية واجتماعية لم يسبق لها مثيل. فقد ولد في عام

الطبيعة


شكسبير


جون ميلتون


كوليردج

1770م وتوفي في عام 1850م. وفي طفولته المبكرة فقدت إنجلترا المستعمرات الأمريكية، وفي عام 1789م انطلقت الثورة الفرنسية وأثارت آمال أوربا بما أعلنته في مبادئها عن الحرية والإخاء والمساواة، كما استهوت مبادئها هذه نفوس الشباب المتحمسين للديمقراطية، الذين كان وردزورث واحداً منهم.

أمضى وردزورث حياته كلّها في منطقة البحيرات وهي من أجمل المناطق في العالم لما فيها من عناصر طبيعية أخاذة، وكان في صباه مولعًا أشدّ الولع بالمسائل السياسية. وتطورت آراؤه مع تقدمه في العمر، غير أن تعاطفه بقي دائمًا مع رجل العامة، ولم يكن يؤيد الطرائق التي كانت متبّعة للحصول على الحقوق الإنسانية، كما كان يعارض النظام في المصانع، وبقي بطلاً لهذه المعارضة لفترة طويلة، لأنه كان - في رأيه - نظامًا لهدم كرامة العمال وعائلاتهم وحرمانهم من حرياتهم الأساسية.

أما تأثير وردزورث الأساسي، فكان في الأدب والشعر خاصة، وليس من الخطأ القول إن ذلك التأثير كان تأثيرًا ديمقراطيًا بالكامل. فقد جذب الانتباه إلى رجل العامة، والفقراء الذين عرفهم في الريف، وآمالهم ومخاوفهم وأفراحهم بالأمور الصغيرة، ومعاناتهم وقهرهم. وعلى هذا فإنه من العسير الشك في أنه لولا شعره، لاتجه الأدب في القرن التاسع عشر اتجاهًا آخر، ولكانت الاهتمامات الحيوية بالإنسانية قد قصّرت عن جذب العناية إليها.

كان وردزورث عضوًا في عائلة مرموقة، فقد كان والده محاميًا شهيرًا، ووالدته من الأسر العريقة، وله ثلاثة إخوة وأخت واحدة، كان لها تأثير كبير في مسيرة حياته الشعرية. أما والدته فكانت تؤمن بأن الأطفال جيدون بالوراثة وأنهم يجب أن يُمنحوا الحرية. ويصف وردزورث في إحدى قصائده كيف استحم وهو صبي بنهر «درونت Derwent» الذي يقع خلف منزله مباشرة تغسله أشعة الشمس، وراح يتجول في الحقول، أو يقف وحيدًا:

عندما كانت الصخور والتلال

والغابات، والجبال المرتفعة البعيدة

تشوى بإشعاع الشمس الذي ينفذ فيها بعيدًا

وفي عام 1778م، وعندما كان وردزورث في السابعة من عمره، توفيت والدته، وفي العام التالي أرسل مع أخيه ريتشارد إلى المدرسة في قرية قريبة تقع في إحدى أجمل المناطق في إنجلترا. وتوفي والده عام 1783م وبقي الأولاد الخمسة في رعاية أقربائهم. وبعد أن أمضى وردزورث تسع سنوات في القرية التي أرسل إلى المدرسة فيها، انتقل إلى كلية «سان جون St. John» في «كامبردج Cambridge» في الوقت الذي كانت موهبته الشعرية قد بدأت تلوح، وغذّتها السنوات التسع التي قضاها في تلك البقعة الجميلة من إنجلترا.

وتخرج وردزورث في الكلية، غير أنه خيّب ظن عائلته بعدم حصوله على منحة، وأقرّ فيما بعد بأنه قد شق طريقه غير ملق بالاً لأقربائه الذين كانوا يؤازرونه، وأنه قد أهمل دراساته الأكاديمية لحساب دراسته للآداب الإيطالية والفرنسية والإسبانية إضافة إلى الآداب اليونانية واللاتينية. وبعد أن ترك الكليّة أمضى وردزورث بضعة أشهر في لندن دون أن يقرر نوع المهنة التي كان عليه أن يزاولها؛ وفي نهاية ذلك العام عاد ثانية إلى فرنسا، التي لا يبدو الدافع الذي دفعه إلى العودة إليها واضحًا، إلا أن الزيارة الثانية هذه وضعته بشكل كلي أمام الثورة الفرنسية وجهًا لوجه، وجعلته يدرك تمامًا الأساس الذي قامت عليه، والخط الذي يكمن فيها عندما تسلّم المتطرفون السلطة. ويصف الشاعر إقامته الطويلة نسبيًا هناك بعرض مختصر يقول فيه: «ذهبت إلى باريس في خريف عام 1791م وقضيت فيها وقتًا قصيرًا، ثم تحولت إلى أورليانز Orleans ينتابني عندئذ شعور بأنني قد اتخذت منحى آخر أختلف فيه عن بقية مواطنيّ.. الذين كان يمكن لهم أن يتعلموا اللغة هناك بطلاقة. وقضيت خمسة عشر أو ستة عشر شهرًا في أورليانز Orleans وبلوا Blois وباريس قبل عودتي. كان وقتًا مثيرًا حين تم خلع الملك أثناء وجودي في بلوا Blois وقامت مذابح أيلول وأنا في «أورليانز Orleans»، وعدت إلى الوطن قبل تنفيذ حكم الإعدام بالملك».

ووقع وردزورث في الحب عندما كان في أورليانز Orleans مع فتاة تدعى أنيت فالون Annette Vallon، أنجبت له ابنة في العام التالي، غير أن إحساسه بالعجز المالي، وضيق موارده جعلاه يعود إلى إنجلترا في أواخر عام 1792م. ولا نعلم الكثير عن السنة أو السنتين اللتين تلتا ذلك؛ ويبدو أنه قد عاد إلى فرنسا قبل نهاية عام 1793م عندما كانت في حالة حرب مع إنجلترا، وكان يصلي من أجل هزيمة إنجلترا بصفته نصيرًا مخلصًا للنظام الجمهوري. غير أنه ما لبث أن توجه إلى منطقة البحيرات Lake District في إنجلترا عام 1794م. وفي عام 1795م تلقى «وردزورث» مبلغ 900 جنيه استرليني من صديقه ومعلمه ريزلي كالفير Raisly Calvert، واستطاع بهذا المبلغ أن يسكن في بيت مفروش استقر فيه مع شقيقته دوروثي Dorothy، وما لبث بعد ذلك أن أخلص نفسه للشعر، والتقى بالشاعر الشهير كوليردج Coleridge الذي كان معجبًا بشاعريته أشد الإعجاب، وقال إنه لم يأت بعد ملتون Milton شاعر يتمتع بشاعرية تماثله إلا وردزورث، وشجعه كوليردج على التفكير في كتابة قصيدة فلسفية شاملة اختير لها العنوان التالي: آراء في الإنسان والطبيعة والمجتمع Views on man, Nature and Society؛ وكانت هاجسه الرئيس في الأعوام العشرين التي تلت، وكان قدرها ألا تنتهي أبدًا.

ونشر وردزورث في تلك الأثناء مجموعته الشعرية قصائد غنائية Lyrical Ballads، وبعد ذلك استطاع الشاعر كوليردج أن يقنع وردزورث وشقيقته دوروثي بالقيام برحلة إلى ألمانيا، حيث كان كوليردج سعيدًا بإقامته وهو يدرس الفلسفة الألمانية ونظرية التأمل، غير أنهما شعرا معًا بالحنين إلى الوطن. وكان وردزورث في تلك الفترة مبدعًا وذا إنتاج ثر، فكتب ضمن مجموعة أخرى قصائد ماثيو Matthew، وقصائد لوسي Lucy الشهيرة، وفي وصف شعري لتلك المرحلة من حياته يشكل جزءًا من سيرة حياة ذاتية كتبها وردزورث نجده يقول:

كان ثمة صبي.. تعرفينه جيداً
يا صخور وجزر «وينادر»
تعودَ عندما يأتي المساء
وتلوح بواكير النجوم في السماء،
أن يتجول في أطراف التلال
ويجلس أو ينهض.. وهو وحيد
تحت الأشجار.. أو قرب البحيرة المتلألئة؛
وهناك يضغط بيديه الاثنتين
على راحتيهما بأصابع محبوكة.. ويرفعهما إلى فمه..
وكآلة موسيقية، يطلق صيحات يقلد فيها طيور البوم
الصامتة آنذاك.. لعلها ترد على صيحاته..
وتطلق أصواتها عبر الوادي الغنيّ بالمياه..
استجابةً لصيحاته.. وبصوت مدوٍ يرتعش.

أما ما كتبه من شعر عن لوسي Lucy، فكان من أجمل ما كُتِبَ من الشعر الإنجليزي وأكثره رقة وعذوبة، إذ إنه تميَّز بتعبيره الدقيق الجميل عن أعماق الفكر الرومانسي في الشعر.. متمثلاً في ذلك الدفق المتميز من الأحاسيس والمشاعر المغرقة في العاطفة والتأمل.. وهما من أكثر الخصائص بروزاً في شعر الرومانسيين.

غير أن السؤال الذي طرح كثيراً حين التحدث عن هذه القصائد هو عن شخصية لوسيLucy هذه، ومن تكون؟ فإن أحداً لا يعرف جواباً عن ذلك السؤال، ولكن يبدو أن هناك افتراضات بهذا الشأن أولها أن هذه الشخصية هي فتاة مجهولة وقع الشاعر في حبّها أيام صباه، وثانيها أنها يمكن أن تكون من كانت تدعى ماري هتشنسونMary Hutchinson المرأة الشابة التي غدت زوجة للشاعر فيما بعد، أو أنّها مرجريت هتشنسون Margaret Hutchinson شقيقة ماري التي توفيت عام 1796م وهي في ريعان الصبا، وثمة افتراض أن تكون المقصودة باسم لوسي Lucy دوروثي Dorothy شقيقة الشاعر، التي أغرقت الشاعر في واحدة من أشد الأزمات في حياته عن طريق شحذ رؤيته للطبيعة بطريقة بالغة الحساسية والأهمية. غير أن ثمة افتراضاً آخر يقول: إن لوسي Lucy هي المدعوة أنيت فالون-Annette Val lon الأم المهجورة لابنة وردزورث كارولين -Caroline، والمرأة التي عرفها أثناء وجوده في فرنسا ووقع في حبها. غير أنه يبدو أن أفضل هذه الافتراضات هو القول بأن لوسي Lucy هي شخصية مركبة مما ذكر من شخصيات مفترضة، إن لم يكن في مجموعها كلها، ففي ما خلفته في نفس الشاعر من تأثير. ولابد من القول إن قصائد لوسي Lucy كافة تتمتع بسمَةٍ رئيسية هي الحنين إلى الوطن المتمثل في إقامة الشاعر مع شقيقته في ألمانيا في شتاء 1798م القاسي، وواضح أن لوسي قد برزت في القصائد الخاصة بها كلها رمزاًلعدد وافٍ من عناصر الحياة في إنجلترا، التي كان الشاعر يحنُّ إليها وهو بعيد عنها، يدرس ويتجول في ألمانيا:

عاشت مجهولة.. ولم يعرف إلا القليل
متى غادرت لوسي
إلا أنها في قبرها الآن.. وأواه
كم الفرق كبيرٌ لدي
بدت كأنها شيء لا يشعر
بلمسة سنوات العمر
لا حراك فيها الآن..
إنها تسمع ولا ترى
ملفحة عبر الأيام
بغلاف من صخور، وأحجار، وأشجار.

وعاد وردزورث إلى إنجلترا في نيسان/أبريل عام 1799م وبقي هناك حتى أواخر العام. وفي أبريل 1802م قرر أن يتزوج من ماري هتشنسون Mary Hutchinson في خريف ذاك العام، وكان قد أقام معها ومع والدتها ردحاً من الزمن.

وتلت ذلك فترة غنية من نشاطاته الأدبية، وكتب فيها كثيراً من قصائده المشهورة، وكان يحب الترحال كثيراً.. الأمر الذي يجد فيه مواضيع وإيحاءات بنتاج شعري جديد، وتابع ترحاله بشكل أوسع، غير أن زياراته لـ «لندن»، كانت نادرة، وقام برحلات طويلة إلى سويسرا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا. وفي تلك الفترة كان الاعتراف بعظمته شاعراً قد تنامى بشكل مطّرد وثابت، وعُدَّ واحداً من أعظم الشعراء في الأدبَ الإنجليزي.

ومن أجمل إنجازات وردزورث أن طفولته البسيطة قد هيأت فكرَهُ لتقويم كل ما هو طبيعي وغير صنعي، ولم يتباطأ في تقدير الحاجة إلى إصلاح اللغة الشعرية؛ فقد غدا الشعر خبرة حميمة ومباشرة يحكيها خبير. أما الجمال فيجب أن يُقدَّر لنفسه. وقد قدَّم لمجموعة قصائده المسماة «قصائد غنائية» ما أصبح رمزاً وأداة للحركة الرومانسية في الشعر، كما اتحدت داخل نفسه فلسفته في الحياة ونظريته في الشعر إضافة إلى عقيدته السياسية، وخرجت معظم قصائده مرتكزة على مزيج من هذه النواحي الثلاث ومن حبه الشديد للطبيعة، فأغنى الشعر الإنجليزي بعطاء ثرّ غزير يتميز بالجمال والشاعرية وعمق التأثير.

وبعد موت وردزورث عام 1850م بدأت سلسلة نقدية طويلة لأعماله الشعرية لازالت مستمرة حتى اليوم. وقال أحد النقاد في عصره: «ظل اسم وردزورث يُداس بالأقدام حتى عام 1820م، أما بين عامي 1820م و1830م، فقد أصبح هذا الاسم بمنزلة محارب أو مقاتل ما لبث أن تُوِّجَ بالنصر ما بين 1830م إلى 1835م».

أما الشاعر أرنولد Arnold الذي كان يؤكد كثيراً الحاجةَ إلى التمييز ما بين ما هو «غث» و«سمين» في الشعر، فقد عدّ وردزورث الشاعر الأعظم بعد شكسبير وملتون.

شرح وردزورث للطبيعة

يشتهر وردزورث على وجه الخصوص بأنه شاعر الطبيعة. فقد أثرت الطبيعة في حياته أكثر من تأثيرها في أي إنسان على الإطلاق. ولقد كان بحكم حساسيته المفرطة لتأثير الطبيعة المادي والروحي أكثر من شاعر وصف. ونادراً ما يتعامل مع الجمال الحسي، غير أنه - على عكس ذلك - كان يفيض في شرح ما يعتمل في نفسه من انفعالات ومشاعر نجمت عن المناظر الطبيعية، فقد استطاع خياله أن يرى المعاني الكامنة وراءها جميعاً، ولا يكفي عنده الإحساس بالحبور من منظر طبيعي جميل، فإنه يمزج ذلك الإحساس بأفكار رائعة. أما مزاجه وعواطفه فهما - في العادة - أحد الانعكاسات الهادئة الرصينة التي يتفتح فيها الذهن لما تخلفه الطبيعة من انطباعات، فقد يلمع في خاطره وخياله موضوع عام، فما يلبث أن يستخرج منه معنى جديداً أو خفيّاً كما هو الحال مثلاً في قصيدة «النرجس Daffodills»:

لأنني.. إذ أستلقي على أريكتي
سواء في حالة فراغ.. أو تفكير عميق
تبرق في أعماق رؤياي
بريقًا.. وهو بركة وحدتي
فيمتلئ قلبي اغتباطًا
ويرقص مع زهور النرجس.

أثرت الطبيعة في حياته أكثر من تأثيرها في أي إنسان على الإطلاق، إلا أنه نادراً ما يتعامل مع الجمال الحسي، وإنما كان يفيض في شرح ما في نفسه من انفعالات ومشاعر

وردزورث...
شاعر الطبيعة

كـان وردزورث يؤمن بقـدرة الـعـالم الخـارجي، الذي هو الطبيعة، على تعليم الحقيقة الأخلاقية، وعلى التأثير في شخـصيـة المرء. ولم تكن تعابيـره عن هذه الفكرة في الواقع مبالغًا فيـها. لقد كان يعني ما يقول، وكان يبـدو أن تأملاته قـابلة للفـهـم وواضحـة المـعالم، فالطبيعة تعلّم المرء من خلال انفعـالاته التي قد يكون لها قيم أخلاقية، كمـا أنه يمكن للطبيعـة أن تؤثر في شخـصيـاتنا بدرجة مـا. وقد علّمت هذه الانفـعالات شاعـرنا الكثير وأثرت فيه تأثيـرًا عظيمًـا، لأن طبيعته كانت - بالأصل - شديدة التحسس لتلك الانفعالات، ولا يمكن لأحـدنا - بالتـالي - أن يرى الطبيعـة بعـيْنَي وردزورث.

وفي إحدى قـصائده «Lines Above Tintern Abbey» يمكن لنا أن نجد أفضل تعبير عن تأثير الطبيعة فيه، فهو يظهر في قصيدته هذه أن الطبيعة هي المنتصر على الإنسـان، كما نرى فـيهـا كيف يتبع نمو تـفكيره بإرشـاد من الطبيعة، ويتـجاوز هـنا تأثير الطبـيعـة في العواطف فيستـطيع أن يميّز منبع ذلك التأثير، وأثره في الحياة الأخلاقية.

ولم تكن الأرض بالنسبـة إليه شيـئًا ميـتًا، بل هي حـافلة بالحيـاة، ومليـئة بأنفـاس المخلوقـات التي تخلق عليها باستمرار. وكذا فهو يشخّص الطبيعة أو الأشياء الطبـيعية بطريقة مغـرقة في الخيال، ويذهب بـعيدًا في قوله ليـؤكد أن الطبيعـة تعلّم، بل وتشكّل شخصـياتنا الأخـلاقـيـة، وهو يؤمن بأن أصل الطبـيـعـة والوجـود لطيف وكريم، كما يظن بأن التفكير في الطبيعة يجب أن يغلّف بالطيبـة وبالعمق الأخلاقي. وعلى هذا فـقد كان شعوره بالأمن والسـلام عظيمًا عنـدما يكون في حضرة الطبيعة، ذلك لأن التـأمل فيها يحرض الدوافع الأخـلاقيـة، ويجـعل المرء قـادرًا على تبـيّن وجود مـا يسمى (الهبة الكونية) التي تحكم العالم.

يقـول وردزورث في قصـيـدته «ذكريات الطفـولة المبكرة Recollections of Early Childhood»:

ليس ميلادنا إلا رقادًا ونسيانًا
فإن الروح التي تستقر داخلنا
والتي هي نجمة حياتنا
قد اتخذت مقرًا لها.. في مكان آخر
وتأتي إلينا.. من مسافة بعيدة
في غير نسيان كلّي..
أو عراء مطلق مكشوف

* * *

والسحب التي تتجمع حول الشمس الغاربة
تتخذ لها ألوانًا رزينة في العين
التي لا تني تلاحظ أخلاقية الإنسان
أشكر القلب الإنساني الذي نعيش به
أشكر له لطفه وأفراحه ومخاوفه
لأن أصغر زهرة..
يمكن أن تخلق فينا أفكارًا
تستقر فينا عميقًا
وتستدر دموعنا.

ويندر أن نجد في وردزورث أية مـلامح أو أصداء لأفكار أو تقنيـات القـرن الثامن عـشـر الذي ولد فيـه ونمت فيه شـخصيته، فلغتـه هي له وحده ومنه وحده، ووصفه لمظاهر الطبيعة وصف حيّ ومـباشر، فقد كان شاعـر مشـهد معيّن لا الخيـالات العامة المطـلقة. ولم يستطع أي شاعـر آخر أن يلتـقط بذلك الإبداع ألوان الزهور وروائحـهـا أو نكـهـة الربيع، أو الخـوف الذي ينتاب المرء وهو في أعـالي قمم الجبـال الموحشة كـما صنع شـاعرنـا. وكـان الخط الذي يكتب فيـه عريضًـا من الناحيـة الفنيـة، وعندما يخـفق، فإن إخـفاقـه هذا يكون مغلفًا بكآبة ووحشة لا تـتضحان عند أي شاعر في أي عمل من أعـماله. ونجاح «وردزورث» المتـتابع، الذي يزيد كـثيرًا عـلى نجاحات غيره، هو نصرٌ له لا يوازيه إلا نجاح شكسبير في كل ما كتبه.

ويرى وردزورث أن تفـاعل المرء مع الطبـيـعـة المحيطة به أمر لازم وحـتمي، حـتى إنه ليرى الإنسـان نفسه جزءًا من تلك الطبيعة، وهو يؤمن بأن ما تحتوي عليه الطبـيعة من مناظر جمـيلة تبـدو في عناصـرها المختلفة من أشـجار وزهور ومياه أنهـار وبحيرات، كل ذلك يماثل ما يتمتع به المرء من مشـاعر جميلة كالحب والوفاء والـعواطف الإنسـانيـة المختـلفة التي لا تعـترف بالفـوارق في السن، وأنها تجـمع بين العجـوز والطفل، لأنه لا حدود لها تقيدها أو تفرض عليها سلوكًا معينًا:

تحدثنا.. وقلوبنا وألسنتنا
مفتوحة.. صادقة العاطفة.. وأمينة فيها
كنا صديقين.. رغم كوني شابًا
و«ماثيو» في الثانية والسبعين

ويعتدّ وردزورث بشـخصيـات قصـائده، ويرى فيهـا رموز القوّة الطبيعـة رغم كونها شخصـيات غير مثيـرة للاهتمام إلى حد بعيد، ويعتقد أيـضًا بأنها أدلّة حية لسلوك الطبيعة ذاتها.

شخّص وردزورث الطبيعة، أو الأشياء الطبيعية بطريقة مفرطة في الخيال، ويذهب بعيداً ليؤكد أن الطبيعة تعلّم، بل تشكل شخصياتنا الأخلاقية

ولا يني وردزورث يجد في كل مظهر من مظاهر الطبيعـة إيحاءًا له في قول قصيـدة ما، ولا يتوقف أبدًا عن الامتـزاج بتلك المظاهر، والتعبيـر عما تخـلفه في نفـسـه من انطبـاعات، ووصف الصـور التي تتـحـقق بامتزاجه فيها:

وقف القمر عاريًا في السماء
وعلى علوٍّ هائل..
فوق رأسي.. وفوق الشاطئ
فوجدت أنني لست إلا بحرًا هائلاً من الضباب
الذي قبع عند قدمي بسكون ورهبة

وعلى العموم، فإن كثيرًا من النقاد يعـتقدون بأن ليس ثمـة من شاعـر آخـر في الأدب الإنجليزي، كـان قادرًا على أن يقدم لهذا الأدب ما قدمه وردزورث في مجـال الحديـث عن الطبـيعة بكل مظاهرها وأبعـادها وعناصـرها وتأثيـراتها في الـنفس الإنسانيـة، ويـبقى شاعرنا هذا عمـلاقًا في هذا المجال، والحق أنه ليس من السهولة بمكان أن نستطيع الإلمام بشـاعر فذ كهذا في دراسة مـحددة موصوفة، غيـر أنني آمل أن أكـون قد استطعت رسم صورة له تتـمتع بقـدر من الوضـوح، ويمكن لهـا أن تضع له تصـورًا مـعينًا في فكر دارسي الأدب الإنجليزي.

ويبقى وردزورث شـاعرًا مميّزًا تقـرأ لـه فتسـعد بما كتبـه، وتحاول أن تفهمه، فتـجد أن ذلك الفهم يخلق في نفـسك إعـجـابًا به، وتقـديرًا لما يقـول، ولابد في النهـاية من القـول إن وردزورث قـد أحـسن اختـيـار مواضـيع قصـائده، وكان قـادرًا - بالتالي - على إيـفاء هذه المواضـيع حقّـها من التـعبيـر الجميل الذي يقل وجوده في الأدب الإنجليزي بشكل عام.

المراجـع

1- Wordsworth's Poetry, Coles Editorial Board, Coles Publishing Company, Toronto - Canada, 1980.
2- English Literature, Anthony Burgess, Longman Group Limited, London, 1981.
3- The Penguin Book of English Verse, John Hayward, Penguin Books, London 1956.

دراسات معاصرة

نظرة على أسس الدراسات اللسانية الحديثة ومناهجها

أحمد منّور

بُعثت اللسانيات الحديثة إلى الوجود مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك بعد اكتشاف ما أصبح يعرف بالأسَر اللغوية. وتتميز اللسانيات الحديثة عن الدراسات اللسانية بكونها لا تلجأ إلى ميادين معرفية أخرى غير ميدان اللغة، كالفلسفة مثلا لتفسير الوقائع اللسانية، كما أنها لا تهمل أية ظاهرة من الظواهر اللغوية مهما كانت شاذة أو مخالفة للقواعد النحوية والصرفية.

ويمكن أن نميز ضمن اللسانيات الحديثة توجهين أساسين، هما:

الاتجاه التاريخي، وهو دراسة تطورية، عبر الحقب الزمانية المختلفة، وقد ساد هذا النوع من الدراسة طوال القرن التاسع عشر.

والاتجاه الثاني: هو دراسة اللغة في فترة زمانية محددة، دون النظر إليها من الناحية التطورية، وهو الاتجاه الذي غلب على الدراسات اللسانية في القرن الحالي.

الاتجاه الأول: كلنا يعرف أن هناك تشابهًا بين بعض اللغات في البنية النحوية، وفي تقسيم الكلام، وفي الكثير من الألفاظ، لاسيما بين بعض اللغات المنتشرة بكثرة، أو التي كانت منتشرة بكثرة مثل اليونانية واللاتينية والفارسية والعربية وغيرها، غير أن هذا التشابه أو التقارب في البنيات أو الألفاظ غالبًا ما كان يفسر على أنه يرجع لعلاقات الشعوب واحتكاكها بعضها ببعض، وقد يأتي ذلك نتيجة التعاون والمصالح المشتركة، كما يأتي نتيجة التناحر والتصادم، ولكن دراسة اللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، في نهاية القرن الثامن عشر أثبتت أن هذا التفسير سطحي، ولا يقدم إلا جزءًا صغيرًا من الحقيقة، إذ يتعلق الأمر أساسًا بمنشأ اللغات في حد ذاتها، وتفرعها من أصل واحد، أي من لغة بدائية واحدة مشتركة، وهكذا ظهرت إلى الوجود فكرة تقسيم اللغات إلى أسر لغوية كبيرة، أهمها أسرة اللغات الهند ـ أوروبية، التي تأتي على رأسها اللغة السنسكريتية، وأسرة اللغات السامية التي تأتي على رأسها من حيث الأهمية اللغة العربية. وكان الباحثون، كلما أمعنوا في دراسة تطور اللغات، وأوغلوا في تتبع أصولها، تأكدت لهم هذه الحقيقة، وهو الشيء الذي زاد من حماستهم، وجعلهم يهتمون طوال قرن من الزمان بهذا الموضوع، وينتجون كمًا هائلاً من الدراسات تتوزع على نوعين من المعرفة: تاريخ اللغات وتطورها من جهة، والموازنة بين تلك اللغات من جهة ثانية. وتوصل العلماء نتيجة هذه الجهود إلى بعض النتائج البالغة الأهمية، نذكر منها:

أولاً: على المستوى التاريخيّ، توصلوا إلى أن تطور اللغات يخضع لقوانين دقيقة غير اعتباطية كما كان يُظَن من قبل، وبناء على ذلك تحددت مهمة الباحث في هذا المجال وأصبحت تتمثل في الكشف عن تلك القوانين، وضبط خصائصها، ومعرفة الكيفية التي تعمل بها.

ثانيًا: على مستوى المقارنة، توصلوا إلى أن إثبات التقارب الأسري بين اللغات يتم بناء على انتظام التشابه في البنية لا على التشابه في الألفاظ المفردة التي تأتي في الغالب نتيجة النقل أو الإعارة من لغة إلى أخرى. وفي هذه الحال تحددت مهمة الباحث في الكشف عن التوافق المنتظم بين أبنية اللغات، اعتمادًا على قوانين علم الأصوات (الفونيتيقا)، على شاكلة ما فعله «ڤريم» في مقارنته بين اللغة القوطية (الجرمانية القديمة) من جهة، واللغات اللاتينية واليونانية والسنسكريتية من جهة أخرى، حيث قدم بالدليل القاطع أنّ التشابه الكبير الموجود بين تلك اللغات يعود بالدرجة الأولى إلى وجود قانون يتحكم في بنياتها، لا إلى عملية النقل والإعارة بعضها من بعض، وذلك القانون هو الذي يجعلها تتطور تطورًا متماثلاً، رغم أن التطور يتم في داخل اللغة نفسها، ويمعزل كامل عن اللغات الأخرى.

ومن هنا قدم ڤريم الدليل على إمكان دراسة وصفية موضوعية، وأصبح منهجه قانونًا يحتذى، ويعرف بقانون «ڤريم».

وهكذا كان القول بوجود «نظام»، أو قانون داخل اللغة، هو المفتاح السحري الذي فتح الباب على مصراعيه إلى الدراسات اللسانية الحديثة. ويعد العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1857- 1913م)، رائد هذا العلم في القرن العشرين دون منازع، فهو الذي وضع دعائمه، وحدد مساراته الأساسية الثلاثة، التي تتمثل في:

ـ مفهوم اللغة بوصفها نظامًا مترابط الأجزاء، أو بناءً يشد بعضه بعضًا(1)، ومن هنا جاء اسم «البنوية» الذي فضله من جاؤوا بعد

سوسير على مصطلح «نظام».

- اعتبار المتكلم، أو المتحدث محورًا أساسيًا في عملية التكلم، واتخاذه نقطة ارتكاز ومرجعًا في دراسة الكلام.

- التمييز، بناء على ما سبق، بين اللغة والكلام.

ويمكن أن نوضح هذه النقاط الأساسية كما يلي:

اللغة بوصفها نظامًا: إن المتحدث، حين يتكلم، يستعمل اللغة للتعبير عن أفكاره، وهو ما يسمح لنا بالقول: إن اللغة أداة، أو آلة تستعمل لتأدية وظيفة معينة، وقولنا آلة، يفهم منه وجود أجزاء تتركب منها الآلة، وكل جزء في الآلة يؤدى وظيفة محددة تعمل بانسجام مع الأجزاء الأخرى لتؤدي في النهاية إلى محصلة مشتركة جاءت نتيجة لمجموع وظائف الأجزاء كلها، كذلك شأن اللغة التي نستعملها في كلامنا، فهي تتركب من أجزاء (كلمات)، لا يمكن تحديدها إلا من خلال وظيفتها داخل المجموعة، أي من خلال علاقتها بالأجزاء الأخرى التي يتكون منها الكلام. فلفظة «تعليم» مثلاً، التي أوردها دي سوسير لتوضيح فكرته، لها علاقة بكل الألفاظ التي تشترك معها في الاشتقاق، مثل علم، ومعلم، وعلماء، ومعلومات الخ.. كما توجد لها علاقة أيضًا بألفاظ أخرى لها الصيغة نفسها «تفعيل»، كتدريس، وتعميم،وتأديب الخ...، فلفظة «تعليم» إذن تحددها مجمل علاقاتها بالألفاظ اللغوية الأخرى.

المتكلم بوصفه قطب الكلام: يذهب دي سوسير إلى القول بأن الدراسات اللغوية القديمة، كانت تنصب على النصوص وتهمل المتحدث، في حين أن أهم شيء في عملية التواصل اللغوي تتركز في شخص المتحدث، وتأتي بقية العناصر الأخرى نتيجةً لفعل الكلام الذي ينطق به. ومن هنا ركز دي سوسير جهوده على دراسة اللغة في مظهرها الكلامي، المرتبط باللحظة الحاضرة،ولم يعر كبير أهمية لدراسة اللغة في مظهرها التاريخي التطوري، لأن المعرفة العميقة في نظره بخصائص اللغة في الوقت الحاضر تكشف للباحث عن كثير من خصائص تلك اللغة في الماضي، وتلقي الضوء على تاريخها وظروف تطورها. وقد أيده في رأيه هذا من جاء بعده من العلماء، وسلكوا مسلكه.

التمييز بين اللغة والكلام

يميز دي سوسير بين الاثنين، فالكلام هو الفعل اللغوي للفرد أثناء التكلم، بما يصاحبه من أعراض نفسية وجسمية باطنية وظاهرة، في حين أن اللغة هي الجانب الاجتماعي للكلام، الذي هو جانب مستقل عن الفرد، بحيث لا يستطيع أن يخترعه أو يغيره.

سارت الدراسات اللسانية الحديثة في ضوء هذه الأسس التي وضعها دي سوسير، وعملت بمختلف اتجاهاتها على تخليص الدراسات اللغوية من تأثيرات الفلسفة الوضعية التي سادت طوال القرن التاسع عشر، ولم يسلم منها فرديناند دي سوسير نفسه، وعلى تقريبها أكثر فأكثر نحو العلم الخالص.

وإذا كان من المتعذر علينا في هذه العجالة استعراض تاريخ ومنجزات مختلف المدارس اللسانية المعاصرة ومنجزاتها، فإنه يمكننا ذكر أهم المفاهيم التي تشترك فيها على الصعيد المنهجي:

أولاً : إن اللسانيات هي علم دراسة اللغة، ومعنى علم أنها:

أ - تقدم وصفًا موضوعيًا للغة يتسم بالنظام والانسجام.

ب - تحدد الظواهر اللغوية وتفسرها.

ج - تخضع الوصف والتفسير للمراجعة المستمرة، وللاختبارات المتكررة بغرض الوصول، كأي علم، إلى قوانين عامة.

ثانيًا: اللسانيات دراسة وصفية، ومعنى هذا أن لا مجال فيها للأحكام القيمية (المعيارية) من قبيل أن هذه اللغة أفضل من هذه، أو أن لغة هؤلاء القوم أفصح من لغة أولئك، فهي تكتفي بوصف الكيفية التي يتحدث بها الناس ولا تبين للناس الكيفية الصحيحة التي ينبغي عليهم أن يتحدثوا بها، لأن هذا مجال علم النحو، ومن هنا تتساوى لديها كل اللغات وكل اللهجات بلا أيّ استثناء.

ثالثًا: تدرس اللسانيات الحديثة اللغة بوصفها كيانًا قائمًا بذاته.

أ - فهي لا تجيز الخلط بين الكلمة والشيء الذي تدل عليه، لأنه لا توجد علاقة فعلية بين الشيء والاسم الذي يطلق عليه، فهي تنظر إلى الاسم على أنه تواضع للناس عليه، ولو كانت هناك علاقة بين الاثنين لوجب أن يكون اسم ذلك الشيء واحدًا في جميع اللغات.

ب - وليست الكلمة أيضًا مجرد «لافتة» توضع على الشيء، أي إنه لا توجد هناك قائمة بالأسماء مقابل عدد مماثل من الأشياء، ولو كان الأمر كذلك لكانت اللغات كلها متساوية في ألفاظها.

ج - وبناء عليه، فالعلاقة بين الشيء واللفظة التي تدل عليه إنما هي علاقة ذهنية بين أصوات الكلمة والتصور الذهني الذي يوجد لدى المُتَحَدَّث إليه عن ذلك الشيء.

رابعًا: تُدرس اللغة بالنظر إلى بعديها الأساسيين: البعد التعبيري الذي يتجسّد في الشكل الفيزيائي للكلام (الأصوات)، والبعد المعنوي الذي يعبَّر عنه بالمحتوى، أو المفهوم الفكري أو الدلالي للكلمة.

ونميز في البعد الأول (الفيزيائي) مستويين اثنين:

أ - مستوى الأصوات، أو الحروف.

ب - مستوى الكلمات التي تتشكل من الأصوات أو الحروف. والأصوات أو الحروف محدودة العدد في جميع اللغات، بحيث لا تتجاوز بضعة وثلاثين حرفًا أو صوتًا تتركب منها كل ألفاظ اللغة.

هذه إذن هي أسس ومناهج الدراسات اللسانية الحديثة التي انطلقت منذ ما يقرب الآن من قرنين من الزمان، وقد أعطت الكثير من النتائج العلمية الباهرة، وما زالت تأتي في كل يوم بالجديد والمفيد والباهر.

الهوامش:

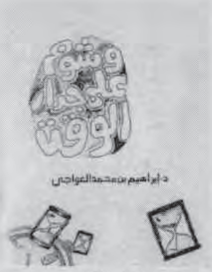
1- هذا يذكرنا بنظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، وقد اعتنى بعض الباحثين العرب المحدثين بشرح العلاقة القوية بين نظرية الجرجاني ونظرية «اللغة كنظام» عند دي سوسير، ولكن مازال هناك الكثير الذي ينبغي أن يقال في هذا الصدد.

أهم المراجع:

1- F. de saussure.
Cours de linguistique generale.
Ed. Payot. Paris 1979.
2- G.C. Lepschy.
La linguistique structurale.
Payot. 1976.
3- La linguistique.
Sous la direction d'andre Martinet. Denoel. paris 1969.
4- Encyclopedie autodidactique.
Quillet. Tome 1. Ed. Quillet. Paris 1984.

العنوان: وشوم على جدار الوقت (ديوان شعر)
الشاعر: د. إبراهيم بن محمد العواجي
الناشر: نادي الطائف الأدبي. ط1، 96 ص


د. إبراهيم بن محمد العواجي



غلاف الكتاب

يضم الديوان بين دفتيه مجموعة من القصائد الغنائية الذاتية التي عبر فيها الشاعر عن بعض تجاربه في الحياة، وعدد هذه القصائد والمقطوعات 40 قصيدة ومقطوعة انشعبت إلى نوعين من أنواع الشعر، فكان منها أربع وعشرون قصيدة نظمت على الشعر العربي العمودي الخليلي، وجاءت البقية منظومة على طريقة ما يعرف بالشعر الحر - أو شعر التفعيلة.

و أبرز المعاني التي طرقها الشاعر في ديوانه الذي عالج فيه قضايا خاصة وعامة، الحب: فهو يناجي من استأثرت بقلبه وحبه في قصيدته: أحلى النداءات (ص:29)

وهبتك العمر أوتارًا يناغمه
حلمي ووعيي وأوهامي وذاكرتي
وهبتك الحس والوجدان يا أملاً
قد بدّد اليأس من أوتار أغنيتي

ويقول:

الحبّ أنت بدايات وخاتمة
وقبلك الحب لم أعرفه ما خُلقا

ويبدو أن الشاعر كان محبًا متيّمًا بامرأة واحدة صرف لها غزله كله، وهو يطلق عليها أحيانًا أميرة النجوم ويقول لها في قصيدته: يا أيها الصبح الندي (ص:17):

فالحب في عينيك
عالمي المجهول والمعلوم
أهواك يا أميرة النجوم

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان: دعيني أحط الحروف (ص:11) مؤكدًا أن حبه لواحدة فقط

لأجلك أكتب شعرًا
نقيًا أصيلاً أبيًا
بدون شطط
أحبك أنت فقط

وتتراءى فلسفته عن الحب من خلال أبيات قصائده، إذ يرى أن الحب يجب أن يكون طهورًا نقيًا صادقًا أبيًا بوجه الضعف، مطلق الحس، يمسح عن القلب همه، ملونًا بالصفاء، وإن لم يكن كذلك فهو ضرب من النزوات، استمع إليه في قصيدته: هذا هو الحب (ص:88)

إذا الحبُّ لم يمسح عن القلب همه
ويجلو ظنون النفس كالصلوات
فذاك شعور عابر صال لحظة
وخلّف أوهامًا ودرب شتات
وإن لم يلوّن بالصفاء جذوره
فليس سوى ضرب من النزوات
فياربِّ هب لي منك حبًا مؤيدًا
به منك لا منّي بديع صفات
طهورًا نقيًا مطلق الحس صادقًا
أبيًا بوجه الضعف طول حياتي

وهناك طابع آخر يبرز في عدد من قصائده وهو الامتزاج في الوطن، فهو يقول في قصيدته: احترت أيّهما عشقي (ص:12)

يسمو بي العشق آفاقًا يسامرني
سهدي فأنسى مواعيدي وسمّاري
أواره وطن طُهْرٌ مرابعه
شُمٌّ منازله عن زحف غدّار
شربت من حبه شهدًا فكان دمي
وصغته حلمًا يسمو بإصراري
وحلوة جسّدت ما فيه من شيم
حوراء من وهجها أبدعت أقماري
توحّدَا دون لبس في دمي فهما
صارا منابع دفق القلب والدار

وضمن الشاعر ديوانه قصيدة بعنوان (المسخ) يصف فيها: أحوال أمتنا العربية فيقول: (ص:19- 23)

تيهٌ وأوهامٌ وأقنعةٌ تدار
وعلى الجميع الانتظار
أي انتظار يا ترى
أي انتظار سوف تحسمه متاهات الحوار
خمسون عامًا في انكسار واندحار
وإلى متى؟
حتى يفيق العدل
في قلب التتار
حتى نرى بيريز صار من الحمائم صفّقوا..
قد صار يؤمن بالعدالة والحوار
الكل يغرق
في ألاعيب تدار
وكذا أراد بنا الكبار
أما الصغار
فليس من درب لهم..
ولذاك قد حملوا الحجارة
أعلنوا رفض الحصار

العنوان: صحافة الأمس والغد
المؤلف: عبدالله عمر خياط
الناشر: مطابع سحر بجدة، 224 ص ، ط1 1417هـ


غلاف الكتاب



غلاف الكتاب

أوجز المؤلف رحلته التي تمتد نحو أربعين سنة في أروقة صاحبة الجلالة ودهاليزها بقوله: «الصحافة كالنار الموقدة التي تهدي بضيائها البعيد عنها إلى الطريق الصحيح، بينما تحرق القريب منها باللهب والشرر المستطير». ولذلك نراه قد ضمّن كتابه، الذي يغلب عليه الرصد والتوثيق للمراحل التي مرت بها صناعة الصحافة في

المملكة العربية السعودية، آراءً ووجهات نظر حول الصحافة بوصفها مهنة وبوصفها رسالة. وسجل موقفه من «حرية الصحافة» القضية المثيرة للجدل، فهو يرى أنه «من الممكن أن تكون هناك حرية صحافة، ولكن من المستحيل أن توجد صحافة حرة» ولذلك من الخطأ أن يقول قائل كائنًا من كان: «إن عنده صحافة حرة»، فالأصح أن يقول: «إن عنده مساحة من الحرية».

وأورد موازنات بين تطبيقات مفهوم «حرية الصحافة» والنتائج المترتبة على إساءة استخدام هذه الحرية واستغلالها بالارتهان إلى جهات، أو تحقيق أغراض شخصية: «هكذا بعضهم يتاجر.. وبعضهم ينافق.. وبعضهم يشتم.. وبعضهم ينشر ما يستهوي المراهقين.. فتضيع الحرية». وفي الجانب الآخر يشير المؤلف إلى النهج السعودي في تطبيق حرية الصحافة، «وبلادنا التي تحكم بشرع الله الذي كرّم الإنسانية، فإنها تمنح الصحافة حرية لا تقيدها غير تعاليم الإسلام، ومنها التقاليد والأخلاق الإنسانية، ومصلحة الوطن الذي هو أمانة في أعناق الجميع، وفي ظلال هذه الحرية عاشت صحافتنا على امتداد تاريخها الذي مكّن الصحافيين المخلصين من أداء واجب الرسالة المنوطة بهم، والتي احتملوا أمانتها باخلاص واقتدار».

يشتمل الكتاب على أحد عشر فصلاً، وقد خصص المؤلف الفصول من الأول إلى الخامس للحديث عن الصحافة بعامة، نشوئها، وتطورها، ومهامها، ومهمات الصحافي، وصناعة الصحافة، وتناول في الفصل السادس: نشوء الصحافة في الحجاز، وأفرد الفصل السابع لانطلاقة الصحافة في العصر السعودي (صحافة الأفراد)، وتضمن الفصل الثامن: مرحلة دمج الصحف، وتناول في الفصل التاسع التحول إلى نظام المؤسسات الصحفية، وناقش في الباب الأول من الفصل العاشر مفهوم حرية الصحافة، وخصص الباب الثاني منه لتناول جوانب من النهضة الصحفية التي تعيشها المملكة وبعض من ساهم فيها، وأورد في الفصل الحادي عشر رؤية في واقع الصحافة السعودية في ظل نظام المؤسسات الصحفية، وبعض ما يمكن أن ينشط العمل الصحافي ويخدم منسوبي هذه المهنة ويجتذب إليها الشباب.

العنوان: توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر
المؤلفة: أشجان محمد الهندي
الناشر: النادي الأدبي بالرياض
1417هـ ـ ط1 239 صفحة


غلاف الكتاب

حددت الباحثة هدفها من التصدي لموضوع الكتاب، وإعداد دراسة تتناول نتاج عدد من الشعراء السعوديين بـ «الرد على المقولة التي تزعم انفصال النصوص الشعرية المعاصرة عن التراث»، ولذلك توجه صفحات كتابها للكشف عن موقف الشاعر المعاصر من التراث، وكذلك الكشف عن أنماط تجاوُز الشاعر مرحلة بعث التراث واستلهامه وتوظيفه له في القصيدة.

وتشير الباحثة إلى أن زعم انفصال الشاعر المعاصر عن التراث ربما مرده إلى «خلو الساحة من دراسات مستقلة تعالج هذا الموضوع، فيما عدا اجتهادات بعض الباحثين الذين تناولوا علاقة النص الشعري المعاصر بالتراث العربي منه، والسعودي على نحو خاص»، وقد عرضت الباحثة مضامين بعض هذه المعالجات.

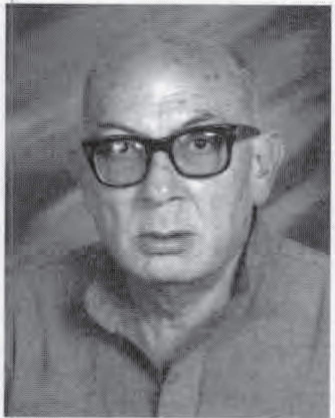
ومن الاستخلاصات التي توصلت إليها الباحثة أن تسجيل التراث وليس التوظيف، هو الأكثر شيوعًا ووضوحًا في القصيدة السعودية المعاصرة، وأن التسجيل أكثر التصاقًا بجيل الرواد، وفي الوقت نفسه لم يقتصر توظيف التراث على الجيل اللاحق لجيل الرواد، ففي كلٍّ نماذج من هذا وذاك، كما توصلت الباحثة إلى أن الشاعر السعودي الذي استفاد من تجربة الشعراء العرب المعاصرين، قد نجح في إيجاد تنويعات وأنماط فنية جديدة في استخدام التراث.

اشتملت الدراسة على ثلاثة فصول إضافة إلى مقدمة وتمهيد وخاتمة وثبت المصادر والمراجع. عُنيت المقدمة بمناقشة ماهية التراث، وعلاقة الشاعر العربي به، والعوامل الفكرية والثقافية والفنية التي دفعته لتوظيف التراث، كما تضمنت إيضاحًا للعوامل التي دفعت الشاعر السعودي المعاصر إلى استخدام التراث، وشرحًا للفرق بين تسجيل التراث وتوظيفه.

في الفصل الأول ناقشت الباحثة توظيف التراث الفصيح في الشعر السعودي المعاصر، وشرحت أنماطه التي شملت الشخصية، والحدث، والنص، واللغة. وعني الفصل الثاني بتوظيف التراث الشعبي، وسلطت الباحثة الضوء على استخدام الشعراء السعوديين المعاصرين لبعض مواد التراث الشعبي مثل الحكاية الشعبية، الأغنية، والشعر، والألفاظ والعبارات العامية، والحرف والفنون والمعتقدات. وخصصت الباحثة الفصل الثالث من كتابها لمناقشة توظيف الشعراء للأسطورة، فبدأت بتعريف الأسطورة، والحاجة إلى استخدامها في القصيدة المعاصرة، وأشارت إلى أنماط استخدامها في الشعر العربي المعاصر، ومصادر الأساطير التي استخدمها الشعراء في قصائدهم (مصادر يونانية وسامية وعربية إسلامية)، وبعد ذلك انتقلت الباحثة إلى مناقشة توظيف الأسطورة عند الشعراء السعوديين، وتحدثت عن سعي بعض الشعراء إلى إيجاد أو ابتكار أسطورة خاصة به لاستخدامها وتوظيفها في معالجاته الشعرية.

ورصدت الباحثة بعض ما توصلت إليه من نتائج واستنتاجات: أوجزتها في:

* دحض التصور الذي يزعم أن التجارب الشعرية المعاصرة تنطوي ـ حتمًا ـ على كم من العداء لكل ما هو قديم.
* تمكن الشاعر السعودي المعاصر بتوظيفه للتراث من تأكيد هويته العربية المحلية، والتعبير عن قضايا أمته العربية والإسلامية.
* دور توظيف التراث الشعبي في رصد البيئات والمناخات المختلفة في الجزيرة العربية، وربط المتلقين بجذورهم وتعميق الانتماء لديهم.



مصطفى فودة وتجربة الرواية

حاوره في تجربته: **إبراهيم عبدالمعطي متولي**

نشأ الأديب مصطفى فودة في بيت من بيوت العلم، فقد كان أبوه وجده من علماء الأزهر الشريف، وكان عمه أحد المحققين الذين يعشقون اللغة العربية.

كما أتيحت له فرصة مصاحبة كثير من عمالقة الأدب مثل أحمد حسن الزيات ومحمد فريد أبو حديد وغيرهما ممن أثّروا في الأدب العربي في العصر الحديث. ولذلك نجد مصطفى فودة في رواياته يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو يستلهم رواياته من واقع البيئة التي يعيش فيها. وفي هذا الحوار يفصح الكاتب عن بعض مشواره الأدبي.

في البدء، هل من حديث عن نشأتكم وبدايات اتجاهكم الأدبي؟

ـ تعلّمت في كتّاب القرية، ثم دفع بي والدي وجدي، وكلاهما من علماء الأزهر، إلى صحنه، فنهلت من علم الأزهر، وبخاصة في مرحلتنا نحن الذين تخرجنا قبل الستينيات، حيث لم تكن علوم الأزهر قد لحق بها ما لحق علوم اللغة والشريعة الإسلامية من جَور كبير. فعلى أيامنا كنا في كلية اللغة العربية التي تخرجت فيها ندرس ما يعد الآن من قبيل المراجع، فجيلي درس في النحو كتاب الأشموني جميعه في كلية اللغة العربية، ودرس دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في الكلية ذاتها، ولهذا كانت قدمنا راسخة في هذه العلوم، ولم يكن أساتذتنا يعرفون مجاملة أحد من طلبتهم في نواحي العلم. فكانت دفعتي في كلية اللغة العربية حوالى ستمئة وخمسين طالبًا في السنة الأولى، وحينما تخرجنا كنا حوالى أربعمئة طالب، حيث تساقط الباقون.

ولقد حافظت على هذه الثروة العلمية العظيمة مما نفعني جدا فيما بعد في كتاباتي الأدبية، وغدا محسوبًا لي لا عليّ، ثم حصلت على دبلوم معهد التربية العالي، غير أني لم أشتغل بالتدريس.

• وكيف كنت تحصل على زادك الثقافي خارج الجامعة؟

ـ كان حظي جيدًا من ناحية الثقافة، لأن والدي كان صاحب مكتبة أدبية كبيرة، وكنت في فصل الصيف في القرية أقضي جل وقتي في هذه المكتبة الأدبية الشرعية، وأذكر أني قرأت فيها كثيرا من المجلات الأدبية العريقة التي سبقت عمري الزمني، كالمُقْتَطَف، وكانت مجلة قيمة جدًا، وأذكر أنني قرأت فيها مجلدات من مجلة الرسالة التي صدرت قبل مراحل عمري وأنا صغير، وكذلك مجلة الثقافة. وكان بهذه المكتبة كثير من الروايات المترجمة عن الفرنسية والإنجليزية وغيرها من اللغات. ونفعتني هذه الثروة، ولقد تأثرت جدا وخاصة في مرحلة عمري الصغيرة بما كان فيها من كتب تنحو منحى أسطوريًا مثل ألف ليلة وليلة التي قرأت أجزاءها بالكامل، وقصة سيف بن ذي يزن، وذلك لدرجة أني استغرقت في هذه الكتب، ولم يكن بالقرية على أيامنا إنارة كهربية، فكنت أقرؤها على ضوء مصباح زيتي، وأستغرق فيها وأعايشها وأُعجب بها.

وعلاوة على ما كان بتلك المكتبة التي كان يندر وجود مثلها بالقرى من كتب شرعية، فلقد ألزمني أبي بقراءة تفسير الكشاف للزمخشري، وكان يجبرني ـ وكان هذا يضايقني جدا ـ على أن أجلس وأقرأ له، وبخاصة في رمضان، صحيح البخاري في الحديث النبوي الشريف، ومما

أثر فيَّ أيضا عمٌ لي تعلم بالأزهر ويعدّ من المحقّقين الذين حققوا كتبًا تراثية منها معجم الأفعال لابن القوطيّة (ت:367هـ)، كنت ألازمه في الصيف، وكان يأنف أن أتحدث إليه بغير العربية الفصحى مما أكسبني حسًا ذوقيًا لغويًا أدبيا أثّر في حياتي بعد ذلك.

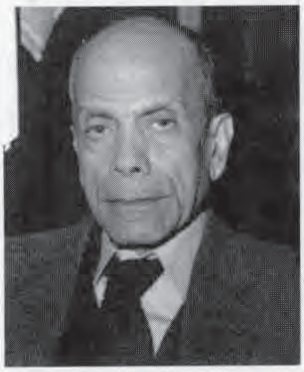
ولما شاءت إرادة الله، بعد أن تخرجت، أن تكون وظيفتي في وزارة الثقافة، شاءت أيضًا أن تدفع بي الوزارة إلى الإدارة العامة للثقافة التي ارتأى رئيسها في ذلك الوقت أن يضمني إلى إدارة الترجمة لأراجع الكتب المترجمة قبل أن يُدفع بها إلى المطبعة، فاستغرقت في سلسلة روائع المسرح العالمي مما جعل لي حسًا نقديًا مسرحيًا، وقرأت كتبًا كثيرة أذكر منها «دليل المرأة الذكية للاشتراكية» وهو كتاب ألفه الكاتب الإنجليزي برنارد شو، وفتح عينيَّ على كثير من الأفكار التي كانت سائدة في الغرب آنذاك، وهيَّأ لي ذلك قراءات من الشرق ومن الغرب لدرجة أني قرأت كتبًا مترجمة عن الهندية، وكانت جيدة جدًا، فأضافت إلى معلوماتي الكثير.

وفي تلك الحقبة أيضًا دفعت بي حياتي الوظيفية إلى أن أعمل مراجعًا بمجلة «المجلة» وكان يرأس تحريرها جهبذ من جهابذة العلم في ذلك الوقت هو الدكتور محمد عوض، ثم تلاه الدكتور علي الراعي، ثم جاء من بعده الأديب يحيى حقي، ولقد جعلتني هذه المجلة وقراءاتي فيها قبل أن تطبع ذا حسٍّ معاصر لكل قضايا النقد والأدب المثارة في أوائل الستينيات.

وكانت استفادتي الكبرى من الأستاذ العظيم، الشفاف النفس والقلب والروح محمد فريد أبو حديد لما عملت معه محررًا بمجلة «الثقافة»، حيث كان لنا هذا الرجل نحن الشباب الذين كنا نعمل معه أستاذًا عظيم الأثر في توجيهنا في القراءة



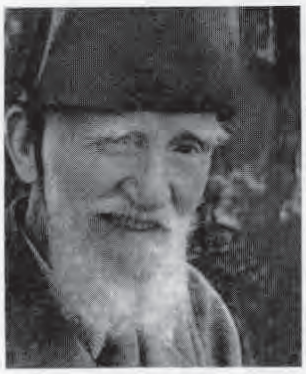
أحمد حسن الزيات



د. علي الراعي



محمد فريد أبو حديد



برناردشو

وفي طريقة الكتابة مما جعلنا نجيد صناعة القلم فيما بعد.

وكان لأحمد حسن الزيات أيضا الذي كان رئيسًا لتحرير مجلة «الرسالة» لما أعادها الرجل العظيم الدكتور محمد عبدالقادر حاتم، أثر أيضًا أيّ أثر في ثقافتي، لأنه كان حازمًا معنا لدرجة أنه كان لا يأنف من أن يلقي في وجوهنا بما نكتب إذا لم يعجبه.

والحمد لله كان لهذه المراحل من مراحل تعليمي أو قراءاتي في القرية أو قراءاتي التي دفعتني إليها الوظيفة أثرها الثقافي فيَّ، مما جعلني بفضل الله أكتب مزوّدًا بالعقل والحكمة، وأبدع إبداعا أزعم أنه كان له أثره في المكتبة العربية من روايات نشرت حتى الآن.

• ما الظروف التي كتبت فيها أول رواية؟ وكيف كتبتها؟

ـ أذكر أني كتبت أول رواياتي «شمس ووحل» في دفقة شعورية واحدة، كنت أيامها نفسيًا متأزمًا جدا، ولم أكن أدرك أني أملك موهبة الرواية التي وضعها الله سبحانه وتعالى فيَّ، فبعد أن تخرجت في الجامعة كنت أسعى كما يسعى أي متخرج ليتوظف، وكان وجودي في القرية يبعدني عن فرص التوظيف التي كانت تتركز في المدينة، ورغم أني كنت قد حصلت على شهادتي العالية من كلية اللغة العربية، ولم أنتسب بعد إلى معهد التربية العالي، إلا أنه كان عندي أمل في أن ألتحق بعمل وظيفي، وأستقل بحياتي الاقتصادية عن أبي، ولو أنه ـ رحمه الله ـ لم يبد ضجرًا

كنت أخشى أن تطغى أدوات الربط على أسلوبي، حتى كتبت أولى رواياتي في دفقة شعورية واحدة

وتجربته الروائية

من انتظاري شهورًا لبدء حياتي العملية، بل كان يهدهد من شعوري وقلقي في ذلك الوقت لأني تأخرت بضعة شهور عن أن ألحق بالوظيفة.

كنت متأزمًا وفارغًا، وأصدقائي في القرية منصرفون إلى حقولهم، أو عاد بعضهم إلى جامعاتهم، وكنت شبه وحيد لدرجة أني لم أكن أقرأ، وفجأة جلست يومًا وحيدًا بين هواجسي وأفكاري فأمسكت بالقلم وبدأت أكتب. ولقد كنت أشعر أنني من الممكن أن أكتب قصة أو رواية، لكن ما كان يخيفني جدا احتمال أن يطغى على أسلوبي الكتابي أدوات الربط مثل كان، وحدث، ولما حدث، وما شابه ذلك. وقبل هذه الحقبة كانت هناك سلسلة تصدرها دار الشعب اسمها «كتاب الشعب» وقدمت قصة مترجمة اسمها فيما أذكر «جان كريستوفر». ومن قبلها ظل كتاب الشعب يطنطن لهذه القصة ويقول: إنها قصة تتميز من كل القصص، فلما بدأت أقرأ تلك الرواية وجدتها مملوءة بأدوات الربط، لست أدري أهو عيب في الترجمة أم إن تلك كانت طريقة الكاتب في حكي رواياته، فلفظ «كان» كان يتكرر بين جملة وأخرى. وشجعني ذلك إلى حد ما أنني من الممكن أن أكتب بهذه الطريقة ولا عيب، فلما انتابتني الأزمة النفسية وأمسكت بالقلم وبدأت في كتابة أولى رواياتي إذا بأدوات الربط تهرب تمامًا، وتستطيع أن ترجع إلى تلك الرواية، ولن تجد بها من أدوات الربط ما يعيبها أو يؤخذ عليها.

ولقد سيطرت عليَّ الدفقة الشعورية، وأذكر أني أنهيت كتابتها رغم طولها في حوالى شهرين. وهي دفقة شعورية أفادت نفسيتي كثيرًا، وأخرجتني من أزمتي، وأحسست بعد أن كتبتها أنني من الممكن أن أكون مفيدًا وأن أحقق ذاتي بإنتاج أدب جيد، لكنني خشيت من أن أعرضها على أحد. وفي يوم، بينما كنت مستغرقًا في الكتابة، وقد قطعت حوالى ثلث الرواية سألتني أختي - كانت لي أختان صغيرتان، في أوائل المرحلة الثانوية - سألتْ ماذا تكتب، فقلت قصة طويلة، فأمسكت بما كتبت وإذا بها تجلس أمامي مستغرقة في القراءة، وانصرفت إلى أختها الأصغر منها، وجلستا معًا تقرآن، ودلَّني ذلك على أن الرواية جذبتهما، مما طمأنني نسبيًا. وكانت أختاي هما أول من قرأ لي، لكنني ظللت أخشى أن أعرضها على أحد بهدف نشرها، إلى أن وظفت بوزارة الثقافة فحاولت أن أنشرها من طريق وزارة الثقافة، فدفعت بها إلى إدارة التأليف التابعة للإدارة العامة للثقافة التي كنت أعمل بها في ذلك الوقت، فأحالتها إلى المرحوم الأستاذ القاص عباس خضر الذي كان أحد أعضاء لجنة الفحص في إدارة التأليف بوزارة الثقافة، قرأها - رحمه الله - وقابلني بعدها وقال لي: لقد قبلت روايتك، لكنك يجب أن تعلم أنه لابد أن يقرأها عضو آخر على الأقل لتجاز وتنشر. وقرأتها زميلة لنا لم تكن مبدعة كعباس خضر، إلا أنها كانت أحد أعضاء لجنة القراءة، وكانت زوجة للأديب عبدالرحمن الخميس، فقرأتها وأجازتها، وقدما تقريرهما إلى مدير الإدارة العامة للثقافة لإجازتها، إلا أنه أهملها ولم يدفع بها إلى النشر، مما ضايقني أشد الضيق، فقابلته وحدثته بشأنها، فقال بأن عضوي لجنة التأليف اللذين أجازا الرواية زميلان لي، وهو يخشى أن يكونا قد جاملاني، فقلت له ادفع بها إلى آخر ليكون رأيه هو الفيصل، فدفع بالرواية إلى المرحوم مصطفى عبداللطيف السحرتي مراقب الإدارة العام الذي أتى إلينا، وسألني: أأنت مصطفى فودة، فقلت: نعم، فإذا به يقبلني، ويقول لي: لقد شدَّتني روايتك لدرجة أني لم أحضر أمس إلى الإدارة لأنها سيطرت على أحاسيسي حتى جعلتني أصر على أن أنتهي من قراءتها، فسرني ذلك ورحت بعد ذلك «أعلل النفس بالآمال أرقبها»، إلا أن مدير الإدارة آنذاك كان له موقف من كل ذي ثقافة عربية، ولم يكن يتيح الفرصة أمام أحد من ذوي الثقافة العربية ليشق طريقه ويبرز في حقل الرواية. تضايقت كثيرًا، واقترح عليَّ زميل أن أدفع بها إلى الدار القومية فسحبت نسختها ودفعت بها إلى الدار القومية، ولم أكن أعرف أحدًا بها، فإذا بي أفاجأ بأنهم أحالوها إلى الأديبة الكبيرة د.سهير القلماوي، فقرأتها وأجازتها وأعجبت بها، بل إنها تطوعت فكتبت لها مقدمة مازلت أفخر بها حتى الآن.

• وماذا عن مرحلة ما بعد الرواية الأولى؟

- كتبت بعد هذه الرواية عدة روايات منها «مئة ساعة في القمة» وكانت الرواية اليتيمة التي ردت على اليهود لانتصارهم عام 1956م، ودافعت عن العرب، وأذكر أني كتبتها ردًا على كتاب لهم اسمه «مئة ساعة إلى السويس»، ثم كتبت «الصعلوك العظيم» وغيرها إلى أن كتبت «النداء الجديد» التي حازت جائزة أكتوبر القومية من المجلس الأعلى للفنون والآداب عام 1974م، وكانت فخرًا لي حتى يومنا هذا، ثم حصلت بعدها على منحة التفرغ في الآداب واستمرت ثمانية عشر عامًا، كتبت خلالها تسع روايات أولاها «سيدي التايه» التي نشرت مؤخرًا.

كتبت «مئة ساعة في القمة» ردًا على كتاب يهودي عنوانه «مئة ساعة إلى السويس»

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

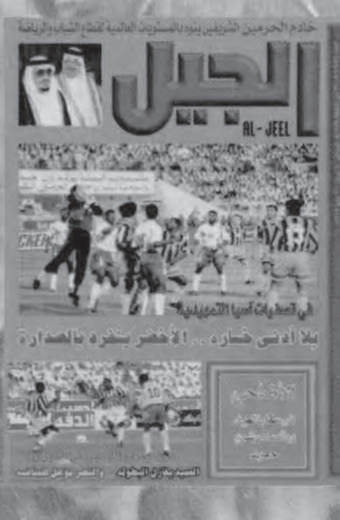
الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL







تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

خليّة الوقود..

إعداد: **قسم المعلومات والترجمة**

في بداية عام 1995م حقق مهندسو السيارات حلمًا طالما تغنّوا به عندما نجحوا في ابتكار السيارة الكهربائية الأولى التي أطلق عليها اسم NECAR -1 اختصارًا للعبارة: NEW ELECTRIC CAR NO.1 واغتبط الناس في ألمانيا وأمريكا واليابان برؤية بعض نماذجها التي كانت تجوب الشوارع بصمت تام دون إطلاق أي نوع من عادم الاحتراق (طالع أخبارها في مقال أعده قسم المعلومات والترجمة في مجلة الفيصل بعنوان: «الحرب ضد التلوث: حافلات بالهيدروجين وسيارات بالكهرباء» المنشور في العدد 230، ص ص 8- 12).

ولم يمض إلا نصف عام فقط على هذا الإنجاز الكبير حتى أعلن المهندسون عن ابتكار جيل ثان منها أطلق عليه اسم السيارة الكهربائية الثانية NECAR -11، يخلو من جلّ العيوب التصميمية التي لوحظت في النموذج الأول، ويَعِد بحلول عصر حقيقي للقيادة من دون تلوث أو ضجيج، ويبشّر بإمكان مواجهة الإنسان للتحديات البيئية التي تنتظره مع حلول القرن الواحد والعشرين.

ويعود فضل هذه التطورات والابتكارات المتلاحقة لاختراع جديد، من شأنه أن يستخلف محرك الانفجار الداخلي الذي بقي لأكثر من قرن كامل مستخدمًا لتحريك السيارات، ويرى الخبراء فيه عنوانًا جديدًا مميزًا لعصر الفضاء والمعلومات اسمه «خلية الوقود» FUEL CELL

فما قصة هذا الابتكار؟ وهل اقترب الوقت الذي ستغلق فيه محطات الوقود التقليدي أبوابها لنتنزّه في شوارع مزدحمة بالسيارات ونحن ننعم بالهدوء، ونشتمّ الهواء النظيف؟

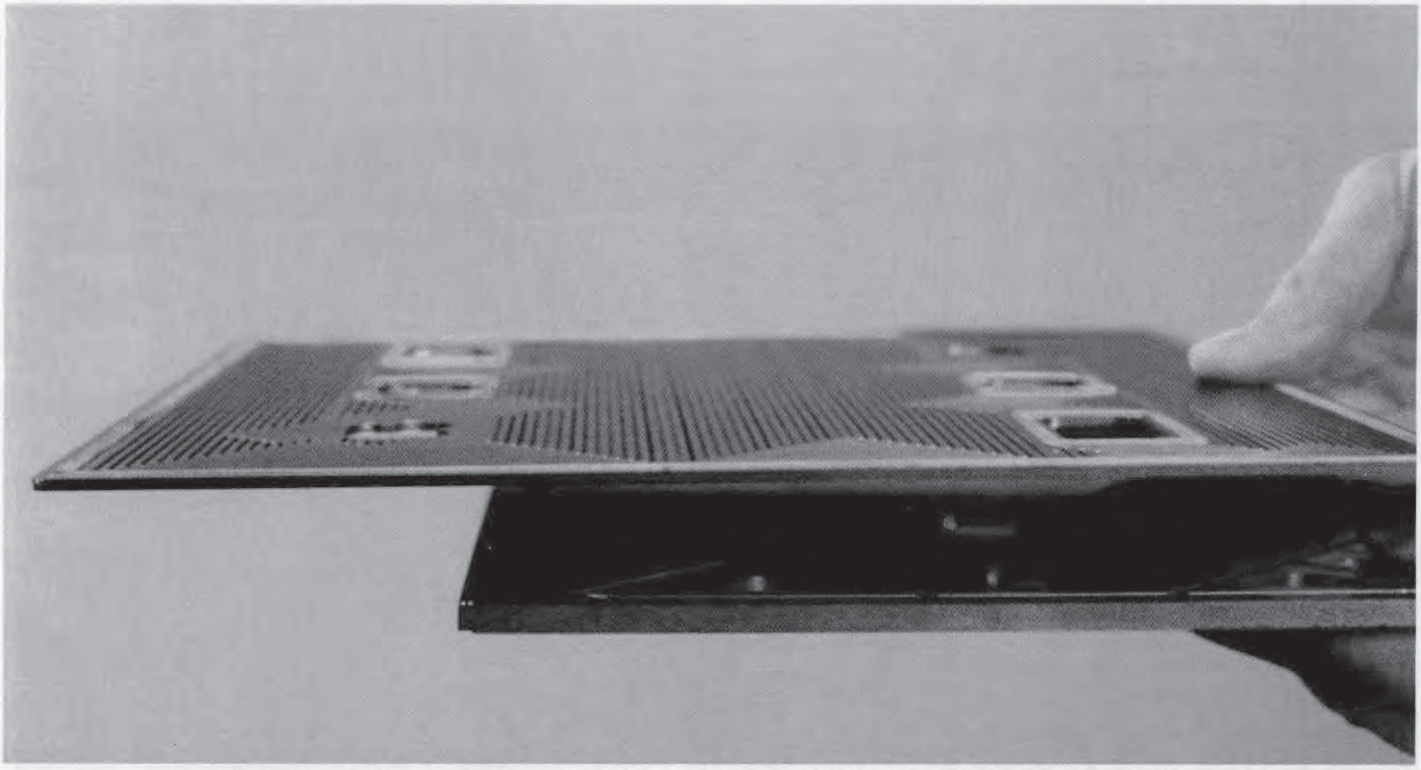
لقد كان يوم الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1995م حاسمًا بالنسبة لمهندسي السيارات وعشاق القيادة النظيفة وأصدقاء البيئة عبر العالم.

إنه اليوم الذي كشف فيه خبراء مركز ديملز - بنز للبحوث في مدينة شتوتغارت بألمانيا عن سر ابتكارهم لأول نموذج من السيارات الكهربائية NECAR -1 الذي كان أكثر شبهًا بمصنع متحرك من السيارة العادية نظرًا للحجم الكبير الذي كانت تشغله «خلية الوقود» FUEL CELL من صندوق السيارة، وتقوم هذه الخلية بتوليد الطاقة الكهربائية المحركة بدلاً من محرك الوقود السائل العادي أو ما يعرف بمحرك الانفجار الداخلي.

وتعد خلية الوقود محطة مبتكرة لتوليد الطاقة الكهربائية بطريقة كيماوية لتشبه من حيث مبدأ عملها البطاريات أو الكشّافات (الأيبال) العادية.

ويعود فضل ابتكار تقانة (تكنولوجيا) خلية الوقود أصلاً إلى الخبراء الكنديين العاملين في شركة «أنظمة بايار للطاقة» BALLARD POWER SYSTEMS أثناء سعيهم لتجنيب سكان المدن أخطار عوادم احتراق وقود السيارات وأضراره حتى تمكنوا من إنجاز نموذجها الأول في العام 1994م. وتميزت هذه الخلية الأولى بقدرتها على توليد تيار كهربائي مستمر يحقق للسيارة تسارعًا يكسبها سرعة 80 كيلو مترًا في الساعة خلال بضع ثوان. ويتم شحن بطاريات التخزين الكهربائي للخلية من أي مفتاح كهربائي منزلي أو من محطات عامة للشحن مخصصة لهذا الغرض بحيث تختزن من الكهرباء ما يكفيها لقطع مسافة 400 كيلو متر دون أن تنشر أيًا من الغازات التي تنطلق في العادة من عوادم الاحتراق في السيارات العادية. وتتركب خلية الوقود

اختـــراع القـــرن



أدى التطور المسجل مؤخرًا في (تكنولوجيا) صناعة خلايا الوقود إلى تصغير أجزائها وزيادة كفاءتها حتى أصبح سمك قطبها لايزيد على بضعة أعشار المليمتر

الأولى من مجموعة بطاريات كهربائية تشتمل على 500 خلية يتألف كل منها من قطبين أحدهما من الصوديوم والآخر من كلور النيكل تقع بينهما مادة خزفية تقوم بدور المتحلل الجاف.

وعند وضع أولى هذه السيارات قيد التجربة العملية برز للخبراء العديد من المشكلات التقنية التي توجب عليهم العمل على حلها ومنها: طول المدة التي تستغرقها عملية إعادة شحن بطاريات خلية الوقود، والحيّز الكبير الذي تشغله الخلية من الهيكل الداخلي للسيارة. وسرعان ما ظهر للخبراء عند بداية تسييرها أنها لم تكن أكثر من مختبر متنقل يتدحرج على العجلات بالرغم من أن نتائج هذه التجارب الأولى كانت كافية لإسكات الأصوات الناقدة التي كانت تشكك بأن تتمكن مثل هذه المحطة الضخمة المتنقلة من إنتاج الحركة. وهكذا بقي الكثير من عوامل الشك تحوم حول هذه الفكرة الطموح.

وعلى أن (تكنولوجيا) خلية الوقود ليست وليدة العصر الراهن بل إنها تعود إلى عام 1839 حين تمكن الفيزيائي الإنجليزي السير وليام غروف SIR WILLIAM GROVE من بناء خلية الوقود الأولى مستخدمًا فيها طاقة الاحتراق المباشر لغاز الهيدروجين بالأوكسجين لتشكيل الماء (الاحتراق المتفجر). وبالرغم من أن غروف كان قد تمكن من توليد الطاقة الكهربائية من خليته إلا أن اختراعه هذا سرعان ما طواه الزمن مع نجاح الفيزيائي الألماني الشهير فيرنر سايمنز WERNER SIEMENS في ابتكار «الدينامو» الكهربائي الذي بدأ أكثر فاعلية وسهولة في توليد التيار الكهربائي.

وقرر بعض المهندسين الطموحين الذين يعملون الآن في مراكز البحوث الكندية والألمانية واليابانية إعادة تجسيد حلم غروف

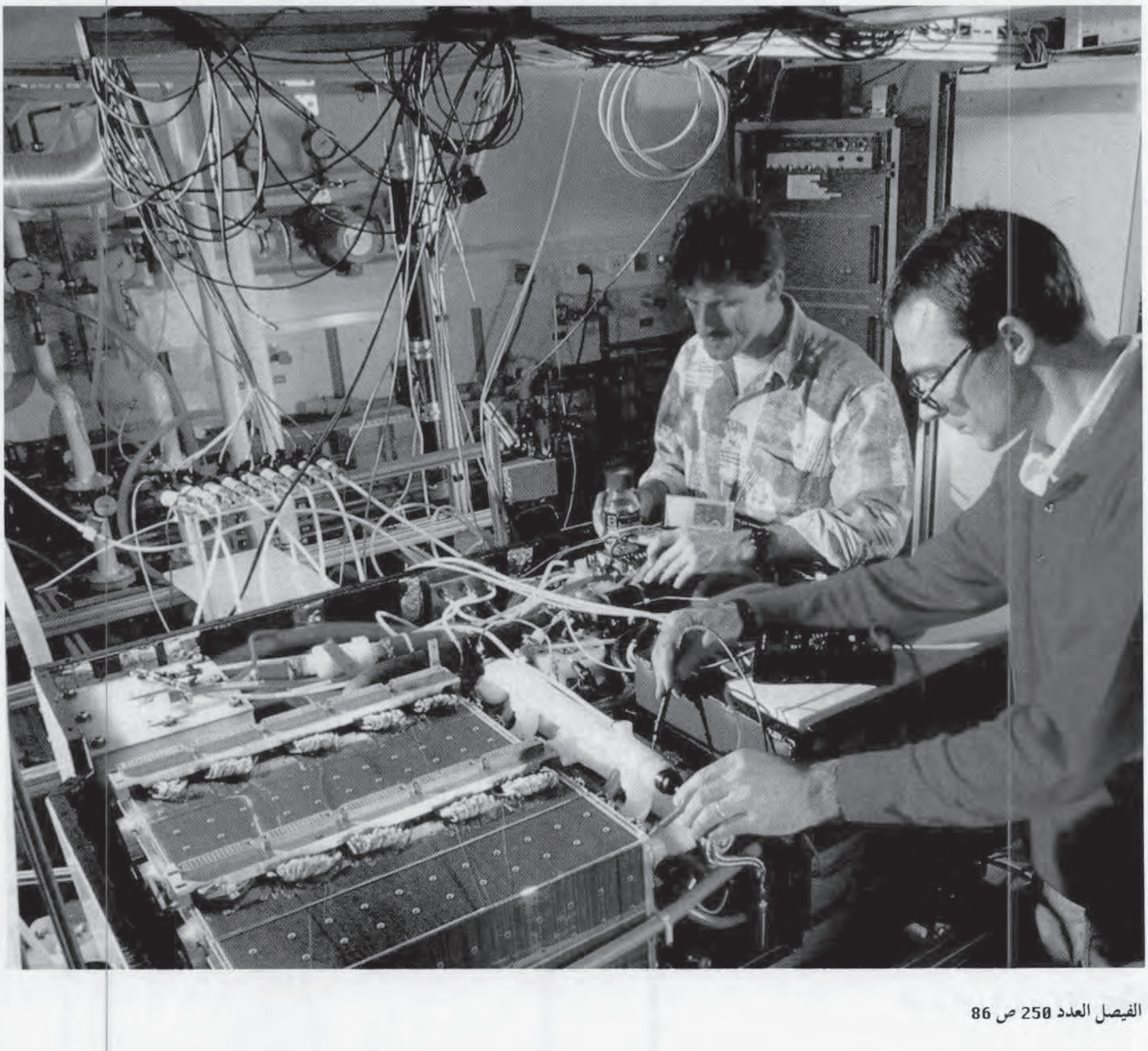
والارتقاء بتكنولوجيا خلية الوقود حتى تصبح أساسًا عمليًا لحلول عصر جديد من عصور القيادة النظيفة، وقرروا تحدي كل الصعوبات التي لم تزل تحول دون بلوغ هذا الحلم، واهتدوا إلى حل يتمثل بابتكار خلية وقود تُولد التيار الكهربائي من الطاقة الناتجة عن التفاعل المباشر بين شوارد الهيدروجين وشوارد الأوكسجين ضمن الخلية (الاحتراق البارد) لتسيير السيارات العادية، بدلاً من الاحتراق المباشر لغاز الهيدروجين بغاز الأوكسجين وفق طريقة غروف التي كانت مصحوبة بالانفجارات الخطيرة، وهي تقنية كان يجري تجريبها قبل عامين فقط لتسيير الحافلات التي تتسع لنحو 70راكبًا. ووقف المهندسون أمام بعض الصعاب التقنية التي كانت تحول بينهم وبين إنجاح الفكرة تمثلت بالتساؤلات التالية:

* كيف يمكن تحقيق تفاعل احتراق الهيدروجين مع أوكسجين الهواء لتشكيل بخار الماء ضمن نظام خلية الوقود وفق طريقة يمكن التحكم بها؟

* كيف يمكن الاستفادة من الطاقة المتحررة عن هذا الاحتراق في توليد الطاقة الكهربائية؟

* كيف يمكن لمثل هذا النظام أن يحقق المرونة والتسارع (التعجيل) الكافيين لتجسيد محرك سيارة يتفق مع حاجات الإنسان؟

وسرعان ما تمكنوا من إيجاد الإجابات العملية لهذه الأسئلة كلها. وكان ذلك دليلاً قاطعًا على أن التطور السريع الذي تشهده صناعة السيارات الكهربائية يسوّغ الاعتقاد بأن (تكنولوجيا) خلية الوقود يمكنها أن تتخطى كل الصعوبات والعقبات. وانطوت الإجابات الوافية عن هذه الأسئلة في ابتكار الجيل الثاني من السيارات الكهربائية أو ما أصبح يعرف باسم «السيارة الكهربائية الثانية» التي أضحت إحدى أكثر المظاهر المعبرة عن قدرة العلم



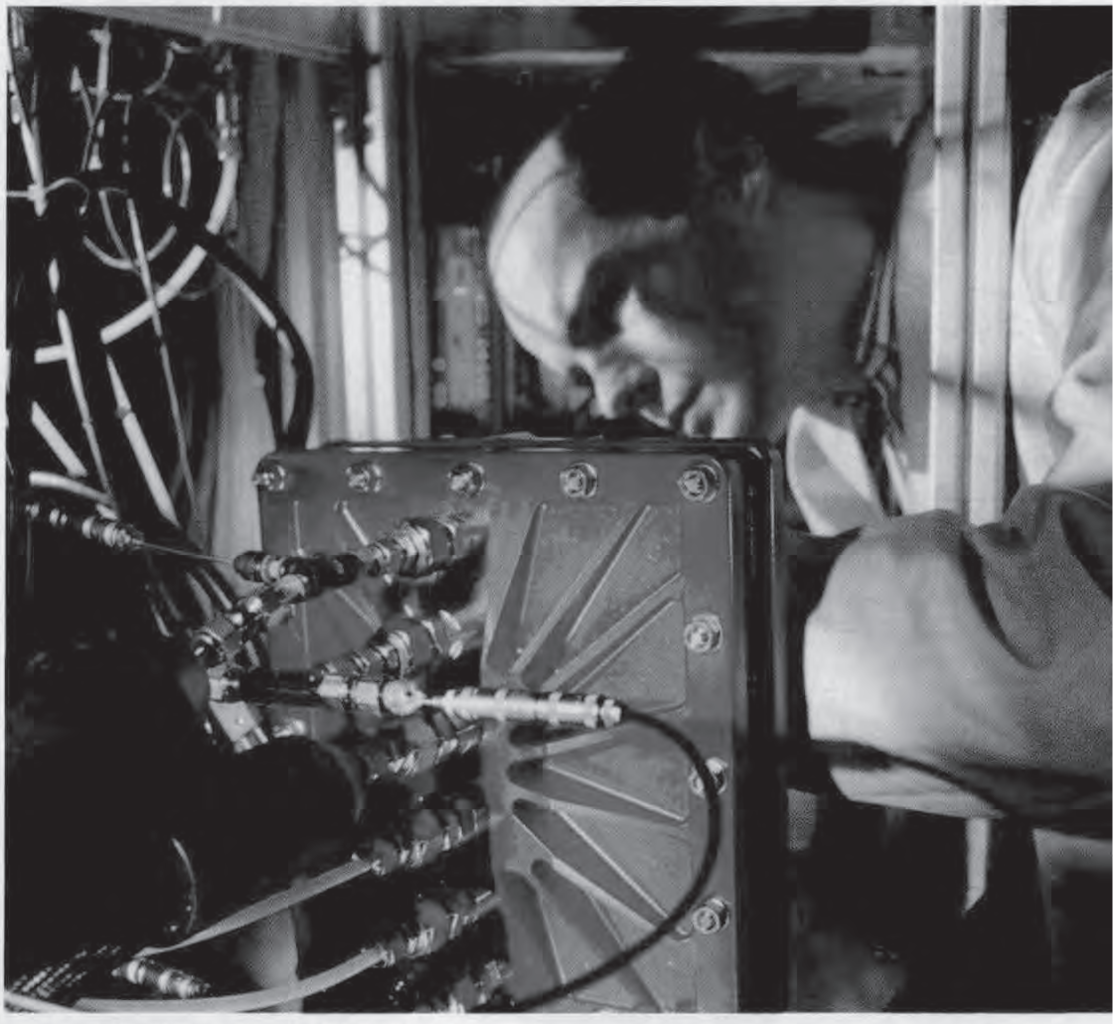


والتكنولوجيا على حل مشكلات البشرية. ولم تعد هذه السيارة حلمًا على الإطلاق، بل هي حقيقة واقعة بحيث تجوب الآن أعداد كبيرة منها شوارع المدن الكبرى في ألمانيا وأمريكا وكندا واليابان.

وفيما كانت خلية الوقود الأولى تشغل معظم الفراغ الداخلي لهيكل السيارة فإن خلية الوقود الثانية أصبحت على شكل علبة مربعة طول ضلعها أقل من متر واحد ولا يتعدى سمكها أربعين سنتيمترًا. وهي تحتوي على عناصر الخلية التي يبلغ عددها ثلاثمئة قطب موجب ومثلها من الأقطاب السالبة التي تقابلها. ويقل وزن خلية الوقود الثانية عن ربع وزن الخلية الأولى، ومع ذلك فهي تحقق أداء أفضل بكثير. وكان الهدف من ابتكار خلية الوقود الثانية يتلخص بابتكار سيارة كهربائية عملية تخلف السيارات التقليدية التي تسير بطاقة احتراق البنزين أو المازوت. وتقع خزانات السيارة الكهربائية الثانية في سقفها لتبدو بذلك وكأنها رفّ معدني لرصف الحقائب، وهي مصنوعة من البلاستيك المُقَسّى بألياف الكربون حتى تتحمل الضغوط العالية. وتُملأ بغاز الهيدروجين تحت ضغط عالٍ من محطات توزيع مخصصة لهذا الغرض. وهذه الخزانات أخف من تلك التي كانت تُجهز بها السيارة الكهربائية الأولى، وحيث كانت تصنع من معدن الألومنيوم، كما أنها تتسع لضعف ما كانت تسعه الأولى من غاز الهيدروجين. وبلغ النقص الكلي المسجل في وزن السيارة الكهربائية الثانية عنه في الأولى طنًا كاملاً، ويوافق هذا النقص في الوزن زيادة في الاستطاعة المحركة للسيارة تصل إلى 50 كيلو واط.

كيف تعمل خلية الوقود الثانية..؟

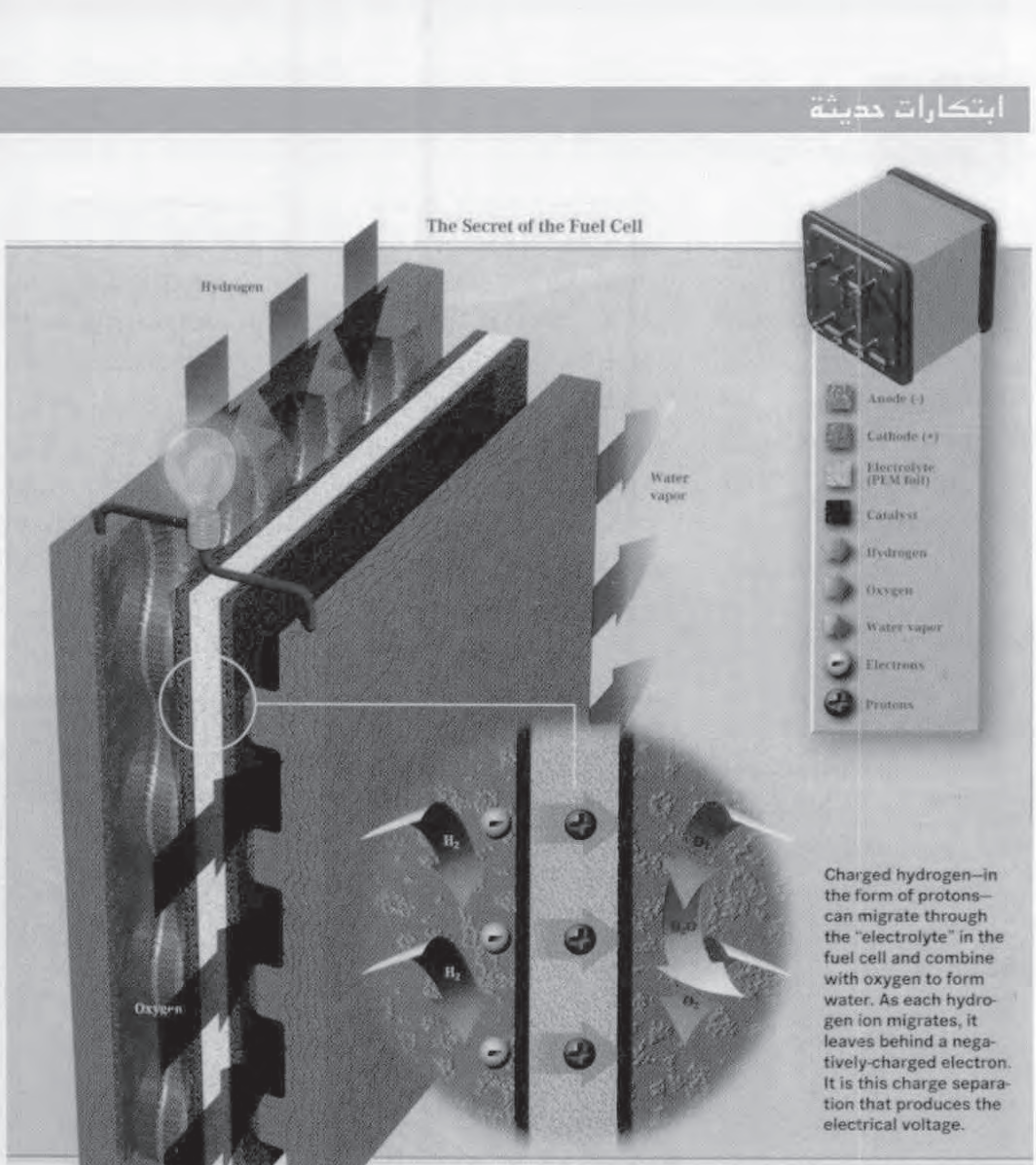
لعل التطور الأساسي الذي طرأ مؤخرًا على تقنية صناعة السيارات الكهربائية يتعلق أساسًا بالتعديلات التي شهدتها خلية الوقود نفسها، حيث أصبحت خلية الوقود الثانية تتألف من طبقات متوازية من صفوف الخلايا الرقيقة، ويفصل بين قطبي كل خلية رقيقة غشاء رقيق لايزيد سمكه على بضعة أعشار الميليمتر، ويشكل المادة المتحللة الجافة ELECTROLYTE، ويدعى غشاء تبادل البروتونات PROTON EXCHANGE MEMBRANE الذي يحقق فصل غازي الهيدروجين والأوكسجين الواحد عن الآخر، ويمنع اختلاطهما. ويُطلى وجها الغشاء بمعدن البلاتين المحفّز الذي يحفز جزيئات الهيدروجين على التفكك إلى ذرات ثم يدفعها إلى التشرد. وعبر هذا الغشاء يتم توجيه شوارد الهيدروجين (البروتونات) نحو أحد قطبي الخلية الرقيقة وشوارد الأوكسجين نحو القطب الآخر. وحتى تتشكل هذه الشوارد تفقد كل ذرة هيدروجين إلكترونًا لمادة أحد القطبين لتهبط نحو الغشاء بصورتها الشاردية، وتمر الإلكترونات التي تتخلى عنها ذرات الهيدروجين عبر النواقل



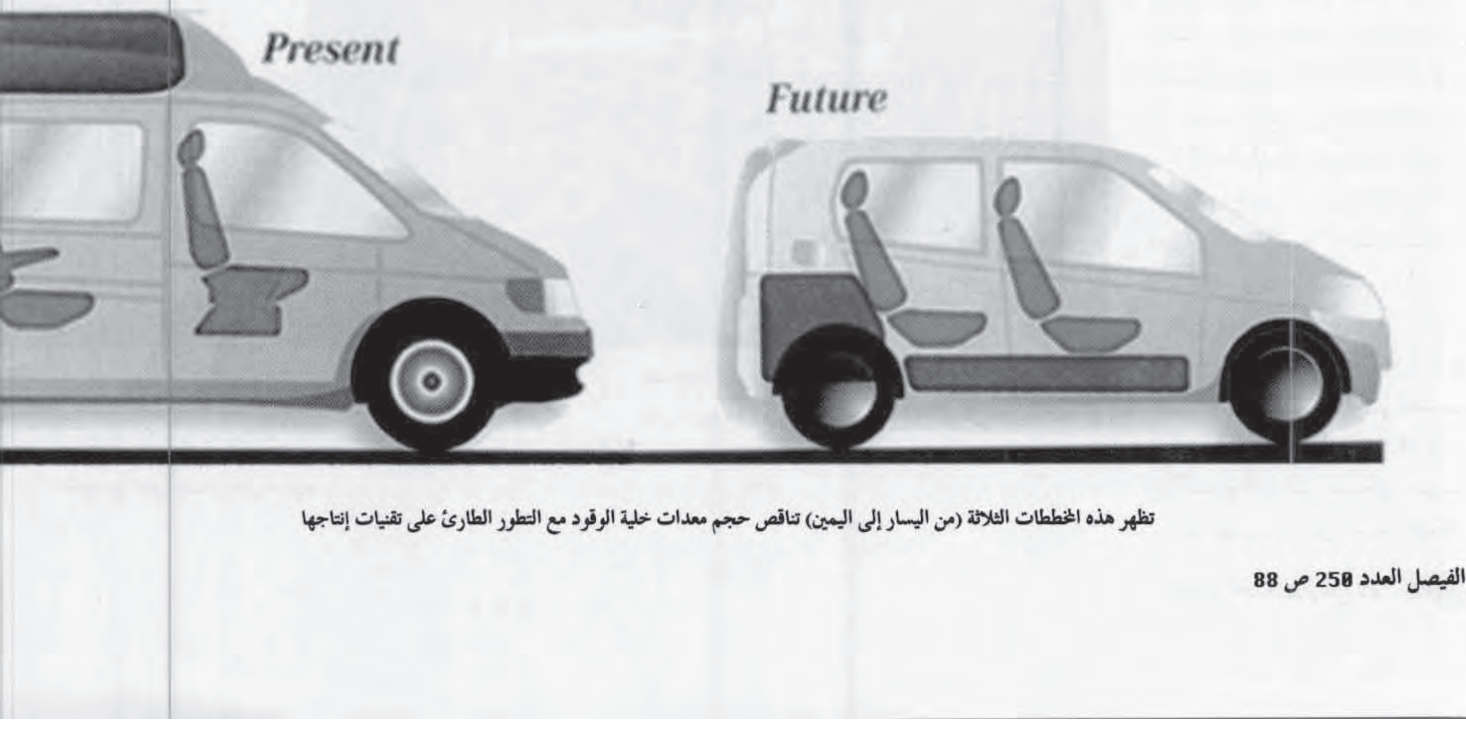
تعد خلايا الوقود البديل العملي الوحيد لمحركات الانفجار الداخلي الملوّثة للبيئة فهي تولد تيارًا يشغل المحرك الكهربائي للسيارة دون أن تنشر جزيئًا واحدًا من الغازات الضارة

خلية وقود مخصصة للسيارة الكهربائية الثانية أثناء مراحل اختبارها الأخيرة

مشكلة تياراً كهربائياً لتعود إلى القطب الآخر لتكتسب منه كل ذرة أوكسجين إلكترونين فتتحول إلى شاردة أوكسيجين. ويعمل المحرك الكهربائي للسيارة بناء على مجموع فروقات الكمون المحققة بهذه الطريقة بين أقطاب الخلايا الرقيقة. وعندما تنتقل شوارد الهيدروجين إلى الجانب الآخر من الغشاء فإنها تتفاعل مع شوارد الأوكسجين لتشكل معها جزئيات الماء. وهنا، يتم التفاعل بطريقة مضبوطة بحيث لا تتحرر طاقة أكثر من اللازم ولا يُسمح في الوقت نفسه بتشكيل المزيج المتفجر (يحدث انفجار الهيدروجين بالأوكسجين عندما يتحدان بنسبة تفاعلهما الوزنية البالغة 1/ 8أو بنسبة تفاعلهما الغازية الحجمية البالغة حجمين من الهيدروجين لكل حجم واحد من الأوكسجين). وكما يبدو، فإن هذا النظام يشبه نظام تحرير الطاقة الكهربائية من بطارية السيارة فيما عدا بعض الفروق المهمة التي



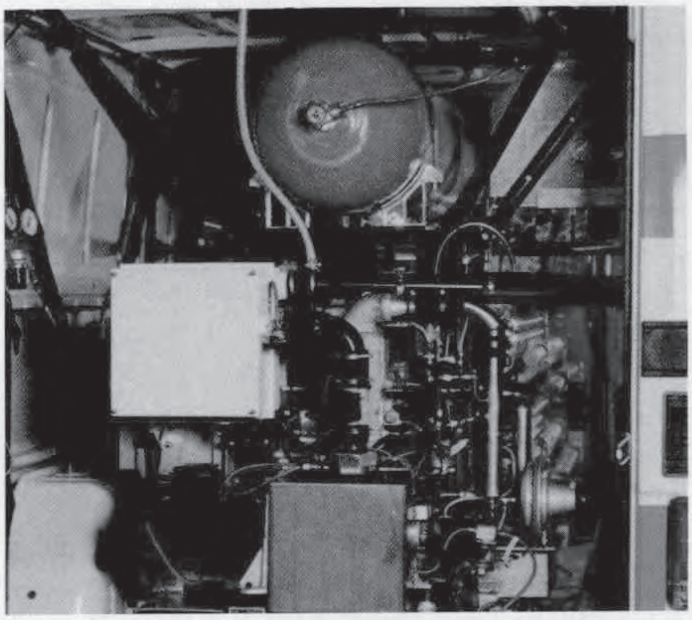
يبدو في هذا المخطط «السرّ» الذي تعمل بموجبه خلية الوقود الثانية حيث تنتقل شوارد الهيدروجين المشحونة (البروتونات) عبر المادة المتحللة في الخلية الرقيقة لتقابل شوارد الأوكسجين وتتفاعل معها لتشكيل الماء. وكلما انتقلت شاردة هيدروجين فإنها تحرر إلكتروناً فينشأ عن ذلك فرق في الكمون بين قطبي الخلية ويتولد التيار الذي يشغل المحرك الكهربائي للسيارة.



تظهر هذه المخططات الثلاثة (من اليسار إلى اليمين) تناقص حجم معدات خلية الوقود مع التطور الطارئ على تقنيات إنتاجها

يكْمُنُ أولُها في أن خلية الوقود لا تنتج الطاقة الكهربائية من تفاعل الغازين إلا عند الحاجة إليها، ويكمن ثانيها في أن نظامي خزن التيار الكهربائي وتوليده منفصلان. يضاف إلى ذلك أن خزان السيارة الكهربائية الثانية أصبح يملأ بالغاز بدلاً من شحنه بالكهرباء. وهي مهمة أكثر سهولة وسرعة.

وهكذا يمكن القول بأن التطور الذي تشهده تكنولوجيا خلية الوقود يطرأ أساسا على ألواح الأقطاب نفسها من حيث إنقاص سمكها وزيادة عددها وسطحها بما يزيد من فعاليتها، وينقص وزنها من تكاليفها. ولعل المقياس المعبر عن التطور والذي يأخذ به مهندسو السيارات هو النسبة بين وزن السيارة والطاقة التي تحررها خلية وقودها. ولقد بلغت هذه النسبة 21 كيلو غرام لكل كيلو واط في السيارة الكهربائية الأولى ثم انخفضت إلى 6 كيلو غرامات لكل كيلو واط في السيارة الكهربائية الثانية. ولم يكن هذا التطور إلا ثمرة لجهود مضنية من البحث المستمر تعاونت في بذلها عدة مؤسسات بحثية في كندا وألمانيا والولايات المتحدة واليابان.





تبدو إلى اليمين عناصر خلية الوقود في السيارة الكهربائية الأولى وهي تشغل الجزء الأكبر من الحيّز الداخلي للهيكل. وفي الصورة اليسرى تبدو عناصر خلية الوقود في السيارة الكهربائية الثانية على شكل علبة تشغل حيزًا صغيرًا من صندوقها.





خليّة الوقود.. اختراع القرن

ومع تسارع التطورات المتعلقة بخلية الوقود، وقبل أن يشيع استعمال الجيل الثاني من السيارات الكهربائية على نحو ما هو متوقع له، اهتدى الخبراء إلى طريقة جديدة تخضع الآن إلى عمليات البحث والتجريب يؤمّل منها الكثير وتسمح بتوفير المشكلات المتعلقة بصعوبة وخطورة استعمال الهيدروجين كوقود من حيث ضرورة ضَخّه تحت ضغط عال من جهة، والخوف من تشكل مزيجه المتفجر مع الأوكسجين ضمن خلية الوقود من جهة أخرى. وتنطوي هذه الطريقة على استعمال الكحول الميثيلي السائل (الميثانول) CH3 OH بدلاً من غاز الهيدروجين في خلية الوقود. وإذا نجحوا في ذلك فسوف يكون بالإمكان استخدام خزانات محطات البنزين نفسها لتوزيع الكحول السائل على السيارات الكهربائية.

خلية الوقود ونظافة البيئة

وعلى الرغم من أن خلايا الوقود تنطوي على توفير كل العيوب التقنية التي تُعرف بها البطاريات العادية فإنها تحتفظ في الوقت نفسه بأهم فوائدها المتمثلة بتحرير الطاقة الكهربائية دون نشر المواد الملوثة. فالمادة الوحيدة التي تنطلق كعادم لخلية الوقود هي بخار الماء النقي . وهكذا.. يمكن أن نتوقع خلو الجو في الشوارع العامة من أنواع الملوثات السامة كافة كأول وثاني أوكسيد الكربون وأكاسيد الكبريت والآزوت والرصاص عندما يعم استخدام السيارات الكهربائية. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشوارع سوف تخلو من أهم أسباب الضجيج نظراً لأن خلية الوقود لا تصدر صوتًا على الإطلاق أثناء عملها.

ولقد اقترب حلم التخلص من الضجيج وعوادم الاحتراق من أن يصبح حقيقة واقعة منذ تاريخ 14 أيار/مايو من عام 1996م عندما بدأ الجيل الثاني من السيارات الكهربائية، التي تحتوي كل منها على ثلاثة صفوف من المقاعد وتتسع لنحو ثمانية ركاب، يجوب الشوارع في ألمانيا.

ومن المنتظر أن تحقق المدن الكبرى ذات درجة الازدحام الكبيرة فوائد مهمة من مثل هذا الابتكار نظرًا لما تعانيه الآن من درجات تلوث مرتفعة وجو خانق يسود شوارعها بسبب ازدياد عدد السيارات التقليدية التي تعتمد على حرق الوقود الأحفوري لتحرير الطاقة من محركات الانفجار الداخلي.

وليست الدول الصناعية الكبرى وحدها المستفيدة من هذا التطور، بل إنه سينسحب على نحو مماثل إلى الدول النامية ودول «اقتصاد النمور» في شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية. وتشير توقعات بيئية متشائمة بأن عدد السيارات التي تجوب شوارع مدن العالم، والذي يقدر الآن بـ 800 مليون سيارة، سوف يتضاعف مع حلول العام 2030م مما سيؤدي بالمقابل إلى تضاعف نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون CO_2 الناتج عن عادم احتراق وقودها في الجو. وأشارت دراسة مماثلة إلى أن مجموع كتلة غاز ثاني أوكسيد الكربون يقدر أن تبلغ 6.7 مليار طن مع حلول ذلك العام لو بقيت السيارات تسير وفق الطريقة التقليدية التي نعرفها اليوم بحرق الوقود الأحفوري (البنزين والمازوت) في محركات الانفجار الداخلي. وعلى أن غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي تنتجه هذه المحركات لا يعد في الواقع الغاز الأكثر خطورة على البيئة، بل إن هناك ما هو أخطر وأفدح ضرراً على صحة الإنسان كأكاسيد الآزوت والكبريت والرصاص ودقائق السخام. وكل هذه الغازات والمواد الضارة آخذة في التزايد والتجمع يومًا بعد يوم في مدن العالم الكبرى التي أصبحت تؤوي 40٪ من مجموع عدد سكان العالم المقدّر بتسعة مليارات نسمة.

ولقد تبدو الأهمية الكبيرة التي أصبحت تنطوي عليها (تكنولوجيا) صناعة السيارات الكهربائية جلية من خلال هذه التقديرات والإحصائيات بحيث أصبحت تمثل الحل العملي الوحيد للتغلب على هذه المشكلات البيئية. ونظراً لهذه الاعتبارات، يرى بعض الخبراء أن التخلي عن محركات الاحتراق الداخلي للسيارات، التي بقيت تستخدم على نطاق واسع لأكثر من قرن كامل، أصبح أمراً حتميًا لا تراجع عنه. وأن خلية الوقود أصبحت حقيقة واقعة فرضتها ضرورات التطور ودواعي السلامة البيئية التي ينشدها الإنسان. وهي في طريقها الآن لأن تصبح ابتكاراً مميزاً لهذا العصر.



السيارة الكهربائية الثانية أصبحت حقيقة واقعة.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر

تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل اللبودي
المتوفى سنة 896هـ

«الحمد لله الآخر بلا نهاية، الأول بلا بداية... أما بعد، فإن العلماء رحمهم اللّه تعالى، قلَّ أن تركوا منهجًا ما سلكوه، أو بابًا ما دخلوه، أو فنًا لطيفًا ما ابتكروه، وأبرزوه بالتأليف ودوَّنوه، ومن جُملة مبتكراتهم اللطيفة أن وضعُوا كتبًا في معرفة الأوائل، قامت لفضل واضعها الدلائل، وكنت قصدتُ أن أتطفَّلَ عليهم، وأجمع في هذا الفنّ البديع الغريب كتابًا يجمع البعيدَ منها والقريب، فوجدت جماعة منْ أبناء العصر وضعوا في ذلك كتبًا عديدةَ، كاملة مفيدة، فرجعتُ عن القصد المذكور، واستمريّتُ على ذلك عدّةَ شهور، إلى أن حاكَ في صدري أن أضاددَهم، وأبتكرَ كتابًا في معرفة الأواخر ذا فوائد كالجواهر، فاستخرتُ اللّه، وجمعتُ منَ المهيَع «الطريق البيِّن» المشار إليه ما تيسَّر لي الاطلاع عليه، وضمّنتُه فوائد غريبة، وفوائد عجيبة، مع أني لا أعلم أحدًا سبقني إلى جمع ذلك، ولا سلك هذه المسالك، فهاكَ كتابًا ما نُسجَ على منواله، ولا سمحت قريحةُ أحدٍ بمثاله».

بهذه المقدمة افتتح المؤلف كتابه الذي جعله في أربعة عشر بابًا:

الأول: في آخر الأنبياء والرسل محمد صلى اللّه عليه وسلم، وأهم ما أثر من شمائله وسيرته، وأواخر أفعاله وعبادته ووصاياه، وآخر ما تكلّم به، وآخر من تزوجها من النساء، وآخر زوجاته، وأبنائه، وبناته موتًا.

الثاني: أواخر ما أُثر عن الصحابة، فذكر آخر العشرة المبشرين بالجنة موتًا، وآخر الصحابة موتًا على الإطلاق، وآخرهم موتًا بمكة، والمدينة، والشام، وبيت المقدس، ومصر، والكوفة، وأصبهان، وخراسان، وغيرها من المدن والبلدان، كما ذكر آخرهم موتًا من المهاجرين والبدريين.

الثالث: آخر القُرّاء موتًا وهو أبو الحسن الكسائي، وآخر من يموت من هذه الأمة.

الرابع: أواخر ما أُثر عن القرآن والكتب السماوية، حيث ذكر عدد سور القرآن الكريم وآياته، وكلماته، وحروفه، وعدد النقط التي على الحروف، وآخر ما نزل بمكة والمدينة، وآخر سورة نُزِّلت، وكذلك آخر آية نزلت. كما ذكر آخر ما نزل من الإنجيل، وهو «الملك للّه الحق المبين»، وآخر ما نزل من التوراة «إن لم تستحْيِ فاصنع ما شئت»، وآخر ما نزل من الزبور «من يزرع خيرًا يحصد زرعه غبطة».

الخامس: في آخر الشرائع وآخر الأمم.

السادس: أواخر الخلفاء والملوك: فآخر خلفاء بني أمية: مروان بن محمد، ومن العبيديين: العاضد، وآخر ملوك الأيوبيين في مصر: الملك المعظم توران شاه، وفي دمشق: الملك الناصر يوسف، وآخر ملوك بني إسرائيل: صدقيا، وآخر ملوك الفرس: يزدجرد بن شهريار، وآخر ملوك الغساسنة: جَبَلة بن الأيهم، وذكر قصة ارتداده عن الإسلام.

السابع: آخر ما تكلم به الخلفاء، مع ذكر شيء من تراجمهم، فمما ذكره في هذا الباب: آخر ما تكلم به أبو بكر رضي اللّه عنه: توفَّني مسلمًا وألحقني بالصالحين، وآخر ما قاله عمر: ويلي وويل أمي إن لم يغفر اللّه لي، وآخر ما قاله مروان بن محمد: وجبت الجنة لمن خاف النار، وآخر ما تكلم به أبو جعفر المنصور: اللهم بارك لي في لقائك، وآخر ما تكلم به هارون الرشيد: اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة.

الثامن: آخر ما تكلم به العلماء والزهاد: فذكر عن المحدِّث أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السِّجْزي أن آخر ما تكلم به قول اللّه عز وجلّ: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس:25-26.

التاسع: آخر ما نظمه الشعراء: فيذكر من ذلك: أن آخر ما قاله أبو دُلف العجْلي:

ولو أنَّا إذا متْنا تُركْنَا
لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيٍّ
ولكنَّا إذا متْنا بُعثْنا
ونُسْألُ بعد ذا عَنْ كلِّ شَيِّ

وآخر ما نظمه علي بن الجهم:

وارحمتا للغريب في البلد النـْ
نَازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده وما انتفعا

العاشر: آخر خُطب الخلفاء، وذكر من ذلك خطبًا لأبي بكر الصديق، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن عبدالعزيز رضي اللّه عنهم.

الحادي عشر: آخر ما حدَّث به المحدِّثون من الكتب، والأجزاء، والأسانيد، فمن ذلك أن آخر ما حدَّث به أبو زُرعة الرازي حديث عن النبي صلى اللّه عليه وسلم: «مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلاَّ اللّه دخل الجنّة».

الثاني عشر: ذكر في هذا الباب أواخر متفرقات، فمن ذلك: آخر مَنْ نَسَأَ الشهور جُنادة ابن عوف، وآخر ما يُوجر عليه الإنسان الموت، وآخر الصُّحبة الفراق، وآخر ما يخرج من قلوب الصدِّيقين حبُّ الرئاسة، وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة الحمد للّه ربِّ العالمين.

الثالث عشر: آخر ما رواه فلان عن فلان من أحاديث النبي صلى اللّه عليه وسلم.

والرابع عشر: آخر ما رواه فلان عن فلان من اللطائف، والحكايات، والأناشيد، وذكر في هذين البابين شيئًا من الأحاديث، والقصص، والحكايات.

والمؤلف يضمِّن كتابه هذا كثيرًا من الفوائد، والتنبيهات، والنكات المفيدة اللطيفة، التي لا نجدها مجتمعة في كتاب.

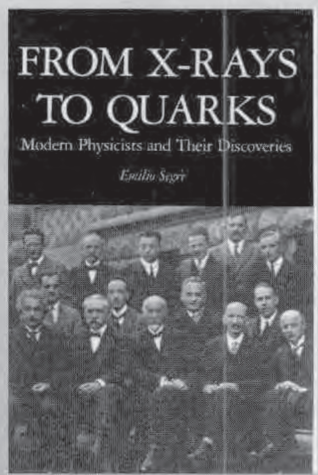
وقد نشر الكتاب مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1415هـ بتحقيق مأمون الصاغرجي، ومحمد أديب الجادر معتمدَيْن على نسختين خطيتين بخط المؤلف أولاهما مسوَّدته للكتاب، والأخرى المبيضة، وقد بذلا جهدًا طيبًا في تحقيقه وإخراجه.

نافذة على ثقافة العلم

من الأشعة السينية إلى الكواركات

الفيزيائيون الحديثون واكتشافاتهم

2



تأليف:
إميليو سيجر
عرض وتقديم:
عدنان عضيمة

هذا الكتاب الذي ألفه الفيزيائي الأمريكي ذو الأصل الإيطالي إميليو سيجر EMILIO SEGRE مجموعة من المعلومات والحقائق التاريخية عن العلماء الذين شاركوا في وضع أسس العلم الحديث في القرن العشرين، ولا سيما في مجال الفيزياء، وفي الحلقة الأولى من هذا العرض تناول الكتاب عالم الفيزيائيين في أواخر القرن التاسع عشر موضحًا الحالة العلمية وأهم العلماء، وهنا تكملة لذلك.

وكانت الشخصيات العلمية الرائدة في تلك الفترة سهلة التحديد بلدًا إثر بلد. ففي المملكة المتحدة يمكن أن تتضمن القائمة اللورد كلفن (وليام تومسون: 1824-1907م)، الذي بلغ عامه الواحد والسبعين في عام 1895م، وكان يعد الفيزيائي الرائد لعصره وزمانه من حيث تأثيره الكبير في أجيال الطلاب الذين أشرف على تدريسهم إما بشكل مباشر أو عبر مؤلفاته. وكان معاصروه جيمس كلارك ماكسويل (1931-1879م) يعد أعظم منه بالرغم من وفاته المبكرة. ولم تقدر الأوساط العلمية عبر العالم أنه كان أعظم الفيزيائيين الذين عرفتهم الأرض على الإطلاق إلا بعد وفاته بوقت طويل (في عام 1988م قام العالم الباكستاني الدكتور محمد عبدالسلام - الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1979م - بجولة عبر بعض المراكز العلمية والجامعات العالمية ألقى فيها محاضرات عديدة تمحورت حول إثبات حقيقة تاريخية علمية مفادها أن جيمس ماكسويل هو أبو الفيزياء الحديثة وليس ألبرت أينشتاين. ولقد حضر كاتب هذا العرض إحدى هذه المحاضرات التي ألقاها عبدالسلام في جامعة البليدة التي تبعد 1,5 كيلومتر جنوبي غرب العاصمة الجزائرية). ومن الشخصيات العلمية البارزة في ذلك العصر الكيميائي السير وليام كروكس (1832-1919م) والسير وليام رامسي (1852- 1916م). وفي عام 1884م نجح جوزيف جون تومسون (1856- 1940م) في استخلاف اللورد ريليغ كمدير لجامعة كامبريدج بعد أن احتل هذا المنصب العلمي الحسّاس لمدة 35 عامًا متواصلة.

وكان لويس باستور (1822- 1895م) قد استأثر بموقع الريادة على الساحة العلمية في فرنسا من حيث كونه أحيائيًا (بيولوجيًا) وكيميائيًا وفيزيائيًا. ولم يكن هناك فيزيائي فرنسي على شاكلته على الإطلاق بمن فيهم أمبير (1775- 1836م) وفرينل Fresnel (1788-1827م)، وكارنو Carnot (1796-1832م) الذين كانوا من مشاهير عصرهم ورواده. وكان باستور يعد ممثلاً علميًا لفرنسا، وعالمًا ذائع الصيت ينسب إليه الفضل الكبير على الإنسانية. وكان يجمع إلى كل ذلك شخصيته الآسرة عندما يرى عن بعد بشكل خاص. ومن مميزاته الشخصية الأخرى تفاؤله الذي كان لا يخفيه من أن العلم سوف يحل مشكلات البشرية، وبأن العلماء والمفكرين سوف يُغْنون الأرض كلها بالأفكار المثالية والعدالة المطلقة. وتوفي باستور قبل أن يشهد الحدث



المشاركون في مجلس سولفي SOLVAY COUNCIL الذي عقد عام 1927م للبحث في ما استجد من اكتشافات في حقل ميكانيكا الكم. شهد المجلس مناقشات حامية بين آينشتاين وبور. ويبدو في الصف الأول من اليسار إلى اليمين: لانغمير، بلانك، ماري كوري، لورنتس، آينتشاين، لانغيفين، غاي، ويلسون، ريتشاردسون. وفي الصف الثاني من اليسار إلى اليمين: ديباي، كنودسن، براغ، كرامز، ديراك، كومبتون، بروغلي، بورن، بور. ووقوفًا من اليسار إلى اليمين: بيكارد، هنريوت، إهرينفست، هيرتسن، دودوندير، شرودينجر، فيرشافلت، باولي، هايزنبرغ، فولر، بريلوين

الجلل الذي أصاب العالم وقوّض أركان فلسفته والمتمثل بالحرب العالمية الأولى. ولقد ذهب باستور إلى حد الغلوّ في تقدير دور العلم عندما قال عبارته الشهيرة: إن المختبرات هي معابد البشرية.

وفي ألمانيا كان هيرمان فون هولمهولتز (1812- 1894م) يعد الشخص الأكثر ألمعية في ميدان العلم لما تمتع فيه من مواقع متفردة وكبيرة التأثير في ألمانيا. وكان دوره يشبه دور زميله اللورد كلفن في إنجلترا. وكان منافسًا لجيمس ماكسويل، وأدى اختلاف موقفه من نظرية الديناميكية الكهربائية عن موقف ماكسويل إلى انقسام العلماء لسنين عديدة فيما بينهم حتى جاء الألماني هاينريش هرتز (1857- 1894م) وحسم الخلاف بينهما لصالح ماكسويل في عام 1887م. ويعود لهرتز فضل اكتشاف خصائص الموجات الكهرومغناطسية عقب التجارب الشهيرة التي أجرها وأثبت من خلالها دقة الاكتشافات التي توصل إليها ماكسويل وفتح باب الاتصالات الراديوية على مصراعيه.

ويقدر المؤلف عدد علماء الفيزياء في عام 1895م بألف موازنة بستين ألفًا يوجدون اليوم (يشير المؤلف إلى أن ألبرت آينشتاين لم يكن من بينهم، لأنه كان في ذلك العام تلميذًا بليدًا لم يتجاوز عامه السادس عشر). ويرى أن مما يجانب الصواب ما يشاع من أن العلم لم يحظ بالاهتمام إلا في الوقت الراهن. فعلى سبيل المثال، كان العالم الألماني هولمهولتز يتردد على القيصر متى شاء. وكانت للقيصر دارة خاصة يلتقي فيها العلماء، وقد نصب فيها تماثيل لمشاهير العلماء الألمان مثل غوس Gauss (أمير الرياضيات) ورونتجن وهولمهولتز بالإضافة للمخترع الكهربائي سمنسنSiemens. ولقد أصاب هذه التماثيل الدمار خلال القصف الجوي الذي قام به الحلفاء على ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية.

وعلى أن هذه القفزة العلمية الشاملة التي شهدتها أوربا أواخر القرن التاسع عشر، كانت تصاحبها ثورة اجتماعية وأدبية نبعت من النزعة المفاجئة التي استأثرت بالعقول لتحرير الفكر والنزوع إلى الابتكار والإبداع بجرأة وثبات. ففي هذا العصر ظهرت مدارس جديدة في الفن التشكيلي في فرنسا، كما أنه العصر المتميز بظهور الروائي إميل زولا. وفي إنجلترا ظهرت الروايات الدرامية لأوسكار وايلد. وفي ألمانيا برزت فلسفة نيتشه من خلال كتابه «هكذا تكلم زرادشت»، كما برزت في مؤلفاته فلسفة القوة التي أثارت فيما بعد الرجلين اللذين كانا سببًا في اندلاع الحرب العالمية الثانية: هتلر وموسوليني.

يعود الكاتب للحديث عن الأعمال التي أدت إلى تفهم تركيب الذرة فيذكر أن عام 1895م كان عامًا متميزًا بسبب أربعة اكتشافات: الأشعة السينية، والإلكترون، وخطوط زيمان الطيفية، والنشاط الإشعاعي. وبالرغم من أن اكتشاف الإلكترون، جاء زمنيًا في آخر هذه الاكتشافات، حيث لم يكتشف إلا في عام 1897م كنتيجة لقياس النسبة بين شحنته وكتلته، إلا أنه كان من أهم الاكتشافات المميزة لأواخر القرن التاسع عشر. ولم يأت اكتشافه مصادفة، بل نتيجة لاكتشاف الأشعة المهبطية ودراسة خصائصها، حيث تبيّن أنها ليست في الواقع إلا حزمة من الإلكترونات تنطلق من المهبط (القطب الكهربائي الموجب) لتصب في المصعد (القطب السالب) عند وجود فرق كمون مناسب بينهما. وكان أول من أطلق اسم «إلكترون» على هذه الدقائق هو ج. جونستون ستوني عام 1894م.

ولاشك أن اكتشاف الإلكترون كان فاتحة لدخول العالم عصر الكهرباء. وأخذ علم الكهرباء بعد ذلك يتطور على نحو متسارع حتى أدى إلى ابتكار الآلاف من الأجهزة الكهربائية وأدوات القياس التي عززت من قدرة العلماء على المضي قدمًا في مجال الابتكار والإبداع. ومنذ تلك الفترة أصبحت القدرة على الابتكار تتنامى وفق سلسلة هندسية.

ونتوقف في عرضنا عند سيرتي اثنين من العلماء البارزين الذين حظيا باهتمام خاص من المؤلف.

جوزيف جون تومسون

كان جوزيف تومسون، في الوقت الذي اكتشف فيه الإلكترون، أستاذًا في جامعة كمبريدج. ولقد ولد عام 1856م قرب مانشستر (إنجلترا) من أسرة من رجال الأعمال، إلا أنه آثر الانتحاء في توجهاته نحو البحث العلمي. وسرعان ما لمع اسمه في الأوساط العلمية حين عمد إلى ابتكار أساليب حديثة لتطوير المختبرات واستنباط منهجية علمية جديدة اعتمدها أساسًا لإنشاء مدرسة رائدة للبحث



تجمع هذه الصورة التي التقطت عام 1948م من اليسار إلى اليمين: فيرمي، ومؤلف الكتاب إميليو سيجر، والفيزيائي الياباني يوكاوا، والفيزيائي فيك.

العلمي، كتب لها أن تحقق نجاحًا باهرًا. وتوالت أخبار الكشوف التي حققها في مختبر كافنديش ومنها: الإلكترون، وغرفة السحابة gas chamber والإرهاصات الأولى لاكتشاف النشاط الإشعاعي والنظائر العنصرية. وكان من تلامذته الذين اكتسبوا شهرة واسعة فيما بعد: رذرفورد وويلسون وستروت (ابن اللورد ريليغ) وتاونسن وباركلا وريتشارد وآستون وتايلور.

ومع إغراق تومسون في عمله وجد نفسه أمام معضلة تعرّف الإلكترونات الحرة ودراستها. وفي عام 1897م تمكن من تحديد الطبيعة الدقائقية للأشعة المهبطية، فعرف أنها حزمة مندفعة من الإلكترونات، وتوصّل إلى قياس سرعة هذه الدقائق والنسبة بين شحنتها وكتلتها.

وجاء اكتشاف الأشعة السينية عام 1895م من قبل ولهلم كونراد رونتجن (1854-1923م) ليغطي على الأخبار المتعلقة باكتشاف الإلكترون.

ولهلم كونراد رونتجن

ولد رونتجن في مدينة لينيب Lennep من أعمال وادي نهر الراين في ألمانيا. وبعد أن أكمل دراسته الثانوية في هولندا سافر إلى سويسرا عام 1865م، حيث درس في قسم هندسة الميكانيك التابع لجامعة زيوريخ. وكان من زملائه في الدراسة: رودولف كلاوزيوس عالم الديناميكا الحرارية الشهير، وأوغست كوندت August Kundt الذي قدم مساهمات جليلة في سبيل تحديد عدد أفوجادرو.

وفي عام 1869م حصل على درجة الدكتوراه من جامعة زيوريخ بعد عام من تخرجه في كلية الهندسة. وفي عام 1875م أصبح أستاذًا للفيزياء في جامعة ألمانية صغيرة. وفي عام 1888م توصل لبعض الاكتشافات الصغيرة من أهمها القياسات المتعلقة بالحرارات النوعية لبعض المواد. وحتى شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام 1895م كان قد نشر 48 تقريرًا علميًا منسيًا في وقتنا الراهن إلا أنه جنى من تقريره رقم 49 الذهب. وهو التقرير الذي فاجأ فيه الأوساط العلمية العالمية باكتشاف أشعة جديدة لها الكثير من الخصائص الغريبة والمبهمة أطلق عليها اسم «الأشعة السينية».

وكان رونتجن يعمل بسرية وصمت. وما إن وقع على اكتشافه الجديد حتى بدا مرتبكًا كثير الحركة مما أثار ريبة زوجته التي أخرجها من حيرتها بقوله إنه ينجز عملاً مهمًا. ولم يهنأ له بال حتى تأكد من اكتشافه للأشعة الجديدة بعد أن تمكن من تثبيت آثارها على اللوحات الفوتوغرافية الحساسة. وبعد ستة أسابيع من العمل الدؤوب الذي أحاطه بالسرية التامة عمد إلى توجيه رسائل علمية مقرونة بالصور الفوتوغرافية إلى مجموعة مختارة من العلماء والمشاهير كبولتزمان، ووربورغ، كولروش، لورد كلفن، ستروكس، بوانكاريه إضافة لصديقه الحميم العالم لودفيغ زيندير. وبعد انتشار هذه التقارير نجح العديد من العلماء في توليد الأشعة السينية بالوسائل التي وصفها رونتجن. ولقد بلغ هذا الاكتشاف الجديد من الشهرة الحد الذي جعل ملكة إيطاليا تطلب من القيّم على معهد الفيزياء في جامعة روما الذي يدعى أوغوستو زانشي أن يتولى تحقيق تجربة رونتجن أمامها، لأن فضولها دفعها لرؤية هذه الأشعة المجهولة. وراح هذا يحضر الأدوات اللازمة حتى نجح في توليد الأشعة محققًا للملكة مبتغاها.

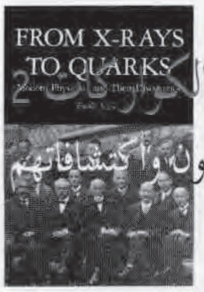
وسرعان ما عرفت بعد ذلك التطبيقات الطبية لهذه الأشعة ليفتتح رونتجن باكتشافها عهدًا جديدًا من عهود التطور في ميدان التشخيص والعلاج الطبي لم تزل مآثره ماثلة حتى الآن. ومنذ ذلك الوقت وحتى أيامنا هذه لم يتم اكتشاف طريقة بديلة لها لتصوير العظام البشرية.

المسرعات والكواركات وإرهاصات الثورة الثالثة

بعد أن بلغت الاكتشافات العلمية ذروتها عقب عام 1932م، ما لبثت الحرب العالمية الثانية أن وضعت أوزارها ببلائها ووبالها على العالم دون أن يعني ذلك أنها كانت سببًا في توقف البحث العلمي، بل إنها غيّرت من مناحيه واتجاهاته. فالحرب، ككل شيء آخر، لا تنطوي على المساوئ وحدها، بل لها أيضًا إيجابياتها، حتى لقد قيل إن الحضارات بنات الحروب. ونظرًا لأن العلم هو ابن الحاجة، فقد عكف جل العلماء أثناء الحرب على تسخير بحوثهم لخدمتها وانصرفوا إلى ابتكار الأسلحة الفتّاكة وتطويرها لضمان النصر المؤزّر بأسرع وقت ممكن. ولقد تمخضت هذه البحوث عن الكثير من الاختراعات التي كان لها دورها الكبير في إحداث نقلة نوعية في حقول التطور العلمي. فلقد وجد العلماء عقب نهاية الحرب أنفسهم أمام كمّ جديد وهائل من المعطيات والاكتشافات العلمية الجديدة، كان من أهمها ما طرأ من تطور في علم الكيمياء العضوية على أيدي العلماء الألمان، خصوصًا الذين انصرفوا بأمر من هتلر إلى تطوير البحوث المتعلقة بتحضير السموم والغازات القاتلة والمطاط والأغذية والمحروقات الصناعية. وكان

من الأشعة السينية إلى الكواركات

الفيزيائيون الحديثون واكتشافاتهم





ثمانية من علماء الفيزياء الحاصلين على جائزة نوبل أثناء فترة راحة من مداولات «اجتماع روشيستر» في نيويورك عام 1960م وهم من اليسار إلى اليمين: مؤلف الكتاب إميليو سيجر، يانغ، شامبرلين، لي، مكميلان، أندرسون، رابي، هايزنبرغ.

التطور الأكبر الذي سجل في هذه الفترة هو ذلك الذي ارتبط بتطوير الرادارات والقنابل الذرية وما رافق ذلك من إغناء لمعلومات الإنسان حول الموجات الإشعاعية وتقنيات توليد الطاقة النووية وأسرار النواة الذرية.

ولعل الدرس الأكبر الذي استقاه العالم من هذه الحرب الضروس هو أن على الأمم التي تريد أن تكفل أمنها الوطني وتحقق حصانتها الفعّالة من أخطار الحروب أن تسلح نفسها بالعلم. ووفقًا لهذه الاعتبارات سارعت الدول العظمى إلى وضع خطط (استراتيجيات) جديدة للبحث العلمي رصدت لها مبالغ طائلة من ميزانياتها.

وبالرغم من اتجاه العالم بعد ذلك نحو التركيز على تطوير البحوث المتعلقة بالصناعات التجارية، فإن هذا الاتجاه لم يكن ليقلل من الاهتمام بتطوير العلوم التجريبية. ففي الولايات المتحدة وأوربا رصدت ميزانيات طائلة لدعم البحوث النووية من طريق إنشاء مسرّعات الدقائق الذريّة الضخمة التي سرعان ما تمخضت عن سيل من المعلومات والحقائق الجديدة حول تركيب المادة أدرجت ضمن علم جديد عرف باسم «علم الدقائق الأولية» Elementary Particles. وكان اكتشاف الكواركات quarks خلال عقد الستينيات من هذا القرن يمثل نقطة انعطاف كبيرة في انطلاقة هذا العلم الجديد. حيث تبيّن العلماء من أن الجسيمين النووين المؤلفين للنواة الذرية يتركبان من نوعين مختلفين من الكواركات: فوقي وتحتي، وأن الكوارك الفوقي Up quark يحمل شحنة كهربائية موجبة تساوي ثلثي الشحنة العنصرية والكوارك التحتي Down quark يحمل شحنة كهربائية سالبة تعادل ثلث الشحنة العنصرية. وعرفوا أيضًا بأن السبب الذي يجعل البروتون مشحونًا بشحنة عنصرية موجبة كاملة يعود لكونه مؤلفًا من كواركين فوقيين وكوارك تحتي، وأن سبب التعادل الكهربائي للنيوترون يعود لكونه مؤلفًا من كواركين تحتيين وكوارك فوقي. ولم يقتصر أمر الكشوف الحديثة لمؤلفات المادة الأساسية عند الكواركات، بل اكتشفت طائفة كبيرة من الدقائق الجديدة كالنيوترينات والميزونات والميونات التي أدرجت جميعًا تحت اسم «الدقائق دون الذرية» subatomic particles. ومع تسارع الاكتشافات المتعلقة بتركيب الدقائق النووية كان لابد من بروز أفواج جديدة من العلماء من أشهرهم: موراي جيل مان وستيفن فاينبرغ وكارل أندرسون ومحمد عبدالسلام وشيلدون غلاشو وساموئيل تينغ. ونتوقف عند سيرة أحد أبرز هؤلاء العلماء الذي لم يحظ بما يستحق من اهتمام لدى الكاتب لأسباب قد لا تخفى على القارئ الفطين وهو العالم الباكستاني المعاصر الدكتور محمد عبدالسلام الذي لم يتطرق له سيجر إلا لمامًا.

محمد عبدالسلام واكتشاف خصائص القوى الأصلية

ولد محمد عبدالسلام عام 1926م (دأبت المصادر العلمية الأجنبية على كتابة اسمه هكذا: Abdus Salam) في أحد أحياء باكستان الفقيرة (لا يذكر المؤلف اسم المدينة التي ولد فيها). وكان أبوه موظفًا ساميًا في مديرية التعليم، وسرعان ما اكتشف أقرانه من تلاميذ المدرسة التي كان يزاول تعليمه فيها حدّة ذكائه وميله إلى إدراك المعارف العلمية العميقة والمعقدة. وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بجامعة كامبريدج وتدرّج فيها حتى حصل منها على درجة دكتوراه الفلسفة في الفيزياء ليعمل بعد ذلك أستاذًا في الباكستان، ثم في إنجلترا. وهو - كما يذكر المؤلف حرفيًا - مسلم ورع، وبطل وطني في بلاده. وله اهتمامات خاصة بالبلدان النامية جعلته يؤسس ويدير مركزًا لتدريس الفيزياء النظرية في مدينة تريست الإيطالية يتردد عليه فيزيائيو الدول النامية لعرض مشكلاتهم العلمية والاطلاع على مستجدات علم الفيزياء، ونقل هذه المعارف إلى بلدانهم.

ومن خلال عمله البحثي المتميز والدؤوب في «المركز الأوربي للبحوث النووية» CERN الذي يوجد مقره قرب مدينة جنيف، تمكن من تعرّف خصائص القوى الأصلية الأربع في الطبيعة (الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية والتجاذبية)، فنال عن اكتشافه هذا جائزة نوبل في الفيزياء عام 1979م مناصفة مع الفيزيائي ستيفن فاينبرغ. وقد توفي منذ نحو ثلاثة أشهر.

وبعد...

فلعلنا هنا، مرة أخرى، بصدد كتاب جدير بأن يترجم كاملاً إلى العربية لما فيه من مادة علمية وتاريخية موثقة تنطوي على الكثير من الفوائد لطلاب العلم. وقد لا يختلف قارئان على أن من شأن نسخته العربية أن تغني مكتبتنا العربية أيما إغناء.



العائلة والمرأة في اليابان

د. نعمان عبدالرزاق السامرائي

الباحث في نظرة الياباني تجاه العائلة والمرأة يجدها تقترب جدًا من نظرة المسلم إليها.

وقد جرى استطلاع للرأي العام في اليابان عام 1986م حول الأسرة والمنزل والأطفال، فتبين أن أكثر من 90٪ من اليابانيين المشاركين في الاستفتاء يرون أن تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال هما المجال الأول للمرأة، والوظيفة الأهم، حتى وإن كانت تعمل. وبعد عام قام مكتب رئيس الوزراء الياباني باستطلاع مشابه ومماثل، فأجاب 90٪ من المشاركين بأن الرجال لديهم فرص أكثر من النساء، لاستخدام قدراتهم ومهاراتهم(1).

ومن المعروف أن المرأة اليابانية تعمل في الصناعة وخارجها قبل الزواج، فإذا تزوجت تركت الوظيفة وتفرغت للبيت، وهي تَعُدُّ عملها في البيت نوعًا من العبادة، فإذا لم تترك العمل بسبب من الأسباب، فإنها تتركه حتمًا مع وصول المولود الأول، ثم تبقى في البيت حتى يكبر الأولاد، وقد تعود للعمل ثانية أو لا تعود.

ومن المأثورات الكونفوشيوسية المحفوظة أن على المرأة أن تطيع أباها في صباها، ومتى تزوجت فعليها أن تطيع زوجها، وفي كبرها وشيخوختها عليها أن تطيع ابنها. فهي في طاعة من «المهد إلى اللحد».

ومعروف عن المرأة اليابانية أنها وديعة مسالمة، فإذا تزوجت وانتقلت إلى بيت أهل الزوج، فعليها واجبات كثيرة، فهي آخر من ينام، وأول من يصحو، وآخر من يستحم وهكذا.

العناية بشجرة النسب

من المعروف أن العربيّ يحفظ نسبه، وكان في اليمن إلى عهد قريب، يتوجب على الإنسان أن يحفظ نسبه، فإذا طلب إليه أن ينتسب ذكر ذلك، وأذكر ونحن صبيان كنا نحفظ النسب ونتبارى في ذلك، فأقف أمام الأهل وأقول أنا فلان ابن فلان حتى أنتهي بالإمام علي رضي الله عنه، فإذا أخطأت أعدت النسب من أوله.

والياباني يحفظ نسبه هو الآخر ويسطره، فشجرة النسب تكتب وتوضح في البيت، وتسلّم عادة للولد البكر، أما السر وراء ذلك كما يراه السفير الأمريكي «أدوين»(2) فهو لضمان عدم زواج أبنائهم من البوركومي.

والبوركوميون هم من بقايا الإقطاع، ومن قرى ذات طبيعة خاصة، ويشكلون 2٪ من سكان

اليابان، وربما كانوا من بقايا الحروب، كما كانوا يمارسون صناعات غير محترمة - في نظرهم - مثل الجزارة والصناعات الجلدية، والديانة البوذية تحرم ذبح الحيوان، فالجزار يصير منبوذاً بسبب مهنته.

وقد حصل هؤلاء «المنبوذون» على المساواة القانونية، منذ أكثر من قرن، لكن التعصب ضدهم مازال، والياباني لا يريد ولا يرضى لولده أن يتزوج امرأة من هؤلاء أبداً، والمحافظة على النسب من بين أهدافها منع مثل هذا الزواج.

السفير «أدوين» يوضح القضية فيقول(3): «يحتفظ اليابانيون بلوحات معدنية أو خشبية، مدون عليها أسماء أقرب الأجداد، يحفظونها في المعابد البوذية، حتى يستلمها أحد أبناء الأسرة، وهو الأب الأكبر، والذي يرمز إلى استمرارية الأسرة، وأحياناً يستمر الآباء الذين تقاعدوا، في الإقامة مع الابن الأكبر وأسرته، بعد تسلمه لوحة الأجداد».

وفي بعض الحالات يكون للأسرة القادرة مادياً منزل آخر، متاخم لمنزل الأسرة، أو جناحٌ عائلي منفصلٌ يقيم فيه أولئك الآباء المتقاعدون، ومازال ثلاثة أرباع عدد الآباء الذين تقاعدوا يعيشون مع أبنائهم». فالاحتفاظ بشجرة النسب، وسكنى الأب مع ولده، تقليد شرقي، يشارك فيه العرب واليابانيون، وربما لا يشاركهم في ذلك أحد هذه الأيام.

التماسك العائلي

الناظر إلى المجتمع العالمي، سيفزعه التصدع الكبير في بناء العائلة الاجتماعي، فالبيوت في أوربا وأمريكا تتهدم بسرعة مخيفة، فكل إنسان يبلغ تفقد عائلته السيطرة عليه، وقد يترك العائلة ويعيش بعيداً.

والسفير الأمريكي «أدوين»(4) يوازن بين العائلة الأمريكية واليابانية، فالأولى متفككة بينما الثانية متماسكة، والسلطة الأبوية في اليابان قوية بخلاف أمريكا.

ومن منطلق «سلطة الأب» يلاحظ السفير، وهو من مواليد اليابان، أن الحاكم يطلق عليه اسم «أب»، أمّا رئيس العمل في اليابان فيطلق عليه «أويابوم» ومعناه «في مقام الأب أو الوالد».

أما الرئيس فيطلق على من تحت إمرته «كوبوم» أي في مقام الأولاد.

ويطلق على بيت الأسرة «أوشي» وتعني بيت الأسرة، أو «الشركة» التي يعمل بها الإنسان.

من هنا يلاحظ أن الياباني يرى «الشركة عائلة ثانية له، عليه أن يحفظ أسرارها، وعيب عليه أن يتركها ويعمل بشركة أخرى، ولو حاول فلن يقبله أحد، لأنه لا ولاء له ولا انتماء . فالأسرة شركة صغيرة، والشركة عائلة كبيرة، وللاثنتين أسرارهما الواجبة الحفظ والصون.

كذلك يلاحظ السفير أن المجموعات القروية الأصلية، ما تزال قائمة على أساس «الأسر الريفية»، وما زالت العلاقات والأواصر قوية، مع كونها أصغر الوحدات الاجتماعية اليابانية»(5)، وهذا الأمر نجده في أكثر المناطق الريفية العربية.

الياباني والهوية

يَعُد الياباني كما تقدم «الشركة» عائلته الكبرى، لذا فعمله في شركة لا يعني مجرد كسب رزق، يتركها متى وجد رزقاً أفضل. بل هو يرى عمله في الشركة «هوية»(6) داخل كيان اجتماعي ينتسب إليه، ويفخر ويعتزُّ به عن رضا وقناعة.

وحين نجد هذا الموظف قد تقاعد، تأخذ الشركة ولده، وقد تفتح له محلاً ليقوم ببيع بضاعة الشركة، من هنا يشعر الياباني بأن الشركة ليست مصدراً للراتب والدخل، بل «هوية» فكما أنه لا يترك الشركة ليعمل في غيرها، فهي لا تنساه ولا تتخلى عنه في كبره.

فالياباني يشعر بالفخر والأمان، ومن هنا فهو يمنح شركته، أو الشركة الكبيرة صادق حبه وعظيم ولائه، ولا أحسب أن نجد مثل ذلك في شركة خارج اليابان.

السفير «أدوين» دائم الموازنة بين ما رآه في اليابان، وما يراه ويعرفه عن بلده، «أمريكا»، لذلك لا يكف ولا يمل من عمل الموازنات بين البلدين، ويشعر من يقرأ له بأنه يتحسر ويتألم لما يجري في بلده. يقول «أدوين»(7): «من النادرحقّا أن يشعر الفرد الياباني بذلك الشعور السائد في الغرب، بأنه إنسان غير مهم في مجتمعه، وكأنه مجرد «ترس» من تروس آلة كبيرة، وإذا كان الأمريكي يحب أن يرى نفسه فرداً مستقلاً، يتمتع بمهارة خاصة، كبائع أو محاسب، وهو على استعداد دائم لبيع مهارته لكل من يدفع أجراً أكبر، إذا كان هذا ما يحبه الأمريكي، فالياباني، على عكس ذلك، يحب أن يرى نفسه عضواً دائماً، داخل شركة

تجربة التطور في اليابان تقوم على أساس الجمع بين التقنية الحديثة والاستفادة من القيم والتقاليد، ومحاولة جعل الشركة - على كبر حجمها - عائلة واحدة

أعمال مثل مؤسسة «ميتو» للتجارة، و«ميتسوبيشي» للصناعة الثقيلة، أيًا كانت الوظيفة التي يشغلها، وهذه الروح تنطبق على مجموعات العمل الأخرى».

وفي كتاب «اليابان تجربة التطور»(8) نجد هذه المعاني، كما نجد دعوة حارة للاستفادة من هذه التجربة اليابانية، وذلك بالجمع بين التقنية الحديثة مع الاستفادة من القيم والتقاليد، ومحاولة جعل الشركة - على كبر حجمها - عائلة واحدة، والهدف توفير الألفة والمحبة والتضامن بين العاملين جميعاً.

الشركة والأسرة

الشركة اليابانية بمنزلة عائلة كبيرة، ذات خلفية اجتماعية واقتصادية، وهي مرتبطة بالتراث والتاريخ الياباني، والتراث الياباني - كما هو معروف - يشدد على التمسك بالقيم الجماعية، والتكافل بين الأعضاء، وهذا دستور الشركات(9).

وفي الشركات لا نرى أن المصلحة الفردية للمدير أو العامل هي الأساس، بل مصلحة المجموع هي المرعية والمعتبرة، ويلاحظ أن الشركات - بشكل عام - لا تفرط بعمالها، ولا تفصلهم جملة، وقد تعمد لتغيير خط سيرها، من أجل أن تحافظ على عمالها، وهي في العادة لا تلجأ إلى الطرد، إلا في أضيق نطاق، وفي مقابل ذلك لا يطالب العمال بزيادات كبيرة في الأجور، أو في أوقات الشدة

العائلة والمرأة في اليابان

والكساد، كما لا يتحولون إلى شركات أخرى، ولو تحولوا فلن يقبلهم أحد، وشعارهم في ذلك: كما للعائلات أسرارها، فللشركات كذلك.

ومن الأمثلة الجيدة أن شركة «توراي» كانت تملك أكبر مصنع ياباني للنسيج، من صنع الإنسان، وكان هذا إنتاجها الوحيد حتى منتصف الخمسينيات، ولما قررت التحول إلى النسيج الآلي، أغلقت مصانعها، لكنها احتفظت بعمالها وموظفيها(10). وبالطبع فلن ينسى هؤلاء لشركتهم ما صنعت، ولن يبيعوها بثمن بخس، بل ثبت أن الياباني العامل في شركة يراها شركته وشركة عائلته، لذا فهو لا يبخل عليها بشيء من جهد أو وقت، حتى وجدنا متوسط عمل العامل الياباني السنوي يصل إلى (2000) ساعة، بينما مثيله البريطاني أو السويدي لا يصل إلى (1500) ساعة.

علاقة المرأة بالرجل

ينظر المسلمون للزنى على أنه كبيرة من الكبائر، ووقوعه من متزوج أقبح وأشنع، وكذلك العقوبة. وهكذا تنظر العائلة اليابانية للزنى. يقول السفير «أدوين»(11). لذلك فقد كانوا يحرصون على تنشئة البنت تنشئة ممتازة، لتكون عنصراً قيماً، لا تشوبه شائبة في سوق الزواج، والزوجة توقف حياتها بإيثار تام لرفاهية عائلة زوجها، وذلك تحت

الغرب جعل من تحرير المرأة، أو تحريضها قضية عالمية كبرى، بينما تقابل المرأة اليابانية كل هذه الصيحات والتشنجات ببرود، لأنها لا تناسب أسلوب حياتها

إشراف صارم من حماتها، وليس من حق الزوجة التمتع بأي حياة اجتماعية عائلية أخرى، حيث إن هذا الحق لا ضرورة له بالنسبة لها، ويمثل اتصال الزوجة بأي رجل من خارج العائلة أمراً خطيراً أو لا يحدث.

فالعلاقة محدودة بكل وضوح وصرامة، وفي مشابهة لما عندنا دون كبير فارق.

ويتحدث السفير «أدوين» عن الزنى من جانب المرأة والرجل فيقول(12): «ينظر إلى تحرر النساء الجنسي، أو عدم الإخلاص كسلوك فوضوي هدام، وبالتالي فهناك حرص شديد على تجنبه، أما الرجال وبحسب ما يتمتعون به من حرية أكبر، فقد كان باستطاعتهم أن يتمتعوا بحياة اجتماعية وجنسية أرحب، ما داموا لا يقصرون في واجباتهم العائلية».

فإن صح هذا فهو عَينُ ما عندنا، دون زيادة أو نقص، ومن الأشياء التي يذكرها السفير أيضاً أن الزواج الياباني يتم من قبل طرف ثالث وسيط، قد يكون مدير الشركة، الذي يلجأ إليه العامل طالباً معاونته، فيقوم بذلك، ولا ينسى أن يقدم له الهدية المناسبة(13).

العلاقات الاجتماعية للزوجة

المرأة اليابانية تعتقد أن وجودها وعملها في البيت عبادة، لذا فهي تقدمه على الوظيفة، وكل ما سواها، وفي العادة تقتصر علاقة الزوجة على الزوج والأولاد، والقليل من الأقارب، وربما بعض صديقات الدراسة، أما الزوج فله حرية أوسع، خصوصاً مع رفاقه في الشركة والوظيفة.

والرجل الياباني حذر وكذلك الزوجة، فهما لا يعبران عن عواطفهما علانية، وفي الأماكن العامة.

والزوجة لا تتوقع إطلاقاً أن يمدحها الزوج، أو يثني عليها أمام شخص غريب، وكل ذلك من التقاليد المعتبرة، ويذكر السفير «أدوين» كيف كان يرى الزوجات يسرن خلف أزواجهن، بكل احترام، يحملن الأطفال وحاجاتهم، بينما يتقدم الأزواج خطوات، دون حمل شيء(14).

وهذا عين ما عندنا، ربما باستثناء الوظيفة والعمل في البيت.

كيف تنظر اليابانية لتحرر المرأة؟

أُنهي هذا البحث بموقف المرأة اليابانية من تحرر المرأة أو تحريرها.

الغرب جعل من تحرير المرأة، أو «تحريضها» قضية عالمية كبرى، وظل وما يزال ينفخ في هذا البوق، حتى صارت النساء في الغرب «فرعوناً» يسوم الرجل سوء العذاب، فالقضاء يصدق المرأة فيما تقول، ويعتبر الرجل جانياً ومتجنياً حتى يثبت العكس.

والمرأة الغربية متى حصلت على الطلاق تستولي على نصف ثروة الرجل، وهذا ما يحمله على قبول الكثير، كي يحتفظ بنصف ثروته ولو على حساب أعصابه وكرامته.

لذا فالإنسان الغربي يستغرب موقف المرأة اليابانية من قضية التحرر أو «التحريض»، فهي تقابل كل الصيحات والتشنجات ببرود وفتور، يقول السفير «أدوين»(15): «ومن الأسباب الأخرى التي تفسر عدم استجابة المرأة اليابانية بصورة أكبر لحركة التحرير النسائية، أن هذه الحركة ببساطة لا تناسب أسلوب حياتها، ومن ثمَّ يكون الارتباط بهذه الحركة بمثابة «فخ» تقع فيه المرأة اليابانية، والتي تحظى بصفات «السيدة المحترمة» وهي لا تشعر برد الفعل الذي تشعر به المرأة الغربية».

والذي أتمناه أن تقرأ بناتنا ما كتبه السفير، كما أتمنى أن يقرأ ذلك دعاة «التحريض والتهييج»، فهذه المرأة في الغرب تسوم الرجل العذاب، حتى الضرب، فهل المطلوب أن تسير بناتنا في نفس الدرب، وتصل إلى ذات النتيجة؟ إن «البعض» عندنا لا يعرف شيئاً من أمور الحياة سوى ترديد ما يقال في الغرب، والركض خلفه في الشكل، والشكل فقط، والجنون فنون.

المراجع:

1- اليابان اليوم: الجمعية الدولية للمعلومات والتربية. لعام 1991م، ص 83.
2- اليابانيون: عالم المعرفة الكويتي ص 53.
3- المرجع السابق، ص 184.
4- المرجع السابق، ص 186.
5- المرجع السابق ص 186.
6- المرجع السابق، ص 187.
7- المرجع السابق، ص 187.
8- اليابان: تجربة التطور، مركز الخليج العربي، جامعة البصرة، ص 42.
9- اليابان دروس ونماذج وإنجازات خارقة: حمدي أبوزيد، ص 180، الطبعة الأولى.
10- اليابان دروس ونماذج، ص 209.
11- اليابانيون، ص 296.
12- اليابانيون، ص 293.
13- اليابانيون، ص 295.
14- اليابانيون، ص 296.
15- اليابانيون، ص 303.

من روّاد الصحافة العربية

إعداد:
محمد سيد بركة

أ

إسحق، أديب:

ولد أديب إسحق في دمشق في الحادي والعشرين من كانون الثاني/يناير سنة 1856م من عائلة فقيرة، ونبغ مبكرًا، وأُغرم بالكتابة والإنشاء، وكان أستاذه في العربية يقول لأبيه في ذلك الحين: إن ابنك سيكون قوّالاً. ولم يكد أديب يبلغ العاشرة حتى أخذ ينظم الشعر. تنقل في أعمال شتى وبدأ يحرر في جريدة «ثمرة الفرات» ثم جريدة «التقدم»، ووضع كتابًا أسماه «نزهة الأحداق في مصارع العشاق». كما ترجم رواية «أندروماك» للشاعر لامارتين وهو في التاسعة عشرة من العمر بناءً على طلب قنصل فرنسا، وأنجزه في مدى ثلاثين يومًا؛ كما ترجم عن الفرنسية رواية «شارلمان» و«الباريسية الحسناء».

قصد القاهرة وأنشأ جريدة أسبوعية باسم «مصر» عام 1877م، ثم جريدة يومية باسم «التجارة»، ثم أغلقت الجريدتان فهاجر إلى باريس عام 1880م، وهناك أنشأ جريدة «مصر القاهرة» وكان ينسخها بيده لافتقاره إلى وسائل الطباعة. عاد إلى بيروت عام 1881م وهناك تولى تحرير جريدة «التقدم»، ثم مالبث أن عاد إلى مصر فاستأنف إصدار جريدة مصر، ولما نشبت الثورة العرابية أبعدته السلطات إلى سورية فساهم في تحرير جريدة «المصباح» ورئاسة تحرير جريدة «التقدم»، إلى أن اشتد عليه المرض فمات في بيروت بعلة الصدر في 12 حزيران/يونية 1885.

ب

بيهم، حسين:

ولد الحاج حسين بن عمر بن حسين العيتاني بيّهم في بيروت سنة 1249هـ (1833م) «وبيّهم في عامية لبنان معناها أبوهم» وهو ينتمي إلى عائلة عريقة. قرأ على جهابذة زمانه كالشيخ عبدالله خالد والشيخ محمد الحوت. تولى عام 1869م رئاسة الجمعية العلمية السورية وأنشأ مجلتها «الجمعية العلمية السورية» ثم انتُخب عام 1878م عضواً في مجلس النواب العثماني.

له ديوان شعر ورواية وطنية مُثلت في بيروت وتوفي في 24 صفر سنة 1298هـ (24 كانون الثاني/يناير 1881م) وقد رثاه الشعراء بقصائد رنانة.

ت

تقلا، سليم وبشارة:

ولد سليم تقلا عام 1849م في كفر شيما بلبنان وتعلم في بيروت وعمل في مدرسة عينطورة. بينما ولد بشارة تقلا عام 1852م. هاجرا إلى الإسكندرية عام 1875م وأصدرا جريدة «الأهرام» الأسبوعية ثم جعلاها يومية، ولما حدثت ثورة عرابي، امتنع سليم وبشارة عن مناصرتها، فأحرق العرابيون مطبعتها بالإسكندرية، فلم ينقطعا عن إصدار «الأهرام»، وحين توفي سليم عام 1892م استقل بها بشارة، ثم نقلها إلى القاهرة عام 1898م ووسع حجمها واستمرت في الصدور، وقد توفي عام 1901م ومازالت جريدته تصدر حتى الآن وهي من كبريات الصحف العربية.

ث

ثابت، خليل:

خليل ثابت صحافي وكاتب ولد في دير القمر بلبنان عام 1870م، والتحق بمدارسها الابتدائية والثانوية ثم التحق بجامعة بيروت الأمريكية وتخرج فيها عام 1892م حاملاً شهادة البكالوريوس في العلوم.

عمل بعد تخرجه في الصحافة اللبنانية، ثم مدرسًا في الجامعة الأمريكية وجاء إلى مصر، ومنها إلى السودان حيث عمل رئيسًا لتحرير جريدة «السودان» لمدة خمس سنوات، ثم عاد إلى القاهرة فاشترك في تحرير جريدة «المقطم» إلى أن أصبح رئيس تحريرها، وبقي في هذا المنصب أربعين عامًا كاملة. وانتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق، كما انتُخب عضوًا في مجلس الشيوخ المصري ورئيسًا لجمعية خريجي جامعة بيروت الأمريكية إلى أن توفي عام 1964م.

ومن مؤلفاته: مستقبل العالم العربي، وترجم عن الإنجليزية «مسرات الحياة».

ج

جلال، محمد عثمان:

ولد محمد عثمان جلال سنة 1828م بقرية من قرى بني سويف بصعيد مصر، ثم دخل مدرسة القصر العيني الأميرية، والتحق بمدرسة الألسن، وعُين مترجمًا بقلم الكورينتات، ثم مترجمًا لديوان اللوردات، ثم قاضيًا بمحكمة الإسكندرية المختلطة ثم

بمحكمة القاهرة المختلطة. يُعدّ من أوائل المترجمين المصريين، ونقل كثيراً من شعر لافونتين وقصص موليير وراسين وغيرهم إلى العربية. ويُعدّ من واضعي أسس القصة الحديثة والرواية المسرحية في مصر. وأصدر مع إبراهيم المويلحي في عام 1869م جريدة «نزهة الأفكار» التي سرعان ما ألغيت بتهمة مناهضتها للحكومة. توفي عام1898م.

حسون، رزق الله:

ولد رزق الله حسون الحلبي الصحافي المتأدب عام 1825م، انصرف إلى تعلم العربية على أصله الأرمني في حلب، فقد تعلم مبادئ القراءة وأتقن الخط على الشيخ سعيد الأسود الحلبي الشهير بجودة خطه، ثم انتقل إلى لبنان فدرس العلوم اللاهوتية واللغات الفرنسية والتركية والعربية والأرمنية والعلوم الرياضية. ولما أتم دروسه عاد إلى مسقط رأسه حلب ومارس التجارة مع والده، ثم نزعت نفسه إلى طلب المزيد من العلم فذهب إلى أوربا وطاف بلندن وباريس، وجاء إلى مصر وكان ولوعًا بالقراءة والمطالعة.

ولما نشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية أنشأ رزق الله جريدة «مرآة الأحوال» في الآستانة سنة 1854م فكانت أول جريدة عربية، وكان يصف فيها حرب القرم ومواقعها، ويكتب الفصول السياسية، ومن آثاره المطبوعة: النفثات (رسالة مترجمة)، أشعر الشعر (نظم فيه ستة أسفار من التوراة)، رسالة مختصرة في الطباعة العربية، حسر اللثام، ديوان حاتم الطائي. مات في لندن عام 1880م.

الخوري، خليل:

ولد خليل بن جبرائيل الخوري في الشويفات من أعمال لبنان عام 1836م وتلقى أصول العربية والتركية والفرنسية. أنشأ عام 1858م صحيفة «حديقة الأخبار» فكانت أول جريدة عربية صدرت برخصة رسمية من الحكومة العثمانية خارج عاصمة السلطنة، وظلت تصدر حتى وفاته عام 1907م. وعمل فترة مديراً للجريدة الرسمية ومطبعتها في سورية، فمديراً للأمور الأجنبية فيها.

خلّف سبعة دواوين شعرية تُرجم منها عدد كبير إلى الفرنسية، ولما اطلع على شعره الشاعر الفرنسي لامارتين أطرى شعره. ومن مؤلفاته: النعمان وحنظلة (رواية تمثيلية)، تاريخ مصر، تكملة العبر، و«الكواكب العثمانية في تاريخ الدولة العلية» وهو تاريخ شعري يتضمن منشأ سلاطين آل عثمان حتى عهد السلطان محمود الثاني، وهو من قافية واحدة وبحر واحد وفيه مايزيد على 3100 بيت من الشعر.

دحداح، رُشَيد:

ولد رُشيد دحداح في عرمون إحدى قرى كسروان في جبل لبنان سنة 1813م. أتقن العربية وفروعها والفرنسية والتركية والإيطالية والسريانية وسائر علوم عصره، وفي سنة 1838عيّنه الأمير بشير الشهابي حاكم لبنان كاتبًا لأسراره، حتى خُلع الأمير ونُفي من الجبل، فرحل إلى فرنسا، وأنشأ باللغتين العربية والفرنسية جريدة (برجيس باريس - أنيس الجليس) التي شحنها بالمقالات في السياسة والتاريخ واللغة والأدب.

من أبرز آثاره أنه نشر شرح ديوان ابن الفارض، وله أيضًا «طرب السامع في الكلام الجامع» كما نشر في مرسيليا معجمًا عربيًا للمطران فرحات بعد أن هذّبه وأصلح أخطاءه، ونشر في باريس أيضًا «فقه اللغة» للثعالبي، وله كذلك «السيار المشرق في بوار المشرق» وتوفي في فرنسا في 5 آيار/مايو 1889م. وقد منحه البابا بيوس التاسع لقب (كونت) وعظمت هناك ثروته.

رضا، محمد رشيد:

ولد محمد رشيد رضا بقرية تدعى «القلمون» قريبة من مدينة طرابلس بلبنان عام 1865م. ودرس العلوم العربية والشرعية، مع المنطق والرياضيات، واللغة التركية. وأُجيز للتدريس، ولكن طموحه كان يتجه إلى الكتابة فبدأ يبعض المقالات التي نشرها بجريدة «طرابلس». وكانت جريدة «العروة الوثقى» التي أسسها الأفغاني ومحمد عبده بباريس عام 1884م قد لفتت انتباهه. وفي عام 1898م رحل إلى مصر فاتصل بالشيخ محمد عبده وأصدر «المنار» جريدةً في البداية، ثم مالبثت أن تحولت إلى مجلة، وانتظمت في الصدور حتى وفاته عام 1935م، وكانت مجلة المنار (34 مجلدًا) من أهم آثاره، وله تفسير القرآن (12مجلدًا) وكتاب ضخم (ثلاثة أجزاء) عن محمد عبده، و«الوحي المحمدي» و«نداء للجنس اللطيف» و«الخلافة» وغيرها. وقد توفي فجأة في سيارة كان عائداً بها من السويس إلى القاهرة، (وقد وصل في تفسيره إلى قوله تعالى في سورة يوسف «توفّني مسلمًا وألحقْني بالصالحين» فأتم تفسير السورة الشيخ محمد بهجة البيطار بطلب من دار المنار). وجاهد محمد رشيد رضا كثيراً في سبيل حرية العرب ووحدة المسلمين.

زيدان، جرجي:

جرجي زيدان، أديب ومؤرخ لبناني، ولد في بيروت عام 1861م، وتعلم فيها. جاء إلى القاهرة وأسس مجلة الهلال عام 1892م، ومازالت تصدر حتى الآن، فنشر فيها المقالات اللغوية والتاريخية والروائية وهو مؤسس دار الهلال للطباعة والنشر، ومن آثاره: «تاريخ التمدن الإسلامي»، «تاريخ آداب اللغة العربية»، «تراجم مشاهير الشرق» وغيرها كثير. توفي في مصر عام 1914م.

سركيس، خليل:

ولد خليل سركيس في لبنان في عام 1842م، وانتظم في سلك طلبة المدرسة الأمريكية ببيروت، ولما كانت المدرسة بجوار المطبعة فقد كان يتردد إليها، وقد وجد في نفسه نزوعًا إلى صناعة الطباعة فأنشأ في عام 1868م بشركة سليم البستاني مطبعة المعارف وفي عام 1875م أنشأ مطبعة خاصة سماها المطبعة الأدبية، وجريدة سماها «لسان الحال» ومجلة سماها «المشكاة» كما أصدر عام 1913م مجلة «سلوى». أما «لسان الحال» فاستمرت في الصدور حتى انتقلت ملكيتها إلى ابنه رامز وحفيده خليل ثم إلى جبران الحايك عام 1960 واستمرت في الصدور حتى السبعينيات. ومن أهم الأعمال التي طبعها ديوان عنترة، وألف ليلة وليلة، ومقدمة ابن خلدون، ومقامات الحريري. وله كتب منها: «العادات» و«سلاسل القراءة» - في ستة أجزاء - و«تاريخ أورشليم» وأدخل تحسينًا كبيرًا على الطباعة ورسم حروفها. توفي في عام 1915م.

الشدياق، أحمد فارس:

ولد فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر بن

فهد الشدياق سنة 1804م في عشقوت بلبنان من أسرة مارونية. رحل إلى مصر، تلقى الآداب العربية والسريانية. سافر إلى باريس وتنقل في أوربا وأقام في جزيرة مالطا فأدار فيها أعمال المطبعة الأميركانية.

ترك عدداً كبيراً من الآثار، فلما ذاع صيته دعاه باي تونس إلى خدمة مملكته وأرسل له سفينة مخصوصة لنقله إلى بلاده، فلبى الدعوة وهناك اعتنق الإسلام وصار يعرف بالشيخ أحمد فارس الشدياق، وفي عام 1857م اتخذ الآستانة مقراً له وهناك أصدر عام 1860م جريدة «الجوائب» الشهيرة وترأس تحريرها، واستمرت في الصدور ثلاثة وعشرين عاماً. ووضع عدداً كبيراً من الكتب منها: «الجاسوس على القاموس» الذي انتقد فيه قاموس الفيروز آبادي، و«المرآة في عكس التوراة» و«الروض الناضر في أبيات ونوادر» و«الساق على الساق فيما هو الفارياق» وله أيضاً ديوان شعر كبير لمّا يطبع، و«كشف المخبا عن فنون أوربا»، و«الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية» و«سند الراوي في الصرف الفرنساوي»، إلى غير ذلك من المطبوع والمخطوط. توفي بالآستانة عام1887م ودفن في لبنان.

ص

صروف، يعقوب:

عالم بالرياضيات والفلسفة والفلك، وصحافي، وأديب، وشاعر. ولد في لبنان عام 1852م وتخرج في الجامعة الأمريكية وعمل بها مدرساً، أنشأ مع فارس نمر وشاهين مكاريوس مجلة «المقتطف» سنة 1876م وانتقلوا بها إلى مصر سنة 1885م، وهي من أرقى المجلات العلمية العربية. وقد أصدر الدكتور صروف منها واحداً وسبعين مجلداً. وشارك في إصدار جريدة «المقطم» سنة 1889م.

صنّف وترجم عدة كتب منها: بسائط علم الفلك، وصور السماء، ورسائل الأرواح، وفصول في التاريخ الطبيعي ومملكتي الحيوان والنبات، والعلم والعمران. وله مجموعة من القصص المطولة التاريخية، منها: فتاة مصر، وفتاة الفيوم. ومن كتاباته في المقتطف بحث طويل في نوابغ العرب والانجليز، قارن فيه بين المعري وملتن، وابن خلدون وسبنسر، وصلاح الدين وريتشارد قلب الأسد. توفي عام 1927م.

ض

ضعون، توفيق:

ولد توفيق ضعون عام 1883م في بيروت، ودرس القسم الإعدادي في الجامعة الأمريكية ونال شهادتها، ثم سافر إلى القاهرة حيث عمل في القسم المالي الحكومي في السودان من 1904 إلى 1914م، ثم هاجر إلى البرازيل في العام نفسه مزوداً بالخبرة الكافية، فبدأ عمله في حقل الصحافة واقترن اسمه بالعديد من الصحف والمجلات التي عمل فيها ومنها: «المناظر»، و«الرأي العام»، و«الكابوس»، و«فتى لبنان»، و«الدليل». وفي عام 1916م عمل مع إلياس فرحات في تحرير جريدة «المقرعة» لصاحبها سليم لبكي، كما رأس تحرير مجلة «الوطن الحر» نصف الشهرية التي أصدرها الحزب الوطني السوري الذي أسسه المحامي أسعد بشارة.

كان ضعون أول من دعا إلى إنشاء نقابة للصحافة العربية في المهجر، ودافع عن الصحافة بوصفها مهنة، وقد توفي عام 1966م إثر حادث في سان باولو، وله من المؤلفات: «مختارات الدليل» في جزأين، و«سيرة حياتي» و«ذكرى الهجرة» و«من وحي السبعين».

ط

الطهطاوي، رفاعة رافع:

ولد رفاعة بن بدوي بن علي بن رافع في طهطا بمحافظة سوهاج من صعيد مصر سنة 1801(1216هـ) حفظ القرآن وقرأ كثيراً من المتون المتداولة على أخواله وهم جماعة كبيرة من العلماء الأفاضل.

جاء رفاعة إلى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الأزهر سنة 1223هـ، وجاهد في المطالعة والدرس جهاداً حسناً حتى نال من العلم شيئاً كثيراً، ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الأعلام في الفقه واللغة والحديث وسائر العلوم. ذهب إلى فرنسا مع أول بعثة مصرية إماماً للوعظ والصلاة، فعكف على الدراسة، وأظهر نبوغاً فاق أعضاء البعثة الأصليين. تولى رئاسة تحرير أول صحيفة مصرية عربية هي «الوقائع المصرية» في سنة 1842م فكان الصحافي الأول في تاريخ صحافتنا العربية، وأول من كتب المقال في تاريخ الصحافة العربية، وفي عهده انتظمت الوقائع في الصدور فأصبحت تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع، وأصبح للوقائع في عهد رفاعة محررون من الكتّاب، وحُدد لها سعر ثابت واشتراك محدد، كما أصبح لها تبويب صحفي ثابت إلى جانب اهتمامها بنشر الشعر لأول مرة، وكذلك المختارات الأدبية من كتب التراث العربي.

وعندما صدرت المجلة العسكرية المصرية في سنة 1865م أشرف الطهطاوي على تحريرها باللغتين الفرنسية والعربية بصفتها مجلة متخصصة للجندية والعلوم العسكرية. وفي نيسان/أبريل سنة 1870م صدر العدد الأول من مجلة «روضة المدارس» التي رأس تحريرها الطهطاوي، ومازال حتى توفاه الله سنة 1290هـ (1873م)، وقد ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وترجم مع تلاميذه عشرات الكتب، ووُصف بأنه مؤسس مدرسة الألسن وناظرها. وقد ترك مؤلفات كثيرة منها: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، «مناهج الألباب في الآداب العصرية»، «المرشد الأمين في تربية البنات والبنين»، «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز».

ع

العطار، حسن بن محمد:

يعود حسن العطار في أصله إلى أسرة مغربية، ولكنه ولد في القاهرة في عام 1776م وتوفي فيها في عام 1835م. كان أبوه عطاراً، وقد تخرج الشيخ حسن العطار في الأزهر بعد أن اكتسب العلوم على أئمة شيوخه حتى برع في الكتابة والأدب، وقد أجاد الشعر والنثر كليهما، أقام زمناً في دمشق وألبانيا. ولما دخل الفرنسيون مصر اتصل برجال منهم فأصاب طرفاً من العلوم العصرية وعلّمهم العربية، ثم ساح في كثير من البلدان العربية. وعاد إلى مصر فتولى تحرير «الوقائع المصرية»، ثم انتهت إليه مشيخة الأزهر سنة 1246هـ إلى وفاته. وقد جمع نثره في كتاب سُمي «إنشاء العطار»، وله كتب علمية في كيفية العمل بالاسطرلاب، وديوان شعر، وحواش في علوم شتّى.

غ

الغضبان، عادل:

عادل الغضبان أديب وصحافي. ولد في حلب ونشأ وتعلم فيها، ثم سافر إلى مصر حيث تابع دراسته في معهد الآباء اليسوعيين، وعمل في مطبعة دار المعارف في القاهرة، وتولى تحرير «مجلة

الكتـاب»، وصار عـضواً فـي المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وتوفي عام 1972م. ومن مـؤلفـاته: «أحـمس الأول»، «ليلى العـفيـفـة»، «نجـيب الحـداد»، «قـيـثـارة العـمـر»، من وحي الإسكندرية.

ف

فواز، زينب:

زينب فـواز أديبة ومـؤرخـة ولدت في تبنين من قرى جبل عـامل ببلاد الشام سنة 1267هـ/1860م وتعلمت في الإسكندرية. تتلمذت علـى الصحافي الشاعر حـسن حسنـي الطويراني صاحب جـريدة النيل. وتزوجت أديب نـظمي الدمشـقي ولكنـهمـا افـتـرقـا بعـد قليل فـعـادت مـرة ثـانيـة إلى القـاهرة وتفرغت للكتابة، فأخذت تنشر كتاباتها في جريدة «النيل»و«اللواء» و«رائد الـنيل» و«المؤيد» و«الأهالي» و«أنيس الجليس» ومـجلة «الـفتـاة»و«لسـان الحـال» و«جـريدة الشـام». وقـد توفـيت في 20 صـفـر 1332هـ/19يناير 1914م ودفنت بالقاهرة.

ومن أهم آثارها: «الدر المنثور في طبـقـات ربات الخـدور»، و«حـسن العـواقب»، و«الهـوى والوفـاء» و«الملك قورش»، و«الرسائل الزينبيـة». وقد نشرنا عنها مقالاً تفصيليًا في العدد 198 من مجلة الفيصل.

ق

القباني، صبري:

ولد صبري القبـاني بدمشق عام 1908م، وفيها درس الثـانوية وتابع الدراسـة الجـامـعيـة فنال شـهـادة الدكـتـوراه فـي الطب عـام 1931م فـعـمـل في مستشفيات دمـشق، وطبيبًا في الجيش العراقي. أصدر سنة 1956م مجلة «طبيبك» التي لازالت تصدر حتى اليـوم ويرأس تحريرها ولده الدكـتور سـامي القـبـاني جـراح الـقلب الشـهـيـر. توفـي عـام 1973م. ومن مؤلفاته: «طبيبك معـك»، «جمالك سيدتي»، «أطفال تحت الطلب»، «حـيـاتنا الجنسيـة»، «قلوب الأطبـاء»، «يوميات طبيب»، «الغذاء لا الدواء».

ك

كنعان، توفيق:

ولد توفيق كـنعان في بيت جالا بـفـلسطين عام 1882م ودرس فـيهـا وفي القدس، ثم في الجـامعـة الأمريكية ببيروت، وتخرج طبيبًا عام 1905م وقد مارس الطب في مجالات عسكرية ومدنية، واشتهر بأنه أقـدم طبـيب عـربي في القـدس، وقـد أعـانتـه إجادته ست لغات أجنبيـة على كتابة بحـوث طبية وثقافية وسيـاسية و(فلـكلورية). وفي عام 1927م أصبح رئيسًـا لجـمعـيـة الاستـشـراق الفلسطيني، ورئيسًا لتحرير مجلتها «مجلة جمعيـة الاستشراق الفلسطيني» الصادرة باللغة الانجليزية، وقد عرفت بتـخـصـصـهـا في الدراسـات الأثرية والتـاريخـيـة والجـغرافـية والفـولكلورية التي تدور حول الـثقـافة الفلسطينيـة، وهو يعـدّ رائد حركـة إحـياء التـراث الشعبي الفـلسطيني، وتتميز أعمـاله بالدقة، وتوفي عام 1964م.

ومن مـؤلفـاته: «الموت أم الحـيـاة»، «الطب الشـعـبي فـي أرض الكتـاب المقـدس»، «أوليـاء المسلمين ومـقدساتهم»، «قـضية عـرب فلسطين»، «الصراع في أرض السلام».

ل

اللبكي، نعوم:

نعُوم اللبكي صحـافي وسياسي لبناني وهو والد الشاعر صلاح اللبكي. ولد في بعبدات عام 1875م، وهاجـر إلى البـرازيل وأصـدر مع أسـعـد خـالد أول جريدة عربية في البرازيل «الرقيب» ثم أنشأ مع فارس النجم جريدة «المناظر» وأصدر وحـده جريدة «خلايا النحل». عاد إلـى لبنان عام 1908م وأصدر جـريدة «المناظر» في لبنان وانتُخب نائبًا في البـرلمان فرئيسًا له حتى تـوفي عـام 1924. ومن مـؤلفـاته «حـقـوق الإنسان»، و«ذكرى استقلال لبنان».

م

المازني، إبراهيم عبدالقادر:

إبراهيم عبدالقـادر المازني أديب وشاعر وناثر، تفرد بين أدباء العربيـة بأسلوبه الخاص. ولد في عام 1308هــ (1890م) وتـوفــي فــي 1368هــ (1949م). عمل في بداية حياته مدرسًـا ثم عمل بالصحـافة في جـريدة «الأهالي» بالإسكندرية، ثم زامل أمين الرافـعي في تحرير «الأخبار»، وفي عـام 1952م اختير رئيسـا لتحرير جـريدة «الاتحاد» ثم تركهـا وعمل في تحرير جـريدة «الكشاف» إلى أن استـقـر به المطاف في جريـدة «السيـاسة» اليـومية والأسبوعية ولكنه عاد إلى جريدة «البـلاغ». كما ساهم في تحرير جريدة «الأساس» ونشرت له بعض المقالات بجـريدة الإخوان المسلمين. ترك ثروة من الكتب منها: «حـصاد الهشيم» و«إبراهيم الكاتب» و«ديوان شـعـر» و«ثلاثـة رجـال وامـرأة»، وترجم مختارات من الأدب الانجليزي.

ن

النديم، عبدالله بن مصبَاح:

ولد بالاسكندرية في 1845م، وأتم حـفظ القرآن وهو في التـاسعـة من عمره، وألحقه والده بجامع إبراهيم باشـا حيث درس الفقـه والأصول والمنطق ولكنه ترك وانتقل إلى قـرى ومدن الوجه البحري يُحيي أمسيات النثر والشعر والزجل في بيوت الأغنياء والأعيان، فأُطلق عليه لقب النديم، ثم انتـقل إلى الـقـاهـرة واتصَل بجـمـال الدين الأفـغـاني، ودعـا إلى إنشـاء الجـمعـيـة الخـيـرية الإسلامـية، وحـصل على إذن بصدور صـحـيـفـة «التنكيت والـتبكيت» التي صـدر عـددهـا الأول في 6 حزيران/يونية عام 1881م، ثم استبدل بها جريدة «الطائف» التي أعلن فيـها جهاده المضني. وطلبتـه الحكومـة لمسـاندته ثورة أحـمـد عـرابي فـاسـتـتـر عـشـر سنين ثم قُبـض عـليـه ونفي إلى فلسطين. وبعد عودته من منفاه أصدر باسم أخيه عبدالفـتاح النديم سنة 1310هـ مجلة «الأستاذ» التي صدر منها 42 عددًا.

كـان للنديم دور في كل أحـداث الثورة الـعرابيـة وتطوراتهـا، ويعـدّ أول خطيب مـصـري يقف في اجتماع عام ويتكلم في الأمور العامة للوطن، كما يعدّ أول مصري تقرر السلطة نفيـه خارج البلاد أكـثر من مـرة. توفي في الآسـتـانة عـام 1896م. ومن آثاره: «الساق على السـاق في مكابدة المشـاق» وديوانان، وجُـمعت طائفـة من كـتـاباته في «سلافـة النديم في منتخبات السيد عبدالله نديم».

هـ

هاشم، لبيبة:

لبيبة هاشم صحافية وأديبة لبنانية ولدت عام 1880م، أتقنت اللغة العربيـة على الشيخ إبراهيم اليـازجي، وأجـادت الفـرنسـيـة والإنجليـزية. أصدرت عام 1906م مجلة «فتاة الشرق» للدفاع عن حقوق المرأة، نزحت مع عائلتها إلى مصر في أوائل القـرن العـشريـن الميـلادي وعُـيّـنت عـام

1911م أستاذة في القسم النسائي بالجامعة المصرية. سافرت إلى تشيلي عام 1921م وأصدرت في عاصمتها «مجلة الشرق والغرب» ولكنها سرعان ماعادت إلى مصر واستأنفت إصدار مجلة «فتاة الشرق» إلى وفاتها عام 1947م، واسمها في الأصل: لبيبة بنت ناصيف ماضي، غير أنها تزوجت في مصر من عبده هاشم فنُسبت إليه فصار اسمها لبيبة هاشم.

و

وجدي، محمد فريد:

ولد محمد فريد وجدي عام 1878م في مدينة الاسكندرية وفي عام 1892م انتقل إلى القاهرة والتحق بالمدرسة التوفيقية وأخذ يتنقّل مع أسرته في محافظات مصر. أنشأ عام 1907م جريدة «الدستور» وبعد أن توقفت اتجه إلى العمل في دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي. وفي عام 1933م أشرف على تحرير مجلة الأزهر التي كانت تسمى «نور الإسلام». وقد توفي عام 1954م بعد أن التزم بيته وعزف عن غشيان الحفلات أو المجالس العامة نحو عامين. ومن آثاره: «الإسلام في عصر العلم»، «الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان»، و«كنز العلوم واللغة»، و«صفوة العرفان في تفسير القرآن»، و«المرأة المسلمة» في الرد على كتاب قاسم أمين: «المرأة الجديدة»، و«نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين».

ي

يوسف علي:

ولد الشيخ علي بن أحمد بن يوسف في قرية بلصفورة بصعيد مصر عام 1863م، مات أبوه وهو في السنة الأولى من عمره فنشأ يتيمًا. تعلم في كتّاب القرية وانتقل عام 1881م إلى القاهرة ودرس في الأزهر. بدأ اتصاله بالصحافة من خلال المقالات التي كان يرسلها للصحف أثناء دراسته بالأزهر، ثم ساعد أحمد فارس الشدياق في تحرير جريدة «القاهرة»، وعمل بعد ذلك محرراً بجريدة «مرآة الشرق»، ثم تولى رئاسة تحريرها عام 1884م.

أصدر جريدة «المؤيد» عام 1889م التي تعد أهم خطوة في حياته، وكان لها شأن كبير في سياسة مصر والشرق والإسلام، ومناهضة بعض الصحف الممالئة لمحتلّي البلاد، وكان جريئًا مقدامًا قويّ الحجة، وتميزت لغته بسهولة الألفاظ وبالبعد عن الأساليب البلاغية القديمة، وبوضوح المعاني وترابط الأفكار. توفي في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1913م. ووصفه بعض الكتّاب بأنه: «شيخ الصحافة الإسلامية في عصره» وكان صادقًا في وصفه.

المصادر:

1- الفيكونت فليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، بيروت، 1913م.
2- أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، بيروت، لبنان، 1961م.
3- حسين العودات، ياسين الشكر: الموسوعة الصحفية، الجزء الأول، تونس، 1990م.
4- د. عواطف عبدالرحمن، د. نجوى كامل، عاطف العبد، صلاح عبداللطيف: الموسوعة الصحفية، الجزء الثاني، تونس، 1991م.
5- د. خالد حبيب الراوي، د. عبدالستار جواد: الموسوعة الصحفية، الجزء الثالث، تونس، 1991م.
6- أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1970م.

حقوق المؤلف

عبد الرزاق عبد الله البابطين

منذ أن بدأ الإنسان يسجل أفكاره وخواطره الذهنية على وسائط مكتوبة، أصبح يبحث عن قوانين وتشريعات تحمي إنتاجه المكتوب، لذلك ظل هذا الأمر هاجسًا يقلق الكثيرين من المفكرين والكُتّاب والمؤلفين والشعراء والناشرين على مر السنين.

ومع أن قضية حقوق التأليف عند العرب تبدو أكثر حداثة لأنها وليدة هذا القرن الذي نعيش فيه، بل وليدة النصف الثاني منه في معظم الأقطار العربية، إلا أن جذورها تمتد في تاريخنا إلى أعماق بعيدة. صحيح أن العرب في تاريخهم البعيد لم يستخدموا حقوق التأليف التي نستخدمها اليوم، ولكنهم تنبهوا إلى جوهر القضية ووضعوا لها الأصول والضوابط التي تحكمها منذ وقت مبكر. وحينما دُوِّن الحديث في مطلع القرن الثاني للهجرة، لم يقتصر التدوين على نصوص الأحاديث أو متونها وإنما كان النص يسبق دائمًا بسلسلة الإسناد التي تتحمل مسؤولية الكلمة، وكانت سلاسل الإسناد هذه هي المظاهر الأولى لأمانة الأداء وتوثيق النصوص ولما يعرف اليوم بحقوق التأليف. ولهذا لم يكن مصادفة أن تقوم بعض كتب الحديث على هذه الأسانيد وأن تتخذ منها أساسًا لها كمسند الإمام أحمد ومسند الدارمي.

ولم يكن اهتمام العرب بالأسانيد مقصوراً على كتب الأحاديث، وإنما تجاوزها إلى كتب المغازي والسير والأخبار والتاريخ والأدب؛ وأما ما يسمى بحق المؤلف فيرجع إلى تاريخ اختراع الطباعة في أوروبا على يد الطابع الألماني «يوهان جوتنبرغ»، وكان نقطة تحول في تاريخ الملكية الفكرية وحمايتها.

تطور حق المؤلف على المستوى الدولي:

بدأ الاهتمام بحماية الإنتاج الفكري على المستوى الدولي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، بعد أن أدركت الدول التي أصدرت قوانين لحماية حق المؤلف خلال تلك الفترة أن تطبيق هذه القوانين يتطلب التعاون بينها لحماية الإنتاج الفكري، وبعد أن ازدادت ضغوط المؤلفين والناشرين في دول أوروبا لتوفير المزيد من الحماية لإنتاجهم الفكري بوصفها حافزاً لهم على الإنتاج والإبداع.. ترتب على ذلك إنشاء الجمعية الأدبية والفنية الدولية لحماية حقوق المؤلفين في باريس عام 1878م، والتي يرجع إليها الفضل في إبرام اتفاقية «برن» لحماية المصنّفات الأدبية والفنية في 9 أيلول/سبتمبر عام 1886م، وهي أقدم اتفاقية دولية متعددة الأطراف لحماية حق المؤلف على المستوى الدولي.

وتبع إبرام اتفاقية «برن» وغيرها من الاتفاقيات الدولية لحماية المصنّفات الأدبية والفنية، إنشاء بعض المنظمات الدولية للإشراف على تنفيذ هذه الاتفاقيات وتقديم المشورة للدول في مجال حماية حق المؤلف والتي كان لإسهاماتها أثر بارز في تطوير مفهوم حق المؤلف ووسائل حمايته على المستوى الدولي.

الاتفاقيات الدولية الخاصة لحماية حق المؤلف:

1ـ اتفاقية «برن» لحماية المصنّفات الأدبية والفنية (Berne Convention): أُبرمت هذه الاتفاقية في 9 أيلول/سبتمبر عام 1886م، وهي أول اتفاقية متعددة الأطراف في مجال الملكية الأدبية والفنية على المستوى الدولي. والهدف الأساسي من إبرام هذه الاتفاقية هو حماية حقوق المؤلفين في مصنّفاتهم الأدبية والفنية.

2ـ الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف UCC (Universal Copyright Convention): أُبرمت هذه الاتفاقية في «باريس» في 24 تموز/يوليو عام 1971م. وهي تشكل في الوقت الحاضر أساسًا للعلاقات القائمة في مجال حق المؤلف بين أكثر من سبعين دولة. وقد تضمنت هذه الاتفاقية أحكامًا لحماية حقوق المؤلف منها:

تعهد كل دولة طرف في الاتفاقية بضمان حماية كافية وفعالة لحقوق المؤلف، وتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل بين الدول الأطراف في الاتفاقية، وتحديد المصنّفات الأدبية والعلمية والفنية المشمولة بالحماية على سبيل المثال لا الحصر، وتحديد فترة الحماية لحق المؤلف بوضع حد أدنى لمدة الحماية هي مدة حياة المؤلف والسنوات الخمس والعشرين التالية لوفاته، وضمان حماية المصالح المالية للمؤلف بما فيها حقه وحده في الترخيص بالاستنساخ بأية وسيلة من الوسائل وبالأداء العلني والإذاعة، وكذلك حقه في ترجمة مصنّفاته المحلية، وفي نشر هذه الترجمات والترخيص بنشرها، ومنح الدول الأطراف في الاتفاقية الحق في أن تقرر تشريعاتها الوطنية استثناءات من هذه الحقوق على ألا تتعارض هذه الاستثناءات مع روح الاتفاقية. وتعدّ اتفاقية «باريس» وثيقة معدلة لاتفاقية جنيف في 6 أيلول/سبتمبر عام 1952م حيث دعت منظمة اليونسكو في ذلك التاريخ إلى المؤتمر الدولي الحكومي لحقوق المؤلف، وكان الهدف من وضع هذه الاتفاقية توفير الحماية الدولية لحقوق المؤلف بين البلاد ذات التقاليد الثقافية البالغة في الاختلاف، وإعادة النظر في الشروط التي يمكن معها الإيفاء باحتياجات البلدان النامية في مسائل تهمها في مجال حماية حقوق المؤلف. ولم تكن هذه الاتفاقية بديلاً للاتفاقيات التي أُبرمت من قبل في مجال حماية حقوق المؤلف، وإنما كانت استجابة للتطورات الاقتصادية والثقافية التي شهدتها البلدان النامية. لذا كانت اتفاقية «باريس 1971م» وثيقة شاملة تضمن الحماية الفعالة والشاملة لحقوق المؤلف، لأنها تناولت حقوق المؤلف من جميع الجوانب القانونية والاجتماعية والزمانية والمكانية.

المنظمات الدولية العاملة في مجال حق المؤلف:

1ـ المنظمة العالمية للملكية الفكرية «الويبو» World Intellectual Property Organization (WIPO): منظمة «الويبو» منظمة دولية حكومية، وهي إحدى الوكالات المتخصصة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، ومقرها جنيف، وقد تأسست بموجب اتفاقية استوكهولم التي أُبرمت عام 1967م، وسميت هذه الاتفاقية باتفاقية إنشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية، ودخلت حيز التنفيذ عام 1970م.

وتتضمن الملكية الفكرية فرعين رئيسيين هما:

الملكية الصناعية ـ وما يدخل في مفهومها من براءات الاختراع، وغير ذلك من الحقوق المتصلة بالاختراعات والحقوق الخاصة بالعلامات التجارية، والرسوم والنماذج الصناعية. الملكية الأدبية والفنية ـ وما يدخل في مضمونها من حقوق المؤلف في المصنّفات الأدبية والفنية وما يدخل في حكمها.

وتتركز نشاطات هذه المنظمة واختصاصاتها في دعم حماية الملكية الفكرية ـ بفرعيها: الملكية الصناعية والملكية الأدبية والفنية ـ في جميع أنحاء العالم بفضل تعاون الدول بعضها مع بعض في هذا المجال.

وفي مجال حماية حق المؤلف تتولى منظمة «الويبو» الإشراف على إدارة المعاهدات والاتحادات التابعة لها في مجال حق المؤلف، وتقديم الدعم والمساندة والمشورة للبلدان النامية في مجال حق المؤلف من خلال «برنامج الويبو الدائم للتعاون الإنمائي المرتبط بحق المؤلف والحقوق المشابهة»، الذي يرمي إلى الحث على الإبداع والابتكار الذهني في مجالات الآداب والعلوم والفنون في البلدان النامية، وتشجيع نشر الابتكارات الذهنية المتعلقة بهذه المجالات، ومساعدة البلدان النامية في دعم مؤسساتها الوطنية في مجال حق المؤلف والحقوق المشابهة، وإعداد كتب وكتيبات وأدلة عن الاتفاقيات الدولية الخاصة بحق المؤلف، وإصدار المعاجم والنشرات لصالح البلدان النامية بلغات متعددة، وذلك بهدف الإعلام عن الأحكام الخاصة بالملكية الفكرية بشكل عام، وحق المؤلف على وجه الخصوص، بالإضافة إلى تقديم النصح والمشورة للجهات المختصة في الدول الأعضاء في المنظمة، وذلك للاستفادة من تجارب المنظمة وخبرتها ومشورتها في مجال حق المؤلف.

2ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو». United Nation Educational, Sciences and Cultural Organization (UNESCO). تعدّ هذه المنظمة من المنظمات الدولية التي ساهمت في حماية حق المؤلف على المستوى الدولي سواء خلال جهودها المنفردة أو من خلال تعاونها مع منظمة «الويبو» وغيرها من المنظمات الدولية التي تعمل في هذه المجالات، وتتولى هذه المنظمة الإشراف على إدارة وتنفيذ الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف «اتفاقية باريس».

المراجع:

1ـ نواف كنعان، حق المؤلف: النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته. 1987م. ص31ـ70، ص346ـ349.
2ـ عبد الستار الحلوجي، «حق المؤلف في القوانين العربية». عالم الكتب. مج2، ع4، 1402هـ، ص645ـ652.
3ـ سيد حسب الله، محمد الشامي. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ، 1988م.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفـراد الأسـرة

الوجه المسافر

قصة: د. موفق أبو طوق

كان ينظر إليّ وفي عينيه ألف سؤال، تظاهرت بعدم الاكتراث، وتابعت ارتداء ملابسي وأنا على عجلة من أمري.

قال ألن تخبرني؟

قلت: لديّ موعد مهم؛ فلا تضيّع وقتي بأسئلتك.

قاطعني قائلاً: لن أذهب معك، أعدك؛ ولكن أخبرني، أرجوك.

قلت: وأنا أيّمم شطر الباب:

ـ لماذا تصرّ على معرفة وجهتي؟

أجاب: يابابا، أحبّ أن أتخيل أنني معك!..

كنت قد فتحت الباب؛ وهممت بالخروج، لكن عبارته الأخيرة دفعتني إلى إغلاقه من جديد، التفتُّ إليه وأنا أقول مدهوشًا:

ـ إلى هذا الحد، تحبّ صحبتي يا زيد؟!!.

طأطأ رأسه، وقال بلهجة منكرة:ـ أجل..

صحت بلا شعور:

ـ حسنًا، هات يدك؛ وتعال معي.

وقفز كالمجنون،يركض نحوي؛ والفرح الغامر يرسم على وجهه الصغير تعابير شتى!!!

* * *

* أمسكت يده بقوة وأنا أعبر الشارع الرئيسي، فسألني:

ـ إلى أين، ياأبتي؟

قلت: لابأس، سأخبرك الآن، نحن ذاهبان ـ ياصغيري ـ إلى بيت جدّتك.

قال: جدّتي!. أوه؛ ما أشد شوقي إليها!!

واستدرك : لكن، أنت لا تزورها عادة، في هذا الوقت!!

أحرجني سؤاله، مع ذلك أجبته: صحيح، لكنّها أرسلت إليّ أنها راغبة في رؤيتي!

شدّ يدي وكأنه يستوقفني، قال وملامح القلق محفورة في وجهه:

ـ لماذا؟ هل مسّها مكروه؟!

قلت؛ وقد بدا عليّ الارتباك:

ـ لا، لا شيء، اطمئن، يبدو أنها تحتاج إليّ لأمر ما.

نظرات عينيه تدل على عدم الاقتناع، مع ذلك آثر الصمت؛ لأنه شعر أن لا فائدة من تكرار السؤال!..

* * *

* كانت خطواتي سريعة، و«زيد» معي يكاد يتعثر، كان يحاول أن يهرول كي يساير مشيتي!. كنت على عجلة من أمري فعلاً، فوالدتي ـ على ما يبدو ـ قد اشتد عليها المرض، ولا أدري ما الذي ألم بها اليوم، فأختي لم تخبرني بالتفاصيل، ولكنها أصرت على إسراعي في المجيء!!.

كان «زيد» مولعًا بجدته، وهي ـ أيضًا ـ تبادله الشعور نفسه، كانت تطلب مني ـ دائمًا ـ أن آتيها به، كانت تطعمه ما يشاء، وتعطيه ما يريد، وكان زيد يستطيب البقاء عندها، وكان كثيرًا ما يماطل في العودة إلينا، وكنا نستغرب ـ أنا ووالدته ـ هذا التعلق الغريب، ونخاف أن يؤدي ذلك الدلال الزائد إلى شيء من الشطط!.

* * *

* وعندما وصلنا إلى الحي الذي تقطنه، أفلت زيد يدي، وهُرع إلى بيت جدته، وقف أمام بابه، وشرع يطرقه بقوة وهو يردد:

ـ جدتي، جدتي، أنا زيد.

وصلتُ إليه في اللحظة التي فُتح فيها الباب، كان الفاتح أختي «دريّة»، كانت عيونها محمرة، ومازال على وجهها آثار من دموع، حاولت أن تحافظ على رباطة جأشها، فضمت الصغير، ثم اقتربت مني هامسة:

ـ إنها في حالة غيبوبة!

وكأن زيدًا قد أحسّ بأن هناك أمرًا غير طبيعي! فأصر على لقاء جدته، لكن أختي أمسكت بيده قائلة بلهجة تحمل شيئًا من التأنيب:

ـ جدتك نائمة، لا تزعجها؛ تعال والعب مع أولاد عمتك.

واتجهتْ به نحو الحديقة، بينما اتجهتُ أنا ـ وقلبي يرتجف ـ نحو غرفة أمي.

* * *

* وضعت يدي على قبضة الباب، توقفت هنيهة وكأنني أسترد أنفاسي، ثم فتحت الباب ببطء، فوجئت بأن الغرفة ملأى، وأن عددًا كبيرًا من أقربائي قد سبقوني إلى هنا!.

وألقيت نظرة على السرير، كانت والدتي هناك، والطبيب بجانبها يحاول إنعاشها، كان الجميع في حالة ترقب، وكأنّ على رؤوسهم الطير!!

وأسرعت لأقف إلى جانب الطبيب، لم يكترث أحد بدخولي، أو بالأحرى لم يشعروا بأنني قد جئت! وعندما حاولت أن أتكلم، وضع الطبيب إصبعه على فمه، وكأنما يأمرني بالسكوت، ثم عاد إلى ما كان عليه.

بعد دقائق، توقف الطبيب عن محاولاته؛ هز رأسه، ثم أدنى وجهه من وجهها، ورفع بإبهامه الأيمن جفنها العلويّ وطفق يحدّق في العين، تمتم بضع كلمات غير مفهومة، عاد بعدها ليمسكها من رسغها، وكأنه يجسّ نبضها، لاحظت عليه الارتباك؛ نظر إليّ نظرة ذات مغزى، وعض على شفته حتى كاد يدميها! ثم غطّى وجه المريضة، وأسرع إلى محفظته يضع أدواته فيها كيفما اتّفق! بعد ذلك؛ اتجه إلى باب الغرفة، محفظته لم تُغلق بعد!!!

أسرعت نحوه وقلت: يادكتور، ما القصة؟!!

لم يرد عليّ، بل تابع سيره خارجًا من الباب!

خرجت معه، وأنا أردد:

ـ حاول، حاول يادكتور أن تنقذها.

نظر إليّ، وفي عينيه رثاء واضح، قال بصوت هو أقرب للهمس:

- لا فائدة، لقد فارقت الحياة.

قال عبارته هذه، ثم أسرع من أمامي، قبل أن يسمع مني كلامًا آخر!..

* * *

* لم ندر - مع مرور الأيام - ماذا نقول لزيد!. كنا قد كتمنا عنه - وقتذاك - نبأ وفاتها، وأبعدناه عن البيت في أثناء القيام بمراسيم الجنازة والعزاء، على كل حال، لم يخف عليه أن أمورًا غريبة كانت تدور حوله، ولكنه لم يعرف بالتحديد ماهي!!

المشكلة، أنه بات يطلب دائمًا أن نذهب لزيارتها، وكان يلحّ في الطلب، كنت أقول له: إنها تعبة؛ سآخذك في وقت آخر، فيسكت يومًا أو يومين، ثم يعود فيسأل، ويطلب، ويلحّ! وأنا أماطل وأتهرب!!

توقعت - بعد مضي زمن طويل - أن ينسى زيد جدّته، ولكن ما حدث هو العكس تمامًا! فهو مصرّ على ذكرها بين حين وحين، كان يقف أمامي ويقول: لماذا لم أعد أراها، لماذا، لماذا؟! ثم ينفجر بالبكاء!.

* * *

أنا أعيش في دوامة، لا أدري كيف أتصرف مع زيد!. أفكار سوداء تتقاذفني، وحلول شتى تتصارع داخل رأسي، تؤرقني، تسلب مني راحتي!

أي موج عات يؤرجح سفينتي التائهة! أي ريح عاصفة تعبث بشراعها الممزق؟ أبحث عن شاطئ قريب يرسو عليه مركبي، عن بر أمان تقف عليه قدماي المضطربتان!! مشكلتي، أنني لست عالمًا في شؤون التربية، ولا طبيبًا مختصًا يسبر أغوار النفس البشرية، أنا إنسان بسيط، بل بسيط جدًا، مجرد والد يخاف على مشاعر ولده، مجرد أب يفتش عن حل هنا وحل هناك!!

التردد يأكلني، وإشارات الاستفهام تكاد ترميني أرضًا!

أتساءل وأتساءل: ماذا أفعل؟!!

وأنا أزداد حيرة، ولا أجد مخرجًا ينقذني من مخاوفي وهواجسي!!

* * *

* الأيام تتوالى، وتتبعها الأسابيع، بل الشهور؛ وزيد هو زيد، لم يتبدّل ولم يتغير! أسئلته هي هي، واستفساراته هي هي، وتصرفاته وانفعالاته حين ذكْر جدته، مازالت أيضًا كما هي! وأنا، أنا المعذب، لا أكاد أمسك نفسي من شدة الألم والحرقة!.

يوم عجيب أحسست فيه أن زيدًا قد تغير فجأة، وبدون سابق إنذار! لم أدر وقتئذ ما سبب التغيير، ولكنني كنت موقنًا أن هناك أمرًا جديدًا يملأ رأسه ويشغل باله، أمرًا يجعله كثير الانطواء، دائم التفكير، شارد النظرات!

حاولت أن أستشف دخيلة نفسه لم أفلح، فهو مصرّ على إخفاء سره العجيب، وكأنه جوهرة ثمينة لا يريد أن يراها أحد من الناس!

وتركت زيدًا للأيام، عسى أن تكشف لي ما يجول في خاطره، فالأيام كفيلة بإظهار الكثير من الأسرار!

وذات مرة، بينما كنت جالسًا في حديقة المنزل، أدخن لفافتي بصمت، اقترب مني زيد، وعندما لم يبق بيني وبينه إلا مدّ ذراع، سألني فجأة عن جدّته!

عودته إلى هذا السؤال، أدهشتني وأزعجتني في آن واحد! فمنذ زمن لم يفتح هذه السيرة! مع ذلك تمالكت نفسي، وأجبته جوابًا يخالف إجاباتي السابقة، قلت:

- لا تسأل عنها ثانية، لقد سافرت يا صغيري.

نظر إليّ نظرة ملؤها الريبة والشك؛ سأل:

- منذ متى؟

قلت؛ وأنا أهرب من نظراته:

- منذ زمن بعيد.

تمتم؛ وهو يبتسم ابتسامة باهتة:

- سافرت، دون أن تودعني! هذا عجيب!!

واستدرك: ومتى تعود؟

أجبته، وقد ضقت به ذرعًا:

- لا أدري، لقد سافرت وكفى!!

رمقني شزرًا، ثم قهقه فجأة!. وقال بلهجة تحدّ سافرة:

- أنت لا تعرف جدتي، لا تعرفها كما أعرفها أنا!. جدتي شغوفة بي، ولا تصبر أبدًا على بعدي.

وصمت قليلاً؛ ثم أجال نظره فيما حوله، وعندما اطمأن إلى ابتعاد الآخرين عنا، اقترب مني هامسًا:

- بابا، أريد أن أقول لك شيئًا.

تصورت أنه سيغير مجرى الحديث، فسألته باسمًا:

- وما هو؟!

قال ورأسه مطرق: أنا.. أنا أعرف ما تخفيه عني!

وانتفضت، كمن مسّته شرارة حارقة، لكنني انتبهت إلى تصرفي، فحاولت أن أتظاهر بالهدوء، ملت على أذنه وقلت:

- وما الذي أخفيه.. يا صغيري؟!

اقترب مني أكثر فأكثر، ثم وضع يده على كتفي، وكأنه يحدّث واحدًا من جيله، قال:

- منذ أيام، جاءنا ضيوف.

قلت بلا مبالاة، وكأنني لا أقيم لقصّته وزنًا:

- وماذا في الأمر؟! الضيوف كثر!

قال؛ وهو يعزز أنامله الصغيرة في ظهري:

- هذه المرة دخلوا غرفتي؛ كنت مستلقيًا على السرير، وعيناي مغمضتان، فظنوني نائمًا...

- وماذا بعد؟

- حدثوا أمي أحاديث كثيرة. وسمعتهم يذكرون جدتي، ويذكرون شيئًا اسمه الموت، أثارني نحيب والدتي، وشيئًا فشيئًا؛ بدأت أعرف.

حدجته بنظرة قاسية، قلت بحدّة:

- تعرف!. تعرف ماذا؟!!

لم يكترث بنظرتي، ولا بحدّة نبرتي! بل سؤالي كله لم يلق له بالاً!!

ومرت فترة صمت طويلة، قبل أن يستطرد قائلاً:

- بابا، هل تحبّني؟

رغم تساؤله المحيّر، الذي أدار فجأة دفّة حوارنا، فقد رأيتني مندفعًا وراء حديثه وقد تملكني فضول شديد، أجبت سؤاله المفاجئ هذا بسؤال آخر:

- كيف ؟! هل تشكّ في ذلك؟!!

- لا، ولكن طلب صغير.

قلت بصوت خفيض: ماذا تريد يا بني؟

قال وشفتاه تختلجان من التأثر والانفعال:

- عدني أن نزور جدّتي معًا، فأنا أحب أن أزيّن تربتها بزهرة جميلة. ألجمت المفاجأة لساني، فهززت رأسي موافقًا، وعندما اطمأن إلى إجابتي، استدار على عقبيه، ومضى في طريقه وثبًا دون أن ينظر إلى وراء!..

وشيعته بنظراتي، بينما كان خياله يتراقص، عبر الغلالة الرقيقة، التي نسجتها دموع مقلتيّ!!!....

الحركة الثقافية في شهر

الأمير خالد الفيصل يعلن عن موافقة المقام السامي على إعادة الترخيص لمؤسسة عسير للصحافة، وإصدار صحيفة يومية

مجلس المجمع الفقهي يصدر توصياته حول المفطرات والذبائح والحكم الشرعي للاستنساخ والعقود المستجدة وضوابطها

إعلان أسماء الفائزين بجوائز الدولة في مصر، وجوائز شومان للعلماء العرب الشبان

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ترعى الملتقى الأول للدعاة في أوغندا

اكتشاف مجموعة قصصية للأطفال كتبتها مي زيادة، ونص مجهول لجول فيرن

الأرشيف العثماني يتيح للباحثين الاستفادة من قرابة 45 مليون وثيقة



صدور عشرة أوامر ملكية تكوين مجلس الشورى من رئيس وتسعين عضواً

أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - عشرة أوامر ملكية بالتمديد للمسؤولين شاغلي مرتبة وزير والمرتبة الممتازة، وبتعيين رئيس جمعية الهلال الأحمر السعودي، وتعيين أمناء البلديات، وتكوين مجلس الشورى من رئيس وتسعين عضوًا، وذلك لمدة أربع سنوات.

وبمناسبة انتهاء المدة الأولى لمجلس الشورى وتكوينه لمدته الثانية، وجه خادم الحرمين الشريفين خطابًا إلى معالي رئيس مجلس الشورى الشيخ محمد بن جبير شكر فيه - حفظه الله - رئيس وأعضاء المجلس للجهود الصادقة التي بذلها الجميع في أثناء مدته الأولى. ورغب خادم الحرمين الشريفين من رئيس المجلس نقل تحياته وتقديره - حفظه الله - للإخوة الأعضاء الذين انتهت مدة عضويتهم لما قاموا به من مشاركة فعالة في أعمال المجلس ولجانه خلال المدة الماضية، آملاً - حفظه الله - أن تستمر جهودهم في مجالات أخرى لخدمة دينهم ووطنهم. كما رغب خادم الحرمين الشريفين إبلاغ الأعضاء الجدد في

طابعان بريديان لدارة الملك عبدالعزيز

بمناسبة مرور 25 عامًا على تأسيس دارة الملك عبدالعزيز أصدرت المديرية العامة للبريد طابعين تذكاريين من فئة 150 هللة وريالين، وجاء تصميم هذين الإصدارين مزينًا بصورة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، وشعار الدارة والمناسبة. يذكر أن الدارة قد أنشئت في عام 1392هـ.

نادي مكة يكرم حسين عرب

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة، رعى وكيل إمارة مكة المكرمة المساعد إبراهيم الخرعان الحفل الذي أقامه نادي مكة الثقافي الأدبي لتكريم الشاعر حسين عرب، بمناسبة منحه وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة.



حسين عرب

شارك في الأمسية التي أدارها د. محمد مريسي الحارثي كل من: د. محمود زيني، ود. عبدالله باقازي.

فتح باب الترشيحات لجائزة المدينة المنورة

أعلنت الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة عن فتح باب تلقي الترشيحات لجائزة الخدمات العامة في مجالات: العمارة، والمرافق والخدمات العامة، والمجال

المجلس تمنياته لهم بالتوفيق في جهودهم وإسهامهم في أعمال المجلس ولجانه خلال مدته الثانية.

وأكد معالي رئيس مجلس الشورى الشيخ محمد بن جبير أنه لن يحدث تغيير في اللجان الثماني المتخصصة بالمجلس في دورته القادمة، وأن لكل عضو من أعضاء مجلس الشورى سواء الجدد لهم أو الجدد الحق في الالتحاق بأي لجنة أراد بشرط أن يكون من أصحاب الاختصاص فيها.

وأشار معاليه إلى أن خادم الحرمين الشريفين بذل كل ما في وسعه لاختيار الأفضل والأنسب والأمثل في تسمية أعضاء المجلس الجديد وفق المعايير الموضوعية والمقننة؛ حيث يجب أن يكون العضو مؤهلاً تأهيلاً عاليًا من النواحي العلمية والتعليمية والثقافية. وقال معاليه: إن زيادة أعضاء مجلس الشورى من 60 إلى 90 عضوًا يُعَدّ تكريمًا من القيادة، ودليلاً على ارتياحها وتقديرها للدور الإيجابي الذي أسهم به مجلس الشورى في مدته الأولى بتقديم النصح والمشورة للحكومة.

في اجتماع برئاسة سمو الأمير سلمان

اللجنة العليا للاحتفال بمئوية تأسيس المملكة تقر شعار المناسبة





برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، رئيس اللجنة العليا واللجنة التحضيرية، أقرت اللجنة العليا للاحتفال بمرور مئة عام على بدء توحيد المملكة العربية السعودية، التصميمَ النهائي لشعار المناسبة، وذلك ضمن مجموعة من الأعمال الفنية التي تقدم بها عدد كبير من المشاركين في المسابقة.

أعلن ذلك الأمين العام للجنة د. ناصر بن عبدالعزيز الداود، وقال: «إن الشعار الذي تم اختياره بعد مروره بعدة مراحل وفحص كامل للأعمال الفنية كافة التي قُدِّمت، سيتم تعميمه على مختلف نشاطات الاحتفال وبرامجه المرسومة من خلال الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على بدء توحيد المملكة، التي أعدت ضوابط وإجراءات خاصة لاستخدام الشعار لالتزامها عند الرغبة في استعماله».

وأوضح د. الداود أن التصميم الذي أقرته اللجنة مقدم من الفنان التشكيلي السعودي علي بن عبدالعزيز الرزيزاء وفقًا لما تضمنه الإعلان عن مسابقة الشعار الذي سبق نشره في الصحف والمجلات المحلية، حيث تم تخصيص مبلغ مئة ألف ريال مكافأة لصاحب التصميم الفائز. وبلغ عدد المشاركين في المسابقة الخاصة بتصميم الشعار 686 مشاركًا، تقدموا بـ1523 تصميمًا.

وناقشت اللجنة الدراسات النهائية لتطوير منطقة قصر المربع التي تشتمل على المتحف الوطني ودارة الملك عبدالعزيز والمتنزه العام، وتم كذلك تحديد المكان الملائم لفرع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ضمن منطقة قصر المربع.

الاقتصادي، ومجال الخدمات الاجتماعية.

ويشترط في الترشيحات في مجال العمارة أن يكون المشروع في منطقة المدينة المنورة قائمًا أو تحت التنفيذ، وأن يكون مطبوعًا بطابع العمارة الإسلامية، وألا يتشابه مع مشروعات عالمية مماثلة.

واشترطت اللجنة في مجال المرافق والخدمات العامة أن يكون الأداء متميزًا، وله جانب إبداعي، يتعدى حدود الواجب الطبيعي، وذو فائدة للمجتمع.

وينبغي أن يكون العمل المرشح في المجال الاقتصادي قد أسهم في إضافة للاقتصاد المحلي في منطقة المدينة المنورة، معتمدًا قدر الإمكان على المنتجات الوطنية، وله إسهامات في توظيف أبناء الوطن وتدريبهم، فضلاً عن استخدامه للتقنية الحديثة.

فيما يشترط في مجال الخدمات الاجتماعية أن يكون المترشح قد قدم عملاً متميزًا يخرج عن واجبه الطبيعي من خلال إسهاماته في مجال الخدمة الاجتماعية.

وتحددت نهاية شهر جمادى الأولى المقبل موعدًا نهائيًا لاستقبال الترشيحات التي يجب أن تكون وثائقها ومسبباتها من خمس نسخ مكتوبة باللغة العربية ومرسله إلى الأمانة العامة للجائزة: ص.ب 5555 المدينة المنورة.

ندوة «مجتمع بلا إعاقة»

نظمت الجمعية السعودية لرعاية الأطفال المعاقين ندوة بالرياض بعنوان «مجتمع بلا إعاقة» بمشاركة عدد من المسؤولين والأطباء والمهتمين بمجال الإعاقة والمعاقين، خلال شهر صفر الماضي.

دارت محاور الندوة حول: وسائل نشر التوعية بالإعاقة في المجتمع، ودور المؤسسات الصحية في مواجهة الإعاقة، ودور الإعلام في التوعية بالإعاقة، وطرائق مواجهة الإعاقة.

منتدى شعبي بالأحساء

تقرر تشكيل لجنة إدارية للمنتدى الشعبي في الأحساء برئاسة مدير فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في الأحساء عمر بن سالم العبيدي.

وكانت الجمعية قد وافقت على إنشاء المنتدى ليتولى مهمة رعاية الأدب الشعبي بالمنطقة وتدوينه، وجمعه.

في مؤتمر صحفي
عن السياحة في عسير:

الأمير خالد الفيصل
يعلن عن إعادة الترخيص لـ «مؤسسة عسير للصحافة» وإصدار صحيفة يومية



أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير عن موافقة المقام السامي الكريم لإعادة الترخيص لمؤسسة عسير للصحافة والنشر وإصدار صحيفة يومية تصدر عن منطقة عسير.

ورفع سموه شكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني لما تجده منطقة عسير من عناية ورعاية وتشجيع في كل المجالات التنموية.

وذكر سموه أنه لم يتم تحديد اسم الصحيفة ورسم سياستها التي ستسير عليها مستقبلاً. وقال سموه في هذه المناسبة: «من الواجب عدم التسرع في اتخاذ القرارات، ونحن نتطلع إلى الاستفادة ممن سبقونا.. ونحن الآن بصدد تكوين لجنة لدراسة هذا المشروع الجديد، لتقويم الوضع الصحفي داخل المملكة وفي العالم العربي؛ حتى نتمكن من اتخاذ الطريقة المثلى لتشكيل هذه الصحيفة، وتمكينها من المنافسة الصحفية على مستوى الصحافة السعودية التي وصلت إلى مراحل متقدمة، ونريد البدء من حيث انتهى الآخرون».

وكان سموه قد عقد مؤتمرًا صحفيًا بجدة في 13 صفر الماضي تناول فيه استعدادات منطقة عسير لفصل الصيف، والإمكانات السياحية الكبيرة المتوافرة فيها، وقال: «إن صناعة السياحة في منطقة عسير وصلت إلى مستوى راق، وهي نموج مصغر للمستوى الذي تنعم به المملكة في ظل قيادتها الحكيمة».

كتب جديدة

الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم، تأليف عبدالعزيز الجارالله، صدر عن مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

الأمن في الإسلام وتطبيق المملكة العربية السعودية السياسة الجنائية الإسلامية، تأليف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، صدر عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

طقوس الحداثة: قراءة نقدية لـ«قلب على سفر»، تأليف د. عبدالرحمن أمين مرغلاني، صدر عن دار الأمين.

الكويت

«العربي الصغير» تعاود الصدور

عاودت مجلة «العربي الصغير» صدورها - مؤخرًا - بعد غياب استمر سبع سنوات، وتحديداً منذ العدوان العراقي على الكويت.

صدرت المجلة عن وزارة الإعلام بثوب جديد وأبواب جديدة وصيغة مختلفة عن تلك التي كانت عليها أيام كانت توزع مجانًا مع مجلة «العربي» الثقافية الشهرية. يحمل الإصدار رقم 57 ليكون استكمالاً لما سبقه.

محاضرات وندوات

«موقف الإسلام من التيارات المضللة» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض الشيخ د. صالح بن غانم السدلان.

«إحداثيات زمن العزلة» موضوع محاضرة ألقاها في رابطة الأدباء بالكويت د. مرسل العجمي.

«الكسب الحلال» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد ابن حميد بجبل النور في مكة المكرمة الشيخ علي بن سعد العصيمي.

«مستقبل النظام العربي في ضوء التطورات العالمية والإقليمية» عنوان محاضرة ألقاها في مؤسسة عبدالحميد شومان بعمان في الأردن د. نصيف حتي.

«المرأة اليمنية اليوم» عنوان محاضرة ألقتها في دار مصر في باريس د. آمنة النعيري.

«مستقبل الغاز والنفط العربي» موضوع محاضرة ألقاها في مؤسسة عبدالحميد شومان بعمان في الأردن د. وسام الهاشمي.

«رعاية الطفل في سنواته الأولى» عنوان محاضرة ألقتها في مقر اللجنة النسائية بجمعية الإرشاد الاجتماعي في منطقة مشيرف في عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة فاطمة ربيع.

«الحضور العربي في الأدب الإسباني» عنوان محاضرة ألقاها في معهد سيرفانتس بالمركز الثقافي الإسباني بدمشق رفعت عطفة.

«تحديات المستقبل في المغرب» عنوان محاضرة جماعية ألقاها في مقر المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية في لندن كل من: أندريه أزولاي، وحسن أبو أيوب.

«السوق العربية المشتركة» عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن د. جلال أمين.

«بدايات الشعر الحديث في العراق» عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن بدعوة من النادي العربي في بريطانيا د. صلاح نيازي.

«التفاؤل من مقاصد الإسلام» عنوان محاضرة ألقاها في جامع حلة القصمان في

وجه الشكر لخادم الحرمين الشريفين:
مجلس المجمع الفقهي يصدر توصيات دورته العاشرة

قدَّم مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي شكره لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - لرعايته أعمال الدورة العاشرة التي انعقدت في مدينة جدة خلال المدة من 23-28 صفر الماضي.

وأدان المجلس في بيانه الختامي الجريمة النكراء التي اقترفها بعض المستوطنين اليهود الصهاينة في مدينة الخليل بفلسطين المحتلة، معتبرًا ذلك إساءة بالغة للدين الإسلامي الحنيف ونبيه الكريم وقرآنه العظيم.

وأصدر المجلس عددًا من القرارات والتوصيات بعد مناقشاته لعدد من القضايا والموضوعات تمحورت حول أربعة موضوعات، هي: المفطرات، والذبائح والطرق الشرعية في ذبح الحيوان، والحكم الشرعي للاستنساخ، والعقود المستجدة وضوابطها.

وشملت الأمور التي لا تُعدّ من المفطرات قطرة العين والأذن، وقطرة الأنف أو بخاخ الأنف، والأقراص العلاجية التي تُوضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية، وإدخال المناظير في بعض أجزاء الجسم، وحفر السن وما يتعلق به من المضمضة والغرغرة، وغازات التخدير والأوكسجين، واستخدام المراهم، وأخذ العينات من الكبد وغيره من أعضاء الجسم.

وفيما يتعلق بموضوع الاستنساخ قرر المجلس بناء على ما سبق من البحوث والمناقشات والمبادئ الشرعية تحريم الاستنساخ البشري بطريقتيه المذكورتين أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري، وتحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحمًا أم بويضة أم حيوانًا منويًا أو خلية جسدية.

وناشد المجلس الدول الإسلامية غلق الأبواب أمام الجهات المحلية أو الأجنبية أو المؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميدانًا لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها.

وعن موضوع الذبائح قرر المجلس أن الذبح يتحقق بقطع الحلقوم والمريء والودجين، وهي الطريقة المفضلة شرعًا في تذكية الغنم والبقر والطيور ونحوها، ويجوز في غيرها، والأصل في التذكية الشرعية أن يكون من دون تدويخ الحيوان، واعتبار طريقة الذبح الإسلامية بشروطها وآدابها هي الأمثل.

وأجاز المجلس للمسلمين الزائرين للبلاد غير الإسلامية أو المقيمين فيها أن يأكلوا من ذبائح أهل الكتاب، مما هو مباح شرعًا، بعد التأكد من خلوها مما يخالطها، إلا إذا ثبت لديهم أنها لم تتم تذكيتها.

كتب جديدة

العمامة والصولجان، تأليف خليل علي حيدر، صدر عن دار قرطاس للنشر.

مصالحات ومغالطات وقضايا أخرى، تأليف د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي.

انتحار عبدالجبار البابلي، مجموعة قصصية للدكتور خالد أحمد الصالح.

عبدالله مبارك الصباح: صقر الخليج، تأليف د. سعاد الصباح.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

الإمارات

كتب جديدة

أثر السوق الأوروبية الموحدة على القطاع المصرفي الأوربي والمصارف العربية، تأليف أحمد حسين الرفاعي.

العقوبات الأمريكية ضد إيران، إعداد باتريك كلاوس «بالإنجليزية».

الإصلاح الاقتصادي في الصين ودلالاته السياسية، إعداد وي زانج.

صدرت الدراسات السابقة عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

الرياض الشيخ عبدالمحسن بن محمد التويجري.

«أوضاع الصحافة السعودية وتطورها بين الأمس واليوم» موضوع محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي عبدالله عمر خياط.

«التراث المعماري لمدينة هيت» عنوان محاضرة ألقاها في جاليري ديوان الكوفة بلندن طه الهيتي.

«الديمقراطية ومسار الحكم في لبنان» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من المجلس الثقافي للبنان الجنوبي د. إيليا حريق.

«الاغتراب في القصة الكويتية» عنوان محاضرة ألقتها في رابطة الأدباء بالكويت د. نجمة إدريس.

«تنفيذ الأحكام القضائية بين دول مجلس التعاون» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة مسرح معهد الإمارات للدراسات المصرفية والمالية بالشارقة د. عكاشة عبدالعال.

«جمالية الكتابة في الصحافة المحلية» عنوان محاضرة ألقاها في ملتقى الثلاثاء باتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها د. عمر عبدالعزيز.

«الفن الفارسي في مجموعة الأرميتاج»، عنوان محاضرة ألقتها في دار الآثار الإسلامية بالكويت د. آرال أداموفا.

«التطبيع الثقافي: الأبعاد والمخاطر»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي بالدوحة في قطر عبدالله حوراني.

«اللغة العربية وسبل الارتقاء بها»، موضوع ندوة نظمها المركز الوطني للدراسات بالكويت، وشارك فيها الدكاترة حسن نورالدين، وأسعد نصر الله سكاف، وطارق آل ناصر الدين.

«العصبية الخلدونية والدولة العربية المعاصرة»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من النادي العربي ببريطانيا وليد نويهض.

«التقنية الإعلامية في العالم العربي» موضوع محاضرة ألقاها في المكتبة المركزية بجامعة الإمارات علي شمو وزير الإعلام السابق في السودان.

«خواطر وذكريات مع الشيخ الداعية الراحل محمد الغزالي»، عنوان ندوة تحدث فيها الأستاذان: محمد مراح، والهادي صالحة، بمقر جمعية الإرشاد بمدينة تبسة.

تنبيه واعتذار



صاحب السمو الملكي
الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

لايغيب عن فطنة القارئ الكريم ماوقع في صفحة 114 من العدد الماضي 249 من خطأ في تعليق الصورتين الخاصّتين بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك، إذ وُضع اسمُ كلٍّ منهما موضع الآخر، نتيجة لحدوث خلل مفاجئ في جهاز الحاسوب أدى إلى عدم حفظه لأوامر التصحيح لهذا الخطأ.

والمجلة إذ تنبه على هذا الخطأ، فإنها تعتذر لصاحبي السمو الملكي الأميرين الكريمين؛ فكلاهما إلى المحْتد الكريم نفسه منسوب، وكلاهما علم معروفٌ، وبالفضل موصوف.



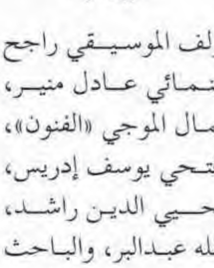
صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز

مصر

الفائزون بجوائز الدولة

أعلنت مؤخرًا أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية في مجالات الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، حيث نال الجوائز التقديرية 8 مرشحين وحُجبت جائزتان، وفاز بالتشجيعية 10 مرشحين وحُجبت 8 جوائز.

نال الجوائز التقديرية كل من: منير كنعان وعلي نورالدين «الفنون»، ود. غالي شكري، وفاروق شوشه «الآداب»، والسيد ياسين، ود. أنور عبدالملك. ود. لويس كامل مليكة، ود. محمد طه بدوي «العلوم الاجتماعية».



فاروق شوشة

وفاز بالجوائز التشجيعية كل من الفنان التشكيلي د. فاروق الجبالي، والمؤلف الموسيقي راجح داود، والمونتير السينمائي عادل منير، ومهندس الديكور جمال الموجي «الفنون»، والمترجم د. محمد فتحي يوسف إدريس، والقاص د. علي محيي الدين راشد، والأديب فاروق عبدالله عبدالبر، والباحث د. محمد رجب محمد النجار، والناقد د. مصطفى عبدالغني «الآداب»، وأحمد حمروش «العلوم الاجتماعية»، ود. هشام أحمد حسبو، ود. نصر محمد أحمد عارف «العلوم الاقتصادية والقانونية».

سلسلتان جديدتان عن اتحاد الكُتّاب

يعتزم اتحاد كُتّاب مصر إصدار سلسلتين جديدتين، أولاهما باسم «كتاب الاتحاد» يقتصر النشر فيها على نتاج الأعضاء العاملين، والأخرى باسم «الكتاب الأول» وتنشر لشباب الكُتّاب المنتسبين.

تصدر السلسلة الأولى في منتصف كل شهر ميلادي، وتصدر الثانية في أول كل شهر ميلادي، وتتناولان مجالات الإبداع المختلفة من شعر، وقصة، ورواية، وترجمة، ومسرح، وأدب أطفال، ونقد، وغير ذلك.

ندوة دولية حول كتب الأطفال

شارك زهاء مئة عالم وخبير يمثلون مختلف الجهات الدولية والمحلية العاملة في مجال ثقافة الطفل في أعمال الندوة الدولية حول كتب الأطفال المتميزة، التي أقيمت برعاية قرينة الرئيس محمد حسني مبارك واستمرت يومين.

رمت الندوة إلى الارتقاء بالخبرة المصرية في جميع الميادين المرتبطة بثقافة الطفل وتربيته وتنشئته.

النساء يدخلن مجمع اللغة العربية

توقع رئيس مجمع اللغة العربية د. شوقي ضيف أن يضم المجمع إلى عضويته - قريبًا - بعض عالمات اللغة، مشيرًا إلى أن هناك في مصر عالمات وباحثات ترشحهن أعمالهن لأن يَكُنَّ عضوات بارزات في المجمع.

وقال د. ضيف: إن د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) هي أوفر المرشحات حظًا لتكون أول امرأة تنضم إلى المجمع الذي اقتصرت عضويته - منذ إنشائه قبل ستين عامًا - على الرجال فقط.

شيخ الأزهر: لم نصادر أي كتاب

نفى فضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ما تردد عن قيام الأزهر بمصادرة 150 كتابًا، مشيرًا إلى أن القانون لا يعطي الأزهر سلطة مصادرة الكتب.

وقال فضيلته في حوار مع صحيفة «أخبار الأدب» الأسبوعية: إن مهمة مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر تقتصر على كتابة تقارير عن الكتب بناء على طلب أفراد أو جهات رسمية لإبداء الرأي فيها، والتقارير غير ملزمة للجهة التي أرسلتها، حيث بإمكانها الأخذ بالتقارير أو تركها.

وأشار إلى أن الأزهر لا يكمم الأفواه، لكن إذا كان من حق إي إنسان أن يقول ما يشاء، فإن من حق الأزهر بوصفه مرجعية إسلامية أن يصحح له ما يقوله.

مركز للدراسات الاستشراقية بالأزهر

يدرس مجلس جامعة الأزهر إنشاء مركز لرصد الدراسات الاستشراقية وتحقيق المخطوطات الإسلامية في القاهرة.

وأشار د. أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة إلى أن المهمة الرئيسة للمركز تتمثل في متابعة ما يصدر من أبحاث ومؤلفات عن الإسلام، خصوصًا في الغرب لتفنيدها إذا كانت مغرضة أو الاستفادة منها إذا كانت منصفة.

وقال إنه سيتم في مرحلة لاحقة إنشاء فروع للمركز في دول أوروبية وبعض دول الشرق غير الإسلامية كالصين والهند واليابان.

الحركة الثقافية في شهر

جمعية للدراسات الجمالية

تأسست في القاهرة - مؤخرًا - جمعية باسم «الجمعية المصرية للدراسات الجمالية» تهتم بتطوير علم الجمال وعلاقات المنطق بالفكر والفن والأدب.

وقررت الجمعية تنظيم ندوات دورية، بواقع ندوة كل يوم خميس، يديرها د. عبدالمنعم تليمة، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

توصية بإنشاء نقابة لإخصائيي المكتبات

أكد المؤتمر السنوي الأول لإخصائيي المكتبات والمعلومات في مصر أهمية الدور المتوقع أن تقوم به المكتبة خلال القرن الميلادي المقبل بوصفها المخزن الطبيعي للمعلومات التي يحتاج إليها الباحث في فروع المعرفة المختلفة.

وطالب المؤتمر بإنشاء نقابة خاصة بالمكتبيين، وأوصى بتشكيل لجنة تأسيسية للنقابة إلى جانب الاهتمام بالمكتبة الوطنية المصرية ودار الكتب، وتكريم بعض رواد العمل المكتبي الأحياء والراحلين وفي مقدمتهم الراحل د. محمود الشنيطي.

وكان المؤتمر الذي افتتحته قرينة الرئيس محمد حسني مبارك قد ناقش خلال جلساته الست قرابة أربعة عشر بحثًا تناولت كل ما يهم المعنيين بشؤون المكتبات.

مؤسسة ثقافية وجائزة جديدة

أنشئت مؤسسة ثقافية جديدة باسم «مؤسسة أندلسية للثقافة والعلوم» تمنح جوائز في مجالات الشعر والنقد والفنون التشكيلية والبحث العلمي.

أنشأ المؤسسة أحد رجال الأعمال، وأعلنت بالفعل عن بداية منح جوائزها بواقع عشرة آلاف جنيه للفائز في كل فرع من فروعها.

ويُنتظر أن يتم منح الجائزة وتسليمها في احتفالية ثقافية تقام خلال شهر جمادى الآخرة المقبل (أكتوبر 1997م).

«حديث المدينة» و«هنا القاهرة»

انضمت إلى ركب الصحافة المصرية - مؤخرًا - صحيفتان جديدتان، تحمل أولاهما اسم «حديث المدينة»، والثانية «هنا القاهرة».

يرأس مجلس إدارة وتحرير الصحيفة الأولى حسن الهواري، فيما يرأس مجلس إدارة الصحيفة الثانية عبدالمنعم الحاج، ويتولى رئاسة تحريرها زكي محمد زكي.

الطريف أن الصحيفتين اللتين لا يفصل بين تاريخ صدورهما سوى أسابيع معدودة تحملان اسمي برنامجين إذاعيين شهيرين من الستينيات الميلادية!

توصية بإنشاء كرسي للأفغاني بالجامعات المصرية

أوصت ندوة جمال الدين الأفغاني في ختام أعمالها بالقاهرة بإقامة كرسي للأفغاني في الجامعات المصرية، والاهتمام بمادة الفكر العربي الحديث وتيارات الإصلاح.

وقررت الندوة التي نظمها المجلس الأعلى للثقافة تخصيص جائزة مالية لأفضل ما كتب عن الأفغاني، وعمل بيليوجرافيا شاملة لكل أعماله، مع إصدار أعماله كاملة، وطبعها على الميكروفيلم، وتوصية وزارة التعليم بتوضيح صورة الأفغاني للنشء، وإصدار كتاب يتضمن ما ألقي في الندوة من أبحاث.

وكانت الندوة قد أقيمت بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الأفغاني، وناقشت أكثر من عشرين بحثًا عن الأفغاني وفكره، وما بقي منه، والقيم الدينية في مشروعه الفكري وتصوره للعلم.

تدفق المعلومات بين وكالات الأنباء

استضافت القاهرة أعمال المؤتمر السادس لرابطة وكالات أنباء البحر المتوسط، بمشاركة ست عشرة دولة متوسطية.

ناقش المؤتمر عدة قضايا من أبرزها كيفية تحقيق تدفق المعلومات بين الوكالات بغية تعريف الشعوب بأدق المعلومات وأكثرها صدقًا.

الترشيح لجائزة نجيب محفوظ للرواية



نجيب محفوظ

أعلن المجلس الأعلى للثقافة عن فتح باب تلقي الترشيحات لجائزة «نجيب محفوظ للرواية العربية» التي تُمنح للمرة الأولى هذا العام.

والمسابقة مفتوحة أمام الروائيين من مختلف الأقطار العربية، ويُشترط أن يتقدم المشارك بأربع نسخ من روايته، وأن تكون الطبعة الأولى من الرواية المرشحة قد صدرت خلال عامي 1996/95م، وألا تكون قد سبق أن نالت جائزة في مسابقة أخرى.

وتقرر تخصيص ثلاث جوائز للفائزين الأوائل بواقع ألفي جنيه للأول، و1500جنيه للثاني وألف للثالث.

وفاة الإذاعي إيهاب الأزهري

توفي في أواخر شهر صفر الماضي الإذاعي إيهاب الأزهري الذي أمضى قرابة 45 عامًا في ميدان العمل الإذاعي.

وكان الأزهري قد بدأ مشواره الإذاعي عام 1953م، وذلك بتقديم برامج وأعمال درامية لتبسيط العلوم. ومن أشهر برامجه: «عزيزي المستمع»، و«الحذف ممنوع»، كما أنه صاحب فكرة برنامج «على الهواء» الذي ظل على خريطة الإذاعة أكثر من 35 عامًا.

عمل الراحل مديرًا لإذاعة ركن السودان، ومديرًا لإذاعة الشباب، ووكيلا للوزارة للتخطيط باتحاد الإذاعة والتلفاز، ووكيلا لوزارة الثقافة للعلاقات الثقافية الخارجية، وله عدة مؤلفات في مجاله.

كتب جديدة

رأيت رام الله، تأليف مريد البرغوثي، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال» عن

مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

خطاب الأفندية الاجتماعي، تأليف زكاري لوكمان، ترجمه إلى العربية بشير السباعي وصدر عن دار مصر العربية.

الأحكام السلطانية للماوردي، ضبط نصوصه وعلق عليه محمد علي أبو العباس، وصدر عن دار مكتبة القرآن الكريم في طبعة جديدة منقحة.

الحب والحقيقة، للدكتور نجاح عبدالعليم.

بنت السماء، للدكتور محمود الحجر.

ترانيم النور، لسليمان عبدالشافي.

ثلاث مجموعات شعرية صدرت عن دار هديل بالزقازيق.

أدب الحوار في الإسلام، الاجتهاد في الأحكام الشرعية، كتابان جديدان لفضيلة الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوي، شيخ الجامع الأزهر، صدرا عن دار نهضة مصر بالقاهرة.

مستقبل الأمن العربي، تأليف د. محمد نعمان جلال، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن مؤسسة دار المعارف.

الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تأليف د. عبدالعال سالم مكرم، صدر عن دار عالم الكتب.

جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، تأليف د. مجدي عبدالحافظ، صدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

صالحة، رواية لعبدالعزيز المشري، صدرت ضمن مختارات «فصول» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التطرف الإسرائيلي: جذوره وحصاده، تأليف طاهر شاش، صدر عن دار الشروق للطباعة والنشر.

السودان

طبع الجزء الثاني من معجم أدباء السودان وإعداد جزئه الثالث

تعد الهيئة القومية للثقافة والفنون لإصدار الجزء الثالث من معجم أدباء السودان، في الوقت الذي تم فيه طبع الجزء الثاني منه. والأجزاء الثلاثة من المعجم تتناول العصور التالية: عصر دولة الفونج (1505-1821م) والعصر التركي (1821-1885م)، وعصر المهدية (1885-1898م)، والعصر الحديث الذي يبدأ من الحكم الاستعماري للسودان عام 1898م حتى استقلال البلاد عام 1956م ويستمر إلى الآن.

وقد أعد هذا المعجم لجنة من كبار أساتذة الأدب بالجامعات السودانية وبعض الشعراء والكتاب.

ومن الأعلام الذين ترجم لهم الكتاب في جزئه الأول: الكاتب محمد نور ود ضيف الله مؤلف كتاب «طبقات ود ضيف الله»، والشيخ فرح ود تكتوك، والشيخ إسماعيل بن مكي الدقلاشي، ومن شعراء المهدية البارزين الشيخ محمد عمر البنا، وإسماعيل عبدالقادر الكردفاني. ويقول البروفسور عبدالله الطيب إن المهدي نفسه من أعلام الكتاب في ذلك العصر، وإن منشوراته وإنذاراته كانت بمنزلة المقدمة أو التمهيد لأسلوب الصحافة في عصرنا. ووصف الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم أسلوب المهدي بأنه مباشر ولا أثر فيه للتكلف والصناعة، أما الأستاذ حليم اليازجي فيرى أن أسلوب المهدي مدرسة تجديدية في النثر السوداني الحديث.

الأردن

اكتشافات مهمة في «كهف لوط»

أسفرت عمليات الحفر والتنقيب في موقع «كهف النبي لوط عليه السلام» بشرق البحر الميت عن التوصل لاكتشافات أثرية مهمة.

حيث دلت الحفائر على أن الكهف قد تحول إلى كنيسة ثم دير في العهد البيزنطي،

رسائل جامعية

«دور مركز وسائل وتقنية التعليم بالإعداد المهني لمعلمة الاقتصاد المنزلي» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدمت بها نور ناس.

«مشكلة الغلو في الدين في العصر الحديث: الآثار والأسباب والعلاج» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبد الرحمن بن معلا اللويحق المطيري.

«التربية الوجدانية في الإسلام» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدمت بها سمية محمد علي حجازي.

«أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، تقدم بها إبراهيم بن محمد قاسم رحيم.

«متاعب الغدد الصماء» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدمت بها نجلاء القباني.

«المحبة والولاية عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بمدينة بنها المصرية، تقدم بها زكي ورداني.

«رسالة الغفران لأبي العلاء المعري 979- 1058م في إطار الأدب المقارن» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها منى محمد طلبه.

«صورة المجتمع النوبي في القصة القصيرة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي المصرية، تقدم بها علاءالدين علي محمد الفقي.

«المعتقدات والمعبودات فيما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد محمد سعيد.

«الفعل في لغة الهوسا» عنوان رسالة دكتوراه في اللغات الأفريقية نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد مرعي عبدالحميد.

«تطور المسرحية الهزلية على مسرح الكسار» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون في القاهرة، تقدم بها حسين عبدالغني.

وعثر على أرضيات فسيفسائية تعود إلى العصور الوسطى وتحديدًا إلى الفترة البيزنطية وتزينها رسوم.

الفائزون بجوائز شومان للعلماء العرب الشباب

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز مؤسسة عبدالحميد شومان للباحثين العرب الشبان لعام 1996م، حيث فاز أحد عشر باحثًا من بين 133 تقدموا لنيل الجوائز، فيما حُجبت جائزة العلوم الحياتية لعدم تميز الإنتاج العلمي لأي من المترشحين.

نال جائزة الفيزياء والجيولوجيا د. نصير محمد تواتي (الجزائر)، وجائزة العلوم الإدارية والقانونية د. جاسم على الشامسي (الإمارات)، وتقاسم جائزة العلوم الهندسية كل من: د. أحمد عادل خضير (فلسطين) ود. حازم صبحي محمد شعبان الزبدة (الأردن)، وفاز بجائزة العلوم النفسية والتربوية د. عمر هارون الخليفة (السودان)، وجائزة العلوم الطبية د. حسن أبو العينين إسماعيل (مصر)، وجائزة الرياضيات د. نبيل طالب أحمد شوافقه (الأردن)، وجائزة العلوم الاقتصادية والمالية والمصرفية د. عبدالله المومني (الأردن)، وتقاسم جائزة العلوم الإنسانية كل من: د. غيثان بن علي بن جريس (السعودية) ود. محمد بن امبارك بناصر افايه (المغرب)، وحاز جائزة العلوم الزراعية د. رضا محمد شبلي (الأردن)، وجائزة الكيمياء د. نجوى عبدالعال نوار عبدالعال (مصر)، وجائزة العلوم الاجتماعية د. يوسف محمد أحمد زيدان (مصر).

كتب جديدة

النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبي، تأليف سيار الجميل، صدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع.

سورية

كتب جديدة

دراسات في المكتبة العربية التراثية، تأليف عادل الفريحات، صدر عن دار النمير في دمشق.

خبز عشتار، ديوان لنذير العظمة، صدر عن مطبعة الجمهورية.

وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان، تأليف دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق نزار أباظة، نشر خاص في دمشق.

صوت الأنثى: دراسات في الكتابة النسوية العربية، تأليف نازك الأعرجي، صدر عن دار الأهالي.

يحدث أمس، رواية لإسماعيل فهد إسماعيل، صدرت عن دار المدى.

فلسطين

اختيار مناطق أثرية في مشروع متاحف بلا حدود

تنسق مجموعة آثارية مصرية فلسطينية لاختيار مناطق أثرية في فلسطين للمشاركة بها في المشروع الدولي «متاحف بلا حدود».

تمول المشروع منظمة «أضواء المدينة» في إطار الشراكة الأوربية الشرق أوسطية، وتموله إسبانيا والنمسا، بهدف تنمية التراث الثقافي والتاريخي لدول حوض البحر المتوسط، واختيار مجموعة من الأماكن المتميزة التي تشكل بتكوينها متاحف مفتوحة لإدراجها في دليل عالمي.

لبنان

إعادة افتتاح متحف بيروت الوطني

يُنتظر أن يتم افتتاح متحف بيروت الوطني بعد انتهاء عمليات ترميمه في مطلع

«العوامل المؤثرة على التحرير الصحفي في المجلات الأسبوعية الإخبارية في مصر والولايات المتحدة.. دراسة مقارنة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها هاني محمد.

«الشعر الديني في صعيد مصر الأعلى في عصر الحروب الصليبية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في مدينة قنا المصرية، تقدم بها محمود النوبي أحمد سليمان.

«التشويه المسخي في مسرحية أضواء البوهيمية تأليف باي إنكلان.. دراسة تطبيقية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها باسم صالح محمد داود.

«تقويم المنتج في برامج التسويق» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التجارة بجامعة عين شمس، تقدم بها علي جمال عبدالبر.

«الخطابة في القرن الأول الهجري.. دراسة في الشكل والمضمون» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنصورة في مصر، تقدم بها إبراهيم علي محمد فرج.

«مشروع الفارابي على كتب أرسطو المنطقية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في طنطا بمصر، تقدم بها زكريا منشاوي.

«السياسة الخارجية اليابانية تجاه شرق آسيا» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها علي سيد القفر.

«شعر عبدالرحمن صدقي.. دراسة فنية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها إيهاب النجدي.

«تربية الأطفال وعلاقتها بالخوف» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، تقدمت بها فاطمة الشريف الكتاني.

«النظام السياسي وحرب يونية 1967م» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها ممدوح أنيس فتحي.

«دوافع التحاق الطلاب بكليتي التربية الرياضية والشرطة» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية الرياضية بالهرم، تقدم بها حسام سامي السيد.

«الألوهية والعالم عند أبي بكر الرازي» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بمدينة بنها المصرية، تقدم بها وليد طاهر.

شهر رجب المقبل (نوفمبر 1997م).

وكان المتحف قد اقفل أبوابه قرابة عشرين عامًا منذ اندلاع الحرب الأهلية، وأودعت محتوياته في مخابئ خاصة لحمايتها طوال سنوات الحرب.

يذكر أن المتحف يضم قطعًا نادرة تنتمي إلى عصور مختلفة منها العصر الروماني والبيزنطي والإسلامي.

كتب جديدة

زنقة بن بركة، رواية لمحمود سعيد، صدرت عن دار الآداب في بيروت.

الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام، تأليف نصري سلهب، صدر عن دار النشر للسياسة والتاريخ.

قراءات في القرآن الكريم؛ وجهة نظر اقتصادية، تأليف حمد سلمان الغانم، صدر عن دار الاتحاد.

فلسفة كانت النقدية، تأليف جيل دولوز، ترجمه إلى العربية أسامه الحاج، وصدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الإسماعيليون والمغول ونصيرالدين الطوسي، تأليف حسن الأمين، صدر عن دار الغدير في بيروت.

العرب والحداثة السياسية، تأليف كمال عبداللطيف، صدر عن دار الطليعة.

مذاهب وملل وأساطير، تأليف جاك كاليبو ونكول كاليبو، ترجمه إلى العربية فارس عصوب، وصدر عن دار الفارابي.

تاريخ بلاد الشام: إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية، تأليف إبراهيم بيضون، صدر عن دار المنتخب العربي.

المغرب

مهرجان أصيلة ينطلق ويكرم الحيدري

انطلقت أعمال ونشاطات الدورة التاسعة عشرة لمهرجان أصيلة الصيفي في منتصف شهر ربيع الأول المنصرم.

بدأت أولى فعاليات المهرجان الذي يستمر حتى منتصف الشهر الحالي بورشات للفن التشكيلي شارك فيها فنانون من مختلف أنحاء العالم.



بلند الحيدري

ونظمت جامعة المعتمد بن عباد نشاطات ثقافية متنوعة حول موضوع «العرب والأمريكيون في الإعلام العربي الأمريكي» بمشاركة نخبة من المفكرين والإعلاميين العرب والأمريكيين، ويعلن اليوم غرة ربيع الآخر اسم الفائز بجائزة المنتدى العربي الأفريقي، التي تحمل في دورتها الحالية اسم الشاعر العربي الراحل بلند الحيدري، تكريما له، كما يخصص المنتدى ندوة للإبداعات الأدبية في موضوع «بلند الحيدري وحركة الشعر العربي المعاصر».

وشهدت «أصيلة» هذا العام افتتاح مركز أصيلة للدراسات الأمريكية، والإعلان عن تأسيس «منتدى أصيلة» الذي يعد لأن يكون مؤسسة ثقافية ومركزًا للدراسات الاستراتيجية والدولية، ينظم الحلقات الدراسية، ويرعى الأبحاث العلمية والإنسانية والإبداعية.

ويختتم الموسم بندوة عن «المدينة الإسلامية ونظم التخطيط الحضري المعاصر» خلال المدة من 8 إلى 10 ربيع الآخر الجاري (12- 14 أغسطس) يحضرها اختصاصيون في العمارة والتخطيط من مختلف أنحاء العالم.

ندوة حقوق المؤلف والصناعات الثقافية

شارك ممثلون لأربعين دولة إسلامية في ندوة دولية بعنوان «حقوق المؤلف والحقوق المجاورة والصناعات الثقافية» نظمتها في الرباط المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) بالتعاون مع المنظمة العالمية للملكية الفكرية.

استمرت الندوة أربعة أيام وناقشت 9 محاور: الإطار الدولي لحماية حقوق المؤلف والملكية الفكرية، حقوق المؤلف والصناعات الثقافية، صناعة الكتاب ونشره، صناعة التسجيلات، الفنون الجميلة والتعبيرات الشعبية (الفلكلورية)، التقنية الرقمية، حماية المصنفات الأدبية والفنية، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، الصناعات السينمائية، وبرامج المنظمة العالمية للملكية الفكرية للتعاون والتنمية.

الفائزون بجوائز الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي.

فاز بجائزة عبدالله كنون للدراسات الإسلامية والأدب المغربي الباحث عبدالحق المريني عن كتابه «شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبدالرحمن بن هشام العلوي».

ونال جائزة الدراسات الإسلامية كل من: السعيد بو ركبة عن كتابه «دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة العلوية»، والجاحظ مسعود الصغير عن كتابه «العمل والمال ودورهما في علاج مشكلات المجتمع الإسلامي».

مهرجان الرباط الثقافي الثالث

شاركت خمس وعشرون دولة في الدورة الثالثة لمهرجان الرباط الثقافي، الذي اختتم أعماله قبل شهر.

تضمن المهرجان ندوات أدبية وأمسيات ثقافية ومعارض تشكيلية وحفلات موسيقية ومسرحية وسينمائية، فضلاً عن لقاءات مفتوحة.

الفائزون بجائزة الأطلسي

أعلنت مؤخرًا أسماء الفائزين في الدورة السادسة لجائزة الأطلسي الكبرى لعام 1997م المخصصة لأجمل الكتب والألبومات، التي تقدمها الملحقية الثقافية بسفارة فرنسا في المغرب.

نال الجائزة الكبرى الباحثان المغربيان عبدالكبير الخطيبي وعلي أمهان عن عملهما حول «الزربية المغربية من الرمز إلى

الصورة»، ومنح جيرار روندو مؤلف كتاب «صور من المغرب» جائزة الإبداع، ونال جائزة الجمهور سعد الجابر عن عمله «كنوز: الكنوز الفضية الإسلامية».

كتب جديدة

فتنة الأقاص، ديوان شعر لوفاء العمراني، صدر مع شريط كاسيت بصوتها عن دار الرابطة بالدار البيضاء.

الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، تأليف د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

تونس

كتب جديدة

تونس من النشأة إلى التأسيس، تأليف محمد عبادة، صدر عن دار سحر للنشر.

المواسم والأعياد بتونس، تأليف أحمد الطويلي، صدر عن دار نشر أسود على أبيض.

مواويل عائد من ضفة النار، مجموعة قصصية لميزوني البناني، صدرت عن دار نقوش عربية.

دراسات في العلاقات الإسلامية المسيحية، تأليف عبدالجليل التميمي، صدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي.

الهند

وفاة الشيخ منظور النعماني

توفي إلى رحمة الله في الهند الشيخ محمد منظور النعماني أحد الدعاة والكتاب الإسلاميين الذين حملوا لواء الدعوة، وصححوا عقيدة المسلمين في الهند. وقد أقيم له حفل تأبيني في الجامعة الإسلامية في مدينة لكهنؤ.

الكاميرون

افتتاح مسجد ياوندي

برعاية الرئيس بول بيا، افتُتح - مؤخرًا - في ياوندي مسجدها الكبير الذي أنشئ على نفقة حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

تكلف المسجد خمسة ملايين دولار أمريكي، ويقع على قطعة أرض مساحتها 41 ألف متر مربع، وبه مصلى للنساء، فضلاً عن ساحة خارجية مغطاة خارج القاعة الرئيسة مخصصة للصلاة مساحتها 1450 متراً مربعًا، ويتبع المسجد صحن خارجي مكشوف مساحته 1350 متراً مربعًا، كما يضم مسكنًا للإمام وآخر للمؤذن، ومدرسة من ستة فصول دراسية مساحتها 1800 متر مربع، إضافة إلى مكتبة ومعمل وساحة ألعاب ومكاتب للإدارة والمدرسين وحديقة داخلية، وملحق به موقف للسيارات مساحته 3000 متر مربع.

أوغندا

الملتقى الأول للدعاة

شارك مئة وخمسة وعشرون داعية من 9 بلدان أفريقية في أعمال الملتقى الأول للدعاة الذي أقيم في كمبالا - مؤخرًا - برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

ناقش المؤتمرون الصعوبات والمشكلات التي تعترض سير العمل الدعوي، والحلول المقترحة لها، وكيفية تطوير العمل في مجال الدعوة وموضوعات أخرى تتعلق بالمجال ذاته، وتوجهوا بالشكر لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للجهود التي تبذلها من أجل الدعوة والدعاة.

وأكد الشيخ خاتم نعمان في كلمة الدعاة أن وزارة الشؤون الإسلامية أحسنت في عقدها هذا الملتقى لما يحصل فيه من تعارف واجتماع بين الدعاة، واستدراك بعض ما يجب عليهم تعلمه من أساليب الدعوة.

وأوضح الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخضير في كلمة الأساتذة أهمية الدعوة إلى الله وأنها مهمة الأنبياء والرسل.

تركيا

ندوة عن الحملات الصليبية

عقدت في استنبول تحت رعاية الرئيس التركي سليمان ديميريل ندوة عن «الحملات الصليبية» نظمتها مؤسسة التاريخ التركي.

شارك في الندوة 22 عالمًا من مصر وتركيا وألمانيا وبريطانيا والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، وناقشت الندوة هذه الحملات من منطلق كونها ضد التسامح والحضارة، كما بحثت آثارها على العالم الإسلامي بعامة وتركيا بخاصة.

أكثر من 150 مليون وثيقة في الأرشيف العثماني

أصبح في إمكان الباحثين من شتى أنحاء العالم الاستفادة من قرابة 45 مليون وثيقة من مجموع الوثائق التي يحتويها الأرشيف العثماني، والتي بلغ مجموعها مايزيد على 150 مليون وثيقة.

ذكر ذلك نجاتي أقطاش المدير العام للأرشيف العثماني بالنيابة، الذي أوضح أيضًا أن إجراء بعض التعديلات في قوانين الاستفادة من الأرشيف، وزيادة عدد الوثائق المصنفة أديا إلى ازدياد عدد الباحثين المقبلين على الأرشيف العثماني، حيث يجد هؤلاء الباحثون جميع التسهيلات في بحوثهم حول مختلف القضايا المتعلقة بالدولة العثمانية.

مما يذكر أن أعمال التصنيف بدأت في العهد العثماني عام 1846م مع إنشاء مايعرف بخزينة الأوراق. واعتبارًا من ذلك العام، وحتى نهاية شهر مايو/آيار 1997م بلغ عدد الوثائق المصنفة قرابة 50 مليون وثيقة و200 ألف دفتر، كما أنه بنهاية عام 1997م سيتم تصنيف مليوني وثيقة أخرى و3500 دفتر.

ألمانيا

ألمانيا تنظر للإسلام من الداخل

شاركت هيئات إسلامية ونصرانية في ندوة استضافتها - مؤخرًا - مدينة نورنبرج بولاية بافاريا تحت عنوان «الإسلام نظرة شاملة من الداخل».

أقيمت الندوة في مسجد السلطان أيوب، وناقشت عدة موضوعات من بينها «وضع المرأة في الإسلام» و«الجهاد الإسلامي» و«صورة الإسلام لدى المسيحيين» و«الإسلام في الإعلام الألماني» وغير ذلك.

اكتشاف مجموعة قصصية للأطفال كتبتها مي زيادة

اكتشفت مستشرقة ألمانية مجموعة قصصية موجهة إلى الأطفال كتبتها عام 1929م الأديبة العربية مي زيادة، صاحبة أشهر صالون أدبي عرفه العالم العربي خلال القرن الميلادي الحالي، وهذه المجموعة تثبت ريادة مي في مجال الكتابة القصصية للأطفال.

وقالت المستشرقة أنيتا زيجلر: إنها عثرت أيضا على رسائل لم يسبق نشرها كتبتها مي زيادة، من بينها رسائل إلى رائد الرواية العربية المعاصرة د. محمد حسين هيكل.

جونكي يفوز بجائزة كافكا

مُنح الروائي والكاتب النمساوي جيرد جونكي جائزة فرانز كافكا الأدبية لعام 1997 م.

وجونكي من مواليد مدينة كلاجنفورت في النمسا عام 1946م، وله عدد من الروايات والكتب من أبرزها «الأراضي المقسمة هندسيًا» عام 1969م.

المجر

مؤتمر دراسات آسيا وشمال أفريقيا

استضافت بودابست أعمال المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين لدراسات آسيا وشمال أفريقيا بمشاركة قرابة ألف مستشرق متخصص من مختلف أنحاء العالم خلال المدة من 2 إلى 7 ربيع الأول المنصرم (7-12 يوليو 1997م).

رافق المؤتمر افتتاح ثلاث معارض متخصصة منها معرضان يتعلقان بالفنون والحرف الإسلامية، أولهما عن السجاد الإسلامي واحتضنه متحف الفنون التطبيقية، والثاني عن الفنون الإسلامية وأقيم في المتحف الوطني المجري، وقد اعتبرتهما وسائل الإعلام المجرية أكبر تظاهرة للثقافة العربية والإسلامية في المجر منذ أن نبذت الشيوعية.

الولايات المتحدة

أحدث الكتب

كيندي ونيكسون، تأليف كريستوفر مايثو، صدر عن دار سيمون أند شوستر.

الفردوس المفقود، تأليف ليزلي ايبشتاتين، صدر عن دار نشر مارتينز.

الحقيقة والحلم، رواية ميريل سبارك، صدرت عن دار نشر هوتون مفلين.

إسبانيا

معرض متنقل لحضارة الأندلس

يقام حاليا في مالقة معرض متنقل تحت شعار «نكهات الأندلس» يهدف لإبراز حضارة المجتمع الأندلسي.

ويعد منظمو المعرض الذي طاف حتى الآن باثنتي عشرة مدينة إسبانية لأن يستمر نشاطه حتى عام 1999م.

ويسعى منظموه إلى إعادة تجسيد المجتمع الأندلسي من خلال مسار تخيلي وعملية إعادة بناء افتراضية للمعالم الأندلسية برموزها، مثل الحدائق والمساجد والأسواق والمساكن وغيرها.

يذكر أن المعرض نظمته مؤسسة الثقافة الإسلامية بالتعاون مع مؤسستي كايشا الكتلانية، وأبل ليجادو أدلوس.

خوان مارسيه وجائزة مكسيكية

منحت جامعة جوادا لاجارا المكسيكية الكاتبَ الإسباني خوان مارسيه جائزة «خوان رولفو» التي تبلغ قيمتها نحو 600 ألف فرنك.

وقد حصل الكاتب الإسباني على هذه الجائزة عن بعض أعماله، ومنها روايته «وداعًا للحياة وداعًا للحب» التي نُشرت العام الماضي، وروايته «سوف أعود يومًا ما» التي تم نشرها هذا العام.

وخوان رولفو الذي تحمل الجائزة اسمه كاتب مكسيكي ولد عام 1918م، وتوفي في عام 1986م، وله مجموعة من الروايات الشهيرة، منها مجموعة قصصية عنوانها «اشتعال اللانو» صدرت عام 1953م.

فرنسا

اكتشاف نص مجهول لجول فيرن



جول فيرن

اكتشف مخطوط جديد لم يسبق نشره كتبه رائد أدب الخيال العلمي جول فيرن عام 1861م بعنوان «بؤس الرحالة الثلاثة إلى الدول الاسكندنافية».

وقال مكتشف المخطوط الكاتب الإيطالي بيرو جوندولو دللاريفا: إن فيرن (1828- 1905م) كتب هذا النص وهو في الثالثة والثلاثين من عمره حيث يُعدّ النص المكتشف سيرة ذاتية لم تكتمل لرحلة قام بها فيرن مع صديقه ارستير هينيار إلى السويد.

موسوعة فرنسية للفرنكوفونية المصرية

صدرت - مؤخرًا - موسوعة لكتاب مصر ومفكريها وفنانيها الذين أنتجوا أعمالاً فنية أو أدبية باللغة الفرنسية.

أعد الموسوعة جان جاك لوقي، أستاذ الأدب السابق بجامعة القاهرة خلال الأربعينيات الميلادية، والذي سبق له أن أصدر موسوعة بالفرنسية عن تاريخ الصحافة

المصرية «لوكوربيه ديجيبت».

من الأسماء التي تشملها الموسوعة الجديدة: أندرية شديد، واصف بطرس غالي، أحمد راسم، جورج حنين، أنور عبدالملك.

معرض «بورتريه لقرن من الإبداع»

يقام حاليًا في متحف نانت للفنون معرض فني يوضح تطور فن البورتريه وازدهاره في فرنسا في ظل حكم لويس الرابع عشر.

يحمل المعرض شعار «بورتريه لقرن من الإبداع»، ويضم سبعين عملا فنيًا تكشف تطور هذا اللون الفني خلال المدة من 1660 إلى 1715م، ومن المقرر أن ينتقل المعرض إلى تولوز عقب انتهائه في الثالث عشر من شهر جمادى الأولى المقبل (15 سبتمبر 1997م).

أحدث الكتب

لم تر ولم تعرف، رواية لميري هجنز كلارك، صدرت عن دار نشر إليان ميشيل.

اكتشافات (مقتطفات من أشعار الشاعر الراحل جاك بريفير) إعداد برنار شاردير، صدر عن دار نشر جاليمار.

تاريخ الأبحاث والاتصالات، تأليف ميشيل اتين، صدر عن دار نشر ايس لي مولينو.

أزمة الهوية الأمريكية، تأليف دينيس لاكورن، صدر عن دار نشر فايار.

الفن الإسلامي، تأليف دومينيك كليفنو، صدر عن دار نشر سكالا.

مذكرات عملية اختطاف، رواية جابرييل جارسيا ماركيز، صدرت عن دار نشر جراسيه.

الأرشيف في فرنسا، تأليف جي بريانت، صدر عن مركز الوثائق الفرنسي.

بريطانيا

معرض للكتب الإسلامية في لندن

شاركت 30 دار نشر عربية وإسلامية ودولية في المعرض الدولي للكتب الإسلامية الذي أقيم في ««كينزنجتون تاون هول» في لندن في 29 صفر الماضي، وامتد ثلاثة أيام.

اشتمل المعرض على مختارات من كتب الفن والهندسة والصحافة، إضافة إلى الدين والسياسة والتاريخ، وكتب الأطفال.

جائزة البرتقالة الأدبية لآن مايكل

مُنحت الكاتبة الكندية آن مايكل جائزة البرتقالة الأدبية البريطانية عن روايتها الأولى «القطع الهاربة».

وأثار منح الجائزة للروائية المذكورة ضجة في الأوساط الثقافية البريطانية، لأن لجنة التحكيم كانت مكونة من النساء!

«الحنين إلى الوطن» تفوز بجائزة الكتاب الجديد

منح الكاتب الفلسطيني الأصل، البريطاني الجنسية طوني حنانيا «جائزة الكتاب الجديد في لندن» عن روايته الأولى «الحنين إلى الوطن» التي صدرت قبل نحو ستة أشهر عن دار «بلومز بري» للنشر.

والجائزة واحدة من اثنتين يقدمهما مجلس لندن للفنون لكاتبين في لندن نشر كل منهما عملا روائيا واحدا.

أحدث الكتب

اقتصاد الثقة والتعلم، تأليف إدوارد لورينز، ناتالي لازاريك، صدر ضمن منشورات إدوار الجار.

التبت، تأليف كازويوش نوماشي، صدر عن دار نشر توريزباركي.

انثروبولوجيات الإسلام: مناقشة ونقد لأفكار أرنست جلنر، تأليف د. سامي زبيدة، صدر عن دار الساقي.

العولمة: النظرية والممارسة، تأليف اليافور كوفمان، وجيليان ينجر، صدر عن دار بينتر في نيويورك ولندن.

ألف ليلة وليلة في الأدب والمجتمع العربيين، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن دار نشر جامعة كمبردج.

نادي الأغنياء الأسيوي، تأليف جيف هيسكوك، صدر عن منشورات نيكولاس بريلي.

تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، تأليف أحمد الكاتب، صدر عن دار الشورى للدراسات والإعلام.

إيطاليا

إعادة افتتاح جاليري بورجيز

أعيد مؤخرًا افتتاح جاليري بورجيز في روما، أحد أغنى متاحف إيطاليا وأهمها، بعد 13 عاما من الإغلاق نتيجة أعمال التجديد والروتين.

وكان المتحف قد أسسه في أوائل القرن السابع عشر الميلادي سيبيون بورجيز واشترته الحكومة الإيطالية عام 1905م، ويضم أعمالاً مهمة لفنانين كبار مثل رفائيل وتيتان وبرنيتي.

أحدث الكتب

رائحة الخطو الثقيل، مجموعة إبراهيم صموئيل القصصية، صدرت ترجمتها الإيطالية عن دار نشر دللاباتا جليا في باليرمو.

روسيا

وفاة الشاعر والروائي بولات اوكودجافا

فقدت الحركة الثقافية الروسية واحداً من أبرز مبدعيها بوفاة الروائي والشاعر بولات اوكودجافا في أحد مستشفيات باريس عن عمر ناهز 73 عامًا.

وبولات متعدد المواهب، فإلى جانب كتابته الشعر والرواية، فهو أيضا موسيقي ومطرب، وهو من مواليد موسكو لأبوين من جورجيا، ودرس في تبيليسي، وعمل أستاذًا للغة الروسية ثم صحافيًا في كالوجا، ورئيس تحرير لإصدارات الشباب قبل أن يتفرغ للكتابة، حيث صار رمزًا للتجديد في الشعر الروسي. وإلى جانب الشعر كتب روايات عديدة لعل أبرزها «جوليا» التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية عام 1967 م.

قصة قصيرة

العيد

مبارك بن الرواء

في ذلك الصباح البعيد قرر عدم الخروج من البيت، بمعنى آخر، لن يُعيِّد، خوفًا من ضحك الأطفال عليه. أبوه لم يشتر له ثوبًا جديدًا، قال له:

- ارتد ثوب عيدالفطر.

أطرق برأسه ولم يحر جوابا. يدرك أنه إنْ قال: لا، أو ثوبي أخضر، سيضربه، وهو يعرف معنى الضرب عند أبيه، إنه لا يرحم. يضرب بكلتا يديه، ويركل برجليه، ويستخدم العصي والنعال، وما وقع في يديه تلك اللحظة المميتة.

لاذ بالصمت وانزوى مع ذاته المحطمة في غرفة النوم الصغيرة المظلمة، ذات الرائحة الكريهة المنبعثة من الفرش المبللة بالبول. الفرش كل يوم تنشر على الجدران، ولكن الرائحة تتغير ويصبح لها أسهم حادة تنغرز في الأنوف، وذلك من جراء الشمس والرطوبة.

أمه أصابها الوهن، إنها تطلب منه التبول قبل الذهاب إلى الفراش، يفعل ذلك إلا أنه يتبول. مرات كثيرة تبوّل وهو يعي ما حوله، بل هو الذي يختار المكان الذي يتبول فيه.

سمع صوت الأطفال وهم يصرخون بأعلى أصواتهم:

عيدكم مبارك

عساكم من عواده

من العايدين ومن الفايزين

عيدكم مبارك.. رك.. رك

تمنى لو أنه معهم، يشاركهم الفرحة، ولكن كيف؟ ليس لديه ثوب جديد يرتديه، حتى لو لبس الثوب الموجود سيضحك منه الأطفال، إنه أخضر، لون غريب، لون ترتديه البنات. جميع الأطفال يلبسون أثوابًا جديدة ومفصلة عند الخياط، أما ثوبه فمن السوق الشعبي، اشتراه أبوه في شهر رمضان، ولبسه في عيد الفطر المبارك على مضض. يذكر أنه قال لأمه:

- واسع كبير.

ضحكت أمه وعلامات البؤس والفقر ترتسم على محياها. قالت:

- سأُصْلحُه.

عندما لَبسه، ضحك منه الأطفال وكل من في الشارع، وجميع أهل الحارة، حتى البنات اللاتي في البيوت ضحكن منه، وقالت واحدة منهن:

- فستان أختك.

كان الثوب واسعًا وكبيرا، وجسده ناحل، قصير، إنه عظام مركبة بعضها فوق بعض، أصبح كالدمية، أو كالأرجوز البلهاء، رأسه جمجمة وعيون بارزة إلى الأمام. قال له أحد الأطفال :

- تشبه الضفدعة.

نكس رأسه، شعر بألم يعصر كيانه الصغير، ودمعة تتسلل من عينه. إنها أول مرة يشعر بهذا الإحساس الغريب، الإحساس الموجع. ترك الأطفال وشأنهم، سمع أحدهم يقول: إن أباه أعطاه ريالاً وآخر يقول:

- ريالين.

هو من سيعطيه؟

فضل العودة إلى البيت والاختباء فيه. صعد إلى السطح وجلس وحده حتى لايراه أحد.

ها هو العيد الثاني يأتي، عيد الأضحى، العيد الكبير، الكل يعيد ، يضحك، يلعب، يلهو، سمع صوت صاحبه إبراهيم يسأل عنه، فقالت أمه:

- لا أدري أين ذهب.

وسمعها تقول أيضًا:

- سأبحث عنه.

وأخيرا نادته بصوت ضعيف:

- عبدالله، عبدالله، عبدالله

لم يرد عليها، آثر الصمت وعدم الخروج. سمع إبراهيم يقول:

- يمكن راح الشارع الثاني.

فقالت أمه بحنان:

- دوره.

- إن شاء الله.

نزل من السطح وانزوى في الغرفة. ثم عاد إلى السطح بعدما كاد أنْ يختنق من رائحة البول. راح يمعن في الأطفال وهم يلعبون ويمرحون، إنهم يلبسون ثيابًا جديدة وألوانها جميلة، لديهم حلويات ولعب، وأشياء أخرى نسيها. تمنى النزول والمشاركة، كيف؟ ثوبه أخضر.

في مدخل الشارع لمح فوجًا من الأطفال قادمًا صوب بيتهم، وهم ينشدون كلمات غير منظمة، أصوات متداخلة وناشزة:

عيدكم مبارك

عساكم من عواده

يا العيدوه

يا العيدوه

أدخل رأسه وراح ينظر بعينيه، لقد رأى رفاق المدرسة مع الفوج القادم : محمد وسعد وصالح وعادل، وحمدة) تسير وراءهم، إنها تلبس ثوبًا أحمر، أمها تضربها إذا رأتها مع الأولاد، وها هي تشاركهم العيد.

عاد إلى الغرفة مرة ثانية واختبأ فيها.

راودته فكرة ارتداء الثوب الأخضر والخروج إلى الشارع فتح (الدولاب) الخشبي ذا الألوان الزاهية، كان الثوب موضوعًا في الأعلى، وضع الأريكة صعد عليها، مد يده، جاءه صوت من خلفه:

- عبدالله عيد مبارك

كانت جارتهم صباح الإيرانية، وقف إزاءها، حدق فيها، إنها وسيمة ورقيقة، التقت عينه في عينها، قالت له مرة ثانية:

- عيد مبارك.

فقال لها بصوت ضعيف مشحون بالخجل:

- عيدك مبارك.

وسألها:

- هل عايدت؟.

لم ترد عليه، قالت:

- أين أختك نجلاء؟

- تعّيد

فقالت وهي تضحك:

- وأنت، بنت، عيّد.

ثم خرجت.

مد يده وأخذ الثوب، لبسه على عجل، اتجه مسرعًا نحو الباب. انخرط في أول فوج قابله وراح يردد معهم:

عيدكم مبارك

عساكم من عواده

يا العيدوه

يا العيدوه

أطفال الحارة لم يدعوه وشأنه، وخاصة الذين يعرفونه، شرعوا في الضحك والهزء منه، بدا شكله غير طبيعي، الثوب واسع ومكسر، رقبته ضعيفة مشوبة بسمرة داكنة.

اقترب منه الأطفال وهم يضحكون ويسخرون، جميعهم قالوا:

(يالعصقول يالعصقول

يا بثوب أخضر

مالت وحالت)

سار الركب وراءه، سمع أحدهم يقول بصوت مرتفع:

- (اصلع ماله شعر)

طأطأ رأسه، ثم فر هاربًا إلى البيت. دخل الغرفة ذات الرائحة الكريهة، ارتمى على الفرش المبللة بالبول وشرع في البكاء.

التعليم في الوطن العربي رؤية حول الواقع والمأمول

كتاب يشتمل على رصد مجمل لبعض سمات التعليم في الوطن العربي، والعوامل المؤثرة فيه. وينطلق المؤلف عبدالرحمن بن صالح المشيقح في معالجته موضوع الكتاب من المسلمة التي أوردها في المقدمة: «عندما تفتش أمة من الأمم عن أسباب تردي أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة، والحضارية عامة، ستجد أن نظام التعليم المنفذ في مدارس ناشئتها ومستواه كان سببًا لذلك التردي.. وعندما تتجه الأمة لتأمين احتياجاتها المستقبلية، فستجد أن المناهج التعليمية في مدارسها النظامية أفضل السبل إلى ذلك وأيسرها».

وارتكز المؤلف في تعامله مع هذه القضية الحيوية التي تصدى لها، على أربعة محاور، الأول: نشأة التعليم في الوطن العربي، والثاني: واقع التعليم في البلدان العربية ويتضمن عناصر رئيسة هي: السياسة التعليمية ـ المناهج الدراسية ـ المعلم ـ المتلقي (الطالب) ـ الطرائق والأساليب. المحور الثالث: تناول بعض معوقات التعليم في الوطن العربي وحددها في مستويين اثنين: ما يرتبط بالمجتمع وما يتصل بمسؤوليات نظام الدراسة. وأما المحور الرابع فقد خصصه لطرح رؤية في أساليب التجديد والحلول، ومنها «الافتراض بوجود الخلل، بعيدًا عن الحساسية المفرطة التي تواري الحقائق وتهون من حجم الأضرار البدء في إصلاح التعليم بالمراحل الأساسية منه بوصفها أعظم خطرًا وأكثر تأثيرًا وأسرع استجابة للعلاج، عدم التقصير في الإنفاق على قطاع التعليم، عدم استنبات أدوات التربية ووسائلها من بيئات خارجية، النظر إلى التعليم على أنه ضمن نطاق القطاع الاستثماري لا ضمن قطاع الخدمات العامة التي لا ينتظر من ورائها عائد.

الكتاب يقع في 167صفحة من القطع المتوسط وقد صدر عن النادي الأدبي بحائل.

ميلاد البشرية مرة أخرى.. العالم بعد قرن

كتاب يطرح رؤية بعيدة المدى للمستقبل، وما قد يؤول إليه حال العالم وسكانه في عام 2097. وهو ما يصفه المؤلف صالح بن عبدالله العبيري بـ «مشروع إسقاطي»، أي إسقاط الحاضر على المستقبل، واستشراف أوضاع البشرية وتأثير التطورات العلمية المتسارعة في الإنسان، وهو يعد هذا الإصدار جزءًا مكملاً لمشروعه الذي بدأ في كتابه الأول «تولب نافع» الذي بنى فكرته على إسقاط الماضي على الحاضر.

يورد المؤلف 7 قصص، أو روايات مضغوطة، بمنظور مستقبلي يجسد التغييرات المادية والمعنوية التي تحدث للإنسان على مدى قرن قادم ينتظر أن يكون حاشدًا بالتحولات الكبرى في مسار البشر، ويقول المؤلف إن الكتاب بقصصه السبع: «الكارثة»، «الأمين العام القادم قرد»، «الحرب الدلفينية»، «عودة الماضي»، «البقاء للأضعف»، «عنزة تتحدث»، «نظرية التأخر الحيوانية» «لا يعرض فنتازيا.. ولكن قد تجدون فيه مبدأ قبول المتغيرات».. وهو في ذلك ينطلق من مبدأ «أن المستقبل ليس استشرافًا للآتي فحسب، إنه وأد المجهول المرعب، وأنه العيش باستيعاب الحاضر» ويستطرد مؤكدًا ذلك: «من يدرك المستقبل يعش الحاضر، ومن يهمّ بالماضي يرفض المستقبل ويخسر الحاضر، بل لن يعش ماضيه إلا خيالاً، لأن جسمه حاضر وقلبه ماض وعقله انفصامي». وأخيرًا يأمل الكاتب أن يكون طرحه لبنة في جسر التواصل بين العلم والفكر لنمو ما يسميه بـ «الثقافة الثالثة».

الكتاب يقع في 121صفحة من القطع الصغير.

التفكير النقدي عند العرب (مدخل إلى نظرية الأدب العربي)

إصدار يغطي مرحلتين في تاريخ النقد الأدبي عند العرب: الأولى قبل نهاية القرن الثاني الهجري، والثانية منذ مطلع القرن الثالث إلى نهاية القرن السابع الهجري. وقد حظيت المرحلة الأولى بثلاثة فصول، واستأثرت المرحلة الثانية بتسعة فصول من الفصول الاثني عشر التي حواها كتاب الدكتور عيسى علي الكاعوب، وتناول المؤلف في التمهيد مصطلحات النقد، والأدب، والنقد الأدبي عند العرب والإفرنج.

في الفصل الأول تحدث المؤلف عن الظواهر النقدية عند عرب الجاهلية، كالناقد والحكم النقدي، وشياطين الشعر، وأخطاء الشعراء، والمفاضلة بين الشعراء، وتحبير الشعر وتنقيحه وتحكيكه، واستحسان القصيدة الواحدة، والتفوق في بعض الأغراض، وطبيعة التفكير النقدي في العصر الجاهلي. وذكر في الفصل الثاني (الإسلام والشعر) إخضاع الجمالي للديني، فتعرض لموقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء، وكذلك موقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف عمر بن الخطاب، ثم تناول في الفصل الثالث (النقد في ظلال الأمويين).. وعرّج على نقد الشعراء، والخاصة من العلماء والفقهاء وأهل الرأي. وأخيراً تحدث عن الناقدات من النساء.

وأما الفصول التسعة الباقية فقد أفرد الكلام فيها على كل كتاب من كتب النقد القديمة وركز على الفكر النقدية الرئيسة عند كل ناقد، وبلورتها، وتحديد مكانها في فضاء النقد العربي القديم، واهتم بالإضافات النقدية لكل ناقد وختم الكتاب بذكر ثبت للمصادر والمراجع العربية والأجنبية.

الكتاب يقع في 353 صفحة من القطع الكبير وهو من إصدار دار الفكر في دمشق ودار الفكر المعاصر في بيروت.

عاشق المجد عمر أبو ريشة شاعرًا وإنسانًا

هذا الكتاب وضعه د. حيدر الغدير في أصله رسالة علمية نال بها صاحبها درجة الدكتوراة.

جاء الكتاب في مقدمة وسبعة عشر فصلاً. وانطوت المقدمة على ذكر سبب تسمية الشاعر عمر أبو ريشة بعاشق المجد، فقد بدا للكاتب بعد أن سمعه ينشد شعره، وبعد أن عكف على دراسة الشاعر وشعره أنه رجل عاشق للمجد، عشق المجد لأمته ولوطنه ولشعره ولنفسه.

وحين عزم على طباعته كتابًا للناس أجرى فيه بعض التعديل، وأضاف إليه مواد تتناول حياة الشاعر ونفسيته، ومواقفه، وموضوعات شعره، وطائفة من أخباره.

وقد تحدث في الفصل الأول عن ديوان الشعر، وذكر أنه ليس للشاعر ديوان يجمع كل شعره. ثم تناول ما نشر من شعره، وذكر بأن الشاعر وعد بإصدار بعض الأعمال الشعرية إلا أنه لم ينجز وعده ذاكراً أسباب ذلك.

ثم تناول في الفصلين: الأول والثاني حياة الشاعر منذ ولادته في حلب عام 1908م حتى وفاته في الرياض عام 1990م. راصداً كل صغيرة وكبيرة في حياته، داعمًا كل ما يقوله بكلام موثق أو بأبيات من شعر الشاعر.

وجاء الفصل الثالث بعنوان (في رحاب فيصل) وذكر أن الصلة كانت وثيقة بين الشاعر والملك فيصل ـ رحمه الله ـ منذ أن كان فيصل سفير المملكة في الأمم المتحدة، وكان عمر أبو ريشة سفير بلاده في الولايات المتحدة الأمريكية. وأحب الشاعرُ الملكَ حبًا جمًا ينم عن إعجاب كبير، لأنه كان يرى في الملك حلم الأمة المرتقب في التحرير والنصر والعزة والكرامة ودحر العدو المتغطرس.

وتناول في الفصل الرابع إباء الشاعر وكبرياءه، وعدّ الإباء مفتاح الشخصية العاشقة للبطولة، المتطلعة للشموخ، المعجبة بالرجولة الفروسية، النزاعة للمعالي والأمجاد، المتمردة على الذل والهوان والقيود.

ويصفه في الفصل الخامس بأنه أجرأ الشعراء في جيله، ويروي طائفة من مواقفه الجريئة.

وعقد الفصل السادس لشعره الوطني قائلاً: إن قصائد عمر الوطنية كانت صواعق ورعوداً أو بروقاً تدفقت كالبراكين، وزمجرت كالأعاصير. فكان ضمير الأمة ووجدان الناس..

وكان الكلام في الفصل السابع منصبًا على شعره الإسلامي، فيذكر فيه أن الشاعر أحب الإسلام، وقال فيه أروع قصائده، ومن هذه القصائد مطولته الأولى في محمد صلى الله عليه وسلم، والثانية في خالد بن الوليد وفتوحاته.

وفي فصول الكتاب الأخيرة: الوحدة العضوية ـ الصورة الشعرية ـ الموسيقى الشعرية ـ لغة الشعر ـ الرمز الشعري ـ القصة الشعرية ـ الملحمة الشعرية ـ المسرح الشعري ـ تبديل وتعديل، تنصب الدراسة فيها على شعر الشاعر من النواحي الفنية.

يقع الكتاب في 540 صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت.

صدر حديثاً عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



هجرات الهلاليين

من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان

تأليف: **إبراهيم إسحاق إبراهيم**

ومن الإصدارات السابقة للمركز:

كتاب الأموال لابن زنجويه، تحقيق: د. شاكر فياض. **زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين**، مركز الملك فيصل. **المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية**، د. عبدالرحمن صالح. **إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين** لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق: د.عبدالمجيد دياب. **نور العيون وجامع الفنون** لصلاح الدين يوسف الكحال، تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد رواس قلعه جي. **وحدة الفن الإسلامي** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **الخط العربي** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل** (1- 7)، مركز الملك فيصل. **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة**، د. أحمد محمد جلي. **النظرية الخلقية عند ابن تيمية**، د. محمد عبدالله عفيفي. **الوقف وبنية المكتبة العربية**، د. يحيى محمود ساعاتي. **فهرس الميكروفيلم**، مركز الملك فيصل. **كتاب معرض الجهاد في فلسطين وأفغانستان** «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية**، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين. **وقائع «ندوة الملك فيصل والتضامن الإسلامي»**، مركز الملك فيصل. **محاضرات الموسم الثقافي 1406- 1407هـ**، مركز الملك فيصل. **الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **أدب الطبيب للرهاوي**، تحقيق: د. مريزن عسيري. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، د. مهدي رزق الله. **الاستشراق في الأدبيات العربية**، د. علي بن إبراهيم النملة. **منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة**، عرض ونقد: د. أحمد العبداللطيف. **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، د. سعيد عبدالله البشري. **كشف الرين في أحوال العين لابن الأكفاني**، تحقيق د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد رواس قلعه جي. **الفيصل: مكنز عربي شامل في علوم الحضارة**، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين.

للاستفسار أو لحجز نسخ من تلك الكتب: هاتف 4652255 - فاكس 4659993 - ص.ب 51049 الرياض 11543 - المملكة العربية السعودية

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)
الاسم: ....
العنوان: ....

مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 247

ج1: من الأحاديث الشريفة التي وردت في الحثّ على التداوي من المرض:

- ما رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي عن أسامه بن شريك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأن على رؤوسهم الطير فسلَّمتُ، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلاّ وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم».

- وما رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وصححه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لم ينزل داء إلاّ أنزل له شفاء فتداووا».

- وما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل داء دواءٌ. فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل».

- وما رواه أبو داود عَن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام».

ج2: الرجل الثاني الذي هبط على سطح القمر هو العقيد «أدوين ألدرين» من سلاح الجو الأمريكي، وهو من مواليد 20 كانون الثاني/ يناير في مونت كلير بولاية نيوجيرسي.

ففي 16 يوليو/ تموز عام 1969م انطلقت المركبة أبوللو 11 من مشروع أمريكا الثالث للهبوط على سطح القمر (وتتكون من مركبة القيادة كولمبيا والمركبة القمرية النسر)، بوساطة الصاروخ ساتيرن 5 حاملة «نيل أرمسترونغ»، و«أدوين ألدرين»، و«مايكل كولينز». وفي 19 يوليو وصلت أبوللو 11 إلى مدار القمر، حيث انفصلت عنها المركبة القمرية النسر، واتخذت طريقها صوب القمر، وبداخلها أرمسترونغ وألدرين. وفي 20 يوليو هبطت النسر على سطح القمر، ونزل منها أول إنسان تطأ قدمه أرض القمر، وهو أرمسترونغ، الذي قال: إنها خطوة صغيرة لإنسان، لكنها قفزة عملاقة للبشرية. وتلاه ألدرين، وبقيا هناك قرابة 22 ساعة، ثم استقلا المركبة النسر، فانطلقت بهما وعادت للالتحام مع كولمبيا. عادت أبوللو 11 إلى الأرض، وهبطت في المحيط الهادي في 24 يوليو.

نتائج مسابقة العدد 247

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، أمة الله أحمد ساكا، أصيلة، المغرب.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، جمانة عبدالله عبدالحميد، العين، الإمارات العربية المتحدة.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، آدم علي موسى علي، أنجمينا، تشاد.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- ناصر يحيى محمد آل عروان، عسير، المملكة العربية السعودية.
2- صباح سعدي عبدالماجد عطيتو، المنيا، مصر.
3- سعيد أحمد فاروقي، إسلام آباد، الباكستان.
4- طارق خليل بلال، دمشق، سورية.
5- مريم بنت خلية ولد لولي، نواكشوط، موريتانيا.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1- نبيل سمحان داود سمحان، عمان، الأردن.
2- حافظ عوض الله حسن، ود مدني، السودان.
3- محمد رضا شخاب، بسكرة، الجزائر.
4- أمينة عبدالله إبراهيم، المنامة، البحرين.
5- محمد صالح الساحلي، سوسة، تونس.
6- جمال أبو الفتوح رجب، المنوفية، مصر.
7- إباء عبدالرازق دعسان، جبل النصر، الأردن.
8- أسامه توفيق الخطيب عبيد، السويداء، سورية.
9- فوزي عبدالله نايف الكاهلي، صنعاء، اليمن.
10- فريد مصطفى بلقاسمي، باتنة، الجزائر.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض كل من:

1- علي محمد صادق، الدوحة، قطر.
2- عباس بابكر الطاهر عبدالله، الخرطوم، السودان.
3- جاعة محمد، سلا، المغرب.
4- عبدالله علي صالح حمدان، شقراء، المملكة العربية السعودية.
5- أحمد النوي الحميدي، قفصة، تونس.

أسئلة مسابقة العدد 250

(سؤالان فقط)

س1: حرَّم الإسلام زواج المسلمة بغير المسلم. اذكر دليل ذلك من كتاب الله جل وعلا.

س2: في أي يوم تم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية، وما الدول التي قامت بالتوقيع؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 250
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال
صَادَفَ دَرْءُ السَّيلِ دَرْءٌ يدفعه

يضرب هذا المثل حين تصادف القوة ما يقابلها بمثلها، وحين يجد القوي من يصد قوته.

فمن الناس القوي المعتز بقوته، يبطش بهذا وينكل بذاك ولا يزال حتى يُقيَّض له باطش أقوى منه فيكسر شوكته ويزيل جبروته وسطوته.

وقد يجادل الرجل الرجل أو الجماعة، تياها بما يظنه في نفسه من فصاحة لاتدانى، وقول لا يرتفع إليه قول، فإذا بأفصح منه ينبري له فيتضاءل ذاك وينكمش.

فأجابهم كسرى

يُروى أن قحطًا توالى على قبيلة مضر دام سبع سنوات، حتى كادوا يهلكون مَسْغَبةً وجوعًا وعريًا، فلما رأى حاجب بن زرارة الجهد والضنك الذي يعيشون فيه، والجدب الذي دام لسنوات.. جمع بني زرارة وقال لهم مستشيرًا، لدي فكرة ربما تنفع - إني قد أزمعت على أن آتي كسرى، فأطلب أن يأذن لقومنا بسكنى بعض قرى العراق، وهناك نعمل بسواعدنا عسى أن نفلت من هذا الجدب الذي أودى بحياة أكثرنا!!

وبالفعل، مثل «حاجب بن زرارة» أمام كسرى، وشكا إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم، وطلب أن يأذن لهم في أن يسكنوا أحد بلادهم فقال لهم كسرى: إن أذنت لكم أفسدتم البلاد!! فقال له (حاجب) جادًا: إني ضامن للملك ألا يفعلوا أبدًا ما يدور بخلده!

فقال كسرى: حسنا! لكن - مَنْ لي بأن تفي بما تقول؟ فقال حاجب: أرهن لديك قوسي بالوفاء بما ضمنت لك! وعندما قدم حاجب قومه للملك، ضحك القوم ساخرين وقالوا:

- أبهذه العصا يفي هذا الأعرابي للملك بما وعد؟

فأجابهم كسرى: نعم!! إنه سيفي بما قال!

ومكث بنو زرارة في تلك القرى مدة، ثم مات زعيمهم حاجب، وزال القحط وخرج أصحاب زرارة إلى ديارهم، وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى ليطلب قوس أبيه(!) .. فلما دخل على كسرى قال له: ما أنت بالذي وضعتها عندي.

فقال عطارد: أجل أيها الملك. ما أنا بالذي وضعتها!

فقال كسرى: فما فعل الذي وضعها؟

قال في أسى: هلك! وهو والدي، وقد وفى لك أيها الملك بما ضمنه لك عن قومه، فالعربي إذا وعد فإنه لا يخلف الوعد!!

فقال كسرى: أجل!.. يا أمين الدولة! ردوا عليه قوسه.. وامنحوه شيئًا من المال، وكسوة لبني قومه.. فهم قوم يؤتمنون حقا!!!!

أصل تسمية الشهور الميلادية

يناير: سُمي باسم الإله «يانوس» حارس أبواب السماء وإله الحرب والسلم عند الرومان.

فبراير: مشتق من الفعل «فبروار» ومعناه «يتطهر» وكان الرومان يقيمون في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر عيدًا يتطهرون فيه روحيًا من الذنوب والخطايا ويكفرون عنها.

مارس: منسوب إلى إله الحرب «مارس» وكان في نظر الرومان محاربًا شديد البأس.

إبريل: منسوب لمعبودة تسمى «إبريل» وهي التي تتولى فتح الأزهار وفتح أبواب السماء لتضيء الشمس بعد خمودها في فصل الشتاء.

مايو: منسوب إلى المعبودة «مايا» وهي ابنة الإله أطلس حامل الأرض وأم الإله عطارد خادم الإله.

يونيو: سمي باسم الإلهة «جونو» وهي زوجة المشتري وكانت على جانب كبير من الجمال والفتنة، وفي هذا الشهر تكتسي الأرض بالخضرة وتشرق الشمس بأشعتها الساطعة.

يوليو سمي على اسم «يوليوس قيصر»

أغسطس: سمي باسم «أغسطس قيصر»

سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، سميت وفق ترتيبها في التقويم المنسوب لراميولس منشئ مدينة روما والتي يقال إن تاريخ إنشائها يوافق 21إبريل 753ق.م وهذه الشهور لا تتفق مع ترتيبها الحالي:

فديسمبر مثلاً معناه العاشر مع أنه الثاني عشر في التقويم الحالي غير أن هذه الأسماء بقيت على حالها



شداة الفضاء في سماء المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

دون تغيير ولم يطلق الرومان أسماء آلهتهم أو أبطالهم على هذه الشهور لاعتقادهم أنه لن يأتي بعد إمبراطورهم أغسطس معبود أو مخلوق جدير بأن يسند اسمه إلى أحد الشهور.

أوجه الكلام

روي أن أحد العلماء كان يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط وأفاض، فقال له أحدهم ذات يوم: «لو تكلمت!» فقال: الكلام - يا أخي - على أربعة أوجه، فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة.. ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل مالك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك .. ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته.. وهذا هو الداء العضال.. ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته.. فهذا الذي يجب عليك نشره.

قال الراوي: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

مساجلة أدبية

روي أن رجلاً ثريًا تزوج بأخرى على زوجته الأولى، وكانت للزوجة الحديثة جارية، وكذلك كان للأولى.. فكانت جارية الحديثة تمر على باب الأولى فتقول:

وما تستوي الرجلان! رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فشلّت!!

فمرت جارية الأولى على الحديثة. وكانت بارعة في الشعر - فقالت البيتين التاليين اللذين بقيا كأجمل ما قيل عن المرأة «القديمة»!

نقّلْ فؤادَك حيث شئت من الهوى

ما الحبُ إلا للحبيب الأوّلِ

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى

وحنينُه أبدًا لأول منزلِ؟!

أدب

قيل لرجل صالح: ما هي علامات الأدب مع الله تعالى؟!

فقال:

علامات الأدب مع الله كثيرة، أهونها: إطراق الطرف عن المحارم، وسكون الجوارح، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي وحسن الخلق، ودوام الذكر، وسكون القلب، وتعظيم الرب، وإيثار الحق.

قراءة بالحلبي

دفع أحدهم إلى جحا كتابًا ليقرأه له.. فعسرت عليه قراءته لرداءة الخط.. ولم يعرف ما فيه، فسأله جحا: من أين جاءك هذا الكتاب؟

فقال الرجل: من مدينة حلب!

فقال جحا: صدقت! ولكن من قال لك إني أعرف القراءة بالحلبي؟!!

لا يا بني إسرائيل

نزل طفيلي يدعى موسى على أحد الأغنياء، وبعد وقت طويل ذكر أهله ثم استأذن وانصرف وعاد بعد قليل ومعه أهل بيته ، ولما طرق الباب وجاء الخادم قال له:

قل لمولاك: لقد رجع موسى بقومه.

فدخل الخادم، وعاد فأجابه: يقول لك مولاي: ولقد كرمنا موسى ولا شأن لنا ببني إسرائيل.

من أمثال الشعوب

الحكيم يغفر إساءة الجاهل «مثل صيني»

إذا استيقظت متأخرًا، وجب عليك الرقص طوال النهار «مثل إنجليزي»

في ساحة القتال يظهر الشجاع «مثل ياباني»

تضحية الإنسان

قيل للمفكر جان بول سارتريوما:

- متى يكون الإنسان إنسانًا في نظر المجتمع؟

فقال: لكي يكون الإنسان إنسانًا، في نظر نفسه وفي نظر المجتمع أيضًا، لا بد أن يجد شيئًا يضحي من أجله.

ثمن قبلة اليد!

دخل أبو دلامة - وهو شاعر معروف - على المهدي يوما وأنشده قصيدة مدح، فقال له المهدي:

با ختصار يا أبا دلامة، سل حاجتك!

فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلبًا!!

فاستشاط المهدي غضبا وقال:

أتهزأ بي يا هذا؟! أقول لك سل حاجتك تقول هب لي كلبًا؟!

فقال أبو دلامة:

يا أمير المؤمنين، ما عاش من يهزأ في حضرتك!

لكن.. الحاجة لي أو لك؟!

فقال المهدي وقد انفثأ غضبه:

بل لك

فقال أبو دلامة:

إني أسألك أن تهب كلب صيد!

فأمر له بكلب، وعندئذ قال أبو دلامة:

يا أمير المؤمنين، هبني خرجت للصيد أأعدو على رجلي..

فقاطعه المهدي:

حسن! أمرنا بدابّة!

فقال أبو دلامة:

يا أمير المؤمنين.. فمن يقوم عليها؟

فأمر له بغلام: فقال أبو دلامة:

يا أمير المؤمنين، هبني صِدْتُ صيدًا، وأتيت به المنزل.. فمن يطبخه؟!

فأمر له بجارية من أفضل الجواري، لكن أبا دلامة لم يقنع بكل ذلك، بل قال:

يا أمير المؤمنين.. فهولاء أين يبيتون؟!

فأمر له بدار، فقال:

يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي عيالاً، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء؟!

فقال المهدي: أعطوه جراب نخل!! هه، هل بقيت لك حاجة؟!

قال: نعم! تأذن لي أن أقبل يدك!!

فقال المهدي ضاحكًا:

لا يا أبا دلامة... لا..

فقال أبو دلامة:

لماذا يا أمير المؤمنين؟

فقال وهو لا يزال يضحك من حيل أبي دلامة التي لا تنتهي، أما هذه فأخشى أن تأخذها!!!

وجهة نظر

قيل للكاتب المشهور أندريه موروا يوما:

متى يشعر الإنسان بجهله؟

فقال:

عندما يشعر بأنه قد عجز عن شرح وجهة نظره، والأهم من هذا أن يقنع مستمعًا بما يؤمن به!!

الإكرام الدائم

قال ابن المقفع في حكاياته: إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك.. فإن الكرامة تزول بزوالها.. ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

فذلك هو الإكرام الدائم.

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

عقاب ذاتي

هالة فؤاد خليل - الرياض

انكمش في سريره بلا حراك كالعادة يضم رأسه بين كفيه مستنداً بمرفقيه فوق ركبتيه المضمومتين، ساهمًا يحدّق فيما وراء النافذة المفتوحة المطلة على الفناء، في الفناء كانت ثمة شجيرات رمان، تتدلى من بين الأغصان حبات حمراء شهية. بين سيقان الشجيرات المحاذية لسور الفناء ثمة صفيحة عتيقة فارغة فقدت أحد جوانبها وأصبحت أشبه بالسرير اتخذته القطة مأوى لها ولصغارها. استلقت داخل الصفيحة ضامة صغارها اللواتي أطبقت أفواهها برفق على حلمات أثدائها العديدة.

لا يعنيه بشيء وجود الرجل ذي الثوب الأبيض وقد انتحى بوالديه جانبا. كان القلق باديا في ملامح الوالدين الشاحبين. همست الأم المتوترة «ممَّ يشكو ولدي أيها الطبيب؟!» ارتسمت الحيرة بين خطوط تجاعيد جبهة الطبيب، قال: «لا أستطيع التحديد على وجه الدقة ممّ يشكو». تابع.«يبدو لي أنه يعاني من حالة اكتئاب شديدة، أو على الأصح يعيش حالة رفض تام لوجوده». علا الاستغراب ملامح الوالدين اللذين لم يفهما كلام الطبيب. استدرك هذا قائلاً: «يتمثل هذا الرفض في سلوكيات عديدة، كأن يفرض المريض على نفسه العزلة فيرفض الكلام والأكل ومشاركة الآخرين سلوكياتهم». «وما السبب؟!» سألت الأم. «يكون السبب، في العادة، واقعة أليمة. هل تذكرون إنْ كان قد تعرض لشيء من هذا القبيل؟» سأل الطبيب. «لا» أجاب الأب بسرعة وعصبيّة. «سافر عمه منذ فترة قصيرة» قاطعته الأم. تابعت «كان متعلقًا به كثيرًا». ظهر الانزعاج على وجه الأب. قال الطبيب «لا أعتقد أن هذا سبب كافٍ في مثل حالته».



لم يشعر بوجودهم. كما لم يحس بمغادرتهم. الآلام الخفيفة المنبعثة من جسده المتشنج بفعل جلوسه الطويل على تلك الهيئة تثير فيه بعض الرضى. في عالمه السوداويّ لا يشعر سوى بما وراء النافذة، ولا يرى سوى تلك القطط الصغيرة تلهو ببراءة، لا تشعر بالشر خارج (تنكة) الصفيح. فيما عدا القطط وتنكة الصفيح لا يرى سوى مساحات رمادية تتلاطم وتتراكم لتشكل فضاء أشد قتامة. اتضحت أمامه الصورة، عرف أي عالم هذا الذي يحيا فيه، فلينتقم من وجوده كما يحلوله. وجود لم يكن له الحق في اختياره. لا يسمع سوى هدير شيطاني يصيبه بالصمم.

شيطان يتجول في عالمه بكل حرية. يقبض على أحلام صباه فيحيلها رماداً أسود، ينثره في الهواء ويتبخر كهبات ريح. تتعالى ضحكات الشيطان عالية ساخرة تجلجل في الفضاء الخاوي. استطاع بقواه الجهنمية أن يصنع شيطانًا آخر أكثر بشاعة. هو في بيته، على بعد خطوات منه. سيظل رافضًا لوجوده مادامت صلة تربطه بالشيطان، فتشعره أن فيه بعضًا من روحه قد تجعل منه يوما ما شيطانًا آخر.

بين الحين والآخر، كانت تدخل عليه أمه، فتجده جالسًا كعادته مقرفصًا يحدّق - من خلال النافذة المشرعة على الدوام - في القطط المنشغلة بمداعبة بعضها بعضا. تستغرق الأم في نحيب طويل، تقترب منه، تهزه فيصدمها الحزن في عينيه الجامدتين المتحجرتين، يأسرها داخل أسوار صمته فلا تعود تقوى على المزيد.

استمر يحدق من خلال النافذة والقطط تكبر، حتى كان اليوم الذي ينشب فيه عراك بين اثنين منها. التقطت أذناه الصوت اختلجت عضلات وجهه الذي مر عليه زمن وهو في جمود. ارتعشت شفتاه وحدّق في القطين المتعاركين بسبب قطعة لحم أراد كل منهما الاستحواذ عليها. بلا وعي تحرك نحو النافذة، أنشب أحد القطين مخالبه في رقبة الآخر فسقط هذا أرضًا وتناثرت دماؤه. بدأ الوعي يتدفق إلى ذاكرته، صرخ صرخة مدوية اهتزت لها جدران الحجرة. اندفع خارجًا إلى الفناء. لحقت به الأم وتبعهما الأب، ولدهشتهما وجداه يمسك برقبة القط ويصيح «لماذا قتلته»؟. ظل يرددها بلا وعي وبكثير من الهياج، حضر الطبيب، حاول تهدئته، إلاّ أنه اندفع نحو الباب وراح يعدو باتجاه الحقل وفي أثره الطبيب يتبعه الوالدان.

جرى غير آبه للأشواك التي أدمت ساقيه.

وصل الطبيب والوالدان إلى حيث كان جاثيا قرب شجرة زيتون ضخمة، ينبش الأرض اصفر وجه الأب وجمد في مكانه.

اقترب الطبيب من الفتى الذي كان ينتحب بشدة تجمدّ الدم في عروقهم حين بدأت أعضاء بشرية تظهر من تحت التراب. ثم تنتبه الأم إلى سقوط الأب المفاجئ، انشغلت بمراقبة خروج الجثة التي عرفت في ملامحها شقيق زوجها المسافر.

على الأرض ارتفع صوت الأب الذي انخرط في نحيب قوي إذ تذكر أنه أحسّ - ليلتها - بحركة خفيفة بين الأشجار حسبه حيوانًا شاردًا.

التعليق: **الأخت هالة فؤاد خليل، قصتك الأولى «عقاب ذاتي» فيها تباشير قاصة لا تنقصها الموهبة ولكنّ ما ينقصها الصقل والقراءة المستمرة، البناء الدرامي لا بأس به، وأحداث القصة فيها إتقان كان يحتاج إلى لغة أكثر متانة وأسلوب أكثر تعبيرًا لتخرج القصة متماسكة. أرجو أن تهتمي بلغتك إملائيًا ونحويًا فأنت تضعين همزات قطع في كل مكان، وهمزة القطع لها مواضع معروفة وأنت تخطئين في النحو أيضًا فقولك: «إنّ هذا سببًا كافيًا» خطأ صوابه «إن هذا سبب كاف في مثل حالته» و«ما» الاستفهامية تحذف ألفها عندما يسبقها حرف الجر، كلمة «فضاء» لا لزوم لألف بعد الهمزة في حالة النصب، أرجو أن تعودي إلى القصة فتعيدي صياغتها بأسلوب أمتن وبلغة تخلو من الأخطاء الإملائية والنحوية.**

د. محمد خير البقاعي

ردود خاصة

الأخ بلال بن عبدالرحمن ـ مسيلة ـ الجزائر:

«الفيصل» مجلة ثقافية عامة، تصدر عن دار «الفيصل» الثقافية، منذ رجب 1397هـ، الموافق يونيو/حزيران 1977م، ويشارك في تحريرها نخبة من المثقفين والمفكرين في عالمنا العربي والإسلامي، وهناك مجموعة كبيرة من الكتب التي صدرت عن الدار في مجالات مختلفة، وستصل إليك بعض أعداد المجلة كي تتعرف إليها أكثر من خلال اطلاعك عليها، ومرحبًا بمشاركاتك، ومشاركات جميع الإخوة القراء أينما كانوا.

الأخ أحمد عبدالله عواجي ـ الإحساء:

يصعب على المجلة توفير الكتب التي طلبتها، ويمكنك الاتصال بالمكتبات التجارية لتعرف المتوافر منها لديها، وسوف تجد في زاوية «عناوين» في الأعداد القادمة أرقام هواتف بعض تلك المكتبات.

الأخ صالح محمد المطيري ـ الرياض:

سبق للمجلة أن نشرت في باب «مناقشات وتعليقات» مقالة لأحد الإخوة القراء يشير إلى مضمون ما جاء في رسالتك، وقد أتيح للكاتب كذلك فرصة الدفاع عن نفسه فيما نسب إليه من انتحال، ومع تقديرنا لما جاء في خطابك، فإن المجلة تكتفي بما سبق نشره، شاكرين لك ولأمثالك من الحريصين على الأمانة والموضوعية، وهذه المتابعة الدقيقة من القراء الكرام دليل على عافية الواقع الثقافي رغم كل ما يثار عنه.

الأخ فريدون علي عباس ـ حلب ـ سورية:

كتاب «الأدب المقارن بين التجربتين العربية والأمريكية» للأديب الراحل د. علي شلش، والصادر عن دار الفيصل الثقافية قيمته خمسة عشر ريالاً، أما أشرطة محاضرات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فسعر شريط الكاسيت الواحد خمسة ريالات، وقيمة شريط الفيديو الواحد خمسة وعشرون ريالاً، وقيمة الاشتراك السنوي في المجلة موضحة في الصفحة الثالثة منها وهي للأفراد 150ريالاً أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي، وللمؤسسات 250 ريالاً.

الأخ عبدالرحمن مروان موسى ـ أم القيوين ـ الإمارات العربية المتحدة:

أحيلت رسالتك إلى القسم المختص للبت في مشكلة عدم استلامك للجائزة التي فزت بها، وسيصل إليك الرد كتابيًا، كما ستصل إليك الأعداد الناقصة حتى تكتمل مجموعتك من المجلة.

الأخ تامر عبداللطيف إدريس ـ حمص ـ سورية:

نشكر لك تعليقك على ما جاء في إطلالة رئيس التحرير، فالضوابط التي ينبغي أن يتقيد بها العلم أصبحت ملحة جدًا حتى تتحقق الفائدة من العلم في تطوير حياة الإنسان وتقدمها.

الأخ إبراهيم محمد شرف الدين ـ كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم ـ السودان:

نأمل منك ومن جميع من يكتبون إلى المجلة توضيح عناوينهم على المظروف وفي ذيل الخطاب حتى يمكن للمجلة الاتصال بهم إذا تطلب الأمر ذلك، وعمومًا ستصل إليك مكافأتك عما نشرته في باب «تباشير»، ومرحبًا بك وبمشاركتك مع التمنيات لك بالتوفيق.

الإخوة محمود علي عبدالله ـ قنا ، مصطفى محمد إبراهيم فايد ـ منوفية، مصر د. أحمد محمد قدور ـ جامعة حلب ـ سورية:

سيصل إليكم خلال أيام ما يفيد موقف المقالات المرسلة من قبلكم من النشر، وثقوا أن كل ما يرسله الإخوة القراء يلقى الاهتمام والعناية، وأن هناك قنوات محددة تمر من خلالها الموضوعات المرسلة حتى تجاز للنشر أو يعتذر لأصحابها، أي إن الكاتب يلقى جوابًا في كل الأحوال، تقديرًا من المجلة لكتابها وقرائها الكرام.

الأخ دسوقي محمد أحمد طنطاوي ـ مصر الجديدة ـ القاهرة:

نشكر لك تعليقك على مقالة الأستاذ عيسى فتوح «ولي الدين يكن: العاشق المتيم» المنشورة في العدد 245، واستدراكك لما جاء فيها، حيث تشير إلى أن ولي الدين يكن بعد عودته من منفاه عُين في وزارة الحقانية المصرية، ولم يعين شاعرًا للحضرة السلطانية كما جاء في المقالة، وأما ذكرك أن الكاتب قد أسقط بعض الأبيات من القصائد، فهذا ـ كما تعلم ـ ما تقتضيه طبيعة البحث، لأن الكاتب هنا ليس بجامع لديوان الشاعر.

الأخت أ.ح.س ـ وجدة ـ المغرب:

نحيي فيك روحك الطيبة ومشاعرك الفياضة تجاه البقاع المقدسة، كما نشكر لك إعجابك بالمجلة وأبوابها، أما حديثك عن صعوبة بعض أسئلة المسابقة فهو موضع اهتمام المجلة، حتى يتسنى لجميع الإخوة القراء فرصة المشاركة فيها، وأحيلت رسالتك الخاصة بباب «طريق الهدى» إلى الجهة المختصة حسب طلبك، ونأمل أن تجدي الإجابات عن استفساراتك.

الأخ علي بن سليم بن عيد العبادي ـ عمان ـ الأردن:

يشكر لك الدكتور حسن ظاظا إطراءك لمقالاته وإعجابك بمجلة الفيصل، وقد تم التنويه من قبل، بأن مقالاته سوف تصدر في كتاب قريب عن دار «الفيصل» الثقافية.

بين القارئ والقارئ

أرجو من الإخوة قراء الفيصل وبخاصة في المغرب العربي، تزويدي بكتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض الذي أشرفت على طبعه وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، حتى أستعين به في بحث أعده حاليًا.

أ.م
ص.ب 30443
دمشق ـ سورية

آمل الحصول على شرائط تسجيل للمصحف المرتل، مع وافر شكري لمن يلبي لي هذا الطلب الملح.

حسين محمد حسين
ص.ب 12046
الخرطوم 11111ـ السودان

أرغب في الحصول على كتاب رجاء جارودي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» مع استعدادي لإرسال أي إصدارات أحتفظ بها وتهم القارئ الذي يجيب طلبي هذا، مع تحملي لتكلفة الكتاب والنقل بالبريد.

مصطفاوي الطيب بن مصطفى
بلدية الهامل 28440
بوسعادة ـ المسيلة ـ الجزائر

أرغب في الحصول على أي معلومات تتناول ثقافة الطفل المسلم سلبًا وإيجابًا، وتبادل الآراء حول هذه القضية الحيوية.

عبدالله عبدالعزيز العفيص
ص.ب ٦٩٧٧ جدة ٢١٤٥٢
المملكة العربية السعودية

ملحوظة:

ترمي هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ إبراهيم نويري ـ بلدة بو خضرة ـ الجزائر
عنوان مجلة التوباد:
الجمعية السعودية للثقافة والفنون
ص.ب 3659 ـ الرياض 11481
المملكة العربية السعودية
هاتف 4779059 ـ 4772300 ـ 4783833 فاكس

عنوان مجلة الجيل:
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
ص.ب 25303
الرياض 11466ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: 4794034 ـ 4793488
فاكس: 4793522

عنوان النص الجديد:
دار الخشرمي للنشر والتوزيع
ص.ب 13553 ـ جدة 21414
المملكة العربية السعودية
هاتف: 6612000 تحويلة ـ 7647 7646
فاكس: 6612000 ـ تحويلة 7654

الأخ علي ماهرعلي ـ الولاية الشمالية ـ السودان:
عنوان دار الفكر:
دمشق ـ سورية ص.ب 962
فاكس: 2239716 هاتف 2239717 ـ 2211166

الأخ هشام مرسي صالح ـ القاهرة ـ مصر
عنوان مؤسسة الرسالة:
بيروت ـ وطى المصيطبة ـ مبنى عبدالله سليت
تلفاكس: 815112 ـ 319039 ـ 603243
ص.ب 7460 ـ برقيا: بيو شرَان

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

الرشيد بين ظالميه ومنصفيه



طالعت العدد 245 من «الفيصل» وقد استوقفتني في هذا العدد مقالة الأستاذ خير الله سعيد التي حملت عنوان «رحلة زرياب إلى الأندلس»، ومما ذكر الأستاذ الكريم موضوع «الرفاهية الاقتصادية وشيوع الغناء»، ومن جملة ما تطرق إليه الباحث عصر هارون الرشيد وما صحب عصره من انتشار للجواري والمغنيات والترف والبذخ.. وهنا لابد من وقفة؛ لقد تحول اسم هارون الرشيد إلى رمز يحمل دلالة معيّنة في أذهان الناس عامة من العرب وغير العرب، فهو عند العرب رمز للمجد والعظمة والزهد والتقوى والعدل، وهو ذروة التاريخ العربي في نظرهم، وهو عند الأوربيين مرتبط بألف ليلة وليلة وتصورات الأوربيين عن الشرق الساحر الخيالي بعجائبه وجاذبيته، ودور الرشيد فيه كساحر خارق للعادة، لا كخليفة حاكم، في ظرف من الظروف.

يصوره المستشرقون صاحب جوَار وقيان، وترف وبذخ، وطرب وغناء، فكأنه بطلُ قصص ألف ليلة وليلة، وتصوره مراجعنا العربية الأمير المثالي. فأيهما نصدق: المستشرقين أم مراجعنا العربية الإسلامية؟ المستشرقون ينطلقون من عداء صليبي ضد الرشيد، فهو الذي كتب إلى نقفور «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام».

وكان بينهما ما كان من انتصار الرشيد وخذلان نقفور، ونقفور هذا تراه أوربا مصلحًا دينيًا، فهم يشوهون حياة الرشيد انتقامًا لنقفور وحقدًا على الرشيد.

قال ابن طباطبا في كتابه «الفخري في الآداب السلطانية: وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول، وأكثرها وقارًا ورونقًا وخيرًا، وأوسعها رقعة مملكة.. ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء، والفقهاء، والقراء، والقضاة، والكتاب.. ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى أعلى درجة، وكان فاضلاً راوية للأخبار والآثار والأشعار، صحيح الذوق والتمييز، مهيبًا عند الخاصة والعامة، كان يحج سنة ويغزو سنة، وكان يصلي كل يوم مئة ركعة، وحج ماشيًا، ولم يحج خليفة ماشيًا غيره. وبلغت بغداد في عهد الرشيد درجة عالية من الحضارة والعمران. لذلك كتب السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: «أيام الرشيد كانت كلها أيام خير كأنها في حسنها أعراس».

كان الكسائي معلّم الرشيد وفقيهه، وأستاذًا لولديه الأمين والمأمون، وكان إمامًا في فنون عديدة، النحو العربية وأيام الناس، وقرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، واختار لنفسه قراءة هي إحدى القراءات السبع، وتعلم النحو على كِبَر سنّه، وخرج إلى البصرة وجالس الخليل ابن أحمد الفراهيدي، وملأه الأصمعي طُرَفًا من طرائف العرب الأدبية.. لذلك قيل: «كان فهمُ الرشيد فهمَ العلماء» كان غزير الدمعة عند الذكر. يقول منصور العابد: «ما رأيت أغزر دمعًا عند الذكر من ثلاثة فضيل بن عياض، وأبي عبدالرحمن الزاهد، وهارون الرشيد».

وأخبار الرشيد كما روتها وأوردتها الكتب التاريخية العربية «أخبار سيرة عطرة طيبة، لرجل مؤمن ملتزم إسلامه، محب لله ولرسوله، لقد عظّم شعائر الإسلام، ووقف عند حرماته.. الرشيد.. الذي نقش على خاتمه «لا إله إلا الله». فلماذا إذا شوِّهت هذه السيرة الطيبة؟ ومن شوهها؟

أولاً: ألف ليلة وليلة: وهي مجموعة منوعة من القصص الشعبي يتخللها شعر مصنوع أكثره، مكسور في نحو 1420مقطوعة.

لقد ذكر ابن النديم أنها مترجمة عن أصلٍ فارسيّ اسمه «الهزار أفسان» أي ألف خرافة. ونجد اسم هارون في بعض قصص ألف ليلة وليلة، حيث شوهت كذبًا وخيالاً سيرة الرشيد.

لقد ظن الأوربيون أن الرفاه في قصر الرشيد لا يمكن أن يكون إلا كما في قصر شارلمان من شراب وفسق وفجور، فجعلوا الرشيد بطلاً لروايات ألف ليلة وليلة، وبصورة تشبه ما يجري في قصورهم. مع أن الرشيد لم يسمع بألف ليلة وليلة لأنها ترجمت إلى العربية في القرن الثالث الهجري والرشيد عاش في القرن الثاني الهجري.

وممن شوه سيرة الرشيد كذلك (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، والأغاني كتاب أدبي لا تاريخي وهو كتاب مشكوك صراحة بأمانة مؤلفه. فمما ألصق بالرشيد زورًا وبهتانًا وافتراء أخباره مع أبي نواس ذلك الذي اشتهر بالمجون حتى صار المجون عَلَمًا عليه، وكأنما اختص به وحده من بين أترابه. ويذكر أن أبي منظور أن أخبار الرشيد مع أبي نواس موضوعات لا تصح، وأن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط.

إن كتاب الأغاني الذي جعله كثيرون مرجعًا تاريخيًا، فقرن بين الرشيد وأبي نواس، صاحبه متهم في أمانته الأدبية والتاريخية.

كان أبو الحسن البتيّ يقول: لم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الأصفهاني. فَمَنْ هو أبو

الحسن البتي؟ إذا رجعنا إلى ترجمته في الأعلام مثلاً نجده يصفه بالظرف والمجون، وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أن أبا الفرج الأصفهاني كان وسخًا قذرًا لم يغسل ثوبًا منذ فصّله إلى أن قطّعه. وجاء في لسان الميزان بشأن الأصفهاني ما يلي:

يأتي بالأعاجيب بـ:حدثّنا وأخبرنا

ومن يقرأ الأغاني ير حياة العباسيين لهوًا ومجونًا وغناء.. وهذا يناسب المؤلف وخياله وحياته وما حوله..

ثانيًا: أحمد أمين في كتابه هارون الرشيد حيث يقول عن الرشيد: «إنه رجل عاطفي ذواق، يخضع للمؤثرات العقلية، فيصلي مئة ركعة كل يوم، ويهيم من ناحية أخرى بالجمال والغناء ومجالس الشراب، ويحدثه أبو العتاهية حديث الزهد فيبكي حتى تخضل لحيته، ويقول له ابن مريم نكتة فيضحك حتى يستلقي على قفاه، ثم يقول «وعلى الجملة فقد صوّر ألف ليلة وليلة الرشيد تصويرًا بديعًا لطيفًا» وهكذا يمضي أحمد أمين في تخبّطه بحق الخليفة المسلم هارون الرشيد ليس في كتابه هذا فقط بل في كتابه «ضحى الإسلام» أيضا حيث قال: «فيظهر لي أنه كان شابًا حاد العاطفة، ولكن ليس من هذا النوع الذي يستسلم كل الاستسلام لشهواته، بل هو مع ذلك قوي النفس، جندي بالغريزة وبالتربية، هذه الحدة في العاطفة وقوة النفس، ونضارة الشباب أظهرته بمظاهر مختلفة».

إن أحمد أمين أديب وليس مؤرخًا أولاً، وهو ذو شخصيتين، شخصية أزهرية، وشخصية استشراقية غربية.

أما الغناء الذي يذكره أحمد أمين، فهو غناء له معانيه السامية بشكل حتمي دون شك، لأن مجالس الرشيد معروفة، والتزامه فيها بحدود الشرع من أهم صفاتها.

ومن الغريب أن أحمد أمين يعتمد في تصويره حياة الرشيد على كتاب ألف ليلة وليلة، ثم يذكر هو نفسه في كتابه هارون الرشيد قول ابن النديم «ألف ليلة وليلة قصص تافهة» فكيف يضع الرأي ونقيضه في مؤلف واحد؟!

دولة الرشيد، التي صورها الحاقدون، دولة أبي نواس، ودولة الجواري، دولة ألف ليلة وليلة ظلمًا وبهتانًا، هي دولة أعلام العلم والاختراع والحضارة حقيقة وصدقًا، فلقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء.

في دولة الرشيد تقدمت الصناعات.. الإنبيق، الساعات الدقاقة التي أخافت أوربا، أدوات الملاحة، تقطير الأدوية، المستشفيات العديدة.

فلصالح من نجرّح أعلام تاريخنا المجيد.

فاروق شاهر الناقوري
النبك ـ سورية
ص.ب 113

المصادر

1ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي.
2 ـ تاريخ الخلفاء: الإمام السيوطي.
3 ـ هارون الرشيد: أحمد أمين، كتاب الهلال العدد 3 آب 1952م.
4 ـ هارون الرشيد: أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، شوقي أبو خليل.

الإعلام العربي.. والمؤسسات المالية
ودورها في مواجهة مشكلات التنمية والتخلف



.. لقد جذب انتباهي قول الأستاذ الدكتور خلف الشاذلي في بحثه القيم «دلائل التخلف ومشكلات التنمية في الدول الأقل نموًا» بالعدد 238 ربيع الآخر 1417هـ ـ أغسطس/سبتمبر 1996م من «الفيصل» الغرّاء، ص 30: «ولاشك أن هناك علاقة وثيقة بين الفقر والزيادة السكانية، حيث يساهم فقر الدول الفقيرة في ارتفاع معدل الوفيات، وبخاصة بين الفئات الأكثر فقرًا، كما يساهم في ارتفاع معدل المواليد، ويوجد بذلك دائرة مفرغة مؤداها: أن عدم وصول برامج التنمية للفقراء يساهم في نمو سكان سريع ويحمل ضغوطًا شديدة على اقتصاديات هذه الدول... إلخ».

.. والسؤال الطبيعي بعد قراءة تلك الفقرة «من المسؤول عن عدم وصول برامج التنمية إلى الفقراء..؟».

المسؤول الأول في رأيي هو: الإعلام العربي بوسائله كافة. لقد اتسم إيقاع العصر في الربع الأخير من القرن العشرين بالسرعة، تلك التي جعلت الوقت أغلى مما نتصور، وأصبح من يدرك تلك القيمة، يدرك لماذا ارتفعت مستويات دخول الأفراد في شعوب كانت أقل منّا بكثير ليتركنا في نهاية صفوف اللاهثين الباحثين عن ثقب ننفذ منه إلى ما قد يقربنا من الأضواء الخافتة المتبقية من عمالقة الإنتاج والتقدم؟ والمحزن أننا حتى الآن لا نعي أن «السفينة لا تسير إلا إذا كنا جميعًا نجدف في وقت واحد، وفي اتجاه واحد، ومن مواقع متفرقة»، كما قالها سعادة الأستاذ وزير الإعلام البحريني في الدورة الثامنة والعشرين لانعقاد مجلس وزراء الإعلام العرب.

.. إن الأمّة العربية حباها الله بكل الخيرات متفردة بذلك عن باقي شعوب المعمورة، ومن بين

ثرواتها «الوفرة السكانية» التي لا تستغل الاستغلال الأمثل الذي يتيح لكل يد أن تعمل وتشارك وتنتج وتبدع بسبب افتقاد التنفيذ الدقيق للخطط التنموية على مستوى كل قطر، فضلاً عن عدم التعاون والتلاحم الاقتصادي بين الدول العربية بعضها مع بعض، بالإضافة إلى قيام الكثير منها بإيداع مدخراتها في المؤسسات النقدية العالمية الأجنبية لتجني الأخيرة منها ثمارها اليانعة بينما تحرم المجتمعات العربية صاحبة تلك الثروات من خيراتها.

فالسودان مثلاً، الذي يمكنه أن يكفي احتياجات الأمة العربية من كافة أنواع الغذاء بأرضه المعطاء التي لا تحتاج فقط إلا إلى رافعات ضخمة لرفع المياه إلى أراضيه المرتفعة عن مجرى النيل تتكلف مليارات الدولارات، نعم ولكنها ستنتج لنا غذاء وكساءً أرخص آلاف المرات مما نستورده من الخارج، وما حكاية البيضة التي سجل ثمنها في إحدى فواتير الشراء بـ 35 دولارًا علينا ببعيد. ولكن السياسات الخاطئة هي التي أوصلته إلى حالة يرثى لها...؟

...إن التحدي الذي تواجهه الأمة العربية كبير كبير، وعلى عاتق الإعلام العربي يقع العبء الأكبر في إبراز ومواجهة تلك التحديات:

.. أين برامج ملاحقة ثورة المعلومات التي تمحو أميّة الأفراد وتتيح لها التجاوب مع الأهداف التنموية التي تصوغها الحكومات لتشارك بوعي وإيجابية في تحقيقها..؟

... أين برامج مواجهة عدم وعي أفراد الأمة بأننا في عصر الكيانات الكبيرة والتجمعات الدولية والتي نتمنى أن تكون الأمة العربية أحد تلك الكيانات بما تملكه من قيم سامية وحضارات وخيرات الله في أقطارها..؟

.. وتأتي برامج «تسليط الأضواء» على ثورة الأقمار الصناعية التي أحدثت ذوبانًا في الحدود والمسافات بين الدول، وأصبح تنازع القنوات على امتلاك الفضاء أحد مظاهر نهايات القرن العشرين، في مقدمة البرامج التي يجب أن توجه إلى الطبقات الفقيرة مجانًا لمد جذور التنوير والوعي بالقضايا الوطنية الملحة التي تخدم حركة التنمية والارتفاع بمستوى الدخل القومي والفردي على وجه الخصوص، ومحاصرة التبذير الاستهلاكي وأنماط الإسراف المتنامية في كافة المجالات.

وعلى هذا المنوال تأتي تساؤلاتنا بلا نهاية: ليتحمل الإعلام العربي بوسائله كافة، تَبِعَةَ التصدي بصدق ووعي لكل مظاهر التخلف وانعدام الوعي، وهو الأمل في القضاء على مظاهر التخلف باختراق حصونه المنيعة التي تحول دون وصول برامج التنمية للفقراء في عالمنا العربي ليحدث ما نأمله منه: انهيارًا وتبديلاً كاملاً لحياتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية يحيلهم من قوى مستهلكه بشراهة إلى منتجة وعاملة، يسانده في ذلك أصحاب الثروة والثراء ورجال المال والأعمال والبنوك والمؤسسات المالية لنغيّر جميعًا من وجوه أوطاننا بالعمل على تغيير السلوك الإنساني والاجتماعي والثقافي للفئات الأقل وعيًا، حتى لا تظل عائقًا في تحقيق تقدم الدول الأقل نموًا.

عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
مهندس زراعي
الإدارة الزراعية بالمنصورة
جمهورية مصر العربية



النشوء والارتقاء في التلقائية

كعادتي ومنذ أن كشف الله عز وجل عن عيني غشاوة كانت تحول بيني وبين التعرّف على سمُوّ مجلتكم، استلمت العدد ذا الرقم 245 بيد حانية تضنّ به ضنّ البخيل بماله، وجُلْتُ في صفحاته أغترفُ من معينه الرقراق كؤوس قراح وراح، حتى استوقفني مقالٌ رأيتُ فيه ثغرةً كبيرةً وخطأً جللاً.. فأمسكتُ قلمي أخطُّ إليكم مُنبِّهًا ناصحًا و«الدين النَّصيحة.. لله ولكتابة ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(1). *إنّ الذين يكتُمُونَ ما أنزلنا من البيّنَات والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئكَ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون*. **البقرة**:159.

وأنطلق في استدراكي هذا من منطلق حُسْن الظن التام بمجلتكم ومقاصدها، ومن إيماني أنه لكلٍّ جوادٍ كبوةٌ، ولكل صارم نبوةٌ، ولكل عالم هفوةٌ، وأن الله هو الهادي للصواب.

أقولُ: صَدَمني مقال الأستاذ الفاضل الدكتور كمال حسين فهمي نشأت.. والذي عنونّه بعنوان: التلقائية في الآداب القديمة.

صدمني من مقدمته وضوحُ تأثُّرِ ـ علوم ـ الدكتور بنظريات النشوء والارتقاء والتطور والاصطفاء، تلك النظريات الإلحادية الغربية التي تسلّلتْ إلى العالم على أيدي لامارك وداروين وهو غودي فيريس وغيرهم، آتية عن

خلق الكون ومخلوقاته والإنسان بحكايات تضرب عرض الحائط بكل المفاهيم الدينية التي رسختها الأديان وخصوصًا السماوية منها.

وإني وإن كنت أُحْسِنُ الظنَّ بإيمان الدكتور كمال ورفضه الإسلامي لكل هذه الهرطقات التي هدمتها معاول الفيزياء وفؤوس الكيمياء ومَهَادم الرياضيات، وبخَّرها، إلاَّ من أذهان المتعصبين لها في الغرب وأذيالهم في الشرق، علمُ الوراثة وقوانينُهُ..

فإني لا أرى مُسَوِّغًا يسوِّغ للدكتور ـ هداه الله ـ ذلك الكلام المشْبَعَ بما لا يرضاهُ اللهُ ورسولُهُ وكتابُهُ الذي قال فيه: *لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم*. **التين**:4.

يا أيها الإنسانُ ما غَرَّكَ بربِّكَ الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلَك. **الانفطار**: 6-7.

أليس النظرُ إلى الإنسان على أنه مرَّ بمرحلة بدائية كان أقرب فيها إلى الحيوان يُنافي تكريمَ الله عز وجل لجنس الإنسان بني آدم..

ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا. **الإسراء**:70.

إن الله تعالى لا يُوافق على أنَّ الإنسان كان أولَ أمره يهمهم ولا يتكلم، ويصيح صيحات أخذت تأخذُ معنىً متفقًا عليه، ثمّ مع الزمن خرجت بعض الكلمات التي لا تخرج بالإنسان عن التعامل مع العالم الخارجي المحدود.. فأين التعامل مع الله..؟!

أليس هذا الكلام الذي صاغه الدكتور كمال بقوله في مقدمة مقاله: «كانت اللغة في أول أمرها عند الإنسان البدائي الأول همهمات ثم صيحات خاصة، وابتدأت هذه الصيحات تتحدَّد وتنتشر ويُتَّفَقُ عليها، وبذلك تكونت اللغة الإنسانية الأولى، وطبيعي أن تكون مفرداتها قليلةً تمثل الاحتياجات الإنسانية لأناس بدائيين، وهي لا تخرج عن التعامل مع العالم الخارجي الذي يتعاملون معه (الشجرة ـ الأسد ـ الرجل ـ المرأة ـ النهر ـ الطعام ـ الليل ـ النهار ـ إلخ...) وهي لغةٌ لا تتعدى 300 لفظة كما يقول العلماء، ومن الطبيعي أيضًا أن تبتعد من الألفاظ ذات المعاني المعنوية القائمة على التجريد». ا.هـ

أليس هذا الكلام يصطدم مع ما في كتاب الله تعالى الذي قال:

وإذْ قال ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً، قالوا أتجعلُ فيها من يُفسد فيها وَيَسْفكُ الدماءَ ونحنُ نُسبِّح بحمدكَ ونقدّس لك قال إنّي أعلمُ ما لا تعلمونَ. وعَلّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها..

ها هو ذا الإنسان الأول آدم عليه السلام منذ خلقهُ الباري عز وجل تامّ المقدرة على العلم بالأسماء واللغة والتأثر والانفعال والتصرف: *فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم*. الآيات في قصة خلق آدم عليه السلام 30 - 39 من سورة **البقرة**.

وأما استشهاد الدكتور بسكان جزيرة تسمانيا على أنهم في كلامهم كما قال: «لا يعرفون الصفة، فهم إذا أرادوا وصف شيء أتوا بتشبيه له تتحقق فيه الصفة المقصودة، فإذا كان هناك رجل طويل مثلاً فإنهم يقولون: إن فلانًا مثل شجرة كذا. وعدم وجود الصفة في لغة هؤلاء يدل على بدائية تفكيرهم». ا.هـ.

فهو استشهاد مردودٌ بأن بداية الإنسان كحاضره على حالة من الرُّقي الذي هو تكريم إلهي.. أما الأمثلة التي تُضرب من مجتمعات كهذه، فهذه يجب أن نسميها مجتمعات «انحطاطية لا بدائية» لأن خطَّ سير رُقيِّها البياني نزل وانحط عن منسوب البداية الراقي بنص القرآن الكريم.

تعضدُ هذا الكلام من كتاب الله آيات بيِّن فيها الخالق عز وجل أنه نزل ببعض البشر عن مستوى البشرية إلى مستوى الحيوان عقوبة ونكالاً:

قل هل أنبّئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردَةَ والخنازير وعَبَدَ الطاغوتَ أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ عن سواء السبيل. **المائدة**:60.

ولقد علمتُمُ الذين اعتَدَوا منكم في السبت فقُلنا لهم كُونُوا قِرَدةً خاسئين، فجعلناها نَكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين. **البقرة**:65 - 66.

ولا مانع شرعًا أو عقلاً من أن تكون القبائل والمجتمعات التي يستدل بها على بدائية مزعومة أعْقابًا لبشر حط الله تعالى من مقدار عقولهم وقلوبهم ثم تركهم عبرةً للمعتبر وذكرى للمُدَّكر.

كذلك ليس استشهاد الدكتور بروح البساطة وجمال السذاجة المتحقِّقين في كثير من الآداب القديمة دليلاً على أن البساطة والسذاجة مرحلة راقية نسبيًا تلت مراحل بدائية تطوَّر فيها الفكر الإنساني إلى البساطة والسذاجة ثم استمر تطوُّرُهُ إلى الحذلقات كما قال والتعقيد والصعوبات المتخطِّية احتياجات الناس الوجدانية.

كذلك ليس استشهاده بأن الأطفال يتعلمون اللغة من اللا شيء حتى الاكتساب الكامل للغة، أنَّ لغة الأطفال كما قال: «تمثل هذه المرحلة البدائية التي مرت بها الإنسانية..» .ا.هـ.

فإن كان هذا صحيحا نستطيع بالقياس أن نقول: إن البشرية في مرحلتها البدائية المزعومة لم يكن الإنسان فيها يستطيع المشي بدليل تعلُّم الطفلِ المشي واكتساب القدرة التدريجية عليه، وهذا قول واضح الفساد . كل ما قد قلته ردًا على ما ورد في مقال الفاضل الدكتور كمال نشأت إنما هو استدراكٌ متواضع، عليه أرجو أن يقابله بالمظنون من سماحة صدر المثقف الواعي.. واستدراكٌ أيضًا لهفوة وقعت فيها لجنة تحرير المجلة ـ وفقها الله ـ إذ سمحت سهوًا لأفكار تُغاير عقيدة الإسلام أن تتبوأَ مكانها في أسطر صفحات مجلتنا الحبيبة الفيصل.. وأرجو أن لا يضيق بال أرباب المجلة بالملاحظات التي ترد حرصًا على استمرارها في قمة المطبوعات الثقافية إسلامية المنهج، وأُذكِّرُ بقولِ المصطفى صلى الله

عليه وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن»(2). ورحم الله الفاروق رضي الله عنه وهو القائل: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي.

وقبل الختام أُهيب بأرباب الفكر وأخصُّ منهم الدكتور المبجَّل حسن ظاظا حفظه الله. أن يُقدِّموا للقراء عبر مجلة الفيصل تبيانًا لدور الصهيونية العالمية وأبنائها أدعياء العلم أمثال داروين وماركس وأنجلز وغيرهم، في بث نظريات الفساد العلمي والترويج لها في الأوساط العلمية والثقافية العالمية بغية تقويض الأركان العقلية العلمية لصروح الإيمان الغيبي الذي غرسته الأديان السماوية في نفوس أتباعها، والسير بهم إلى هاوية الإلحاد، والهوِيّ بهم في نار جهنم وبئس المهاد.

أبو عبدالرحمن على محمد زينو
إمام وخطيب مسجد قرية الزهيرية ـ منطقة المالكية
محافظة الحكسة ـ سورية

الغرب استمرار أم تراجع؟



حينما تصفحت العدد 247 من مجلة الفيصل وقرأت مقال الشاعر المغربي الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي، فكرة للمناقشة، الغرب استمرار أم تراجع؟

خطر في ذهني أن أناقش بعض المحاور الواردة في المقال.

عندما قرأت فقرة «.. فتراهم يتساءلون لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا.. ويضع السلاح ويتجه إلى الماء والقبلة في انتظار حسن الخاتمة» تبادر إلى ذهني، وأنا اعرف ذلك منذ زمان، أن المسلم مطلوب منه أن يقوم بعمل الدارين: الآجلة والعاجلة. ولا يقبل منه أبدًا الاهتمام بجانب واحد وإهمال الجانب الآخر، فإذا اهتم المسلم بعمل العاجلة فقط أصبح ماديًا محضًا إن لم أقل يعبد المادة، وإذا كان يعمل للآجلة فقط كما يفعل الرهبان، فالإسلام ينهى عن الرهبانية، ولا رهبانية في الإسلام كما يقول منقذ الإنسانية وموقظها الأول من سباتها العميق النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

إن إتقان العمل والإخلاص فيه هو سر كل تقدم وازدهار، بيد أن كل تخلف وتدهور يعود إلى الخمول والغش وعدم الإخلاص في العمل. إن الراحة الحقيقية تكمن في الكد والنشاط العملي، وليس في الراحة الدائمة المملة، والباري جلت قدرته يأمرنا بالعمل: *وَقُلِ اعْمَلُوا* **(التوبة:105)** وإن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يحب من العبد إذا عمل أن يتقن العمل» ويقول أيضًا: «أحب الأعمال عند الله أدومها وإن قلّ».

ولنا في التاريخ الإسلامي عبرة، بالأمس كنا سادة العالم، أجدادنا مكثوا في الأندلس ثمانية قرون، وكان المسلمون في صقلية وفي جميع أنحاء المعمورة، وكان يضرب بهم المثل في البطولة والإقدام؛ أما اليوم فلماذا تغير الوضع وأصبح اليهود يستحوذون على أقدس مقدساتنا ويقتلون أبناءنا وينسفون منازلنا ومساجدنا؟ لأننا تخلينا عن العمل والتضامن، ونسينا قوله تعالى: *وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا* **(آل عمران:103)**

الواقع أن أسباب تخلف المسلمين، بالإضافة إلى ما ذكر، تعود إلى أسباب أخرى كالهيمنة الاستعمارية وتقليدنا للغربيين وسوء تربية أبنائنا. وحينما نقارن بين أبناء المسلمين وأبناء الغربيين نجد الفرق كبيراً؛ إن الطفل العربي المسلم لا فرق بينه كما يقول الدكتور محمد الوهابي(1) وبين الطفل في الغرب، كل منهما يملك عقلاً وجسداً وعيناً، والفرق أن الطفل الغربي يتلقى الرعاية الفائقة منذ المهد ويسهر عليه لإعداده لمعركة الحياة، أما الطفل المسلم فيترك هملاً، وإن كل طفل بلا تربية كزرع بلا أرض.

إن الطفل الذي ينشأ على هذا السلوك سيفقد الإخلاص، ويتعلم الغش والخيانة والكذب، وجميع الصفات الرذيلة، والآباء مسؤولون عن هذه التربية.

أما فيما يخص ما ذكره الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي من مشكلة الهجرة فإننا نجد أوربا بالأمس تشجع المهاجرين إليها، وكانت تطلق على العمال المهاجرين الضيوف، ولاسيما في ألمانيا. وبعد توحيدها تغير الوضع وأصبحوا يطلقون عليهم العمال الأجانب، بل قالوا صراحة في الشوارع: اخرجوا عنا أيها الأجانب.. وقد نسوا سريعًا الخدمات التي قدمها المهاجرون إلى أوربا. والغريب في الأمر أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل قتلوا عدداً كبيراً منهم ظلمًا وعدوانًا، ليملوا هذه الجرائم ويرحلوا عنهم.

بيد أن أمريكا تخالف أوربا في هذه الظاهرة، أصبحت تشجع المهاجرين إليها

ولاسيما أصحاب العقول كالعلماء والطلبة، لتستفيد من علمهم وعقولهم. وأعتقد أن المهاجرين المسلمين في أمريكا أقل بكثير مما هو عليه في أوربا.. إن أوربا أصبحت مكتظة بالمهاجرين وضاقت بما رحبت.

وبخصوص هاجس الخلود وفسل الأعضاء واستنساخ الحيوانات والإنسان والإنفاق بسخاء على المعاهد والمختبرات لدراسة الظواهر والاتجاهات. فرغم ما يحققه البحث العلمي من نتائج باهرة فإن قضية الخلود وإعادة الحياة للميت كما سبق لفريق من العلماء في أمريكا أن قاموا بتجربة فاشلة في هذا الصدد، فتبقى هذه الأشياء مجرد خرافات وأساطير، لأن هذا الأمر أصبح بيد الله وحده. يقول الله تعالى: *وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا* (**الإسراء:85**). وقد ذكر القرآن بأن هناك طائفة من اليهود يودون لو يعمرون ألف سنة وقد رد الله عليهم بأنهم حتى إذا عاشوا هذه المدة مثلاً فإن ذلك لن يبعد عنهم العذاب الشديد قال تعالى: *يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ* (**البقرة:96**). إن الإنسان ليس روحًا فقط ولا جسدًا فقط، بل هو روح وجسد معًا، إن كلاً من الروح والجسد لا يعرف حقيقتهما المطلقة إلا خالقهما. إن أمور الغيب والروح يعجز الإنسان نهائيًا عن معرفة أسرارها وتكوينها وماهيتها من ذلك يبدو السر في ضعف الإنسان وتبدو عظمة الله الواحد القهار الذي يتصرف في كل شيء، وكل كائن يسير وفق قدرته ومشيئته.

سومع عبد السلام
ا ص.ب (204) ـ تمسمان
ناحية الناظور
المغرب

الهوامش:

1- الدكتور محمد الوهابي طبيب وأديب له رواية جديدة بعنوان «العودة» وهي عبارة عن سيرة ذاتية روائية، درس طب الأطفال في بروكسل ويقيم بها منذ 30 سنة.

وجهة نظر



أحلام تتسع دوائرها وتضيق..

سعد البواردي

منا من لا يشغل باله.. أو يدغدغ خياله حلم أو أكثر.. يمتطي جواده أملاً بلقاء في رحلة البقاء.. والأحلام بتداعياتها.. أو بادّعاءاتها لو جاز هذا التعبير. تبدأ صغيرة ثم تكبر لتضيق دائرتها بعد ذلك ثم تكبر لتضيق وتكبر وفق الأزمنة والطموحات.. إنها لا تتوقف عند حد إلا بتوقف مجرى الحياة نفسها..

مثلاً.. منذ خمسين عامًا خلت كانت أحلام الواحد منا تدغدغه وتمنيه لو أنه تملك مئة ألف ريال هي بالنسبة لمتطلباته الحياتية رقم كبير دون الحصول عليه خرط القتاد..

ومنذ عشرين عامًا مضت اتسعت دائرة الحلم باتساع دائرة الاحتياجات.. ققفز الحلم إلى رقم المليون الذي كان وقتها مطلبًا عسير المنال.. إلا أنه يتحقق بالنسبة لبعض الحالمين..

واليوم.. ماذا يجدي المليون الواحد في عالم يتعامل أفراده بمئات الملايين.. وبالبلايين.. إنه رقم صغير تافه في محصلة الحلم الذي اتسع وضاق.. ثم اتسع ليضيق مرة تلو الأخرى..

كل الأشياء تبدو صغيرة ثم تكبر بما فيها الأحلام التي تتأطر حينًا.. وتتعثر حينًا آخر.. ومع هذا فإن جذوتها في أعماق الإنسان تظل مخزونة حية بوقود الأمل دون أن تنطفئ.. لأن انطفاءها يعني النهاية.. والتسليم بخسارة المعركة.. ومن فينا عن طواعية يستسلم ليأسه..؟!

والأحلام بالنسبة للمال هي نفسها الأحلام بالنسبة للأعمال.. إنها نسيج متداخل في بُرد الإرادة البشرية يعني الوقاية من مخاطر المجهول.. لذا فإنها بالقدر الذي يأتي عليه نسيجها محكمًا تكون ثوابت الحركة أكبر وأقرب إلى تحقيق الطموحات حتى ولو جاء الوصول إليها شاقًا ومتعسرًا..

الحياة حلم.. وبقدر الإرادة.. واستشراف آفاق المستقبل يأتي حجمه.. ومدى تقبله.. ومدى تأثيره في المسيرة.. ومدى إشباعه للرغبات المكبوتة داخل النفس.. إنه يتحرك من دواخلها بطاقة الدفع.. وعلى قدر ما تعطي تأخذ.. وعلى قدر ما تزيد تستزيد..

الأحلام ليست مجرد استغراق في متاهات الأماني دون قدرة على تحريك دولاب الحركة.. إنها التجسيد والتحديد لأبعاد مستقبل متحرك له سلبياته وإيجابياته.. له نجاحه وفشله.. لأنه حلم، ولكي يرقى إلى درجة العلم والنجاح لابد من مواجهة السلبيات والفشل بالمزيد من المحاولة للوصول إلى «حقيقة الحلم».. وليس إلى «حلم الحقيقة».

ومن سار على الدرب وصل حتى وإن طال به السفر.. متى كانت «أحلام يقظته» تحمله بين جناحيها وصولاً إلى «يقظة أحلامه».

هكذا تنشأ الجماعات المتطرفة

د. غسان حتاحت



من أبرز جماعات التطرف الديني في العصر الحديث دافيد كورش وجماعته، الذين كانوا يقيمون في شبه معسكر في مدينة واكو في ولاية تكساس الأميريكية. فلقد استطاع هذا الرجل أن يستولي على عقول عدة مئات من الناس وتفكيرهم، وأن يجعلهم ينضوون تحت لوائه، ويستسلمون لتعاليمه، ولتفسيراته الغريبة للإنجيل والكتاب المقدس.

بل لقد جعل من نفسه مسيحًا جديدًا، يأمر فيطاع، ويطلب ما يريد فيجاب. وكان المتزوجون من أفراد جماعته يتنازلون له عن حقوقهم في زوجاتهم.

ولم يكتف دافيد كورش بذلك إذ كان كلما أعجب بفتاة من جماعته اصطفاها لنفسه، وجعلها تضع شعارا على ثيابها يدل على نوالها الحظوة لديه فلا يقربها سواه.

وقاد جماعته بنظام شديد يشابه النظم العسكرية، وقام بتخزين كمية غير قليلة من الأسلحة والذخائر والمتفجرات في معسكره في مدينة واكو.

وعندما قام رجال الشرطة المحلِّيُّون بمساعدة من مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) بمهاجمته اصطدموا بمقاومة شديدة من قبل جماعته كانت حصيلتها مجزرة رهيبة، وحريقًا كبيرًا وضحايا غير قليلين كان فيهم إضافة إلى رجال الجماعة المقاتلين أطفال وشيوخ ونساء.

وكان من ذيول هذا الهجوم وفي يوم ذكراه أن قام بعض أتباعه بإحداث تفجير هائل في أوكلاهوما، ذهب ضحيته عشرات الأبرياء، وأدى إلى تخريب قُدِّرت كلفته بمئات الملايين من الدولارات.

ومن المفارقات المحزنة أن أصابع الاتهام في إحداث هذا التفجير وجهت في البداية ظلما وافتراء إلى العرب والمسلمين، قبل أن يكتشف الأميريكيون أن الشر لم يكن مستوردًا، وأنه جاء من داخل أميريكا نفسها.

وقبل هذه الجماعات بسنوات قرأنا عن جيم جونز وجماعته، الذين اتخذوا في غابات جوايانا معبدا لهم يمارسون فيه طقوس عبادتهم بعيدا عن المجتمع الذي رفضهم ورفضوه. وعندما شاع عنهم أنهم يمنعون بالقوة والعنف الأفراد الذين يريدون الانسحاب من جماعتهم، ذهب أحد أعضاء مجلس النواب لتحري الحقائق، فكان أن فجر بعض أتباع جيم جونز طائرة النائب مما أدى إلى مقتله مع بعض مرافقيه، وبسبب ذلك اختار جيم جونز أن يقود جماعته إلى انتحار جماعي بتناول سم السيانيد الذي وضع في مشروب «البانش» وذهب ضحيته ما يزيد على تسعمئة شخص ما بين رجل وامرأة وطفل.

وقبل عدة شهور شاهدنا في التلفاز انتحارا جماعيا لدى جماعات دينية متطرفة في سويسرا وبعض المدن الأوربية.

ونسمع ونقرأ عن اغتيالات وتفجيرات في هذه المنطقة من العالم أو تلك، يقوم بها متطرفون من مختلف الملل والنحل، فمن غلاة الهندوس أو غوغائهم في الهند، إلى نمور التاميل في سيريلانكا، إلى مجرمي الصرب في البوسنة والهرسك وسواهم كثير.

ونتساءل ترى كيف تكونت هذه الجماعات المتطرفة؟ وكيف استطاع شخص ما أن يسيطر على عقولهم وأفكارهم، وأن يجعلهم كالأنعام بل أضل سبيلا؟.

إن معظم هؤلاء الناس الذين ينضوون في هذه الجماعات يكونون ضائعين في مجتمعهم، يفتشون جاهدين عن معنى لحياتهم، وعن توجيه يجلب إليهم الطمأنينة والراحة، ويبحثون عن الحب والتفهم فيجدون ذلك كله في انتماء يجعل لحياتهم هدفا.. أيا كان هذا الانتماء وأيا كان هذا الهدف.

ولقد أظهرت الدراسات النفسية أن حوالي ثلث أعضاء هذه الجماعات يكونون مصابين باضطرابات نفسية سابقة، أما الثلثان الآخران فهم أشخاص طبيعيون عاديون. لكنهم يمرون في حالة نفسية سيئة من شعور بالاكتئاب أو الحزن أو الضياع أو الإحباط، مما يجعلهم مؤهلين للانضواء طائعين تحت راية من يبدي لهم عطفا أو تفهما. ويوجههم إلى انتماء يحسّون فيه بالأخوة والزمالة، ويجعلهم يعيشون في نظام يريحهم من مشكلاتهم ويكون كالسياج يحيط بهم فيشعرون بالحماية من المجتمع المحيط بهم أولاً ثم من أنفسهم ثانيًا.

وغالبا ما يبتعد هؤلاء الأشخاص عن عائلاتهم وعن أصدقائهم بل عن واقعهم كله. وقسم منهم يكونون أصلاً معزولين نشؤوا في عائلة مفككة، وعاشوا من دون أصدقاء أو معارف، مما يجعلهم يجدون في الانتماء الجديد شفاء من الضياع والاكتئاب، فيندمجون في حياتهم الجديدة ويتخلصون من همومهم، ويحصل لديهم نكوص إلى أيام الطفولة بما فيها من اختفاء الهم والغم، والاعتماد في حل المشكلات على الآخرين. وإلقاء تبعتهم على قادتهم الذين يضعون الخطط ويرسمون لهم طريق حياتهم وطريقة تفكيرهم. بعد أن كانوا يعيشون دونما هدف أو قيم أو انتماء.

إن هذا الضعف الأسبق في شخصية المرء يجعله مؤهَّلا كي يندمج في زعيمه ويطيعه طاعة عمياء ويشعر نحوه بالولاء المطلق.

وكلما كان الانتماء أضيق كان التعصب أشد، ولذلك نرى أعضاء هذه الجماعات يتعصب بعضهم لبعض بشدة وقوة، نجد مثل هذه الجماعات المتطرفة خاصة لدى الأقليات، والفئات المسحوقة في المجتمع، وأولئك الذين يشعرون أن ظلما ما - حقيقيا أو متوهمًا - قد حاق بهم. وأولئك الذين تمتلئ صدورهم بالحقد والحسد للآخرين أيا كان سبب ذلك.

والمفارقة أن انضمامهم إلى هذه الجماعات يجعلهم مصابين «بالبارانويا»، فيكتمل انفصالهم عن المجتمع الذي يعيشون فيه، ويزداد التحامهم بجماعتهم المتطرفة، ويقوى ولاؤهم لزعيمهم الذي يضيف إلى شخصه عادة هالة قداسة دينية، ويصبحون أطوع له من بنانه، ويجدون في اندماجهم به حياة وهدفا وغاية.

ونتيجة ذلكَ نرى أن أفراد هذه الجماعات يفقدون التفكير السليم والمشاعر الإنسانية، ويغدون كالأطفال أو الأغنام يُسيِّرهم قائدهم إلى ما يريد. فنراهم في حالة جماعة جيم جونز مثلا يقدمون على الانتحار طوعا لأنهم وجدوا الانتحار أفضل من العودة إلى مجتمع رفضهم ورفضوه. ولقد بلغت الرغبة في الانتحار لدى أفراد هذه الجماعة من القوة ما جعل الأعضاء الذين نجوا من حفلة الانتحار الجماعي - إن جاز هذا التعبير - لا يتوانون عن الانتحار فرادى فيما بعد كي يلحقوا برفاقهم الذين سبقوهم.

إن مقاومة مثل هذه الجماعات مقاومة فاعلة لا تتم إلا بإزالة الأسباب التي أدت إلى تشكلها. فالإنسان ذو القاعدة النفسية المتينة، والشخصية القوية، الذي تتاح له حرية التفكير، وفرص المشاركة في المجتمع، ويعيش في كرامة وحرية واحترام. يتحمل مسؤولياته ويؤدي واجباته، مثل هذا الإنسان لن يفكر أبدا في الانضمام إلى هذه الجماعات.

ولقد أظهرت بعض الدراسات النفسية والاجتماعية أن العنف لا يفيد مع أعضاء هذه الجماعات. بل ربما زاد التعصب تعصبا والتطرف تطرفا، ودفع إلى حالات من اليأس تجعل المرء يُحوِّل طاقاته إلى عنف قد يوجهه نحو الآخرين كما في حالات التفجير والاغتيالات، أو يوجهه نحو نفسه كما في حالات الانتحار الجماعي.

ومما يؤسف له أن هذه الجماعات في تزايد مستمر في شتى أنحاء العالم، ويكفينا قراءة جريدة أو مطالعة مجلة أو الاستماع إلى مذياع أو مشاهدة تلفازية كي نتأكد من ذلك. وويل للمجتمع عندما لا يداوي نفسه.